



علم مثل أبي الحسن فلتبك البواكي

تبكي الأمهات والآباء للذات أكبادهم لما أودع الله في قلوبهم من حب وحنان، وبكبي الناس عظماء الأمة، من حاكم عادل في حكمه، أو عالم متفوق في مجاله، أو تقي يشهد له الناس بالنسوة، ولكن قلما يكون في الأمة رجال مثل أبي الحسن، يجمعون بين محبة الناس وتقدير الحكام، وبين التفوق في شتى المجالات فهو الفقيه المتمكن، والداعية المتصرد، والمربي الجليل، والمفكر الأصيل، والخطيب الموقر، والأديب الفذ. إنه الرجل الذي ألقى الله محبته في سويداء القلوب، ووهبه فراسة المؤمن، وحكمة الشيخ الحزب، وتوقد القلب الحلي النابض، وتقوى العباد الزاهد، فلا عجب بعد ذلك أن يكون أمة في رجل، وأن يكون حقاً بركة عصره وفريده دهره.

وكأنما أحسنا أنه سوف يفارقنا إلى ربه راضياً مرضياً، فأقمنا له حفل تكريم، حاولنا أن يوفيه شيئاً من حقه على هذه الأمة، ومن حقه على هذه الرابطة التي كان قلبها ووجدانها، وعينها ومرشدها.. وقد شاء الله أن يغمض جفنيه قبل أن يرى كتاب التكريم الحافل الذي انتهت طباعته أو كادت.

وما نحن أولاء نداعينا في مكتبي الرابطة الرئيسين لإصدار أعداد خاصة من مجلة «البعث الإسلامي» وصحيفة «الرائد» الهندية ومجلة «الأدب الإسلامي». وقد حفل عدد «البعث الإسلامي» و«الرائد» بمقالات وبحوث تتناول الجوانب المتعددة من شخصية الشيخ الجليل وأفاقه المتنوعة. ولكننا رأينا أن يقتصر العدد الخاص من «مجلة الأدب الإسلامي» على الجانب الأدبي للشيخ الجليل، وذلك لأمرين: أما أحدهما فلأن الجانب الأدبي يناسب عنوان المجلة واختصاصها بالأدب الإسلامي، وأما ثانيهما فلمعجزنا أن نغطي سائر الجوانب الأخرى في عدد واحد أو في عددين، وبخاصة أن كتاب التكريم سوف يتناول تلك الجوانب الأخرى، دون أن يزعم زاعم أنه سوف يوفيه حقها.

وهكذا جاء هذا العدد الخاص - وهو عدد توثيقي - مشتملاً على جملة من المقالات والبحوث في الجانب الأدبي من شخصية الشيخ الجليل، ثم على ما كتب من المقالات والندوات في تأبين الشيخ، ثم ما سمينا بديوان المراثي الذي بلغ نحو ٢٥/ خمس وعشرين قصيدة في رثاء الشيخ وتعداد مآثره، والتعبير عن حزن الأمة لفقدته. وقد تخلل ذلك مقال تقديم للشيخ على الطنطاوي فيما سمينا بسمرات المطابع، وحوار موجز مع سماحة الشيخ، وسجل للتعازي التي هي غيض من فيض ما وصل إلى مكتبي الرابطة الرئيسين وبعض مكاتبها الإقليمية.

كذلك لم نشأ أن يخلو هذا العدد الخاص - وهو كما قدمنا عددان في عدد واحد - من أخبار الأدب الإسلامي، حتى لا ينقطع التواصل بين أعضاء الرابطة وأخبارها وبريقها الإسلامي. وهناك أخيراً ما جاء في الورقة الأخيرة من إطلاق لقب «عميد الأدب الإسلامي» على شيخنا الجليل الذي حق لنا أن نقول فيه: علم مثل أبي الحسن فلتبك البواكي.

رئيس التحرير



مجلة فصلية
تصدر عن
رابطة الأديب الإسلامي العالمية

جمع الصحاح

المجلد السابع - العددان السادس والسابع والعشرون ١٤٢١ هـ



د. عبد القدوس أبو صالح



د. عثمان النحوي



د. عبد الرحمن العشمأوي

رئيس التحرير

د. عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير

الفريق يحيى المعلمي

مدير التحرير

د. سعد أبو الرضا

مستشاره التحرير

د. محمد زغلول سلام

د. عبده زايد

د. علي الخضير

هيئة التحرير

د. عبد الباسط بدر

د. حسين علي محمد

حبيب معلا المطيري

١٢ المقالات والدراسات

١٣٢ ندوات في تأبين الشيخ

١٦٤ من ثمرات المطابع

١٧٢ ديوان المراني

٢١٢ من أخبار الأدب الإسلامي

٢٢٤ الورقة الأخيرة

□□ الصف وأعمال التصميم والتنفيذ:

القاهرة - هاتف وفاكس: ٣٢٦٠٦٠٣ - ٣٢٧٢١٣٩

□□ طبع هذا العدد في مطابع..

مؤسسة الرسالة

بيروت - وطني للصنعية - بناء عبد الله سليم

تلفاكس: ٨١٥١١٢ - ٣١٩٠٣٩ - ٦٠٣٢٤٣

البريد الإلكتروني: Resalah@Cyberia.net.lb

□□ المراسلات:

□□ السعودية - الرياض: ١١٥٣٤

ص.ب ٥٥٤٤٦

تلفاكس: ١٧٩٢٢٣٤

من أجل أفضل

الأحب إلى المسلمين

عدد توثيفي خاص عن.. الشيخ أبي الحسن الندوي



— الافتتاحية:

- ١ رئيس التحرير علي مآل أبي الحسن فتيتك البواقي.
— وصية الشيخ أبي الحسن الندوي.
— الشيخ أبو الحسن الندوي.
موجز عن حياته وأهم مؤلفاته.

٧ محمد طارق الندوي

■ البحوث والدراسات

- ١٢ — الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته. د. عبدالقدوس أبو صالح
١٨ — أبو الحسن الندوي.. في سيرته الذاتية. د. محمد رجب البيومي
٣١ — الشيخ.. والسيرة النبوية. د. عمار الدين خليل
٣٨ — جهود أبي الحسن في خدمة الأدب الإسلامي. د. عبدالباسط بدر
— ملامح قصة الأطفال الموجهة.. في مجموعة «قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال»
٤٣ — لأبي الحسن الندوي. د. سعد أبو الرضا
— مقترحات أبي الحسن الندوي.. الريادة في التوجيه والتطبيق. د. عبدالله صالح العربي
٥١ — النقد المعاري.. عند الشيخ أبي الحسن. د. منجد مصطفى بهجت
٥٥ — الشيخ أبو الحسن الندوي.. وتطور اللغة العربية وقضاياها. د. محمد اجتيا الندوي
٦٤ — آراء الشيخ أبي الحسن اللغوية. محمد عبدالسلام آرائي
٦٨ — عن السيرة الذاتية لأبي الحسن الندوي.. في سيرة الحياة.. الأبعاد والنهج. د. جابر قمينة
٧٦ — الشيخ أبو الحسن الندوي.. بحوث ودراسات. د. مأمون فريز جزار
٩٦ — روائع إقبال.. عرض ومناقشة وتقويم. حكمت صالح
١٠٦ — أبو الحسن الندوي.. كاتباً ومفكراً. عبدالباسط أحمد
١١١ — أبو الحسن الندوي.. أول من عرفنا من علماء شبه القارة الهندية. د. محمد هيثور
١١٥ — انصواء على آثار الشيخ الندوي.. في الأدب الإسلامي. عبده رأيد
١٢٢ — الشيخ أبو الحسن الندوي.. في الصحف والمجلات العربية. محمود شمس الدين
١٢٦

- ١٣٢ ندوة خاصة عن الشيخ في «خميسية الوفاء».. — في مصر..
١٥٣ ندوة عن جهود الشيخ أبي الحسن الندوي وآثاره الفكرية والأدبية. — في الأردن..
١٣٨ حفل خطابي وفاء لذكرى سماحة الشيخ. — ندوة ثانية.. يعقدتها القسم الديني لمشي بجامعة عليكرة الإسلامية. — في الهند..
١٤٠ ندوة علمية حول «حياة سماحة العلامة الندوي.. وتطور العلوم الإسلامية والعربية في الهند».. — في ماليزيا..
١٤٢ ندوة لإبراز شخصية أبو الحسن الندوي — .. وندوة علمية حول حياة الندوي.. في جامعة الإمام أحمد بن عرفة الشهيد — دار العلوم «نور الإسلام» في نيبال تحفد ندوة علمية حول حياة سماحة العلامة

■ خدمات غير مالية أخرى:

— في الملكة العربية السعودية — الرياض..

■ أسعار بيع المجلد

دول الخليج: ١٥ ريال سعودي أو ما يعادلها — الأردن: ١,٥ دينار — مصر: ٥ جنيهات — سورية: ٣٠٠ ليرة — لبنان: ٧٥٠٠ ليرة — المغرب العربي: ٢٠ درهم مغربية أو ما يعادلها — اليمن: ٦٠٠ ريال — السودان: ١٥٠ جنيه — الدول الأوروبية: ٦ دولار

■ الاشتراكات

للأفراد: ما يعادل ١٥ دولاراً في البلاد العربية، و ٢٥ دولاراً خارج البلاد العربية. للمؤسسات والدوائر الحكومية، ما يعادل ٣٠ دولاراً.



مجلس فضيلة
للمصنفين
وابطلة الأدب الإسلامي العالمية

مجلة

د. سعد أبو الرضا



محمد التهامي



محمد إقبال

■ المجلد السابع - العددان السادس والسابع والعشرون ١٤٢١ هـ

عدد نوثيفي خاص عن.. الشيخ أبي الحسن الندوي

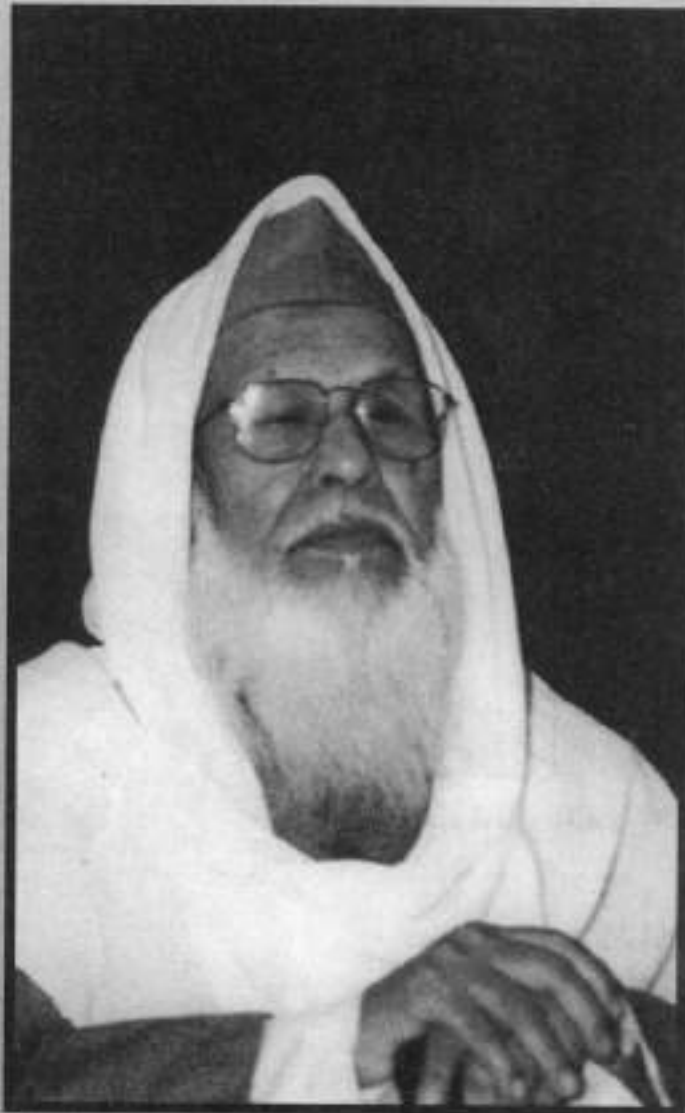


■ كان الشيخ أبو الحسن الندوي محل تقدير وإكبار في كل مكان يحل به..
الشيخ عبد المقصود خوجه يودع الشيخ ومعه الشيخ محمد الرابع بعد اجتماع هيئة الشرف.

■ مر وصية الشيخ أبي الحسن الندوي

إن الإسلام الذي جاء به سيدنا
محمد العربي ﷺ هو منبع
حياتكم، ومن أفقه طلع صبحكم
الصادق، وإن النبي ﷺ هو
مصدر شرفكم وسبب ذكركم،
وكل خير جاءكم - بل كل خير
جاء العالم - فأنما هو عن
طريقه وعلى يديه.

❖ نص الوصية ص ٦



وصية الشيخ.. أبي الحسن الندوي

اسمعوها مني صديقة أيها العربي:
«يا إسلام أعزكم الله»

لو جمع لي العرب في صعيد واحد
واستطعت أن أوجه إليهم خطاباً
تسمعه آذانهم، وتعيه قلوبهم لقلتُ
لهم: أيها السادة! إن الإسلام الذي
جاء به سيدنا محمد العربي ﷺ هو
منع حياتكم، ومن أُنقذ طلع صبحكم
الصادق، وإن النبي صلى الله عليه

وسلم هو مصدر شرفكم وسبب ذكركم، وكل خير جاءكم - بل كل خير جاء العالم - فلنأخذ من طريقه
وعلى يديه، أي الله أن تشرفوا إلا بالناسككم إليه، وتُسكِّمكم بأذنه، والاضطلاع برسالته، والامتثالة في
سبيل دينه، ولا راد لقضاء الله، ولا تبدل لكلمات الله. إن العالم العربي بحر بلا ماء، كبحر العروش، حتى
يتخذ سيدنا محمداً ﷺ إماماً وقائداً لحياته وجهته، وينهض برسالة الإسلام كما نهض في العهد الأول،
ويخلص العالم المظلم من يرانين مجائنين أوربا - اللذين يابون إلا أن يفسدوا المدنية وينقضوا على الإنسانية
القضاء الأخير: بأنانيتهم واستكبارهم وجهلهم - ويوجه العالم من الانهيار إلى الازدهار، ومن
الخراب والدمار والقوضى والاضطراب - إلى التسليم والانظام، والأمن والسلام، ومن
الكفر والظلم إلى الطاعة والإيمان، وإنه حق على العالم العربي سوف يسأل عنه
عند ربه فلينظر ماذا يجيب!؟

(كتبه بمكة المعظمة)

الشيخ أبو الحسن الندوي.. موجز عن حياته، وأهم مؤلفاته

بقلم: محمد طارق

زبير الندوي

■ بدأ تعلّم القرآن الكريم في البيت
تُعاونُهُ أمّه، ثم بدأ في تعلّم اللغتين الأردية
والفارسية.

■ تُوفي أبوه عام ١٣٤١هـ —
(١٩٢٣م) وهو لم يزل دون العاشرة،
فتولّى تربيته أمّه الفاضلة، وأخوه الأكبر
الدكتور عبد العلي الحسني، الذي كان هو
الأخّر طالباً في كلية الطب بعد تخرّجه من
دار العلوم ندوة العلماء ومن دار العلوم
ديوبند.

■ بدأ تعلّم العربية على الشيخ خليل بن
محمد الانتصاري اليماني عام ١٣٤٢هـ.
(١٩٢٤م) وتخرّج عليه، كما استفاد — في
دراسة اللغة العربية وأدائها — من عمّيه
الشيخ عزيز الرحمن والشيخ محمد طلحة،
وتوسّع فيها، وتخصّص على الأستاذ
الدكتور تقي الدين الهلالي عند مقدمه في
ندوة العلماء عام ١٩٣٠م.

■ حضر احتفال ندوة العلماء «بكانفور»
عام ١٩٢٦م، وشدّ انتباه المشاركين في
الاحتفال بكلامه العربي، واستعان به
بعض الضيوف العرب في تنقلاته خارج
مقرّ الحقل.

■ التحق بجامعة «لكهنؤ» في القسم
العربي عام ١٩٢٧م — وكان أصغر طلاب

■ أمّه ونمجه.

■ عليّ أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر
الدين الحسني، ينتهي نسبه إلى عبد الله
الأشتر ابن محمد ذي النفس الزكية بن عبد
الله المحض بن الحسن السبط بن علي ابن
أبي طالب رضي الله عنهم. هاجر بعض
أجداده وهو الأمير السيد قطب الدين محمد
المدني (م ٦٧٧هـ) إلى الهند في أوائل
القرن السابع الهجري.

■ أبوه علامة الهند ومؤرّخها السيد
عبد الحي بن فخر الدين الحسني رحمه
الله، صاحب المصنّفات المشهورة: «نزهة
الخواطر وبهجة المسامع والنواظر في
تراجم علماء الهند وأعيانها» — طبع أخيراً
باسم: «الإعلام بمن في تاريخ الهند من
الإعلام في ثمانية مجلدات، «والهند في
العهد الإسلامي»، و«الثقافة الإسلامية في
الهند».

■ أمّه — رحمه الله — كانت من
السيدات الفاضلات، المربّيات النادرات،
والمؤلفات المعبودات، تحفظ القرآن وتكتب
وتؤلّف، وتقول الشعر.

■ ميلاده وفاته:

■ وُلد بقصرية «تكية» بمديرية «راي»
بريلي، في الولاية الشمالية (Uttar Par-
desh) بالهند في ٦ محرم ١٢٣٣هـ —
الرافق عام ١٩١٤م.



الجامعة سنًا — وحصل على شهادة فاضل أدب في اللغة العربية وآدابها.

■ قرأ — أيام دراسة اللغة العربية الأولى — كتباً تعتبر في القصة في اللغة الأردنية وآدابها، ممّا أعانته على القيام بواجب الدعوة، وشرح الفكرة الإسلامية الصحيحة، وإقناع الطبقة المثقفة بالنقافة العصرية.

■ عكف على دراسة اللغة الإنجليزية في الفترة ما بين ١٩٢٨ — ١٩٣٠ م مما مكّنه من قراءة الكتب المؤلفة — بالإنجليزية — في المواضيع الإسلامية والحضارة الغربية وتاريخها وتطورها، والاستفادة منها مباشرة.

■ التحق بدار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٢٩ م، وحضر دروس الحديث الشريف للعلامة المحدث المريني حيدر حسن خان — وكان قد درس كتاب الجهاد من صحيح الإمام مسلم على شيخه خليل الأنصاري — ولازمه سنتين كاملتين؛ فقرأ عليه الصحيحين، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي حرفاً حرفاً، وقرأ عليه دروساً في تفسير البيضاوي أيضاً، وقرأ على الشيخ الفقيه المفتي شبلي الجبراجبوري الأعظمي بعض كتب الفقه.

■ تلقى تفسير سور مختارة من شيخه خليل الأنصاري، ثم تلقى دروساً في التفسير من الشيخ عبد الحي الفاروقي، وحضر دروس البيضاوي للمحدث حيدر حسن خان، ودرس التفسير لكامل القرآن الكريم — حسب المنهج الخاص للمخرجين في المدارس الإسلامية — على العلامة المفسر أحمد علي اللاهوري في «لاهور» عام ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢ م.

■ أقام عند العلامة المجاهد حسين أحمد المدني عام ١٩٣٢ م في دار العلوم ديوبند عدة أشهر، وحضر دروسه في صحيح البخاري وسنن الترمذي، واستفاد منه في

التفسير وعلوم القرآن الكريم أيضاً، كما استفاد من الشيخ الفقيه الأديب إغزاز علي في الفقه، ومن الشيخ المقرئ أصغر علي في التجويد على رواية حفص.

■ حياته العلمية وجهوده الدعوية.

■ تعيّن مُدرّساً في دار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٣٤ م، ودرس فيها التفسير والحديث، والأدب العربي وتاريخه، والمنطق.

■ استفاد من الصحف والمجلات العربية الصادرة في البلاد العربية — والتي كانت تصل إلى أخيه الأكبر، أو إلى دار العلوم لندوة العلماء — مما غرّقه على البلاد العربية وأحوالها، وعلمائها، وأدبائها، ومفكرها عن كتب.

■ بدأ يتوسع في المطالعة والدراسة — خارجاً عن نطاق التفسير والحديث والأدب والتاريخ أيضاً — من عام ١٩٣٧ م، واستفاد من كتب المعاصرين من الدعاة والمفكرين العرب، وفضلاء الغرب، والزعماء السياسيين.

■ قام برحلة استطلاعية للمراكز الدينية في الهند عام ١٩٣٩ م تعرّف فيها على الشيخ المريني عبدالقادر الراي بوري والداعية المصلح الكبير محمد إلياس الكاندلوي، وبقي على صلة بهما، فتلقى التربية الروحية من الأول، وتأسى بالثاني في القيام بواجب الدعوة وإصلاح المجتمع، ففضي زمناً في رحلات دعوية متشعبة للتربية والإصلاح والتوجيه الديني.

■ أسس مركزاً للتعليمات الإسلامية عام ١٩٤٢ م، ونظم فيها حلقات درس للقرآن الكريم والسنة النبوية فتهاقّت عليها الناس من الطبقة المثقفة والموظفين الكبار.

■ اختير عضواً في المجلس الانتظامي لندوة العلماء عام ١٩٤٨ م، وعيّن نائباً

لعمد (وكيل) ندوة العلماء للشؤون التعليمية، بترشيح من لعمد العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله عام ١٩٥١ م، واختير معتمداً — إثر وفاة العلامة رحمه الله — عام ١٩٥٤ م، ثم وقع عليه الاختيار أميناً عاماً لندوة العلماء — بعد وفاة أخيه الدكتور السيد عبدالعلي الحسني — عام ١٩٦١ م.

■ أسس حركة رسالة الإنسانية عام ١٩٥١ م.

■ أسس المجمع الإسلامي العلمي في «لكهنؤ» عام ١٩٥٩ م.

■ شارك في تأسيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية (U.P.) عام ١٩٦٠ م، وفي تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي لعصوم الهند عام ١٩٦٤ م، وفي تأسيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعصوم الهند عام ١٩٧٢ م.

■ عضويته في الهيئات والمؤسسات الحكومية والعلمية.

■ أمين ندوة العلماء العلم ورئيس دار العلوم التابعة لها.

■ عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

■ عضو المجلس الأعلى العالمي للدعوة الإسلامية بالقاهرة.

■ رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

■ رئيس المجمع الإسلامي في لكهنؤ، (الهند).

■ رئيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية.

■ رئيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعصوم الهند.

■ رئيس مجمع دار المصنفين بأعظم كره (الهند).

■ رئيس مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية.

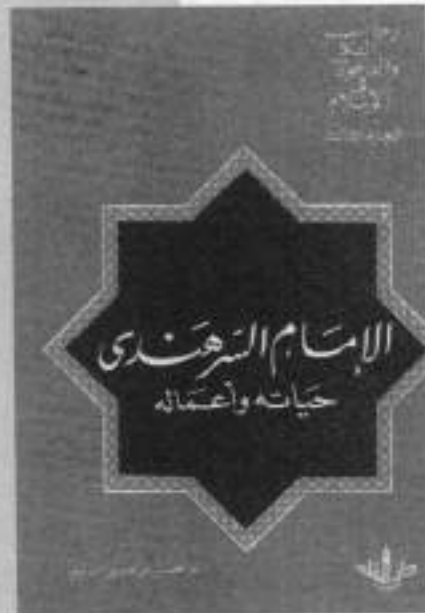
من مؤلفات سماحة الشيخ: باللغة العربية

- ١ - أحاديث صريحة في أمريكا - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان
- ٢ - أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين - دار عرفات للترجمة والنشر والتوزيع - راي بريلي - الهند - دار الصحوة - القاهرة - مصر ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
- ٣ - إذا هبت ريح الإيمان - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان
- ٤ - الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة - دار القلم - الكويت
- ٥ - أريد أن أتحدث إلى الإخوان - المجمع الإسلامي العلمي - الهند
- ٦ - أسبوعان في المغرب الأقصى - مطبعة الرسالة - الرباط - المغرب
- ٧ - الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية - المجمع الإسلامي العلمي - الهند
- ٨ - الإسلام في عالم متغير - بحوث إسلامية قيمة - دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان
- ٩ - الإسلام والمستشرقون - المجمع الإسلامي العلمي - الهند
- ١٠ - إلى الإسلام من جديد - دار القلم - دمشق - سوريا
- ١١ - الإمام الذي لم يوف حقه من الإنصاف والاعتراف به (أحمد بن عوفان الشهيد) - المجمع الإسلامي العلمي - الهند
- ١٢ - بين الدين والدنية - مؤسسة الرسالة - دمشق - سوريا
- ١٣ - التقسيم السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي وسيد قطب - المجمع الإسلامي العلمي - راي بريلي - الهند
- ١٤ - حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجمع إسلامي - دار الصحوة - القاهرة - مصر
- ١٥ - الحضارة الغربية الوافدة وأثرها في الجيل المثقف كما يراه شاعر الهند الكبير لسان العصر السيد أكبر حسين الإله آبادي - رابطة الأدب الإسلامي العالمية - لكهنؤ - الهند
- ١٦ - الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي

- عضو المجلس الاستشاري بدار العلوم ديوبند (الهند)
- عضو رابطة الجامعات الإسلامية
- عضو المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية العالمية «إسلام آباد - باكستان»
- عضو مجمع اللغة العربية في دمشق
- عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
- عضو مجمع اللغة العربية الأردني
- عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) بالأردن
- وذلك عدا عضويته لكثير من الجامعات الإسلامية، والمنظمات الدعوية، ولجان التعليم والتربية، رحمه الله ونفع بعلمه الإسلام والمسلمين.

■ وفاته

انتقل - رحمه الله - إلى جوار ربه في قرية «راي بريلي» القريبة من مدينة «لكهنؤ» وذلك في يوم الجمعة ٢٣ رمضان عام ١٤٢٠هـ / الموافق ٢٦ كانون الأول / ديسمبر / عام ١٩٩٩م.

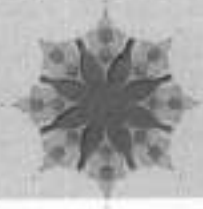


الإسلامية الحرة - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان
 ٢٧ - الطريق إلى المدينة المنورة - للمجمع الإسلامي العلمي - الهند
 ٢٨ - عاصفة يواجهها العالم الإسلامي والعربي - المجمع الإسلامي العلمي - الهند
 ٢٩ - العرب والإسلام - المجمع الإسلامي العلمي - الهند
 ٣٠ - العقيدة والعبادة والسلوك - المجمع الإسلامي العلمي - الهند
 ٣١ - في مسيرة الحياة - دار القلم - دمشق - سوريا
 ٣٢ - القادياني والقاديانية - الدار السعودية للنشر جدة - السعودية
 ٣٣ - القراءة الراشدة (للأطفال) - مؤسسة الصحافة والنشر بدار العلوم لندوة العلماء - الهند
 ٣٤ - القرن الخامس عشر الهجري الجديد في ضوء التاريخ والواقع - المجمع الإسلامي العلمي - الهند
 ٣٥ - قصص من التاريخ الإسلامي (للأطفال) - منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية - دار البشير - عمان - الأردن - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
 ٣٦ - قصص النبيين (للأطفال) - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان
 ٣٧ - قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر
 ٣٨ - كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز والجزيرة العربية - دار الاعتصام - القاهرة - مصر
 ٣٩ - ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين - لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة - مصر ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م. ثم صدرت الطبعة الثانية عن جماعة الأزهر للنشر والتأليف ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م. ثم توالى طبعاته بعد ذلك بشكل واسع، وترجم الكتاب إلى اللغة الإنجليزية، وقد صدرت هذه الطبعة عن جامعة بنجاب في لاهور - باكستان، كما صدرت له طبعة باللغة الأوردية في لكهنؤ بالهند.
 ٤٠ - محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسول الأعظم وصاحب الفتن الكبرى على العالم، ومسئولية العالم المتمنن لمتنصف الأدبية والخلقية نحوه - دار عرفات للترجمة والنشر - راي بريلي - الهند
 ٤١ - مختارات من أدب العرب - دار الشروق - جدة - السعودية

ودعوته - للتركز العربي للكتاب - الشارقة الإمارات العربية المتحدة
 ٤٢ - الدعوة والدعاة مسئولية وتاريخ - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة
 ٤٣ - دور الإسلام الإصلاحي الجذري في مجال العلوم الإنسانية - دار الصحوة - القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
 ٤٤ - ربانية لا رهبانية - المجمع الإسلامي العلمي - الهند
 ٤٥ - رجال الفكر والدعوة في الإسلام - دار القلم - الكويت
 ٤٦ - رسائل الأعلام «سبعون رسالة لخمسين كاتباً مرموقاً» وجهت إلى سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي - المجمع الإسلامي العلمي - الهند - دار الصحوة - القاهرة - مصر ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
 ٤٧ - رسالة التوحيد - مؤسسة الصحافة والنشر في ندوة العلماء - الهند
 ٤٨ - روائع إقبال - دار القلم - الكويت
 ٤٩ - روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة - كلية اللغة العربية بدار العلوم لندوة العلماء - لكهنؤ - الهند - دار القلم - الكويت - ط. ثالثة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
 ٥٠ - سيرة خاتم النبيين (للأطفال) - مؤسسة الرسالة - بيروت
 ٥١ - السيرة النبوية - دار الشروق - جدة
 ٥٢ - شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال - مطبعة دار الكتاب العربي
 ٥٣ - شخصيات وكتب - دار القلم - دمشق
 ٥٤ - الصراع بين الإيمان والمادية - دار القلم - الكويت
 ٥٥ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الاقطار الإسلامية - دار القلم - الكويت - دار الندوة للتوزيع - لبنان - ط. ثانية ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
 ٥٦ - صلاح الدين الأيوبي - دار عرفات للترجمة والنشر - راي بريلي - الهند - دار الصحوة - القاهرة - مصر ١٩٩١ م.
 ٥٧ - صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول صلى الله عليه وسلم الدعوة والتربية وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية - المجمع الإسلامي العلمي - الهند
 ٥٨ - الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات



- ٥٢ - المدخل إلى دراسات الحديث - المجمع الإسلامي العلمي - الهند
- ٥٣ - المدخل إلى الدراسات القرآنية - المجمع الإسلامي العلمي - الهند - دار الصحوة - القاهرة - مصر ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
- ٥٤ - مذكرات سائح في الشرق العربي - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان
- ٥٥ - المرتضى (سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه) - دار القلم - دمشق - سوريا
- ٥٦ - المسلمون تجاه الحضارة الغربية - دار المجمع للنشر والتوزيع - جدة - السعودية
- ٥٧ - المسلمون في الهند - المجمع الإسلامي العلمي - الهند
- ٥٨ - المسلمون ودورهم - مكتبة الأمل - الكويت
- ٥٩ - المسلمون وقضية فلسطين - النار الكويتية للطباعة والنشر - الكويت
- ٦٠ - المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي - دار العلوم لندوة العلماء - الهند
- ٦١ - من نفحات القرن الأول - مكتبة الإسلام - لكهنؤ - الهند
- ٦٢ - من نهر كابل إلى نهر اليرموك - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان
- ٦٣ - موقف العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية - المجمع الإسلامي العلمي - الهند
- ٦٤ - النبوة والأنبياء في ضوء القرآن - دار القلم - دمشق - سوريا
- ٦٥ - النبي الخاتم - المجمع الإسلامي - الهند
- ٦٦ - نظرات في الأدب - من منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية - دار البشير - عمان - الأردن - ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م
- ٦٧ - نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان - المجمع الإسلامي العلمي - الهند - دار الصحوة - القاهرة - مصر ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
- ٦٨ - واقع العالم الإسلامي وما هو الطريق السديد لتواجهته وإصلاحه - دار عرفات للترجمة والنشر - راي برايلي - الهند





الشيخ أبو الحسن الندوي

كما عرفته

على أن الصلة بسماحة الشيخ لم تسنح لي إلا حين التقيت به في مدينة صغيرة في ولاية كيرالا الهندية، وهي مدينة «مبياد» التي عقدت فيها جامعتها الصغيرة مؤتمر عن «الأدب العربي الحديث». وكنت أُمثل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مع الزميل الكريم الدكتور إبراهيم الفوزان شفاه الله.

وقد ألقى سماحة الشيخ كلمة الافتتاح في المؤتمر، وأعلن رأيه في دور الأدب في مسيرة الأمم والشعوب، مقررًا دون تردد أن «العالم اليوم تحكمه الكلمة ويحكمه القلم».

ثم شاء الله عز وجل أن تقوى الصلة بشيخنا الجليل حين قامت عضوية من الأدياء الإسلاميين بمشروع إنشاء رابطة الأدب الإسلامي، وكانت مؤلفة من عدد من الأدياء في مدينة الرياض من مختلف الجنسيات، وقد رأوا أنه لابد لنجاح مشروعهم من أن يكون على رأسه شخصية لها مكانتها وشهرتها، مع توافر الرغبة في تبني هذا المشروع العظيم،

واسعة، مع الرغبة في أن يرأس هذه الرابطة.

وقد تم اللقاء الكريم مع سماحة الشيخ في ظلال الحرم المكي، وفي منزل الأخ الكريم الدكتور عبدالله عباس الندوي، واستجاب سماحته بما عرّف عنه من صدر رحب، وبصيرة نافذة، ووعي وحكمة بالغين، وإدراك لدور الأدب في وجدان الأمة، وترشيد مساره، وإنارة طريقها في العود الحميد إلى الإسلام،

الذي هو مسوغ وجودها، وحسنها المنيع. وهكذا عرفت سماحة الشيخ معرفة وثيقة، وقوي اتصالي به وامتد - منذ ذلك اللقاء الكريم إلى وفاته - رحمه الله - فيما يقارب عشرين عاماً. وكانت قرص اللقاء بمساحته تتم في مؤتمرات الهيئة العامة للرابطة، وفي دورات مجلس الأئمة. وفي المؤتمرات والسدوات الأدبية التي كانت تعقد في لكتو وغيرها من المدن في أنحاء الهند وفي تركيا. بالإضافة إلى لقائي به كلما قدم إلى دورة الهيئة التأسيسية لرابطة العالم الإسلامي. وكان آخر لقاء

وكان سماحة الشيخ الندوي قد أقام في ندوة العلماء في مدينة «لكتو» الهندية ندوة عالمية عن الأدب الإسلامي في شهر جمادى الآخرة عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م «ودُعِيَ إلى هذه الندوة عدد كبير من رجالات العالم الإسلامي» وفيهم كثير من المهتمين بالأدب. وفي هذه الندوة التي أعطت دفعة قوية للأدب الإسلامي، اتخذت توصية تتضمن إقامة رابطة عالمية للأدياء الإسلاميين.

«وقد تعزز هذا الاتجاه في ندوة الحوار حول الأدب الإسلامي، التي عقدت في رحاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في شهر رجب عام ١٤٠٢هـ، ثم في ندوة الأدب الإسلامي العالمية التي عقدت في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في شهر رجب ١٤٠٥هـ».

وفي خلال هذه الفترة انتدبتني الهيئة التأسيسية لرابطة الأدب الإسلامي مع الأخ الكريم الدكتور عبدالباسط بدر للاتصال بسماحة الشيخ الندوي، وعرض ما قامت به من أعمال تهيئية واتصالات

بقلم الدكتور:

عبد القدوس أبو صالح

■ كان أول ما عرفت سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله في عام ١٣٧٠ هـ ١٩٥٠ م عندما قام برحلته التي كتب عنها في كتابه «مذكرات سانج في الشرق العربي» وتحدث فيه عن زيارته لدمشق وحلب، وكنت آنذاك طالباً في الجامعة السورية التي سميت بعد ذلك بجامعة دمشق، ثم أتيت لي مرة أخرى أن أرى الشيخ وأستمع إلى محاضراته التي ألقاها في مدينة الرياض، بدعوة من وزارة المعارف، في أوائل قدومي للتدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في أوائل الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري.

أنه سوف يصل بحزبه إلى تحقيق الأكثرية النيابية. وأن الشيخ إذا جاء استانبول بعد الانتخابات القادمة فسوف يرى أربكان وجماعته متربعين على سدة الحكم وقد هزموا أعداءهم ومنتوا بهم. وكأنا رأيت الشيخ في كلام أربكان اعتداداً زائفاً عن الحد، ونظرة إلى السياسة على أنها لعبة الكر والفر، ومضمار السبق إلى الحكم، فإذا به ينتفض انتفاضة الليث الهصور، ويقول للزعيم الإسلامي: لا تكن سياستك قائمة على حساب الربح والخسارة، ولا يكن الحكم لديك مجالاً لإظهار الغلبة والتسلط، والوصول إلى زخرفة الحكم وإغراء السلطة.. فالأمر أجل وأكبر.. ولتعلم أنك بما أوصلك الله إليه، وما هياك لك مطالب بأن تحمي استانبول أن تعود إلى معسكر الكفر، وأن تمنح آيا صوفيا التي أصبحت مسجداً من أن تعود كنيسة لأهل الصليب. وكان الشيخ يتكلم بحماسة وهيبة الصديقين، يشع من كلماته وهج الصدق وحرارة الانفعال، وكنت أنظر إلى الزعيم

السمات، ويلفت في وجهه نظارتان دائمتان، ويغلب عليه طبع شديد الهدوء، وميل إلى الوداعة، حتى يخيل للجاهل أنها استكانة واستسلام.. وكأنا عناء ابن المقفع حين قال في صاحبه «وكان يرى ضعيفاً مستضعفاً فإذا جد الجد فهو الليث عابداً». ولعمري لقد رأيت وداعة الحمل تتقلب إلى صولة الأسد في موقفين لا أنساهما ما حييت. فاما الموقف الأول فقد كان في أحد مؤتمرات الهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في مدينة استانبول، وقد أقام الشيخ في فندق إسلامي كان يسمى بفندق مكة، وجاء إلى زيارته في ضحى أحد الأيام الزعيم الإسلامي أربكان، ودخل على الشيخ في عتفوانه واعتداده بنفسه، يرافقه عدد من خواصه، وعن المعروف أن أربكان يقبضهم العربية، ولكنه لا يجيد التكلم بها، وقد بدأ الحديث بمعونة أحد أصحاب أربكان، الذي كان يترجم كلام الشيخ، وكان أربكان يتحدث عن طموحه وطموح حزبه، ويقرر للشيخ

لي مع سماحته في دورة مجلس الأمانة العاشرة في عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، وذلك في شهر جمادى الأولى عام ١٤١٩ هـ الموافق لشهر آب/أغسطس ١٩٩٨ م. وهكذا كان من فضل الله تعالى علي أن أتاح لي معرفة وثيقة بالشيخ الندوي، وكانت هذه المعرفة تزيد إعجابي وإكباري لهذه الشخصية، الفذة كلما تناولت هذه المعرفة وتوثقت عراها، وتجددت مناسباتها. ولقد كان الشيخ الندوي أمة في رجله، وكان كما قال لي عنه الفقيه الكبير الأستاذ مصطفى الزرقا: «إنه قطعة من السلف الصالح أراد الله لها أن تعيش في عصرنا الحاضر». وقال عنه العالم للحق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة: «إنه بركة العصر». ولم يكن في هيئة الشيخ وطلعه ما يجذب الناظر إليه، أو يوقع الهيبة في قلبه، فقد كان رغم نسبه العربي وأنتمائه الحسني يبدو هندي الملامح، معتاد



الشيخ أبو الحسين الندوي كما عرفته

العامة - في استانبول عندما لبّيت دعوة كريمة من أحد كبار أصحاب الزعيم الإسلامي أربكان، وقد حضر الدعوة عدد كبير جداً من رجال الفكر والأدب والسياسة والاقتصاد، وفي هذا اللقاء الحافل وجّه إلى الشيخ الندوي السؤال التالي: «ما هو في رأي سفاحة الشيخ المنهج الأمثل للدعوة الإسلامية؟» وأجاب الشيخ الحكيم جواباً مسهباً قال فيه: «لو أننا وضعنا في كفة الميزان ما بذلته الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر من جهود وأوقات، ومن مهن وسجون، ومن دماء ودموع، ثم نظرنا إلى الكفة الأخرى لما رأينا توازناً ولا ما يشبه التوازن.. ولعل السبب الأكبر في ذلك أن معظم العاملين في الدعوة وضعوا نصب أعينهم الوصول إلى الحكم، وإزاحة الحاكم عن كرسية، بحجة أن سيطرتهم على الحكم سوف تمكنهم من تحقيق أهدافهم الإسلامية.. ولكن الحاكم الذي يربط مصيره وحياته بالكرسي الذي يتربع عليه ما إن يحس بما يتهدد كرسية من خطر حتى ينسى كل شيء، ويستعين بكل شيء حتى يحتفظ بكرسيه الذي يعدل حياته.. ومهما كان لهذا الحاكم من إيجابيات قلّت أو كثرت فإنه سوف يضعها وراء ظهره، حتى يبطش بأولئك الذين تهددوه في حكمه أو في حياته، لأن كرسي الحكم يعدل عنده حياته.. ولو أن الدعوة إلى الإسلام جعلوا منهجهم إيصال الإسلام إلى الجالسين على كراسي الحكم، مع موالاة النصح لهم بما يصلحهم، ويحذو بهم إلى العود الحميد إلى الإسلام لكان في ذلك تحقيق كثير مما يهدف إليه هؤلاء الدعاة من

التي جاءت من الرجل ذي المكانة المرموقة.. ولكني ما كنت أنهي كلامي حتى انتفض الشيخ من هدونه المعهود وقال: اسع يا فلان.. لو جفنتي في منزلي في قرية «رالي بريلي» لرأيتي استعين بعجلة المعوقين حين أنتقل من منزلي إلى المسجد الذي لا يبعد أكثر من خمسين متراً.. ومع ذلك فقد قطعت المسافات الشاسعة لأحضر لقاءات الرابطة، وكل ذلك ثقة بك وبإخوانك.. ووالله لا تترك عملك في الرابطة.. لا تترك.. لا تترك.. قامة مشكلة الأخوين فاقترح عليّ ما تراه مناسباً لحلّها، وأما رسالة فلان.. فانت الذي سوف تجيبه عنها.. وأما كثرة أعمالك فكل ما أقوله لك: سدّد وقارب، ولم أمك والله أمام غضبة الشيخ وهيبته، وأمام ثقته ومودته إلا أن أعاهد الله ألا أثرك العمل في الرابطة ما حييت.. أما منهج الشيخ الذي صار منهج رابطة الأدب الإسلامي العالمية فقد طمنا تحدثت عن هذا المنهج في اقتراحات مجلة «الأدب الإسلامي»، وفي ندواتها ومؤتمراتها العامة.. وكان ما قلت فيه: «وشهد كل منصف مستابع لمواقف الرابطة ومنشوراتها، وما تعقده من ندوات، وتقييمه من مؤتمرات أن هذه الرابطة إنما تصفر في أهدافها ووسائلها ومختلف أوجه نشاطها عن المنهج الذي اقتنيسه من سماحة رئيسها الشيخ أبي الحسن الندوي، وهو منهج الحكمة والاعتدال، والبعد عن الغلو، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.. وقلت أيضاً: «إنه منهج يقوم على مناصرة الحكام وإحسان الصلة بهم».. وأذكر أننا كنا في أحد مؤتمرات الهيئة

الكبير يطامن من عنقوانه، ويهدد من اعتداده بنفسه، ثم ما لبث أن تظفر الدموع من عينيه، ويكب على يد الشيخ يقبلها بتواضع الريد أمام شيخه الجليل.. وكان الموقف الثاني في استانبول أيضاً، وكنت أعضيت سنوات عديدة نائباً أول للشيخ في رئاسة الرابطة، وكانت لي مسؤوليات دعوية أخرى.. وقد ازدحمت عليّ المشاغل والمشكلات، وكنت أواجه بعضها في عملي بالرابطة، وبخاصة ما وقع بين أخوين كريمين من المسؤولين في الرابطة، وقد نزع الشيطان بينهما، وكنت كلما حاولت رفق ما بينهما انفتق الرق من جديد، مما حيرني وأعياني كما أعيا من أعانوتي عليه، وكان مما زاد الطين بلة أن وصلت إلى الشيخ ونحن في استانبول رسالة عاجلة من أحد أعضاء الشرف ومن ذوي المكانة لدى الشيخ نفسه، وقد صب الرجل جام غضبه على العاملين في مكتب البلاد العربية للرابطة، متهماً إياهم بأنهم لا يعطون الرابطة إلا فترات أوقاتهم، وقد تكوم الشيخ فأطلعتني على الرسالة، وعندئذ رأيت أن لا مناص مما كنت عازماً عليه من تقديم استقالتني من المنصب، الذي أولانيه الشيخ منذ وفاة نائبه الأول الدكتور عبدالرحمن الباشا، أحد رواد الأدب الإسلامي رحمه الله.. وكان مما قلته للشيخ: لقد عملت في هذا المنصب سنوات عديدة، حاولت فيها أن أبتل ما أستطيع، ولكني لم أعد أستطيع الجمع بين هذا المنصب وبين مسؤولياتي الدعوية الأخرى، كما أنني لم أستطع إرضاء الصغار ولا الكبار في هذه الرابطة، ومضيت أدمع موقفي مسهباً في مشكلة الأخوين المسؤولين، ثم أدلل بهذه الرسالة

استشهد الشيخ أبو الحسن بسيرة الإمام العالم السرهندي للتدليل على صحة المنهج الذي ارتضاه.

نصرة للدين وإعلاء لكلمة الله.

وقد مضى الشيخ الحكيم يستشهد على صحة المنهج الذي ارتضاه بسيرة عالم كبير ومجاهد صادق هو الإمام السرهندي، الذي عاش في عهد السلطان المغولي «أكبر». وكان هذا الإمبراطور قد سوّكت له نفسه بتأثير من بطانته التي كان فيها بعض المنافقين من علماء السوء، مع نفر من الهندوس والنصارى أن يحمل الناس على خليط من الأديان، وكان يجبر المسلمين على اتباع هذا الدين الملقق، ومع ذلك فإن الإمام السرهندي لم يعتزل الدولة والناس، ليلجأ إلى زاوية يشتغل فيها بذكر الله، وكذلك لم يقطع الرجاء من إصلاح السلطان، فليجأ إلى إقامة جبهة دينية معارضة، تقوم بالثورة على السلطان ومحاربهته؛ نظراً إلى أنه عدو لدود للإسلام، وإنما أثر أن يتصل برجال الدولة وأمرائها، ويشير فيهم الحمية الإسلامية، بعد أن أثبت للناس زهده وتقشفه واستغناؤه عما في أيديهم، وترك الدولة لأهل الدولة، والمناصب إلى أهلها، حتى لم يكن يستطيع أكثر الناس كيداً وحسداً أن يتهمه بالحرص والطمع في الحياة والسلطان.

وظل الإمام السرهندي يوالي منهجه السلمي والدعوي، ويرسل الرسائل إلى من يظن به الخير من الأمراء والأعيان؛ حتى أعاد السلطان جهانكير الدولة والرعية إلى الإسلام بعد هلاك والده السلطان أكبر.

ولقد كان من أثر منهج الشيخ أن عدلت المادة الأولى من النظام الأساسي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، فأصبحت

تنص على ما يلي:

«رابطة الأدب الإسلامي العالمية هيئة أدبية عالمية، تضم الأدباء المنتسبين إليها، وتلتزم بالابتعاد عن الصراعات السياسية والحزبية».

وقد جاء في افتتاحية العدد ٢١/ تحت عنوان «رابطة الأدب الإسلامي والسياسة» أن مجلس أمناء الرابطة «قد اجتهد في صياغة هذه المادة، ووافق عليها بالإجماع خشية أن «تُسيء» الرابطة، ودفعاً لزالق السياسة وسلبات الحزبية». وعلى أن هذا التعديل للمادة الأولى من النظام لا يعني كما جاء في الافتتاحية المذكورة «أن الرابطة تقف موقفاً سلبياً من قضايا الأمة المصيرية». بل إن هذا التعديل لم يحدث إلا بعد حرب الخليج، التي وقف فيها رئيس الرابطة موقفاً

واضحاً، وبين موقفه في مجلة «البعث الإسلامي»، ثم لم يكتف بذلك حتى أقام باسم الرابطة ندوة في الهند لنصرة دول الخليج، وأسهم في مؤتمر المنظمات الإسلامية الذي عقد في مكة المكرمة للغاية ذاتها.

وكان هناك حوار بيني وبين سماحة الشيخ حول حرب الخليج، ورأيت في سياق الحوار ما يؤكد بُعد نظر الشيخ، بل ما يؤكد أنه من أولياء الله الصالحين الذين يملكون قساسة المؤمن، وكائنهم ينظرون بعين الغيب، ذلك أنه قال لي في سياق الحوار:

«لقد حاول حاكم العراق أن يغررني بشتي الوسائل ومختلف الوسطاء أن أزور العراق، سواء في أحد المؤتمرات الشعبية التي كان يعقدها، أو في زيارة خاصة أحددها، بل إنه عرض عليّ أن يرسل طائرة خاصة تذهب بي إلى العراق وتعود بي إلى الهند، ولكنني رفضت مختلف العروض والوساطات، وذلك لأن هذا القلب لم يرتح إلى هذا الرجل منذ أن كانت الدنيا كلها معه، ومنذ أن كان سائر الحكام يناصرونه أو يسالمونه، وذلك على خلاف ضياء الحق الذي كان يدعوني بالهاتف، فأتى كل شيء، وأجيب دعوته دون تردد، وكان في الأمر التسرع لي يرسل لي طائرته الخاصة».

وكان من أثر منهج الشيخ في مناصحة الحكام نصحاء خالصاً لوجه الله أن أحبه معظم من عرفه من الحكام العرب والمسلمين وأحلوه المكانة التي يستحقها.





الشيخ أبو الحسنى الندوي كما عرفته

لنزامته وزهده وصدق نصيحته، ولقد تجلّى ذلك في موقفين اثنين مما شهدت وعرفت.

فأما الموقف الأول فقد كان منذ نحو سنتين، عندما عقدت الدورة العاشرة لمجلس أمناء الرابطة في مدينة عمان، إذ ما علم ولي العهد آنذاك الأمير الحسن بن طلال بوجود الشيخ الندوي في عمان حتى دعا مع سائر أعضاء مجلس الأمناء إلى حفل غداء في القصر الملكي، ودعا إلى هذا الحفل عدداً من الأمراء والمستشارين، كما دعا رئيس الوزراء مع خمسة من أعضاء وزارته، ومع ثمانية من مديري الجامعات ورؤساء الجمعيات الأدبية، ولقد كان من اهتمام الشيخ الندوي بموضوع فلسطين وضياع القدس أن أعد كلمة مكتوبة لم يذكر فيها رابطة الأدب الإسلامي، وإنما ناشد فيها ولي العهد أن تقوم الملكة الأردنية الهاشمية بمسؤولياتها الإسلامية لاسترداد القدس، واسترداد فلسطين.

وأما الموقف الثاني فيتجلّى في استجابة المسؤولين الكرام في المملكة العربية السعودية لرجاء الشيخ الندوي في الترخيص لمكتب رابطة الأدب الإسلامي في المملكة، فقد صدرت الموافقة السامية على ذلك، وأشير فيها إلى أن ذلك كان بناء على رغبة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله.

ومن منهج الشيخ وإيمانه بنهذ العنف ودعوته إلى ما في الإسلام من السماحة والإنسانية أن الشيخ أقام دعوة سمّيت بحركة الإنسانية، جمع فيها بين كبار الشخصيات الإسلامية والهندوسية، وكان من أهداف هذه الحركة إطفاء نار العصبية

والطائفية في الهند.

ومن منهج الشيخ القائم على الوسطية أنه اتهم لدى بعض المتصوفين المغالين بأنه سلفي، واتهم لدى بعض السلفيين المتشددین بأنه صوفي، ولن أنسى ذلك الشاب الذي هاتفتني منذ سنتين. مردداً ما يقوله بعض الذين يصدرون أحكامهم على العلماء جزافاً دون تروٍّ ولا تثبُّت، وهم يشيِّعون أن الشيخ صوفي بكره مذهب أهل السلف، وقد نصحت ذلك الشاب أن يكتب إلى الشيخ عن الشبهات التي قامت في نفسه عنه، وذكرت له أن شيخ الإسلام ابن تيمية فرق بين الصوفية التي لا تخرج عن تهذيب الروح والسلوك وأخذ النفس بالعزائم، وبين الصوفية المنحرفة ذات الشططحات الكفرية.. وقلت لذلك الشاب: إنني حضرت في أحد مساجد مكة المكرمة وكان قريباً من «منى» محاضرة للشيخ أبي الحسنى الندوي، وكان الذي قدمه فيها إلى الناس سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، ولو كان في الشيخ الندوي ما يتوهم هذا الشاب وغيره لما فعل الشيخ ابن باز ذلك، ولما كان بينه وبين الشيخ الندوي ما يكون بين كبار العلماء من المودة والتشاور والتناصح، وبخاصة أن الشيخ الندوي كان عضواً في الهيئة التأسيسية لرابطة العالم الإسلامي منذ تأسيسها، وكان الشيخ عبدالعزيز بن باز رئيساً لها إلى أن انتقل إلى جوار ربه.

وقد كنت أنظر منذ أيام في كتاب الشيخ الندوي «مذكرات سائح في الشرق الغربي» حتى استظهر السنة التي زار فيها بعض البلاد العربية لحاذا بي أقع في أثناء الكتاب على قول شيخنا الجليل عن

رحلته إلى السودان: «رأينا وشحن خارجون من الدار حلقة قائمة من الشباب يرددون: «شيئاً لله يا حسن، أنت سلطان الزمن» فأنكرنا هذا النشيد الذي لا أرى له مبرراً، والذي يعارض التوحيد معارضة صريحة، وكيف تجوز الاستغناء بشيخ ميت، والاعتقاد بأنه سلطان الزمن»... فرائي أعتقد أن عقيدة التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى يجب أن تكون أول ما يهتم به المصلح، ويدعو إليه الداعي والمحدث، ولا يسعه التقافل عنه في كل حال من الأحوال، قال الله تعالى: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة، ثم يقول للناس: كونوا عباداً لي من دون الله، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون. ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً، إنما أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ [آل عمران ٧٩ - ٨٠].

ووقعت عيني في هذا الكتاب بعد صفحات من الكلام السابق وفي سياق الحديث عن رحلة الشيخ الندوي إلى سورية على قوله عن مسجد الشيخ محيي الدين في دمشق: «ورأيت هذا المسجد مثل المساجد الأخرى التي بنيت على القبور، ودفن فيها رجال من الصالحين، فرأيت لوحة على الجدار فيها «ياشيخ محيي الدين» وهي معارضة صريحة لقوله تعالى ﴿وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾. [الجن - ١٨]

«... ورأينا هذا البيت مكتوباً على الجدار أقلت شعوس الأولين وشعسنا

جمع الشيخ بين الفقه والتفسير والحديث والتربية والأدب، مع تضلعه بعلوم العربي وإتقانه عدة لغات.

أبداً على أفق العزلة لا تغرب
وكان هذا مثار العجب والاستفكار
أيضاً.

ولقد كان الشيخ الندوي من العلماء الذين تطابق أفعالهم أقوالهم، ويشهد ظاهريهم على طهارة دخالهم، وكان من الزهاد الصادقين الذين لا يتكفون الزهد ولا يصطنعون التعفف، ولقد كان يؤثر في أسفاره أن ينزل في بيوت محبي الفقراء على أن يقيم في الفنادق الفخمة، وأما بيته الذي زرته فيه فقد كان ما فيه من متاع لا يكاد يساوي شيئاً إذا عرض للبيع، وكان سريره الذي ينم فيه سريراً متواضعاً، ولعله يُسمى سريراً على سبيل المجاز، وكنت أنظر إلى صحون الطعام في إفطاره وغدائه وعشائه فيخيل إلي أنها لا تكاد تشبع الرجل الواحد، ولكنه كان يأكل منها مع أصحابه وإخوانه فتكفيهم ببركة الدعاء والرضا بما يقيم الأود من اللقيمات.

ولقد جمع الشيخ بين الفقه والتفسير والحديث والتربية والأدب، مع تضلعه بعلوم العربية، وإتقانه عدداً من لغات الشعوب الإسلامية واللغات العالمية.

ولكن الشيخ كان أكثر ما يرتاح إلى الأدب، وكان يهتز للشعر ويترقب له، وكان يحفظ كثيراً من شعر إقبال الذي ألف كتاباً عن روائعه، وعندما استمع في أحد مؤتمرات الرابطة في استانبول إلى قصيدة لأحد كبار شعراء الرابطة وهو الدكتور عدنان النحوي - وكان الشاعر سماها «ملحمة القسطنطينية» - علق الشيخ عليها بقوله: كنت أظن أن الشعر العربي قد دالت

دعاه إلى ندوة للأدب الإسلامي في رحاب «جاسعة ندوة العلماء» في الهند - كما قدمنا - ثم رضى على كثرة مشاغله وأعابته أن يقود مسيرة رابطة الأدب الإسلامي العالمية، التي لم يتخلف عن أي دورة من دورات مجلس أمنائها، ولا عن أي مؤتمر من مؤتمرات الهيئة العامة فيها، إلا بعد أن أقعده المرض، وأعجزه الشغل الذي شغاه الله عنه على علو سنه واصطلاح الأمراض عليه.

وها هي ذي رابطة الأدب الإسلامي العالمية وقد بلغت بجهود الشيخ وتوجيهه وبركة دعائه ما لم يكن في الحساب أن تبلغه، إذ أصبحت والله الحمد ثغراً إسلامياً، وعطاء يانعاً، من نتاج الصحوة الإسلامية، ورمزاً للاعتدال والبعد عن الغلو مع الاعتدال بالهدف وتوخي القصد، والتزام المنهج الذي ارتضاه لها شيخها الجليل.

ولقد كان من دعاء الشيخ الذي أسر به إلي في ظلال الحرم: «ادعوا الله أن يلهم الحكام والمستولين في العالم العربي والإسلامي أن يجعلوا من الأدب الإسلامي وسيلة لإيجاد جيل مؤمن بالله، متمسك بأخلاقه الإسلامية، معتز بدينه القويم وراثته العظيم».

نلكم هو سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي الداعية الكبير، والربي الكبير، والأديب الكبير، حكيم الهند بل حكيم الإسلام، ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

اللهم تغمد شيخنا برحمتك، وأعل مقامه كفاء ما قدم للإسلام والمسلمين، وأحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. إنك سميع مجيب.

دولته، ولكن هذه القصيدة أكدت لي أنه ما يزال بخير... وعندما أقمنا في مؤتمر آخر أمسية شعرية أو «عصرية» شعرية في غابة السلطان محمد الفاتح في ضواحي استانبول كان من جملة شعراء الأمسية الشاعر المبدع الدكتور عبد الرحمن العشماوي، وكانت قصيدته بعنوان «حذاء في موكب الهجرة» وقد أثرت القصيدة بمعناها ومبناها في وجدان الشيخ الندوي، وزاد في تأثيرها إلغاء العشماوي للتميز، وصوته الجمهوري المعبر، الذي كان يتردد في جنبات الغابة. وما انتهى الشاعر من إنشاد قصيدته حتى نهأ الشيخ الندوي ودعا له قائلاً: «أنت سيف من سيوف الله».

فإننا جئنا أخيراً إلى ميدان الأدب الإسلامي رأينا سماحة الشيخ أول من





كنتُ أتطلعُ إلى الحديث
المستفيض عن الداعية الأمل،
والباحث الأكمل، السيد أبي
الحسن الفدوي، ولكنّي أمتنعُ
فجأةً : لأنّي أعلم أن ما بنفسه
نحو الرجل لن ينقل إلى القراء إلا
مبتورا مبتسراً، لا يمثل حقيقة
مشاعري الصادقة، إذ هي أقوى
وأشد من أن تظهر على حقيقتها
بين السطور، مهما حاولت تتبعها
الراصد، ثم طلبَ مني أخي الأعز
الأستاذ الدكتور عبدالقدوس
أبو صالح نائب رئيس رابطة
الأدب الإسلامي العالمية، أن أكتبَ
سيرة أبي الحسن الذاتية، وأنا
أعرفُ تهيبتي الشديد من الحديث
عنه، وكدتُ اعتذر، ولكنّ تكليف
الدكتور الصديق لي هو أمرُ
لأرجاء، فقلتُ سأكتبُ ما أستطيع
كتابته، وما عليّ إذا لم أستطع أنْ
أقومَ بغير ما أطيق، إذ لا يكلف الله
نفساً إلا وسعها.



وكان أشد ما يلفتني في سيرة أبي الحسن، أنه أشرق في
محيط العالم الإسلامي بذكراً مكتملاً، فعهدنا بصاحب
الفكرة، وعاشق البحث أن يتتبع سنة التطور، فيبدو ناشئاً
صغيراً، ثم تمر به الأعوام حتى يكتمل نضوجه، كما يبدو
البدر في أول الشهر هلالاً، ثم يسير نحو الكمال، حتى
يكتمل إشراقه في الليلة الرابعة عشرة، ولكن أبا الحسن
أصدر كتابه باللغة العربية (ماذا خسر العالم باحطاط
المسلمين) في مطلع حياته الفكرية، فكان حدثاً هائلاً في
دنيا الفكر، لأنه رجّ القراء رجاً، وكأنه نفع في الصور
فأحيا نفوساً، وأشعل أرواحاً، وأخذ الناس يقرأون

أبو الحسن الفدوي.. في سيرة

مبهورين، يضافون أن تنفذ صفحات الكتاب، فلا يستشعرون هذه اللذة الروحية بعد انقضاء الصفحات، وفيهم من كان يقرأ الصفحة والصفحتين ثم يطوي الكتاب دقائق معدودة، ليسعد زفرة مكتومة، أو يعلن آهة موجعة، وأشهد أمام الله أن بعض الصفحات التي كانت تصور فجائع المسلمين على أيدي أعدائهم، وطفيان العتاة على بلادهم، كانت تضع فوق كاهلي وأنا أقرأ أطفانا من الحديد الصلب، فلا أستطيع أن أتحرك، إلا بعد أمد يقصر أو يطول، هذا الكتاب الخالد قد رج القراء رجاً، والعجيب أن استاذنا الدكتور أحمد أمين قد كتب مقدمة الكتاب في طبعته الأولى دون أن يقرأ، وأجزم عاماً أنه لم يقرأ، ولا لما قال: إن بعض عبارات الكتاب ضعيفة، لأن المؤلف يكتب بغير لغته!! والكتاب في المنزلة العليا من الأسلوب البياني المشرق، وتعبيره الساحر الذي لا يبلغه باحث كبير كالـدكتور أحمد أمين، لأن صاحب فجر الإسلام وضحاها وظهره باحث مؤرخ، لا يملك سحر الأسلوب، الذي يتمتع به صاحب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) ولقد قرأت في بعض ماكتبه أبو الحسن أن هذه المقدمة قد أضعفت الكتاب، وأقول إن هذا تخيل فقط، لأن القارئ التنبه قد عرف بُعد هذه العبارة عن الصواب، وهو مقياس الحكم أما القارئ، الذي لا يفرق بين أسلوب وأسلوب، فسيان يصدق أو أن يكتب!

وقد توالى طبعات الكتاب حتى بلغت بضع عشرة طبعة، وأغلقت مقدمة الطبعة الأولى، حيث قام الأستاذة محمد يوسف موسى وسيد قطب وأحمد الشرباصي بكتابة مقدمات صادقة، شفت صدور قوم مؤمنين، وأذهبت غيظ قلوبهم، ولا أنكر فضل الدكتور أحمد أمين حيث احتفل بالكتاب، وطبعه في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر التي يرأسها، فكان صدور الطبعة الأولى عن هذه اللجنة ذات المستوى العلمي الباهر نصراً من الله، وفتحاً قريباً اتصلت بعده الفتوح الممتدة، لأن فكر أبي الحسن كالشجرة

الطيبة ذات الثمر المستطاب، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس.

لم يتح لأبي الحسن أن يكتب هذا السفر الرائع في مطلع شبابه دون أن يعتمد على موهبة رائعة ممتازة، جرت من عقله مجرى الماء في فروع السرحة القينانة، ذات الظل الوارف، ودون أن يعتمد على نشأة علمية باهرة، وأعرق منازل الفضل بالهند، وأخصب منابت العزة والكرامة والشموخ، ودون أن يعتمد على اطلاع شامل محيط في كتب متعددة، ولغات متنوعة، اطلاع ناقد يعرف سطور الحق فيجربها، ويقرد سطور الباطل إذ يحتويها، ومن وراء ذلك كله روح إسلامية عالية، هي قبسة من قبسات رجال المصدر الأول من تاريخ الإسلام، فقد عايش أبو الحسن هؤلاء الرجال معايشة العاشق، المولع بكل ما يقرأ من أمثلة التضحية والفداء، ونماذج الإيمان والإيثار، فكانت سير هؤلاء ومن تبعهم بإحسان ضياءً لروحه قبل أن تكون غذاء لفكره، وقل ما شئت في تلميح نابغة، أساتذته الأكرمون رسول الله ﷺ وصحابته المختارون، مع من وليهم من أئمة السلف الصالح، خلفا عن سلف، حتى انتهت السلسلة الرائعة إلى والده الكريم، وكلهم خيار من خيار.

ولد أبو الحسن بقرية (نكية) من شرقي الهند، في المحرم من ١٢٢٢ هـ، فنشأ في أسرة عربية كريمة، ترجع بأصولها العريقة إلى الحسن بن علي عليه السلام، أصولها التي ظلت تنتاسل في أكرم بقعة في الأرض، في مكة التي شرفها الله بالبيت العتيق، وبكونها مشرق الإسلام ذي الهداية الإنسانية، التي

أخرجت العالم من الظلمات إلى النور، ثم انتقلت إلى المدينة المنورة حقة من الدهر، حتى كان مطلع القرن السابع الهجري، قرأ عميد



بقلم الدكتور:

محمد رجب البيومي

سيرته الذاتية

الأسرة إذ ذاك السيد قطب الدين بن محمد المدني رؤيا منامية، أوحى له أن ينتقل من المدينة المنورة إلى الهند مجاهداً في سبيل الله! وقد صدع الرجل بالأمر على مشقة الهجرة، والنزول في أماكن لم يعرفها من قبل، ولكنه أطمأن حين وجد الاستقبال الكريم. وحين ذاع فضله فيما تناول من أحاديث الدعوة، وشروح الفقه، وقد تبوأ مكان الصدارة في مهاجرة، واشتهر أبناءه ومن وليهم بالدعوة إلى سبيل الله، عملاً بالارتحال إلى أقصى البقاع، مذكّرين بآيام الله، وبحثاً بالتأليف العلمي في فروع اللغة والشرعية، ولو بحثت عن المكتبة الإسلامية بالهند، لنطقت بآثار هذه الأسرة الماجدة، حتى جاء يوم بزغ في سماءها نجم سلطان المسلمين أحمد بن عرفان، وهو عالم بطل لو تعارف المسلمون في بقاع الأرض سير رجالهم في الوطن الإسلامي الكبير، وطن الإسلام، لكان اسم أحمد بن عرفان الشهيد يتردد في أفانق آسيا وأفريقيا، كما يتردد أسماء شهداء الإسلام من ذلك العصر الأول إلى الآن! لقد تطلع الشهيد المغوار إلى ماحولة، فآزرجه أن يرى ويسمع عن فطائع طائفة السيخ في البنجاب، إذ قدموا على قتل الأبرياء من المسلمين. وهدم المنازل، وهتك الأعراض، فغضب لدين الله وإخوته في الإسلام، ورفع راية الجهاد، واستنفر الأبطال من كل صوب، فهرعوا إليه ملين، وبويع بالإمارة في جمادي الآخرة سنة ١٢٤٢، ثم قاد الجيوش من نصر إلى نصر، حتى إذا أعيت أعداءه الحيلة لجأوا إلى النس، حين هالهم أن ينشئ الإمام أحمد دولة إسلامية على الحدود الشمالية من الهند، أثبتت قوة الإسلام وحميته، وبقيت أربع سنين ترفع راية الإسلام، حتى ارتفعت بريطانيا، وأمدت السيخ بالسلاح الأوربي الحديث، ثم استعانت أيضاً برجال السوء، ممن جهلوا خبث المحتل، وأغراهم المنصب والذهب والجاه، فجعلوا يثيرون الفتنة، ولجأ الإمام إلى كشمير مجاهداً، ولكن اجتماع الإنجليز والسيخ والطاير الخامس من المنافقين، قد كان أكبر من أن

تضمد أمامه القلة المؤمنة، ولكنها أثرت الاستقبال على القرار، واستشهد الإمام في معركة (بالاكوت) استشهد الحسين في «كربلاء»، وهي مأس تتكرر على الزمن، دون اعتبار.

إن تاريخ ابن عرفان لم يذهب عن خواطر المسلمين جميعاً بالهند، ولكنه رسخ ورسوخ الطود في أسرته النكرية، فجعلت تتناقل آثاره، وتتحدث عنه، ثم دوت أخباره. وكان والد أبي الحسن أحد العلماء الأفاضل، الذين كتبوا تاريخ الشهيد، وهو لم يكتب تاريخ الشهيد وحده، ولكنه سجل تاريخ الأفاضل من المسلمين على مر العصور في كتابه الرائع (نزهة الخواطر) ذي الأجزاء الثمانية. وقد اشتمل على نحو خمسة آلاف ترجمة لأعيان المسلمين في الهند، وأبو الحسن وإن لم يتمتع برعاية والده العلمية غير أمد قصير، إذ ترك والده الدنيا إلى لقاء ربه وهو في التاسعة من عمره، فإنه وجد في هذه الموسوعة الثمينة خير زاد لروحه، لقد قرأ عن أفاض المصلحين قراءة جعلته يتهيأ لدور كبير، يضيف به ترجمة حافلة إلى هذه التراجم، ولم تكن «نزهة الخواطر» هي سلواه المختارة وحدها في عهد اليقظة، بل دفعته إلى مشيولاتها في التراث الإسلامي، وفي كتب التراجم والطبقات، وهذا البحر الزاخر من المعارف التاريخية يحيي النفوس المتعطشة، ويدفعها إلى الاحتذاء الحسن، لاسيما إذا كان القاريء أبا الحسن ذا النفس المتوثبة الطامحة للعلا، ونحن نرى أمثلة شتى في كتب أبي الحسن، قطفها من حداثق هذه الكتب، وكما قرأها أناس من قبله ومن بعده، ولكنهم لم يحسنوا استغلالها، على النحو الذي اهتدي إليه الشاب البصير، وإذا أردنا أن ننشئ شبيبة داعية، تعرف الإسلام الصحيح في سير رجاله، فعلينا أن نكتب هذه التراجم المجيدة بلفة العصر، لنفتح الأبواب الفسيحة، إلى من يريدون التزده في بساطين الأجداد، وهم كثيرون.

إن رحمة الله عز وجل تسع كل شيء، فحين حرم أبو الحسن من رعايه والده العالم العامل البهجة، لم يحرم

بعد رحيل والده.. لم يحرمه الله من رعاية اثنين

والتخلف الحضاري في الشرق، واتهمك المشرقين في الملذات، دون نظر إلى النفع العام، هو شبهة أحاديث أبي الحسن، وكنت أود أن أقتبس منه سطورا تنطق بما أعنيه. ولكنني لأعجب بعد قراءة مقال (أسطورة) أن يكون كاتبة هو الشقيق الذي تولي رعاية أخيه، وطبعه بطابعه الإسلامي الحار المتوهج، والشقيقان — بعد — أثر من آثار الأب المجاهد، والوالدة الكاتبة الشاعرة. وقديما قال القائل الحماسي:

أرى كل عرق نازعا لأرومة

أبي نسب العبيدان أن يتفيرا
وفي الثانية عشرة من عمره، بعد رحيل والده الكريم بثلاثة أعوام، وجّه الأخ الأكبر أخاه إلى تعلم الإنجليزية والعربية معا — فوق تعلمه للأردية — وهو توجيه منتظر من أستاذ يعرف فائدة الاطلاع المستوعب للتبصيرات المتضاربة، في الشرق والغرب، حتى إذا بلغ من اللغتين حد الإجادة على يد أساتذة من الفضلاء، دفعته توازعه الإسلامية إلى التضرع من الأدب العربي. وكان فضل الله عليه عظيما، حين لم يتجه إلى مقر من كتاب الخلافة اللفظية

من رعاية اثنين عزيزين أثيرين هما: أمه وأخوه. أما أمه فكانت قارئة كاتبة شاعرة. جمعت هذه المزايا في عصر كان أكثر المسلمات شرقا وغربا لا يلتفتن إلى تعليم، ومن تتعلم منهن تلق عند حد محدود، لا يتجاوز معرفة القراءة والكتابة، إلا من نشأت في أسر الفضل والفضيلة، مثل والدة أبي الحسن! كانت والدة الفاضلة تحفظ القرآن الكريم، وتقرأ تفسيره في كتب التراث، كما كانت تكتب المقالة، وتنشئ القصيدة، وفي هامش ص ٢٤ من مقدمة كتاب (ماذا خسر العالم الإسلامي بالانحطاط للمسلمين) أنها طبعت عدة كتب، ومجموعات من الشعر، كلها مناجاة لله تعالى ودعاء ضارع، كما أرسلت مدائحها في رسول الله ﷺ. وقد كنت أرجو أن أقرأ بعض ما كتبت ونظمت، ولكن يدي لم تصل منهما إلى شيء، هذا بعض ما يقال عن الأم الكريمة، أما الأخ الشقيق فهو الدكتور السيد عبدالعلي عبدالحي، وقد جمع بين الثقافة الدينية والثقافة العصرية، فكان إلى تعلمه في بحوث الدين متقننا عارفا بالتبصيرات الفكرية المعاصرة في العالم، وكانت مكتبته مملوءة بالأسفار في الاتجاهين، وهذا من حظ أبي الحسن الدارس الناشئ، لأنه وجد من وجهه إلى القديم والجديد معا، وقد ظهر أثر ذلك في إنتاجه العلمي الحافل، لأن نظريته الشاملة الناقدة لوجود المفاصد في الشرق والغرب معا لم تات إلا من اطلاع شامل، على مختلف التيارات المتعارضة، ونحن نجد لدينا قوما يفكرون المفاصد الغربية، ولكنهم لم يبلغوا مبلغ أبي الحسن في هذا المجال، لأنهم لم يقرأوا ما قرأ عن هذه المفاصد، وإذا قرأوا لم يبرزوا الفكر الثاقب، والروح العالية، والقلم الحسول، ونحن نجل هذا الأخ ونعترف فضله في رعاية الأخ اليتيم، وإذا كنا لم نطلع على شيء من آثار والدة الكريمة، فقد اطلعنا على بعض آثار الأخ الأديب العالم، ومن بين ما قرأناه في مجلة الرسالة المصرية مقال تحت عنوان (أسطورة)، والمقال يدل على أن الأخوين العزيزين يصدران عن نوع واحد، فحديث السيطرة الغربية،



■ الشيخ أبو الحسن في منزله.. يتوسطه د. عبد القدوس أبو صالح ود. أحمد براء الأميري.

عزيزين هما: أمه وأخوه.

في المقال ما يورثه للنشر عن إعجاب. وكان أول مقال كتبه الأديب الناشئ، ولاشك أن نشر المقال في هذه المجلة المستنارة، قد بعث في نفس أبي الحسن ثقة تدهم بالعزم الطامح، والجد المثابر، إذا وجد «المنار» كخيلة أن تضعه في صفوف كتابها، وإذا كانت أعداد «المنار» التي تصل إلى الهند ذات قدر محدود، فقد حرص أبو الحسن على أن ينشره مستقلاً في رسالة طبعها تحت عنوان (ترجمة السيد الإمام أحمد بن عرقان الشهيد) وقد ظهرت في سنة ١٢٥٠هـ فاجتذبت صدي قويا بين العلماء والباحثين، وكانت بمثابة فجر صادق، يبشر ضوءه المشع بقدم صبح مبين!

اهتدى أبو الحسن بعد نشر مقالة بالمنار إلى صميم رسالته، التي يجب أن يحملها إلى العالم جميعه، لا إلى العالم الإسلامي وحده، هذه الرسالة هي الدعوة إلى الله كائناً ومتحدثاً. أما كائناً فقد ظهرت بشارات توفيقه فيما كتب بالمنار. وفيما نشر بصحف الندوة، وأما متحدثاً فقد ألف - على حداثة سنه - أن يصعد إلى المنبر خطيباً، وأن يحدث المستمعين في الندوة محاضراً، فيحظي بالقبول، إن لم يكن يحظي بأكثري من القبول. وذلك وحده زاد يعين المدججين على السري في ظلمات الطريق.

قلت إن أبو الحسن ألف أن يصعد المنبر خطيباً. وذلك توفيق من الله، ساقه إليه على يد أحد أساتذته. فقد سافر إلى (دلهي) في رحلة علمية فشاء القدر أن يلتقي برابعها المجدد الكبير الشيخ محمود إلياس، والشيخ إلياس لا يعتمد في دعوته على الكتابة الصحفية، أو التأليف العلمي، ولكنه يرحل إلى الجماهير في كل مكان، فينتصب واعظاً مرشداً، يتفجر البيان من جوائبه، كما يتبثق الماء من التبع الصافي، وهو رحالة لا يهدأ، تراه كل يوم في قرية أو مدينة. يقابل بالتجلة والترحاب، وتنتظر الجموع قدومه كما تنترب الأرض الجديدة بغير الماء، وقد تتصل الرحلة إلى هذه الربوع المتجاورة شهراً أو شهرين، دون أن ينقطع يوماً

في عصور الصنعة البديعية، بل اتجه إلى كتب أربعة هي: «كفيلة ودمنة» لابن المقفع، و«نهج البلاغة» للإمام علي، و«دلائل الإعجاز» لعبدالقاهر الجرجاني و«حماسة أبي تمام». وهي كتب تنشئ أديباً في مثل سنه، لأن «كفيلة ودمنة» و«نهج البلاغة» مثلاً للادب الإبداعي، و«دلائل الإعجاز» مثل رائع للنقد البياني المستنير، أما «حماسة أبي تمام» فهي - في رأيي - من أبدع المختارات المستنارة في الشعر العربي القديم، وبعد هذا التطلع من (التراث) التحق أبو الحسن بجامعة «لكنهؤ»، وهي جامعة تدرس العلوم المدنية باللغة الانجليزية، وفيها قسم لأداب اللغة العربية، اختاره أبو الحسن عن شوق، ووجد من أساتذته الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي رائداً بصيراً، تهدي للتي هي أقوم في استيعاب التراث الأدبي بلغة العرب. ومن بعد الجامعة التحق بالندوة؛ ليلاقى كبار العلماء في الهند من أساتذتها، وليحضر دروس الشريعة عليهم، ولم يرو ظمأه من ذلك كله، بل دقعه هيامه بالمعرفة إلى الالتحاق بدار العلوم - ديوبند مدة شهور، وكأنه رأى أنه ألم سلفاً بمقرراتها فاقصر الأمر، ثم سافر إلى (لاهور)، وقرا التفسير القرآني على كبار علمائها، وتحققت أمنية السعيدة بقاء شاعر الإسلام محمد إقبال، فحرص على مجالسته، والإفادة من توجهه، وهي صفة عادت عليه بأجل النفع؛ علماً وسلوكاً. وسأخصها قريباً ببعض التفصيل.

أما بذرة الأديب المتطلع إلى السبق، فقد برزت في هذا الأمد - أمد الطلب العلمي والتحصيل الثقافي - إذ دفعته همة الواعية إلى كتابة مقال تاريخي، وهو في سن الثامنة عشرة، يتحدث عن جده الجاهد أحمد بن عرقان، شهيد الإسلام، وإمام أهل التوحيد، وقد ألحنا إلى بعض حديثه من قبل، وقد كتبه باقتراح من أخيه فصادف إعجابه. وبعث به إلى مجلة (المنار) المصرية التي يقوم على إصدارها حجة الإسلام في هذا العصر السيد محمد رشيد رضا، وهي ذات صدي مسعود في ربوع الإسلام، فوجد السيد رشيد

#

واحدًا عن ارتقاء المنبر، وتزويد الإرشاد، وأبوالحسن يسمع معجبًا مسرورًا، ويرى انفعال السامعين بما يسمعون، فيعلم أن اللقاء المباشر يفوق تأثيره الحماسي ما يكتب في صحيفة، أو يرصد في كتاب، ومن ثم عزم أبوالحسن على أن يكون داعية في المجتمع بلسانه، كما هو كاتب للقارىء في مؤلفاته، وكان أستاذه الشيخ إلياس صادق النية، مخلص السريرة، أسلم وجهه إلى الله وهو مؤمن، فعظم تأثيره النفاذ، وأصبحت كلماته التي ينطق بها أشعة من الضياء، تنتقل إلى الوجوه، فتسلوها نورًا، وإلى القلوب، فتصلقها صقلًا يطرد عنها نوازع السوء، وهوائط التواسوس، وهناك كان الرجل قدوة في خلقه، كما هو قدوة في وعظه، واعتزم أبوالحسن أن ينحو منحاه وقد كان منه بمكان قريب، فالمبادئ هي المبادئ، والسرائر هي السرائر، ولم يترك الشيخ حتى صمم على أن يدعو بلسانه كما يدعو بقلبه، ووفق الله في إرشاده اللفظي، إذا كان يملك أسلحته للماضية، بل كان يملك أكثر مما يملك أستاذه، لأن الشيخ الكبير خطيب منبر، يحدث العامة بما يجذبهم، وليس له سبحات أبي الحسن في مطاوي الأسفار، وخواشي المجلدات، فإذا دعشت الجموع إعجابًا به خطيبًا داعية، فلنحمد الله أن اجتنب هذا السبيل.

على أن أستاذنا ملهمًا آخر أذكى جمرة الشوق في قلب أبي الحسن، أذكى جمرة الشوق في قلبه ثم زاد قطار بروحه إلى آفاق رحبية، تشرق بالتجوم، ويهب بها التسيم المنعش محملاً بأطيب العبير، هذا الملهم هو الشاعر العالمي محمد إقبال: فقد كان لقاءه به في (لاهور) مصدر ارتقاء شعوري لايسهل مرتقاء، وكل المشتققين في العربية يقرأون إقبال، ويرددون مترجماته عن الأردية والقارسية، ولكنهم لايلمسون تأثيرها النفاذ، الذي تنموج كهرباؤه في اللغة الأصلية التي نظم بها إقبال، وأذكر أنني قلت في قصيدي عن الشاعر الكبير متحدثًا عن شعره (١)

معان جللتها حكمة الشرق فأنثنت
شدل على اهل الحجاج أي إدلال
وتغعض أحياناً فتبدو عويصة
كانك منها واقف بين أجبال
إذا انقص التعريب بعض بريقها

فإن سياق النص يوحي بإكمال قلت ذلك قيل أن أقرأ ما حكاه أبوالحسن عن الشاعر إقبال، فقد قدمه لقراء العربية خير تقديم، حين أصدر مؤلفه اللطيف (شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال) فتحدث حديثاً رائعاً عن حياته، وعن العوامل التي كونت شخصيته، وأراءه في التعليم والعلوم، والجيل الجديد، وحين تحدث أبوالحسن عن الإيمان، بين هذه العوامل، هذا الإيمان الذي رفع الشاعر عن الاحتفال بمغريات المادة وعن تيار الحضارة الغربية الجارف، ودفعه إلى مقومات الحياة لدي الأمة الإسلامية، كما تغني بها إقبال، مبيناً جناية المدنية الحديثة على الإنسان، ثم حديثه عن القرآن الكريم، وأثره الضخم في تحديد رسالة الشاعر الكبير، وعن خبرته بالنفس الإنسانية شرقاً وغرباً، حيث تحدث عن ذلك كله خلّت أن أيا الحسن يتحدث عن نفسه لا عن نفس إقبال، وليس معني ذلك أنه أضاف إلى شاعر الإسلام مالم يملكه، فقد استشهد بنماذج من شعره، ليس مكانها في هذه السيرة الذاتية، ولكن معناه أن المصلحين العظمين التقيا على هدف واحد، وأن إقبال قد صدق التعبير عن نفس كل مؤمن صادق الإيمان، بعيد النظرة، واسع الأمل في عون الله، وكان تجاوب أبي الحسن معه تجاوب حماسيتين اليقينية، تصدحان بالغناء في دوحة واحدة، إذا جئت الأولي رنٌ صداها في نفس الثانية، فهتفت بالشجو المتبدد، أما مأخذ إقبال على التعليم المعاصر، وأما آراؤه في العلوم والآداب، وأما تصويره للشباب المسلم، فيستطيع باحث فاضل أن يشرح كل ذلك، مقارناً بما سجله أبوالحسن من آراء، تتقارب إن لم تكن تتماثل مع هذه الآراء، ويكفي إقبالاً

ملها إلى العالم جميعه.. وهي الدعوة إلى الله .

أن يسجل أن المسلم هو الإنسان الوحيد الذي يعد خطراً على الباطل، في كل زمان ومكان، وأن المسلم قد بني العالم المستنير في الزمن البعيد، وهو مهياً اليوم لإعادة البناء في العالم الحديث، وهي عناصر موجزة، نجد تحليلها الشافي المبسوط في مؤلفات أبي الحسن، على نحو مبهر أنيق، لقد أحببت إقبالاً قبل أن أفهمه، أحبته عاطفياً وجدانياً، ووقفت أمام غوامضه حائراً لا أهندي إلى منار وضيء، ثم قرأت أبا الحسن وما كنيته عن إقبال، فأحببته وجدانياً وفكرياً، وزالت أكثر الغوامض من نفسي، وهفتت من أعماقي، رحم الله إقبالاً، ورحم الله أبا الحسن، وأسكنهما فسيح جناته.

رجع أبو الحسن من «دلهي» وفي نفسه قيس من روح شيخه إلياس، كما رجع من «لاهور» وفي نفسه جذوة من شعلة إقبال، وقد صمم على أن يرحل كما رحل استاذاه الداعية، ولكن إلى أين يرحل؟ لقد قصر الاستاذ الشيخ جهده على الربوع الهندية وحدها، وقد استيقظت على دعوته من سباتها الطويل، وأولي بابي الحسن أن يرحل لا إلى قري الهند وربوعها القترامية، بل إلى العالم الإسلامي في حواضره الزاهرة، إن العالم الإسلامي في حاجة إلى رجاله مثله، يقابل علماءه ويناقش مفكريه، ويجتمع مع شبابه، ويدرك أغوار هذه النفوس الحائرة، بين أمواج الفكر المضطرب شرقاً وغرباً، وتلك رسالة صعبة، هي رسالة جمال الدين الأفغاني من قبل، ولكن جمال الدين الأفغاني كان نوراً وناراً، وأبو الحسن نور فحسب، إذ لا يميل إلى إشعال الثورات، ولكنه يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة، ويحاول بالتالي هي أحسن كما أشار القرآن الكريم.

رحل أبو الحسن إلى الحجاز مرات، وإلى مصر والمغرب، والشام وتركيا، وزار أمريكا والدول الأوروبية، وطوّف أكثر عواصم العالم الإسلامي، وكانت رحلاته عظيمة التأثير، لأن اسمه كان يسبق شخصه، وكان أحبائه وخصومه في الرأي يحرصون على لقائه، فالأحباء ليطلقوا غليل الشوق

برؤيته، وليستعوا أنفسهم بكلماته، والخصوم يريدون أن يسمعوا المزيد مما يندعه كل يوم دون إهمال، وعسي أن يجدوا مجالاً للرد، وموضعاً للحوار، والرجل يعرف مكانته من هؤلاء وأولئك، ويلبس لكل حالة لبوسها، ويؤوب مؤزراً بنصر الله.

وتحدث عن رحلاته في كتب مستقلة، وفي مقالات سائرة، وعبر عن شعوره الصادق دون مجاملة للباطل، إذ رأي رحلته لا تتم على وجهها الصحيح، إلا إذا أفصح عن مراده دون لثام، والحقيقة لا تؤلم إذا سبقت في أسلوب أدبي يترفع عن التعريض، ويتأني عن الاستعلاء، وبكم كان عجباً لأبي الحسن أن يدرك أن المسلمين في العالم المسيحي يكادون يعرفون شيئاً عن مسلمي الهند، فهو يقول في مطلع مقال سجله بمجلة الأزهر (٢)، كنت في رحلتي إلى الشرق الأوسط، أواجه سؤالاً يتكرر، ويوجّه في كل مجلس وفي كل مناسبة، عن عدد المسلمين في الهند، فأجيب بأنهم أربعون مليوناً (كان ذلك سنة ١٣٨٠ هـ) فيندهش الناس ويقول بعضهم يا سلام! ولولا ثقتهم بالضيف لسارعوا بالتكذيب، لأنهم كانوا ينتظرون أن يكون المسلمون في الهند بعدما سمعوا عن موجات الهجرة الكبيرة مليوناً واحداً! لقد كانت هذه مفارقة لاتفارقني أينما حلت ونزلت، مفاجأة للفرحين، مفاجأة للمسلمين عن عدد إخوانهم في الهند، ومفاجأة للمجيب عن استغرابهم، وهناك كانت مفاجآت أخرى، ما يتصل بالمسلمين في الهند، فإذ الذين كانوا يعرفون أن في الهند عدداً كبيراً من المسلمين — على قلة هؤلاء — كانوا يعتقدون أن المسلمين لا شأن لهم في هذا القطر العظيم، ليست لهم حضارة خاصة، ولا ثقافة واسعة، ولا آداب سامية، ولا مؤسسات علمية، ولا نشاط، لا إنتاج في علم وأدب، إنما هم أمة دلت في كل مقومات الحياة، وفي كل ما تعترض به أمة من علم وأدب، ودين واجتماع، وأخلاق ومروءة، بل كان البعض يسأل: هل في الهند مساجد؟ هل فيها مدارس دينية؟ هل عندكم علماء؟

صدع الشيخ بكلمة الحق دون محاباة .. في نقد

هل يوجد من يجيد أن يقرأ القرآن؟ هل فيها من يقسم العربية؟

مضي الكاتب الكبير يجيب في مقاله الرائع عن هذه الأسئلة، ولكنه عاد باللوم على تقصير علماء الهند، في القيام بمهمة التعريف بهذا القطر العظيم، ومضي يفصل ما أنتجت الأمة الهندية المسلمة من آثار علمية رائعة في الحديث، والفقه، والأصول، وعلم الكلام، والسيرة النبوية، ويعدد أسماء العلماء الكبار من مؤلفي الموسوعات، الأجزاء المتتابعة، ويقضي في القول حين يتحدث عما أضفاه المسلمون إلى ثروات البلاد، وما قاموا به من إصلاحات قائلا في حديثه الرائع: «لقد كان ما اكتسبته الهند من المسلمين أعظم وأعلى مما استغناه المسلمون منها، وكان دخولهم في هذه البلاد قسما جديدا في تاريخها وحياتها، ومكسبا عظيما والبحث شاق واقب، والرجوع إليه يصح أوهاما كثيرة يجب أن تزول».

■ ■ ■ شجاعة الأدبية

على أن لابي الحسن شجاعة أدبية تكاد تكون منقطعة النظر، فهو في كل مكان يرحل إليه، يخطب في النوادي العامة، ويلقي المحاضرات الثقافية في ساحات العلم، وينشر ما يريده في أمهات الصحف، لأن أسسه الكريم يسبقه كما قلت من قبل معلنا قدره العظيم، ومن مظاهر هذه الشجاعة الأدبية، أنه في مقالاته هذه يرسل نقداً للجريدة لبعض مالا يوافق عليه مما يري ويسمع، يرسلها في أمهات المجلات المقررة، ليصدع بكلمة الحق دون محاباة، أذكر أنه زار مصر في سنة ١٩٥٠م وخالف كتابها ومفكرها، وعقد ندوات مثارة بجمعية الشبان المسلمين وغيرها، ثم عَنَ له أن يكتب في مجلة الرسالة كلمة تحت عنوان (اسمعي يا مصر) بدأها بالإشادة بما رآه من محاسن، ثم وجه الأمة المصرية إلى رسالتها الحضارية، في إقحام الغرب ما يجهله من مزايا العرب والإسلام، لأنها

يكتابها وجامعاتها ومفكرها أقدر بلد يقوم بهذه الرسالة، حتى إذا انتهى من ذلك، جاهر بنقده الجريئة في مثل قوله (٣).

«أحرص يا مصر على رجولة أبنائك وأخلاقهم، وصون شبابهم وشرقهم ودينهم وصحتهم من أن يعبث بها العابثون، أو يشجر بها المتجرون، ممن يعيشون على أثمان الأعراض والأخلاق، ويحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لتروج بخساعتهم، وتزدهر تجارتهم، أولئك هم أصحاب الروايات الخليفة، والصور العارية، والأدب المكشوف، كافح يا مصر الوباء الخلقي، الذي يقضي على حيوية الأمة، وطاردي كل من يحاول أن يزعم العقيدة في شعبك، إن العالم العربي قد أحلك من نفسه محلاً رفيعاً، ووضع ثقته فيك، فلا تصدري إليه من أدبك وموضوعاتك ما يزرؤه في إيمانه وأخلاقه، إن هذه الروايات الخليفة، والأدب الماجن أفسد وأضرر بالأمة من الحبوب المسمومة والفواكه الموبوءة، إن القارة الإفريقية لا يزال جزء كبير منها على فطرتها، وهو حقل لجهودك وتربيتك، فأرسلني إليها دعائك المبشرين، لتتقذي نفوس هؤلاء وتكتسبي قلوباً



■ إيتسامة الرضا من الشيخ أبي الحسن للحسن عبد القدوس أبو صالح والاستاذ عبد النور النذوي.

رأي لكل مالا يوافق عليه .

تكون خيراً لك من الأمم الغربية التي تخطبون ودها، وتحرسين على صداقتها وهي لاتدوم على حال». وأذكر أن مقال الأستاذ الكبير قبول بالاستحسان، وفطحت له المجالات الملزمة مجال التحليل والتعقيب، حين رأته فيه صبيحة مخلصه يقوم بها مرشد أمين.

هذا في مصر، وكذلك في غيرها من الدول التي سعدت برحلة الأستاذ الكبير إليها، أذكر أنه في زيارته لعمان عاصمة الأردن عقد ندوة تحدثت عن (حيرة الشباب المسلم : أسبابها وعلاجها) (٤) فكان الرجل صريحاً، كعادته حين جعل من أسباب هذه الحيرة التناقض الصريح في التوجيه والإعلام والتربية، لأن الشاب يجد في تقاليد بيته المسلم ما يسمع تقيضه في الصحف والمجلات، بل قد يسمع في المدرسة ما لا يتفق وتعاليم الإسلام، فيقع في صراع فكري عنيف، وقد يقرأ صحيفة يحزرها غير مسئول عن دينه وشرف أمته؛ فيجد بها ما يدعو إلى الغواية والإلحاد، وقد شاعت بدعة القديم والجديد لترمي تراثنا بكل تأخر، وتدفع إلى محاكاة أعدائنا في كل ما تتفوقونه، وهذا كله يحتاج إلى قلب نظام التعليم رأساً على عقب، يحتاج إلى أناس لديهم الأصالة الفكرية، فلا يعيشون متطفلين على مائدة الغرب، كما أننا نعيش في عزلة من الشباب، ولدينا نحوهم كثير من سوء التفاهم وإساءة الظن، ولابد أن نسعي إليهم، لننقذهم من الانحراف، وذلك يحتاج إلى مخططات دقيقة؛ مخططات علمية مدروسة؛ يحتاج إلى أقلام بليغة، فلسفت متشائمة ولا يائساً، ولكني أدعو إلى الإصلاح.

وقد يكرر الأستاذ ما قاله في دولة زارها من قبل، لأنه لا يجد ما يقول، بل لأنه يجد الداء مشتركاً، والطبيب حين يكتب دواءً مماثلاً لمريضين يعانيان من حالة واحدة لا يكون مكرراً للدواء، بل يضع الأمر في موضعه الصحيح، وقد كانت المملكة العربية السعودية ذات تصيب كبير من رحلات الأستاذ، لأنها أقرب البلاد إلى قلبه، ولأن الإسلام بها يجد متفهمه الذي لا يجد في دول شقيقات، وقد حظي

بلقاء الملك فيصل، وقدم له خطاباً يحمل مقترحات مخلصه صادفت قبول الملك الكريم، وهكذا كان أبو الحسن يرحل ليدق الناقوس، فهو سفير متنقل في بلاد الإسلام، ولا أنسى أن أشير إلى كتبه الثلاثة (١) «مذكرات سائح في الشرق العربي» (٢) «من نهر كابل إلى نهر اليرموك» (٣) «أسبوعان في المغرب الأقصى» ففي هذه الآثار القوية بتوجيهها وتشخيصها وتقديرها الصادق، ما يضع الرحالة الكبير في مقدمة المصلحين الكبار من أبناء هذا القرن دون نزاع، وكما يردع القارئ أن يجد في صفحات هذه الكتب الخالدة، أوصافاً دقيقة لبلاد عزيزة علينا جميعاً، هي أفغانستان وإيران وسوريا ولبنان والعراق والأردن، أوصافاً لاتجاهل ما يهذه الدول من مؤسسات ثقافية وهيئات علمية، ومبلغ تفسكها بالعقيدة الإسلامية، أو مجافاتها في بعض اتجاهاتها، وما أحدث ذلك كله من آثار سلبية.

أما رحلة الداعية الكبير إلى الولايات المتحدة وكندا بدعوة من الطلاب المسلمين في الدولتين، فقد وصفها الكاتب في سفر خاص، وهي ذات مذاق مختلف عن الرحلات الخاصة ببلاد الإسلام، لأن المسلمين في أمريكا وكندا محدودو النشاط، ولكن عليهم - في رأي الأستاذ - أن يحافظوا على كيانهم الإسلامي في بلاد الغربية، وأن ينظروا نظرة واعية إلى الحضارة الغربية، فيعرفوا أوجه النفع وأوجه الضرر، وهم بعد المثل الناطق للمسلمين، في مرآي جيرانهم من ذوي الديانات المختلفة، أو ممن لا يدينون بدين مطلقاً، وإذا كانت حضارة أوروبا وأمريكا تجد الدعاية الكافية ذات الإغراء الخالب، فعلينا أن نقيسها بمقياس الحضارة الإسلامية التي تستمد أصولها من شريعة الإسلام، وقد قبول الداعية الكبير باسمي مظاهر التسجيل، وأقيمت الحفلات المتعاقبة لتكريمه، وما جاء الرجل المتواضع ليتصدر حفلات التكريم، بل قدم حاملاً مصباح الهداية لن يفتح عينيه على النور المبهج.

كانت السعودية ذات نصيب كبير من رحلات الشيخ

■ المقال الناري

عاد الأستاذ الداعية من رحلاته المتتالية، لا ليكتفي بانطباعه الخاص، بل ليسجل مآرعي ويسمع، والتسجيل لديه لا يعني وصف مشاهدته فحسب، بل لابد أن يعرض الداء ثم يكتب الدواء، وإطلاع الأستاذ الكبير على روعة الماضي، وفداحة الحاضر؛ هذا الإطلاع الشاسع المستند في آفاق التاريخ الإسلامي في شتّى ربوعه ماضياً، وهذه النظرات المتأملّة الممتدة في آفاق العالم الإسلامي حاضراً، حملت الكاتب على السرعة في العلاج، وعلى النظر الباهر للماضي والحاضر؛ ليصير علاج المريض الهامد - الذي كان بالأمس عملاقاً يتوثب - تالفاً مصيباً، وللأستاذ خيال رائع، يقرب به الحقيقة التي يريد أن يتحدث عنها، فليس خياله الأدبي تهويمات طائرة في الفضاء، كما نرى لدى بعض من يرسمون الصور الباهتة، دون أن تلتفت الأنظار إلى ما وراء الصورة من الحقيقة. وقد قال النقاد - وأكثروا من القول - بأن وظيفة الخيال تقريب الحقيقة، وتدعيمها وتأكيداتها، وليست وظيفة الخيال الشملح البعيد عن الحقائق، والإغراق في تصورات تضل ولا تهدي! لقد أراد الداعية الكبير أن يتحدث بعد رحلاته المتتالية عن المسلمين بين الأمس واليوم، فكتب مقالاً (٥) هو من أنفس ما قيل في موضوعه، كتبه تحت عنوان (بين الصورة والحقيقة)، وهو جدير أن يدرس على الطلاب في جميع المعاهد والكتليات؛ نظراً لمغزاه الدقيق، فقد جعل الأستاذ الصورة البعيدة عن الحقيقة مثل الثمار المصنوعة من الخزف، تتراعى للناظر كأنها تفاح، أو رمان، أو عنب، أو موز، أو برتقال، في لونها وشكلها، ولكن أين الصورة من الحقيقة؟ وأين طعم الثمار ورائحتها؟ إنها ليست إلا للزينة أو المثل، لأن الصورة لا تستطيع أن تسد مكان الحقيقة وتثوب عنها، ولا تملأ دورها، فإذا وقع صراع بينهما انتهزت الصورة، إذ لا تتحمل عبء الحقيقة، إن صورة إسلامنا اليوم وصورة

كلمتنا لا تقدر أن تتغلبا على عاداتنا الحقيرة، وتقهورا شهواتنا، إننا نلتقط بكلمة الشهادة والتوحيد، ومنا من يعرف ما يقول، ولكن الصورة شيء والحقيقة شيء آخر، إن أصحاب النبي ﷺ كانوا على حقيقة هذه الشهادة؛ فإذا قالوا: «لا إله إلا الله» اعتقدوا أنه لا إله غيره، ولأرب سواء، ولا نافع ولا ضار إلا هو، أما نحن فنقولها ونغفل عن معناها حين نرجو الخير من الأعداء، ونترك إله الكون الوهاب، إن أكبر انقلاب وقع في تاريخ هذه الأمة هو أن الصورة احتلت مكان الحقيقة، واستولت على حياة الأمة من عهد بعيد من التاريخ، والذين كانوا يرون الصورة من بعيد يعتقدون أنها الحقيقة، ولذلك يذعرون ويشفقون من قريبها، لقد حرس الإسلام المسلمين بالصورة فترة طويلة فلم يجترئ عليهم أحد، ثم تجرأ التتار عليهم في بغداد وما إليها فانهزت الصورة، وأصبحت عاجزة عن أن تدفع المكروه، وكل مانقرا في تاريخ الإسلام من أخبار انكسار المسلمين وهزيمتهم في ميادين القتال، هو أثر انخدال الصورة وقضيتها لا غير، لقد فضحتنا الصورة في كل معركة أو اصطدام، والذنب: ذنبنا لأننا حملنا عبء الحقيقة على الصورة فجاء الخذلان!

هذا المقال الناري (وأرجو ألا أكون أخفقت في تلخيص نقاطه السديدة) يرسم وجوه الإصلاح إذا أردنا أن ننسج في الطريق الصحيح، وقد كرر الأستاذ الكبير معناه الرائع في أبواب شتّى من تأليفه، لأنه يعتقد أن بدء البرء العاجل أن نعرف مكان الداء القاتل. وهامو ذا قد عرف موضع الداء ووصف الدواء.

ولكن كيف السبيل إلى النهوض من هذه الكيوات المشلقة، لقد فكر الأستاذ في رجال اليوم وفي بعض شبابه، فوجد التربية المدرسية والإعلامية في أكبر بلاد الإسلام قد ضلت سواء السبيل، إذ خضعت أجهزة التعليم إلى النظام الأوربي، فأحدثت فجوات هائلة بين عقيدة الطالب المسلم، وماتوحي به المقررات المستوردة؛ من

نما الأقرب إلى قلبه، ولأن الإسلام يجد بها متنفسه.

انفصام عن مبادئ هذه العقيدة، والعلاج الصحيح في خطواته الأولى أن نبدأ بالنظر في أساليب التربية، المتخذة دستورياً راسخاً لا تتخطاه بعض هذه الدول، ثم ننظر في تربية النشء وفق مقررات هادفة، نعرف طريقها الصحيح. بدل الكتب المترجمة، وأشباه المترجمة، بما يضل النشء عن حقيقة تاريخهم المجيد، ودينهم الرشيد، لقد ألقى الأستاذ أبو الحسن محاضرة هادفة في مهرجان ندوة العلماء المنعقد بتاريخ ٢٦/١٠/٩٥ هجرية تحت عنوان (أهمية نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية) وكلمة الأقطار الإسلامية لا يلتفت إليها إلا أمثال أبي الحسن الندوي ممن يحسون أن العالم الإسلامي وطن واحد فقد رأينا من أشياخ أوربا من يجزئون الوطن الواحد إلى عدة مناطق، مدعين أن كل منطقة لها بيئتها الخاصة، التي تحتم أن يقدم لها مقرر خاص يختلف عن مقررات جارتها، ومراعاة البيئة وظروفها المحلية قد تكون نافعة في علوم الزراعة والتجارة والاقتصاد! ولكن كيف يختلف المقرر في مناهج التاريخ واللغة والدين تحت ستار موه كاذب مفضوح، لقد اثبت الأستاذ إلى خطر التجزئة، حين تحدث عن أساليب التربية بالأقطار الإسلامية بعمامة؛ فذكر أول ما ذكر أن كثيراً من التربويين في هذه البلاد يحكمون في مناهجهم التعليمية ومؤسساتهم التربوية نفراً من الإخصائيين والمستشارين من البلاد الأوروبية، ثم هم يرسلون اليعنات من أبنائهم ليرجع الطلاب ملزمين بما رأوه من المناهج هناك، وكأنها قرآن منزل! فكانت النتيجة وجود طبقة مضطربة العقائد والسير والأخلاق، وهي في أحسن أحوالها مذبذبة بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية، وفي كثير من الأحيان تنسلخ عما يدين به مجتمعها الإسلامي كل الانسلاخ! إن عملية التربية في أمة من الأمم ليست بضاعة تصدر إلى الخارج، أو تستورد إلى الداخل، كالمصنوعات والمواد الخام، والمخترعات التي لا تخص بلداً دون بلد، وإنما هي لباس يفصل على قامة الشعوب، وملابسها القومية وتقاليدها

الموروثة، والتربية في صحيحها وسيلة راقية مهذبة، لدعم العقيدة التي يؤمن بها شعب أو بلد، وتغذيتها بالاقتناع الفكري، القائم على الثقة والاعتزاز، وقد دارت مناقشات الندوة حول كلمة الأستاذ، ولانقت من القبول التام ماجعلها موضع التنفيذ المباشر، لدي من يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أما رعاية النشء فذات عبء خاص، يجب أن ينهض به كل من يستطيع المشاركة في تحمله، وقد بدأ الأستاذ بتأليف سلسلة كتب خاصة بالأطفال، ثم سن يعلمهم من تلاميذ المدارس: متوسطة وثانوية، وتأليف الكتب للأطفال شاق عسير، لأنه يتطلب مراعاة العقول الغضة، واختيار ما يناسبها؛ تعبيراً وتقكيراً وتوجيهاً، وقد اقتحم هذا الباب نفر من مقلدة الغرب، فكتبوا للأطفال سلاسل الرعب والفرع، وملأوا كتبهم بأساطير المردة والشياطين، وفيهم من حاول أن يقتطع قصصاً من إلياذة هوميروس، لتكون غذاء الأطفال في الشرق الإسلامي، ويعتبر ذلك سبقاً حضارياً لا مثيل له، هذا الغناء المتراكم في كل مكان قد دفع الأستاذ أبا الحسن إلى أن يكتب للطفل، كما يكتب للشاب، وكما يكتب للرجل، لأنه جندي كان من قدره المحتوم أن يحارب في شتى الجبهات، وقد أصدر سلسلة (قصص النبیین للأطفال) في خمسة أجزاء، جعلها على صغرها في الحجم ميداناً لغرس الفضائل الخلقية، بل لغرس العقيدة الإسلامية الصحيحة، بحيث تغني عن بعض ما يسمى بدروس التوحيد، وقد قرأ الشهيد سيد قطب بعض أجزاء هذه السلسلة النادرة، وقال في تقديمه: «لقد قرأت الكثير من كتب الأطفال، بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم الصلوات والسلام، وشاركت في تأليف مجموعة (القصص الديني للأطفال في مصر) مأخوذاً كذلك من القرآن الكريم، ولكن أشهد في غير مجاملة، أن عمل السيد أبي الحسن في هذه القصة - يريد قصة موسى عليه السلام - جاء أكمل من هذا كله، وذلك بما احتوي من توجيهات دقيقة، وإيضاحات كاشفة، لمرامي القصة، وحوادثها ومواقفها،

شغل الشيخ أبا الحسن بغذاء الشبيبة من الأدب العربي

ومن تعليقات داخلية في ثنايا القصة، ولكنها توحى بحقائق إيمانية ذات خطر، حين تستقر في قلوب الصغار أو الكبار.

■ توجيه الناشئة

فإننا تركنا مرحلة الطفولة إلى مايلها من مرحلة الصبا فإننا نجد السيد أبا الحسن لا يغفل عن توجيه الناشئة في هذه السن الغضة فقد كتب سلسلة كتب تحت عنوان (القراءة الرشدة) من ثلاثة أجزاء، فاختار من الموضوعات ما يهدف إلى بناء الكيان الإسلامي الصحيح ومن التعبيرات ما يصلح أن يكون زاداً للقارئ المتطلع يحفظه ويحرص عليه ليكون مدداً له في التعبير الصحيح، أما قواعد اللغة من نحو وصرف وبلاغة فقد كلف بعض الأساتذة بالتأليف فيها ورسم الخطة في التيسير، وقام بمراجعة هذه المؤلفات قبل أن يتناولها الطلاب! لقد كان الإمام محمد عبده يريد بعد إخفاق الثورة العربية في مصر - أن تكون التربية الإسلامية وسيلة لإعداد جيل ناشئ ينهض بمكافحة المستعمر الغاصب. كما يفهم أصول دينه على وجهه الصحيح. نادى الإمام محمد عبده بذلك، ودعا المؤلفين إلى إعداد الغذاء الروحي الكفيل بتربية الشبيبة المسلمة، وقد انتظر الأستاذ الإمام طويلاً حتى نهض نفر من المخلصين في تنفيذ خطته، وكان السيد أبو الحسن الندوي في طليعة من قاموا بهذا العبد عن كفاة ثامة، ضربت المثل للكثير من تابعيه فعملوا يقتفون أثره مقتلين.

عما يشغل الأستاذ أبا الحسن غذاء الشبيبة من الأدب العريس. فقد نظر إلى السائد المشتته من هذا الغذاء في قاعات المدارس والجامعات فوجده يقف عند حدود الأدب الصناعي. إذ احتل الميدان أمثال ابن العميد والصائبي والصاحب بن عباد والحريري والقاضي الفاضل، وأدب هؤلاء أدب صنعة - في أكثره - واقتصر الشباب على مطالعة هؤلاء إحصاف بالأدب العربي في أفقه الفسح.

لذلك كانت رياسته المباركة لرابطة الأدب الإسلامي العالمي توجيهها جديداً للأدب الإسلامي بعامة والأدب العربي بخاصة، وقد لاقت الرابطة في ضوء توجيهاته السديدة من الترحيب في العالم الإسلامي جميعه ماعقد عليها أكبر الآمال، فبدأت تؤتي أكلها بإذن الله، وقد افتتح أبو الحسن (نظرات في الأدب) بكلمة معنزة تحت عنوان (نظرة جديدة إلى التراث العربي) بدأها بالإشارة لمحتة القياسية التي أصيب بها الأدب العربي حين تسلط عليه من سماهم بأصحاب التصنع والتكلف الذين جعلوا، الأدب حرفة وصناعة، ليضلوا به إلى أغراض شخصية محضة، فحجب هذا الأدب فيضاً من الأدب الطبيعي الذي يملأ صحف المكتبة العربية، وقد جاء في بحث ديني أو كتاب علمي أو موضوع فلسفي، جاء في السيرة المطهرة، وفي نصوص الحديث النبوي الشريف، وفيما تركه أمثال أبي حامد الغزالي وأبي الفرج الجوزي وأبي حيان التوحيدي وابن حزم وابن القيم، وأصحاب الرحلات الجغرافية الذين وصفوا الأماكن المشاهدة ووصف استقصاء وشمول، وأصحاب التراجم والطبقات من أمثال الخطيب البغدادي وابن عساكر وياقوت وابن خلكان، مؤكداً أن وصف الشخصية أو ترجمة الذات ليست من السهولة بحيث يستطيعهما الجميع، ولكن العالم الدقيق، والأديب الحساس هما اللذان يقومان بهما على أحسن وجه يتاح، وقد يشر أبو الحسن فيضاً من هذه التراجم في مؤلفاته البارعة، عن رجال الفكر والدعوة في الإسلام في أجزاء أربعة تعتبر موسوعة أدبية حافلة، ومن خصائص المؤلف أن يفتن إلى مضمون كلمات قد يمر بها القارئ مراراً عابراً، ولكنها تحتمل من المعاني ما يفتح الله به عليه فيمد بفيض من الخواطر تعجب كيف أدركه هذا الباحث الحساس! وقد قرأت ترجمات لبعض من خصهم أبو الحسن عند من كتبوا عنهم سواء، وكانت إحصاء «حسابي» يعتمد على التراخي والأرقام فحسب، ولكن تراجم أبي الحسن ذات نبض حي

انت رئاسته لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بادرة خير

جيس لاحياة فيها ولاحرك بها! وكان ربعي — كبقية المسلمين — يتحتم بالحريّة التي عرف بها الإسلام، تنقله من دنيا ضيقة محدودة خائفة، دنيا المدة والمادة، ودنيا الشهوات والأغراض، ودنيا الاستعباد إلى دنيا القلب والروح، والايثار والمساواة والعدل والرحمة وتلك هي السعة!

هذه سطور تنبئ عن صناعات أبدع الكاتب بها في تحليل كلمة «الضيق» وكلها معجب رائع فهل يصل أحد إلى استبطان هذه المفاد الدافقة من لفظ واحد غير ملهم بصير؟!

لقد طوفت في حديثي عن أبي الحسن ونسيت أن أذكر في مجال السيرة الذاتية، أنه انتخب أميناً عاماً لندوة العلماء بعد وفاة أخيه الأكبر الدكتور عبدالعلي الحسيني سنة ١٣٨٠ هـ وأنه أختير عضواً مراسلاً في المجمع العربي بدمشق سنة ١٣٧٥ هـ وأنه دعي لإلقاء محاضرات كأستاذ زائر في جامعة دمشق سنة ١٣٧٥ هـ واختير عضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة سنة ١٣٨٠ هـ وعضواً في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وانتخب رئيساً لهيئة التعليم الديني في الولاية الشمالية في الهند سنة ١٣٧٧ هـ، وهو يعد بذلك إمام العصر، ورائد الإصلاح الديني والأدبي في وطنه الإسلامي الكبير، ولا أقول ذلك دون دليل، فمؤلفاته ساطعة، ومواقفه ناصعة، وألسنة القلوب تهتف بذكره في كل مكان تعرف عليه عليه راية الإسلام، وما عند الله أوفى وأجل.

■ العوامر

الاستاذ بجامعة الأزهر بمصر.

- (١) صدي الأيام، للدكتور محمد رجب البيومي ص ١٤٦.
- (٢) مجلة الأزهر : عدد رمضان سنة ١٣٨٠ هـ.
- (٣) مجلة الرسالة سنة ١٩٥٠ ص ٢٢٦ السنة التاسعة عشرة.
- (٤) في مجلة الأزهر عدد شعبان سنة ١٣٩٨ تخصيص لندوة عمان.

جذاب حتى ليصلح بعضها أن يكون شعرا منثورا، ومزج ذلك لاعتماده على إحساسه الحي، فيجسسه من يتفقون مع مشاعره الدينية، وأهوائه الإسلامية ممن صدقوا الله فاجتباهم بفضله، وقد جعل أبو الحسن الصدق أساساً للتعبير الجيد، فهو باعث الحرارة والذشاط، كما التفت إلى مقاييس أخرى ليس من دور هذا البحث أن يستقصيها، ولكنني أنتهي من هذه النقطة البارزة في اتجاه الباحث الكبير لأقول: إنه فتح الأبصار على كنوز مطورة تراكم عليها الصخر بثقله الضاغط، ونسيها الوارثون من أهلها بل ربما عدوا كنوزها مزيفة مزورة لاتصلح للتداول في أسواق الأدب والعلم، فانبري الأستاذ الكبير ليحفظ لهذه الكنوز حرمتها، وليفصح لها الطريق كي تلمس في مستقرها المريح!

قلت إن أبا الحسن قد يغلن إلى مضمون كلمة يمر بها القاريء مروراً عابراً، فلا يهتدي إلى أبعادها الشاسعة وأغوارها العميقة، وأضرب المثل بوقوفه عند كلمة واحدة جاءت في حديث البطل (ربعي بن عامر) حين واجه قائد الفرس رستم فسأله القائد : ما جاء بك؟ فقال ربعي على البديهة: جئنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، فنقد وقف عند كلمة «ضيق الدنيا» وقفه ما أظن أحداً وقفها من قبل، فقال فيما قال محللاً قوله ربعي : «إني لأتساءل : ما هو الضيق الذي كان فيه الفرس؟ وما هي السعة التي كان فيها العرب؟ لقد قرر التاريخ وأجمع المؤرخون على أن الفرس والزوم كانوا يعيشون في رغد من العيش، ويتقلبون في أعطاف النعيم، لقد اتسعت لهم الدنيا ولانت لهم الحياة! أما العرب فيعيشون في شظف، والندية لم تتعد أسانهم بعد، فإن هي السعة؟ إن ربعي بن عامر كان ينظر إلى هؤلاء الملوك والأمراء كما ينظر العاقل إلى دمي قد كست ملابس فاخرة جميلة، وإلى تماثيل قد أحكمت صياغتها، وتأنق صانعوها في تصوير قسماتها وسلاحها، ولكنها تماثيل من حجر أو

أمن أن التربية لباس يفصل على قامة الشعوب

الشيخ.. والسيرة النبوية

تشكل المقدمة التي كتبها الشيخ الندوي للطبعة الأولى من مؤلفه القيم عن (السيرة النبوية) (١) مفتاحاً، أو منخلاً، لأبد من التوقف عنده قليلاً؛ لفهم ما الذي أراد أن يقوله أو يفعله، وهو يؤلف كتابه هذا.

ومن أجل ذلك فإن من الضروري — كما يقول النقاد البنيويون — «تفكيك النص»، في محاولة للتأثير على العناصر الأساسية للمقدمة؛ باعتبارها متركزاً للعمل ومبرراً لإخراجه في الوقت نفسه.



يقدم:

د. أحمد الدين خليل

إن هذه العناصر تمنح القارئ، حتى قبل مطالعة فصول الكتاب، القناعة بمبرر ظهور بحث جديد عن السيرة، بل بضرورته. فليس الأمر — كما قد يتوهم بعض الناس — مجرد رغبة مخلصمة لإضافة كتاب جديد، إلى قائمة المؤلفات الحديثة في سيرة الرسول ﷺ، وإن كانت هذه الرغبة في حد ذاتها تحمل على المستوى الديني، مبرراتها ودوافعها

المقنعة. إنما بالنسبة لباحث متعمس كالاستاذ الندوي، فإن خطوة كهذه ماكان لها أن تكون، لو لم يعرف مسبقاً أنها ستقدم إضافة جديدة إلى مكتبة السيرة، سواء على مستوى المنهج أم الموضوع. ويكفي أن يقع الاختيار على كتاب (الندوي) من بين عشرات — وربما مئات — من البحوث في السيرة، لنقله إلى الإنكليزية، وعدد من اللغات الحية، ومخاطبة العقل الغربي، وغير المسلم عموماً، بمفردات هذه السيرة ودلالاتها، مهندسة وفق منهج الندوي وأسلوبه، لكي يتبين أن هذا، من بين عوامل عديدة متشابكة كالتي ستؤثر عليها، مايجعل الكتاب إضافة جادة وليس تقليداً أو تكراراً.



الشيخ والمسيرة النبوية

ومهما يكن من أمر، فإننا لو قمنا بإعادة ترتيب العناصر الأساسية للمقدمة، في سياقات رئيسية: من أجل وضع اليد على قبة الكتاب، فإننا سنجد محاولة (الندوي) هذه تقوم على الحاور التالية:

أولاً: بيئة ثقافية ذات توجه إسلامي ينشأ فيها المؤلف، فيجد نفسه منذ تفتح وعيه على الحياة قبالة رسول الله ﷺ، قراءة ومعايشة وتعلسا.. ويمرور الوقت فإنه يسعى لتنمية خبراته عن المسيرة، بمزيد من القراءة والدراسة، في المصادر (القديمة) والمراجع (الحديثة)، بالعربية وغيرها من اللغات، هذه المتابعة الفكرية التي لم تنفصل يوماً عن بطائنها الوجدانية، بسبب من عقيدة

الرجل وانتمائه البيئي، وبالتالي فإنها بصيغتها الشمولية هذه، والقائمة على ما يسمى في العصر الحديث بالمعايشة التاريخية، كانت أقدر على تحقيق المقاربة، بين الندوي وبين عالم السيرة الخصب المؤثر المتجذر في الغيب، والذي لن يقدر باحث من الخارج أو من بعيد على فهمه وإدراكه.

ويجب أن نضيف هاهنا أن الندوي من أجل استكمال أبعاد تجربة المعايشة هذه، ذهب أكثر من مرة إلى أرض النبوة، واجتازها شبراً شبراً، وكان وهو يعاين العالَم والمواقع ويدققها، يعيش في الوقت ذاته المناخ الذي تخلقت فيه مفردات السيرة ونسجت خيوطها، ويكفي أن نرجع إلى كتاب (الطريق إلى المدينة) (٢) لكي نتلمس طبيعة المعاناة الوجدانية، التي حملها الرجل بين جنبيه وهو يتقلب هناك.

إن هذه الخطوات كواقعة منحت الندوي - كما منحت قلة محدودة من الباحثين المعاصرين - السلاح الذي مكنتهم من دخول الساحة، والقدرة على التعامل مع السيرة، بأكبر قدر ممكن من النفاذ والصدق.

ثانياً: لم يقدم الندوي مباشرة على الكتابة في السيرة، كمشروع شامل، قبل أن يمارس البحث في جوانب منها كانت أشبه بخطوات على الطريق.. بتحريرات أولية، إذا صح التعبير، تهيئ للعرض الجامع والآخر (٣) وكان فضلاً عن هذا يمارس التعامل مع السيرة باتجاه مواز آخر: الاستمداد من مادتها الخصبة،



وتعاليمها الغنية، في الكثير من كتاباته ومحاضراته.

ثالثاً: بمرور الوقت يتبلور لديه إحساس متزايد بضرورة كتابة مؤلف شامل عن المسيرة، وكانت تغريه بذلك - فضلاً عن المؤثرات الذاتية والثقافية والمنهجية آنفة الذكر - خصائص ومواصفات كان يرى - معاً - أن أية دراسة في السيرة لا تستكمل أسبابها بدون حضورها جميعاً، فكيف إن غاب عامل أو أكثر عن روية الباحثين؟ كما حدث ويحدث لدى العديد من الذين تناولوا الموضوع من المستشرقين، والمنتمين لعالم الإسلام نفسه؟ فكيف إن غاب معظمها أحياناً؟ ألا يتحتم في مقابل هذا أن تتعزز المحاولات المنهجية التي تسعى جاهدة لاستكمال الأسباب، وأن تزيد وتتكاثر على الأقل لمجابهة هذا السيل من الأعمال الناقصة وموازنتها؟

إن «السيرة» التي ينادي الندوي بها، ويسعى إلى تنفيذها في مؤلفه الذي بين أيدينا، يتحتم قيامها على الخصائص وصيغ العمل التالية:

١ - أن تُبنى بأسلوب عصري علمي، فمما من شك في أن مناهج البحث المعاصرة، ومعطيات العلوم الحديثة، تقدم وسائل جيدة للمؤرخ ما كان يملكها الباحثون القدماء، وبالتالي فإنها تساعد على الاقتراب أكثر من طبيعة الحدث التاريخي، وتركيبه وعرضه بالصيغ الأكثر دقة. ويبدو أن من فضول القول أن نشيرها هنا إلى أن هذه المناهج وتلك المعطيات العلمية، ترند في أصولها وبدرجة كبيرة إلى معطيات الحضارة الإسلامية في هذه

المجالات، وهي مسألة أكدها الباحثون الغربيون أنفسهم، في العديد من مؤلفاتهم.

ويمقدور المرء أن يلقي نظرة على السياق المنهجي للكتاب، وعلى تهميشاته، لكي يتبين له ما يتميز به مؤلف الندوي من تركيز، وتماسك، ومتابعة للحدث التاريخي الأساسي، دون خروج إلى تفاصيل جانبية، وما يلتزم به من توثيق للمعلومات، من خلال تثبيت المصادر والمراجع بأجزائها وصفحاتها، وبشرح المفردات وتحديد الأعلام، أما اللغة فهي سلسلة واضحة، تسعى إلى التوصيل بأكبر قدر من الوضوح، وتتجاوز التعقيد والإغماض، حتى في تعاملها مع النصوص المستمدة من المصادر القديمة. وقد يختلف المرء مع المؤلف في أمر واحد، وهو أنه لم يعتمد منهج التقسيم الموضوعي لأحداث السيرة ومفرداتها، وإنما التزم خط التسلسل الزمني للأحداث، رغم تقاطعها النوعي من حين لآخر، وهو منهج اعتمدته معظم الباحثين المعاصرين في السيرة.

٢ - أن تعتمد على خير ما كتب في القديم والحديث، ذلك أن البحث الجاد هو - بشكل من الأشكال - عمل نقدي انتقائي، لا يستسلم بسهولة لركام الروايات، ولا يغريه أحياناً، التضخم في المادة التاريخية، ومعروف أن السيرة قد عانت الكثير بمرور الزمن، من الإضافات في الخبر التاريخي، بموازاة ما كان يحدث في «الحديث» النبوي، مما هو معروف، ومن ثم فإن أية محاولة لكتابة السيرة - أو إعادة كتابتها بشكل أدق - يتحتم أن تمارس

اختياراً مسئولاً بطبيعة الحال، وليس مجرد هوى عشوائي لخير ما قدمته المصادر القديمة عن السيرة، من روايات موثقة أصيلة، ولأحسن ما طرحته الدراسات الحديثة، من تحليلات ومواقف واستنتاجات، قد تعين على إضاءة أشد تركيزاً لموضوعات السيرة الخصبة المتشابهة، ولكن تبقى «المصادر الأولى الأصيلة» الأساس الذي يقوم عليه البناء، لأن المادة الأولية التي يقام منها الصرح موجودة هناك، ويكفي أن نلقي نظرة على قوائم المصادر التي اعتمدها المؤلف، لكي يتبين لنا أنه لم يترك مصدراً أساسياً إلا ورجع إليه؛ وإن كان اعتماده المحوري كما هو واضح على «سيرة» ابن هشام و «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية، فضلاً عن كتب «الصحاح» (٤).

٣ - أن تحقق تطابقاً مدروساً، بين مفرداتها كافة وبين ما جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة الموثقة، ذلك أن المصدرين الأخيرين يحملان الصدق المطلق في تعاملهما مع الواقعة التاريخية، سواء بالنسبة للمنظور الإسلامي، أو حتى بالنسبة للمنظور المنهجي العام الذي أخذ يدرك أكثر فأكثر مصداقية المعطى التاريخي للقرآن والسنة، وهذا يعني بالمقابل رفض واستبعاد كل ما يتعارض مع هذين المصدرين من مفردات أقحمت على السيرة عبر الزمن، فبعنا أصابها بالتضخم، وأضاف إليها الكثير مما لم يكن فيها ابتداءً، ولهذا السبب يدعو الندوي إلى تجاوز ما يسميه «الأسلوب الموسوعي الحاشد للمعلومات، في غير

نقده»، فإن بعض مؤرخينا القدماء، أسوة ببعض أدبائنا القدماء، كان مغرماً في سياق نزعة موسوعية جماعية، إلى أن يضيف ويحشد ويثوب؛ مؤثراً الحصيلة الكمية على حساب التركيز النوعي، مفتقداً - أحياناً - المنهج النقدي الانتقائي المحص، وهذا المنهج يقتضي أول ما يقتضي الإحالة المنضبطة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فضلاً عن اعتماد معطيات المناهج الحديثة لما يمكن اعتباره إعادة للأموه إلى نصابها الحق، فبعنا يتعلق بنسج السيرة.. ويكفي أن يلقي المرء نظرة على هوامش الكتاب، لكي تتبين له المساحات الواسعة التي اعتمد فيها المؤلف على المعطيات التاريخية عن السيرة، في كتاب الله وأحاديث رسوله عليه الصلاة والسلام.

ومن أجل ألا يتصور أحد - أو يخطر على باله - بأن دعوة الندوي هذه، قد تقود العمل باتجاه الانسياق وراء الاتجاهات الغربية المعاصرة في دراسة السيرة، فإنه يدعو إلى رفض تقليد هذه الاتجاهات أو «الخضوع لكتابات المستشرقين وأقوال المشككين» (٥) وما هنا بصدد النقطة الأخيرة، فإن منهج البحث الغربي، في حقل السيرة بالذات، قد يتعامل بصيغ نقدية حادة ومبالغ فيها، تقود بالضرورة إلى التشكيك في الكثير من أهم وقائع السيرة ومرتكزاتها، خاصة إذا تذكرنا المنظور المادي للرؤية الغربية، أو العلماني على أحسن الأحوال، هذا المنظور الذي يرفض البعد الغيبي في تعامله مع التاريخ، أو يدفعه إلى الظل، الأمر الذي يلحق

الشيخ والمسيرة النبوية

بالمسيرة أذى كبيراً.

أما الموقف (الإسلامي) الأصيل من
السيرة، الموقف المتوحد الذي تتغلغل
في تسيجه مشاعر الاحترام والتقدير،
والإعجاب والمحبة واليقين، والذي يجد
في السيرة تعبيراً متكاملًا عن العقيدة
التي ينتمي إليها، فإنه يجد في
الدراسات الاستشرافية (الخارجية)
عن السيرة تغريباً عن مسلماته،
وخروجاً صريحاً على بنائاته، وما
يمكن اعتباره محاولات متعددة
لإصابة هذه المسلمات والبيدات
بالجروح والكسور، وهي - لحسن
الحظ - لن تفعل فعلها في يقينه، إلا
في حالات معينة، بينما نجدها تدفعه
في أغلب الحالات وأعمقها إلى
الاشمئزاز والنفور، هذا مع أن معالجة

واقعة تمتد جذورها إلى عالم الغيب،
وترتبط أساليبها بالسماء، ويكون فيها
(الوحي) همزة وصل مباشرة بين الله
وسبحانه ورسوله الكريم، ويتربى في
ظلالها المنتمون إلى عبدالله ورسوله؛
ليكونوا تعبيراً حياً عن إيمانهم، وقوة
حسنة للقادمين من بعدهم.. واقعة
كهنه، لا يمكن بحال أن تعامل كما
تعامل الجزيئات والذرات والعناصر
في مختبر للكيمياء، أو كما تعامل
الخطوط والزوايا والمنحنيات،
والمساحات والكتل على تصاميم
المهندسين، ولا حتى كما تعامل الوقائع
التاريخية، التي لا ترتبط بأي بعد ديني
أصيل، إنما هنا بمواجهة تجرية من
نوع خاص، وشبكة من العوامل
والمؤثرات، تند عن حدود مملكة العقل
الخالص، وتستعصي على التحليل
المنطقي الاعتيادي المألوف، ومن ثم
فإن محاولة قسرها على الخضوع
لقدرات العقل الصرف ومعطيات
المنطق المتوارثة لا يقود إلى نتائج
خاطئة حيناً، ولا تستعصي عليه بعض
الظواهر حيناً آخر فحسب، بل إنه قد
يقوم بما يمكن اعتباره جريمة قتل
بشكل من الأشكال، أو محاولة
لتفحص الجسد البشري، كما لو كان
في حالة سكون مطلق؛ بعيباً عن
تأثيرات الروح وتعقيدات الحياة.

«إن الدين، والغيب، والروح، عصب
السيرة وسداها ولحمته، وليس
بمقدور الحس أو العقل أن يدلي بكلمته
فيها إلا بمقدار، وتبقى المساحات
الأكثر عمقاً واستناداً بعيدة عن حدود
عمل الحواس، وتحليلات العقل
والمنطق. إنما ونحن نتعامل مع هذا

المستشرق أو ذاك في حقل السيرة
النبوية، يجب أن نتقيه إلى هذه
المسألة، مهما كان المستشرق ملتزماً
بقواعد البحث التاريخي وأصوله، فإنه
من خلال رؤيته الخارجية، وتغريبه،
وعلمانيته أو ماديته، يمارس نوعاً من
التكسير والتجريح، في كيان السيرة
ونسجتها، فيصدم الحس الديني
ويرطم بالبيدات الشائنة، وهو من
خلال منظوريه العقلي والوضعي
يسعى إلى فصل الروح عن جسد
السيرة، ويعاملها كما لو كانت حقلاً
مادياً للتجارب والاستنتاجات، وإثبات
القدرة على الجدل، وهو في كلتا
الصالتين لا يمكن أن يخدم الموقف
الأسلوبي الجاد، من سيرة رسول الله
ﷺ، أو يحتل موقفاً جاداً منها بوجه
من الوجوه» (٦).

قلم يكن النذوي ميالاً إذن باعتباره
هؤلاء الباحثين «من المشككين» الذين
يتحتم أن تحذرهم، ونحن نسعى
للإفادة من أعمالهم واستنتاجاتهم، في
هذا الموضوع أو ذاك من مواضيع
السيرة، ونحاول - بدلاً من ذلك -
أن ننطلق من منهج إسلامي أصيل،
يضع النبوة والغيب موضعهما الحق.
١ - أن يكون النص - أو الرواية
التاريخية - هو الحكم، هو مادة البناء
الأساسية.. أن يحرر من أية محاولة
لتقييده بحكم مسبق، أو إغراقه
بالتحليل والتحليل، على حساب الواقعة
نفسها.. أن تترك له حرية التعبير عن
نائه، لكي يتلق بها كان فعلاً، لا بما
يراد له أن يكون.. وبما أن النصوص
التاريخية للسيرة على قدر كبير من
الاستيعاب للدقائق والتفاصيل، فيما



لم يتسهيأ بهذا الخصب والغنى لاية سيرة أخرى في تاريخ البشرية، وذلك بفضل الرواقد العديدة، التي قدمت هذه التفاصيل، وغزتها، وحمتها من الضياع في الوقت نفسه (وبخاصة القرآن الكريم، ومجاميع الحديث، وكتب السير والشمال، فضلاً عن كتب المغازي والمدونات التاريخية).. فإن النشاط الحوري في كتابة سيرة رسول الله ﷺ، ومهمته الأساسية تنصب على العرض والتسريب والتركيب، واعتماد منهج سليم في العمل، ولغة مناسبة، قديرة على التوصيل بشروطه المعاصرة.

وبالتالي فإن التأليف في السيرة لا يجنب بالضرورة - وكما يؤكد الندوي - صعوبة وغموض، ولا يقتضى افتراضاً ولا قياساً، كما هو الحال في التراجم الأخرى، حيث تشع المادة، وتتضارب الروايات، وتنتشر الفجوات الزمنية، وتتناقض الشواهد التاريخية، ولعل هذا هو الذي يفسر مايلحظه القاري، في سياق الكتاب من اعتداد متزايد على النصوص (الحرفية)، ذلك أن هذه النصوص إذ تستكمل شرطها الأساسي وهما الوضوح في العرض والغنى في التفاصيل، لا تحتاج في كثير من الأحيان إلى بيان أو إضافة أو تحليل.

ورغم ذلك كله، فإن تقديم صورة مطابقة أمر مستحيل، لاسيما أننا نتعامل هنا مع ظاهرة النبوة، ذات الارتباطات الغيبية المتشابهة، فكل ما كتب، وما سيكتب لا يعدو أن يكون محاولات للمقاربة في نهاية الأمر. ولعل هذه المسألة الأساسية، إلى

جانب عوامل ثانوية أخرى، هي التي جعلت المؤلف يتردد حيناً من الزمن في الكتابة عن الموضوع، لولا أن إلحاح المخلصين، وإلحاح الحاجة إلى مؤلف بالعربية يتعامل مع الأجيال الجديدة، على مستوى المنهج واللغة دون وقوع في سلبات المحاولات المعاصرة، فضلاً عن ترس الندوي في كتابة الترجمة التاريخية، هي التي تغلبت في نهاية الأمر، وجعلت الرجل يقدم على تنفيذ المشروع.

٥ - هناك أيضاً محاولة لتحقيق توازنات بين ثنائيات شتى وبخاصة :

أ - الموضوعية والوجدان الديني.
ب - العلمية والضرورات التربوية.
ج - التوجه بالخطاب إلى المسلم وغير المسلم.

فلا يكفي بالنسبة للمسألة الأولى أن يكون الباحث في السيرة (موضوعياً)، أي أن يتعامل معها من الخارج، بل لابد أن تكون هناك مساهمة على مستوى الذات.. مشاركة وجدانية، تقرب الباحث أكثر فأكثر من صميم حدث تاريخي ليس كالأحداث، وتجعله يتفاعل به ويقدر بالنال طبيعته التكوينية.. نبضه وإيقاعه.. يلمس، قدر ما يستطيع، الخيوط التي نسجتها فيعرف مكوناتها (٧)، وهذا بالنسبة للسيرة بالذات، ليس نقىض الموضوعية، بل هو مع الموضوعية ومن شروطها، فإن النبوة ليست تجربة وضعية لا يتحقق فهمها إلا بالانفصال والمعاينة من بعيد، بالعكس، إن الاندماج، والتأثر، والمعايشة الوجدانية لهي من ضرورات الإدراك والمقاربة، ومن ثم

فإن المؤرخ المسلم، المتسلح طبعا بسلاح المنهج العلمي، أقدر من غير المسلم على خوض غمار التجربة، وتقديم بحث أكثر أصالة وأعمق تعبيراً عن هذه الواقعة التاريخية المتفردة «لنحاول أن نقرب المسألة أكثر، إن العمل المعماري الكبير إذا أقيم على أسس خاطئة فإنه سيفقد شرطين من شروطه الأساسية : التأثير الجمالي الذي يمكنه من أداء وظيفته الوجدانية، والمقومات العلمية التي تمكنه من أداء وظيفته العلمية».

«إن البحث في (السيرة) بوجه خاص ليستلزم أكثر من أية مسألة أخرى في التاريخ البشري هذين الشرطين، اللذين يمكن أن يوفرهما منهج متعاسك سليم، يقوم على أسس علمية موضوعية، لا تخضع لتحزب أو ميل أو هوى، ويملك عناصر جماليته الخاصة، التي تليق بمكانة الرسول المتفردة ﷺ ودوره الخبير في إعادة صياغة العالم، بما يرد إليه الواقع المفقود مع نوايس الكون والحياة. وقد كانت مناهج البحث الغربي (الاستشراقي) في السيرة، تقتصر إلى أحد هذين الشرطين أو كليهما، وكانت النتيجة أبحاثاً تحمل اسم السيرة وتتحدث عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتحلل حقائق الرسالة، ولكنها - يقينا - تحمل وجهاً وملامح وقسمات مستمدة من عجيبة أخرى غير مادة السيرة، وروح أخرى غير روح النبوة، ومواصفات أخرى غير مواصفات الرسالة.

«أن نتائجها تنحرف عن العلم لأنها تصدر عن الهوى، وتفتقد القدرة على

الشيخ والسيرة النبوية

مسامحة عصر الرسالة وشخصية الرسول ﷺ، ونقل تأثيراتها الجمالية بالمستوى العالي نفسه من التحقق التاريخي. لأنها تسعى لأن تخضع حقائق السيرة، لقابيس عصر تنسخ كل ما هو جميل، وتزيّف كل ما هو أصيل، وتميل بالقيم المشعة إلى أن تفقد إشعاعها وترتمي في الظلمة، وقد تؤول إلى البشاعة» (٨).

وتكاد المسألة الثانية التي يسعى الندوي إلى تنقيتها، أن تكون امتداداً للأولى، ولكن المعنى بالتوازن هذه المرة هو القاريء وليس الموضوع، فإلى جانب ضرورة التزام الجانب العلمي بالبحث في السيرة، فإنّ هناك ضرورة لا تقل أهمية، هي الضرورة التربوية، أن نقدم السيرة بصيغة

عمل ذي رسالة تربوية، تلك قدرتها على التأثير في القاريء وكهرته بتيار الرسالة القادم من السماء (٩) وها هنا يمكن أن يكون اعتماد منهج حيوي مؤثر بجانب الجصود والجفاف، ويتشكل بالمؤثرات التي مرت بنا عبر الفقرات السابقة مسألة ضرورية لتحقيق الهدف، وها هنا أيضاً يرفض الندوي ما يسميه «بالتجميل الخارجي أو التزيين الصناعي» لأن هذا في نهاية الأمر نقض للجمال الباطني والقوة التأثير وصدقه.

يبقى التوازن الثالث، وهو التوجه بالخطاب إلى المسلم وغير المسلم، هي مسألة محسومة بمجرد أن نتذكر إلحاح الندوي على اعتماد مناهج البحث الحديث وأدوات التوصليل المعاصرة.. فإنّ هذا بخذ ذاته يعقد جسراً بين مفردات السيرة وبين القاريء الحديث، مسلماً كان أم غير مسلم. ولعل اختيار كتابه هذا لكي يترجم إلى الإنكليزية وعدد آخر من اللغات الحية، إنما كان اقتناعاً بقدرته على التواصل مع غير المسلمين (١٠).

٦ - يرى الندوي ضرورة تسليط الضوء على البيئة التي ظهر فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتشكلت سيرته على أرضيتها. البيئة يبعدها التاريخي والجغرافي، وبامتدادها المحلي والعام (ويمكن أن تكون الضرائط الدقيقة التي أرفقت بالكتاب امتداداً لهذه الضرورة).

ويكاد يكون مؤلف الندوي، من بين قلة من المؤلفات الحديثة التي تناولت السيرة، من أولى اهتماماً ملحوظاً بهذه المسألة، وخصص لها مساحات

واسعة في كتابه (١١).

وبرغم أن معطيات السيرة في المنظور الإسلامي، تتجاوز في نهاية الأمر حدود الزمن المرحلي والمكان للحدود، باتجاه كل زمن وكل مكان، وبرغم أنها، في هذا المنظور نفسه تشكلت في جانبها الخاص بظاهرة النبوة، بعلم الله اللدني الشامل، الذي يعلو على سببيات الجغرافيا ومتغيرات الحركة التاريخية، فإنها - أي السيرة - وفي المنظور الإسلامي كذلك، أبنية بيئتها، وليدة زمنها وجغرافيتها، إذ لا يمكن فصل تسيجها عن ارتباطه المتشابك بالبيئة، بل إننا لو تابعنا مفردات السيرة واحدة واحدة، لرأيناها لا تكاد تتحول إلى (العام) إلا بعد اجتيازها (الخاص) وتعاملها معه. وسنكون غير علميين بالمرّة، لو أننا أغفلنا هذا الارتباط، بحجة عالمية الرسالة وديمومتها، وعدم تقييدها بالنسبي أو للحدود، وسنقع كذلك في المظنة التي أسرت الفكر الغربي، وهي النظرة أحادية الجانب، تلك التي تتشجع على مساحة محدودة من الظاهرة، وتتشبث بها دون أن تقلبها على وجوها لمتابعة الجوانب الأخرى. وها هنا يصند السيرة، فإننا يجب أن نولي اهتماماً للوجهين معاً: العام والخاص، المطلق والبيئي، لأن إغفال الجانب الأول سيقدونا إلى العلمانية، وربما إلى الرؤية المادية، ولأن إغفال الجانب الثاني سيجرنا إلى المثالية، بمفهومها التجريدي المنفصل عن الواقع والأرضية.

وإننا بمجرد أن نلقي نظرة سريعة على أسباب النزول في القرآن الكريم،



قلسوف نرى بأم أعيننا كيف أن كثيراً من التعاليم والقيم القرآنية، تخلّقت من تفاصيل بيئية صرفة.. من حدث تاريخي عابر، أو تحد جغرافي محدود.. من تجربة هذا الرجل أو ذاك، ومن مصنة هذه الجماعة أو تلك.. من سؤال أو اقتراح، قد يتقدم به هذا الصحابي أو ذاك، فيما يعيشونه يوماً بيوم وخطوة بخطوة.. لكن هذه التعاليم والقيم لم تأسرهما مواضع البيئة وسببائها، ولا أريد لها أن تكون كذلك، إذ أنها سرعان ما تجاوزت ظروف تشكلها الخاصة صوب العام.. صوب المطلق، بعيداً عن متغيرات الجغرافيا والتاريخ، لكي تتعامل مع الإنسان في كل زمن ومكان.

ولقد شاء علم الله الذي هو سبحانه أعلم بمن خلق ألا يصوغ القيم والتعاليم في كتابه الكريم، وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، في الفراغ أو من الفراغ، إنما جعلها سبحانه تتشكل في البيئة، في الجغرافيا والتاريخ، ويتبادل واقعي منظور بين الطرفين: لكي تكون أشد حضوراً وأعمق تأثيراً. وذلك مذهب خطير من مذاهب التربية العقدية عبر التاريخ، ونحن نعرف - على سبيل المثال فحسب - لماذا لم تنتزل المقاطع القرآنية الخاصة بمعركة أحد المقاطع المترة بالقيم والتعاليم، إلا بعد هزيمة أحد مباشرة، وليس بعيداً عنها أو بدونها.. وقل مثل ذلك عن حشود كثيفة أخرى من مفردات السيرة.

إذن فإن سعي الندوي لإضاءة البيئة التي تشكلت فيها هذه المفردات،

وتأكيد على تأثيراتها المشابكة في الحدث النبوي، أمر بالغ الأهمية، وهو يشكل في الواقع واحدة من أهم الإضافات التي تقدمها دراسته إلى حقل السيرة، بل واحدة من أهم مبررات إخراجها إلى الوجود.

■ هوامش ■

(١) طبع الكتاب سبع طبعات، كانت أولها في القاهرة عام ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م وثانيها في بيروت عام ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م، وقد صدرت بمناسبة انعقاد المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية في محرم عام ١٤٠٠ هـ - تشرين الثاني ١٩٧٩م وعني بطبعها ومراجعتها الأستاذ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري رحمه الله، مدير الشؤون الدينية في الدوحة - قطر. ثم تواتت بعدها الطبعة، حتى كان آخرها - وما وصل إلى الطبعة السابعة، المزيدة والمنقحة، التي أصدرتها دار الشروق في جدة عام ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م وهي الطبعة التي ستعتمد في هذا البحث، الذي كتب في الأساس ليكون مقدمة للبيئة التي نليناها، وفق رغبة الشيخ الندوي التي نقلها إلى مدير دار الشروق في جدة قبل عدة سنوات. ولكن ظروفًا فنية - على الأرجح - حالت دون ذلك.

(٢) المكتبة العلمية - المدينة المنورة - ١٣٨٥ هـ.

(٣) انظر بشكل خاص (الطريق إلى المدينة) والفصول الأولى من كتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) ورسالة (دراسة للسيرة النبوية من خلال الأدعية الماثورة المروية) التي نشرها المختار الإسلامي مترجمة إلى العربية وكذلك كتاب (النبى الخاتم)، وهو على ما يبدو مجموعة مقالات صدرت عن المجمع الإسلامي العلمي في الهند، بالعربية والإنكليزية عام ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م.

(٤) وانظر على سبيل المثال ص ٩٩ - ١٠٠ لمطبعة حديثه عن ميلاد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بون تحصيله بالمعجزات التي تضمنت بمرور الوقت، بونما توثيق تاريخي كان. وكذلك الصفحات ١٠٣ - ١٠٥ لمطبعة نقد وتفنيد رواية لقاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) أيام رحلته الأولى إلى الشام بالراهب النصراني بحيرى.

لكن هذا لا يعني - بداهة - رفض المؤلف لكل الروايات التي تتجاوز المؤلف، وتستمد مفرداتها من عالم الغيب (انظر مثلاً حادثة شق الصدر صفحة ١٠٢).

(٥) انظر على سبيل المثال الصفحات ١٠٥ - ١٠٨ لمطبعة إحدى محاولاته النقدية للمعطيات الاستشرافية.

(٦) المستشرقون والسيرة النبوية: بحث مقارنة في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتغمري وات، لكاتب السطور جزء ١ ص ١١٦ - ١١٧ من مجلد (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية) الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج، في إطار الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري (الرياض ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م).

(٧) انظر على سبيل المثال الصفحات ١٦٨، ٢٥٠ - ٢٥٢، ٣٢٧، ٣٢٨، ٤١٦ - ٤١٧، ٤٥١ لمطبعة بعض نماذج هذا النمط من التوازن.

(٨) المستشرقون والسيرة النبوية لكاتب المقدمة جزء ١ ص ١١٧.

(٩) انظر على سبيل المثال الصفحات ١٤٩ - ١٥٠، ٢٢١، ٢٢٢ - ٢٤١، ٢٤٢، ٣٨٥ لمطبعة بعض نماذج هذا النمط من التوازن. وانظر كذلك صفحة ٦ من تقديم الطبعة السابعة، المزيدة والمنقحة للكتاب.

(١٠) وانظر الصفحات ٢٢٣ - ٢٦٤، ٣١٧، ٣٧٣ - ٣٨٣، ٤١١ - ٤١٥، وانظر بشكل خاص الحاضرة التي اختتم بها الكتاب بعنوان (فضل البعثة المعنوية على الإنسانية ومنها العالمية الخالدة) ص ٤٥٣ - ٤٨٦، والتي سبق أن قلنا في ربيع عام ١٩٧٥ بمدينة لاهور بالهند، وحضرها جم غفير من المسلمين وغير المسلمين، للاطلاع على تفصيل الندوي لهذه المسألة في كتابه.

(١١) انظر الصفحات ٢٣ - ٩٨ حيث يفرش المؤلف تحليله للبيئة الجاهلية لدى ظهور الإسلام عبر حلقاتها الثلاث: العالم، الجزيرة العربية، ثم مكة. على هذا لدى الواسع من الكتاب، وانظر - كذلك - الصفحات ١٥٤ - ١٥٨، ١٧١ - ١٩١ للاطلاع على طبيعة تحليله للبيئة المدنية (في يثرب)، ولا ينسى المؤلف أن يعرف القاريء باللوك والحكام الذين كتب إليهم رسول (صلى الله عليه وسلم) رسائله العرفية، يدعوهم فيها إلى الإسلام (انظر الصفحات ٢٩٠ - ٢٩٩).

■ ■ ■

جهود أبي الحسن في خدمة الأدب الإسلامي

تتوزع عطاءات الشيخ أبي الحسن الندوي في ميدان الأدب الإسلامي في قسمين كبيرين هما قسم عملي، وقسم إبداعي.

■ أولاً العمل العملي

فإنما القسم العلمي فهو الجهود التي كان يقوم بها في سبيل إظهار قضية الأدب الإسلامي، ونشرها، والارتقاء بها إلى مصاف العالمية، وتتضمن هذه الجهود مؤتمرات الأدب الإسلامي، التي كان يعقدها أو يوجه لعقدها، أو يحضرها، والندوات والمحاضرات والمقابلات الصحفية التي كان يعرض فيها قضية الأدب الإسلامي وجهوده في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورأسته لها مدة خمسة عشر عاماً. وقد كان للشيخ أبي الحسن دور الريادة في عقد مؤتمرات الأدب الإسلامي، وكان لهذه المؤتمرات أثر كبير في نشر قضية الأدب الإسلامي وتطويرها، وفيما أعلم فإن أول مؤتمر دولي للأدب الإسلامي عقد بدعوته وتحت رعايته، وكان عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨١م في ندوة العلماء بمدينة «لكهنؤ» بالهند، وهي الهيئة الإسلامية المنتشرة في الهند وباكستان وبنغلاديش وبلاد أخرى، وقد تمكن بفضل صلاته ومكانته الكبيرة أن يجمع في هذا المؤتمر وقوداً ومندوبين من مصر والسعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة وقطر وسورية والأردن والمغرب العربي يمثلون جامعات وهيئات ثقافية فيها، وكان لي شرف حضوره - وبحث فيه المحاور الأساسية لتنظيم الأدب الإسلامي، وصدرت توصيات للجامعات العربية والإسلامية لتدريس هذا الأدب (وكانت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض قد سبقته إلى تدريس مادة منهج الأدب الإسلامي) ودعاه

■ يهب الله الناس قدرات متميزة، كالحس المرهف والبيان العالي، والشخصية النافذة، وغير ذلك من المواهب، يصبحون بها أصحاب عطاءات لاتتأتى لغيرهم، وعندما يوفق أحد هؤلاء الموهوبين إلى توظيف قدراته في الدعوة إلى الله وهداية الآخرين، فسوف يكسب المجتمع داعية مبدعاً، وبليغاً متفوقاً، ورجلاً تتفتح له القلوب، وتركن إليه النفوس.

والشيخ أبو الحسن الندوي واحد من هؤلاء، اجتمعت فيه قدرات كثيرة متنوعة، فكرية وأدبية ودعوية، أعطى من خلالها لأكثر من نصف قرن في ميادين الدعوة والفكر والأدب الإسلامي، وسوف أعرض باختصار في الفقرات التالية لعطاءه في ميدان واحد منها هو ميدان الأدب الإسلامي.



بشفي السبل، والإسهام في تنظيره.

وقد شجع هذا المؤتمر جهات أخرى على عقد مؤتمرات وندوات ولقاءات دولية وإقليمية، فعقد في السنة التالية (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) الحوار حول الأدب الإسلامي وقضاياها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وعقدت عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م الندوة العالمية للأدب الإسلامي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وتوالت بعدها مؤتمرات وندوات في مصر والمغرب العربي والأردن وباكستان وبنغلاديش وتركيا وبريطانيا، وكان الشيخ الندوي يحرص على حضورها رغم تكلفه من المشقة وعناء السفر، كما كان يحرص على عقد مؤتمر أو ندوة دولية أو إقليمية مرة على الأقل في كل سنة في إحدى مدن الهند، وكان لحضوره زخم كبير يستقطب المشاركين والمتجهمين في تقديم البحوث والاستماع إلى المناقشات، وقد أحصيت من خلال مانتشر في مجلة «البعث الإسلامي» اثنين وعشرين مؤتمرا وندوة كان فيها راعيا ومشاركا رئيسيا.

ويتصل بمحور المؤتمرات والندوات الخطب والمحاضرات واللقاءات مع الأفراد والجموعات والإعلاميين، الذين يسعون إليه في تلك المناسبات، وكان يركز فيها دائما على قيمة الأدب بعامة، وقدراته الكبيرة في التأثير في الأفراد والمجتمعات، والحاجة الملحة للأدب الإسلامي في عصرنا الحاضر بخاصة، لمواجهة تيارات الهدم وعناير التغريب والإلحاد الأدبية، وإشباع الحاجة الفطرية إلى الجمال البياني، وضرورة تعزيز الارتباط بين الأدب والدعوة إلى الله، ووظيفة الأدب في البناء والإصلاح، ويركز على التربية الذوقية التي يقدمها الأدب الإسلامي، وأثرها الإيجابي الكبير في بناء شخصية المسلم، وصلتها الوثيقة بالبلاغة القرآنية والبيان النبوي، وهذه القضايا محاور أساسية في الأدب الإسلامي.

ومن جهوده العملية في خدمة الأدب الإسلامي احتضانه ورعايته المتميزة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، ففي أواخر العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري كانت مجموعة من المهتمين بالأدب الإسلامي تبحث في إنشاء تجمع للأدباء الإسلاميين لتعزيز موقفهم في الساحة الثقافية، وفتح منافذ

لنشر إنتاجهم، الذي كانوا يجدون صعوبة في نشره، فقد كان أصحاب الاتجاه اليساري مسيطرين على قسم كبير من منافذ النشر في العالم العربي، وخاصة المجالات والملاحق والصفحات الأدبية في الدوريات العربية، ولاسيما التي تملكها أو تسيطر عليها الحكومات، وكان البحث يركز على ضرورة قيام تواصل وتناصر بين الأدباء الإسلاميين على البعد، وفي لقاء ضم عددا من الأساتذة الجامعيين المتخصصين في الأدب والنقد احتفاء بالدكتور عماد الدين خليل ولدت فكرة الهيئة التأسيسية لرابطة الأدب الإسلامي، التي بدأت بمراسلة الأدباء والنقاد وأساتذة الأدب والنقد، وبعض المفكرين الإسلاميين، وطرح فكرة تأسيس رابطة للأدب الإسلامي، واقتراح أهدافها وأساليب عملها، ولقيت هذه المقترحات ترحيبا شديدا، وأرسل بعض المتخصصين لها مقترحات نيرة، وكتب بعضهم عن تجارب ومحاولات بدأوا بها قبل سنوات ثم حالت الظروف دون تنفيذها. وعلى مدى خمس سنوات نضجت فكرة تأسيس الرابطة لدى أعضاء الهيئة التأسيسية، ووضعت الملامح الرئيسية لنظامها الأساسي، وصيغت بعض فقراته. وبدأ البحث الجاد عن شخصية متميزة تتولى رئاسة الرابطة، ومقر لمكتبها الرئيسي يمنحها الصفة القانونية، ويعترف بشخصيتها الاعتبارية كاملة كما يريد المؤسسون، ويمنحها حرية العمل دون تدخل في شئونها، وكان هاجس (التخوف من مصطلح (الإسلامية) يقلق المؤسسين، فالتطرف الذي انزلق إليه بعضهم، والآثار السلبية لبعض الأعمال المسلحة التي ظهرت في أكثر من مكان في العالم العربي، وعوامل أخرى مرتبطة بها، جعلت المؤسسين يفتشون يحرص شديد عن الشخصية التي تتجاوز تلك التخوفات.

وتجذب الثقة بالرابطة وأهدافها، وكانت شخصية أبي الحسن التي تتجاوز تلك التخوفات، وتجذب الثقة بالرابطة وأهدافها، وكانت شخصية أبي الحسن الندوي القطب الذي أجمع المؤسسون،



بقلم الدكتور

عبد الباسط بدر

وقته وجهوده الشيء الكثير في إدارة الرابطة، وحضر جميع مؤتمراتها ومجالس أمنائها في أماكن شتى: السعودية والأردن وتركيا والمغرب العربي وبريطانيا، رغم آلام المرض ومتاعب الشيخوخة، وكان لتوجيهاته الحكيمة الفضل الكبير في نمو الرابطة وتطورها وتجاوزها لكثير من المعوقات الداخلية والخارجية، والتي كاد بعضها يعصف بها غير مرة، ولولا فضل الله سبحانه ثم حكمة الشيخ وصبره وتدخله لاستيعاب المشكلات الطارئة وحلها لكانت الرابطة واحدة من التجارب الإسلامية القصيرة والمريرة في عصرنا الحاضر.

■ خاتمة القسم الإبداعي:

وأما القسم الإبداعي فيبدو في عطاء الشيخ أبي الحسن الندوي في جوانب عدة من الأدب الإسلامي، تتجاوز التوقعات التي يحدسها المرء في داعية فقيه، فقد قدم أعمالاً أدبية إسلامية في الدراسات الأدبية والنقدية، وفي أدب الرحلات، وفي أدب التراجم والسير، وفي قصص الأطفال، وهذه ميادين إبداعية تكشف عن موهبة أدبية غنية متعددة الجوانب.

فمن الدراسات الأدبية والنقدية التي نشرها كتاب (روائع إقبال) درس فيه آفاق الإبداع عند الشاعر الإسلامي الكبير محمد إقبال، وحلل خصوصاً رائعة ترجمها بنفسه من دواوينه الفارسية والأردية، وطوف في الأساق الفكرية والشعورية التي كانت ثلماً لإقبال ومشاعره، وعوامل القوة والاستمرار فيها، وأسباب تفوقها على النماذج البشرية الأخرى، كما وقف على الأبعاد الفلسفية العميقة في تصور إقبال لتوظيف الإنسان المسلم في الحياة، والريادة التي وضعته فيها عقيدته، ووشيقة الدعوة، والهداية التي تشع عطاء حنوناً للبشرية.

ومن الدراسات الأدبية التي قدمها الشيخ أبو الحسن (الحضارة الغربية في شعر أكبر حسين الإله أبادي) اهتم فيها بدراسة مضمون قصائد هذا الشاعر الهندي الكبير الذي لا يقل في شهرته، داخل الهند، وفي إسلاميته عن إقبال، وركز في دراسته على رؤية الشاعر للحضارة الغربية في وقت كانت هي الغالبة، وكان معظم الشرق المسلم ضعيفاً

وكل من استشيروا عليه، فهي شخصية تمتلك صفات فريدة، كانتها مفصلة تفصيلاً لهذه الرابطة، تمثل كل ما يجعل اسمها من (إسلامية) و(أدبية) و(عالمية)، لأبوالحسن مفكر إسلامي، عرف بتميز فكره منذ كتابه المبكر (ماذا خسر العالم بانتحاط المسلمين)، وهو ذو موهبة أدبية تشهد بتألقها كتابته عن محمد إقبال ومختاراته من الأدب العربي، ثم إن المزيج الذي يجعله في عروقه من الأصول العربية والهندية، وانتشاره الواسع في العالم الإسلامي أين مظهر لتجاوزه حدود المحلية إلى العالمية.

ونفاية عن الهيئة التأسيسية سعي اثنان من أعضائها إلى الشيخ أبي الحسن الندوي عندما جاء إلى مكة لحضور مؤتمر رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٠٤ هـ وعرضاً عليه هموم التأسيس والحاجة إلى من يتولى المسؤولية واجتماع الرأي عليه، فقبل دون تردد، وتكفل بإنجاز الإجراءات القانونية لتسجيل الرابطة وإنشاء مكتبها الرئيسي في الهند، ولم تسف مدة طويلة حتى جاء البشير بتحقيق الآمال التي طالما تطلع إليها الكثيرون، وولادة الشخصية القانونية الدولية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية.

وبعد شهر قليلة، عام ١٤٠٥ هـ وفي جو عاطفي نادر كان المؤتمر الأول للرابطة يعقد في إحدى قاعات ندوة العلماء بمدينة «لكهنؤ» بالهند برئاسة الشيخ أبي الحسن الندوي، وبحضره أعضاء مؤسسون من معظم الدول العربية والهند، ليضع الصيغة المعتمدة لنظام الرابطة ومكائنها الإقليمية، ويختار أعضاء مجلس أمنائها، وكان للشيخ أبي الحسن الفضل الكبير في تحول الحلم إلى حقيقة قائمة. وعلى امتداد خمسة عشر عاماً بذل الشيخ أبو الحسن من



عطاءات الشيخ في جوانب عدة من

مقهورا، لكن الشاعر لم تبهزه القوة والسطوة، واستطاع أن ينفذ إلى أعماقها، ويرى الجوانب السلبية البشعة فيها، ففوتها ظلم، ووسطوتها تسلط، والإنسان داخلها في ثبة كبير، لأنه قطع أوتار قلبه الروحية، وأصم أذنيه عن صوت السماء، وعن كتابات الندوي المهمة في الأدب الإسلامي كتأنيده (نقولات في الأدب) الذي أشرت إليه قبل قليل، فهذا الكتاب عرض نقدي، ودراسة نظيرية، لفهومات أدبية كبرى، يقرر مقاييس أساسية لفهوم العمل الأدبي، ويؤصل قواعد للأدب الإسلامي، ويبين طبيعته، وعناصره المعيزة له عن الأدب الأخرى، ويحدد وظائفه، وأهدافه، والقيم المضمونية والشكلية فيه، وهذه هي الموضوعات الرئيسية التي يتجادل فيها دعاة الأدب الإسلامي وخصومه. وهي التي تفصل في وجوده وغيبته.

لم يعرض الشيخ الندوي موضوعاته تلك في عناوين مباشرة كالتى ذكرتها، لكنه قدمها ضمن نصوص واضحة صريحة، يستخرج منها القارئ تلك العناوين، فمثلا يتحدث عن الأدب فيبين له مفهوما متميزا نستشف منه أفاق تصوره له، يقول ص ٢٥: (الأدب في أوسع معانيه تعبير عن الحياة وعن الشعور والوجدان في أسلوب مفهم ومؤثر) ويرفض أن يكون النص الأدبي مقصورا على ما يقدمه المحترفون ومن اشتهر بصناعة الأدب، ويلفت الأنظار إلى ما يسميه (الأدب الطبيعي) حيث النص الذي أبدعه صاحبه في سياق موضوعات تاريخية أو إخبارية، أو في الترجمة الذاتية والغيرية... الخ، وسكب فيه تجربته الوجدانية ومشاعره الصادقة، ويستشهد على ذلك بنصوص من الحديث الشريف والتاريخ والتراجم، كحديث السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها عن حادثة الإفك، وحديث كعب بن مالك عن تخلفه مع صاحبيه عن غزوة تبوك، ومعاناته إلى أن نزلت آيات التوبة عنهم، وبين أن في هذه النصوص من القيم الأدبية والفنية والشعورية ما يفوق بكثير مما تتضمنه كثير من القصائد والكتابات الأدبية الأخرى. ولاشك أن هذه الرؤية الواسعة للعمل الأدبي تربطه بعنصريه الأساسيين: التجربة الصادقة، والفنية العالية.

ويعرض في سياق تصويري وظيفة الأدب فيقول ص ١٠٥

(إننى أتصور الأدب كائنا حيا له قلب حنون، وله ضمير واع، وله نفس مرهفة الحس، له عقيدة حازمة، وله هدف معين، يتألم بما يسبب الألم، ويفرح بما يثير السرور، فإذا لم يكن الأدب كذلك فإنه أدب خشيب جامد، أدب ميت خاسد، أشبه بالحركات البهلوانية والرياضات الجيمنازية... إن الأدب من أكبر الوسائل للوصول إلى الأهداف النبيلة...) ويستشهد بأبيات للشاعر محمد إقبال ترجمها من الفارسية يقول فيها: (لا بارك الله في نسيم السحر إذا لم تستلذ منه الحقيقة إلا الخمول والذبول، إن غاية الإحسان في فن من الفنون لوعة الحياة الدائمة، ولا خير في سحر وشعر إذا تجرد من تأثير عصا موسى...).

ومن المبادئ التي كتب الشيخ الندوي وتعمق فيها السيرة الذاتية، وهذا اللون من الأدب إبداع يقدم فيه صاحبه تجربته المتميزة للآخرين ليقلعوا على تعامل صاحبها مع الأحداث، ويروا العثرات التي مر بها، والنتائج التي حققها، فهي إبداع هادف وممتع في أن واحد، ينقل مع تجربة صاحبها تصورات وفكره، وقد كتب الشيخ الندوي تجربته الطويلة والغنية في كتاب (مسيرة حياة) في خمسة مجلدات، كان فيها شاهدا على أحداث عصره، وما عانت منه الأمة الإسلامية في بقاع شتى، لذلك نجد في هذه السيرة نماذج لعائلات وأفراد عانوا آلام عصر الهيوط، ونجد مواجهات قوية لأزمات الفقر والجهل والمرض والخوف والاستعمار، ونجد النجاح والإخفاق، ونجد النماذج البشرية العالية والهائلة، ونجد بُعد الرؤية وقوة الأحداث، ونستمع بسلاسة العبارة وعذوبة الأسلوب.

ويشكل أدب الرحلات جانباً مهماً من إبداع الشيخ أبي الحسن الندوي، ولعله صدق للأسفار الكثيرة التي قام بها في أنحاء الشرق والغرب، فقد طوف الشيخ الندوي في العالمين العربي والإسلامي وفي أوربا، وكانت عينه وبصيرته تتقاسمان المشاهد التي يمر بها، كما كانت مقاييسه الإنسانية تحاكم وتحكم على كل ما يقف عليه، وكان قلمه يسجل ما تجتمع عليه ملكاته الثلاثة تلك، فجاءت كتبه (مذكرات سائح في الشرق) و(من نهر كابل إلى نهر اليرموك) و(الطريق إلى المدينة) و(في المغرب الأقصى) تعرض مشاهداته وتاملاته

ب الإسلامى.. تجاوزت التوقعات التي يحدها المرء في داعية فقيه.

العميقة وترسم صوراً صادقة للمجتمعات العربية والإسلامية التي مر بها في ذلك الوقت. وترصد القيم الإيجابية والعناصر السلبية فيها، وتستشرف آفاق المستقبل لتلك الإيجابيات والسلبيات بغراسة المؤمن، وتحذر يغيرة المشفق من سوء العواقب، وقد صدقت فراسته، وناقت بعض البلاد العربية والإسلامية مرارة ما تخوف منه.

وقد أضاف الشيخ أبو الحسن الندوي إلى : كتاباته في أدب الرحلات تنظيراً وتأصيلاً لقواعد مهمة فيه، فكتب فصلاً إضافياً عنه في كتابه (نظرات في الأدب) قرر فيه القواعد التي ينبغي أن تتوافر في هذا الأدب وكتابته ليكونا مفيدين للبشرية، منها ضرورة أن يستمتع الكاتب بالنظرة الشمولية للمجتمع الذي يكتب عنه، ولا يحتس في جزئيات تحيط به في وقت أو مكان ما ويصدر الأحكام التعميمية الخاطئة، ومنها ضرورة التسجيل المباشر للحدث الذي يصادفه كي لا يدخل عليه أثر الزمن بعد ذلك نسياناً أو تغييراً، ومنها ألا ينحى الكاتب ذاته وأحكامه عما يكتب، وهذا خلاف ما يذهب إليه معظم المنظرين في الغرب، وحجة الشيخ الندوي في ذلك أن كاتب أدب الرحلات إذا اقتصر على تسجيل ما يراه ونحى مشاعره وعقيدته وفكره، تحول إلى مجرد آلة تصوير باردة، وصار ما يكتبه وصفاً إخبارياً لأحياء فيه.

ولعل آخر ما يخطر على بال من يدرس نتائج مفكر فقيه داعية أن يجد له إسهاماً في أدب الأطفال، لكن الشيخ الذي كان يحمل هم الدعوة وهموم المسلمين حينما كانوا وجد في هذا الميدان ما غفل عنه الكثيرون قبل نصف قرن، فالطفل هو البنية الواعدة ورجل المستقبل والعناية به تأسيس للرجل الصالح، والقصة بما تملكه من مشوقات ومؤثرات وسيلة

تحفر في نفوس الأطفال أخاديد لا تروم. وقد لحظ الشيخ أبو الحسن ذلك وأدرك خطورة هذا المنبر في إهماله وفي استخدامه، ويحث عن النصوص القصصية المناسبة فلم يجد الكثير، وأراد أن يدعو الأدباء الإسلاميين إلى ملء الفراغ قبل أن يملأه غيرهم، فجعل دعوته نظرية وتطبيقية، واختار من حياة الأنبياء والرسل مواقف وأحداثاً مهمة وأخرجها في مجموعة قصصية سماها (قصص الأنبياء) وصاغها بأسلوب عذب مبسط يناسب الطفل في مرحلة تفتح الوعي التي تلامس مرحلة الفتوة، وهي أخطر مرحلة في حياة الطفل، تتأسس فيها مفهوماته، وتتجذر فيه.

وقد نبه الشيخ الندوي في مقدمة المجموعة إلى أهمية هذا اللون من الأدب، وأثره في تنشئة الأجيال، والشروط التي ينبغي أن تتوافر فيه ليكون ناجحاً يتغلغل إلى أعماق الناشئة، ويزرع فيهم القيم الفاضلة.

■ ■ ■ وبعد..

لهذا تطواف سريع بصمود الشيخ أبي الحسن الندوي في خدمة الأدب الإسلامي، في جانبيه العلمي والإبداعي، أردت أن ألفت نظر الباحثين فيه إلى هذا الموضوع المهم والقيم، والذي يمكن أن يكون رسالة جامعية معمقة، أو كتاباً منهجياً كبيراً، فما ذكرته هنا أشبه ما يكون بعناوين تتدرج تحتها تفصيلات وتحليلات واستنتاجات كثيرة، وأحسب أنه من حق الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله رحمة واسعة علينا وعلى دعاة الأدب الإسلامي ودراسيه أن نعكف على هذا الفصل المهم من تاريخ الأدب الإسلامي ومراحل تطوره، فالشيخ الندوي بعطاءاته الواسعة والمتميزة قسم من هذا التاريخ ومرحلة عظيمة التطور، كثيرة التفسيرات، غنية الأحداث لا يصح أن تغيب عن سجل العطاء والتضحية والإبداع. ليس في تاريخ الأدب الإسلامي وحده، بل في تاريخ الأدب الإنساني كله.



ملاح قصة الأطفال الموجهة

في مجموعة «قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال»
لأبي الحسن الندوي

■ ■ ■ مدخل

القصة جنس أدبي يحقق إثراء الفكر وإمتاع الوجدان، وهي من أجل ذلك وسيلة لتحقيق كثير من الغايات التي اختلفت باختلاف المذاهب الأدبية، وربما كانت الواقعية بتوجهاتها الاجتماعية أكثر المذاهب توظيفاً لها؛ في التعبير عن قضايا الفرد والمجتمع، والتبشير بالتغيير نحو الأفضل والأصلح، من هنا فقد اصطبغت القصة الواقعية بكثير من ملامح الواقع؛ واعتمدت على البيئة (١) في تشكيل بنيتها، ودقة رسم الشخصيات فيها، والكشف عن السلبيات، والإرهاص بتغييرها، وتوظيف لغة الحياة، وربما كان التزام الحياد الدرامي في الراوي المتكلم، من أهم السمات في القصة، لدرجة جعلت بعض النقاد يصفون هذا الموقف بالجمود المطلق وخلوه من الشاعر (٢).

وبرغم أن هذا المبدأ يكاد أن يكون ملمحاً مميزاً للقصة اليوم، لكن المعالجة الغنية للتاريخ في القصص يمكن أن تتجاوز هذا الحياد الدرامي، خاصة في قصص الأطفال الموجهة، دون أن تستغرق المباشرة القصة.

حقاً إن التجرد والحيدة يدعمان البناء الفني؛ ومن هنا كانت صعوبة قصة الأطفال الموجهة، في وقوفها على الخط الفاصل بين الحيدة والمباشرة، وعند هذا الخط تتعدد وسائل التوجيه، كما سوف يتضح في مجموعة «قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال»، لشيخنا أبي الحسن الندوي.

وأعني بالتوجيه هنا توظيف الكاتب للوسائل التعبيرية في الشرح والتفسير، مع المحافظة على الشكل القصصي، وتحقيق غاياته الفنية والفكرية الإسلامية، وذلك يتصل بالرؤية والأداة الكاشفة عنها، وما بينهما من ارتباط عضوي (٣)، وسوف أشير إن شاء الله خلال معالجاتي لهذه المجموعة القصصية، إلى بعض هذه الوسائل التعبيرية، التي تشكل خاصية التوجيه، وإسهامها في بناء هذه القصص، وتجليها كملح مميز لها في طريقة الكاتب في التأليف والإبداع.



بِقلم الدكتور:

سعد أبو الرضا

■ العمازل الموقنة

ولقد كتب الشيخ أبو الحسن الندوي للكبار، وللناشئة، كما كتب للأطفال، وعن أهم ماكتبه في هذا المجال مجموعة «قصص النبيين للأطفال»، ثم «قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال»، معتمداً على كثير من المصادر القرائية في التاريخ الإسلامي وغيره منها: سيرة ابن هشام، وزاد المعاد، لابن القيم، ومسحح البخاري، والكامل في التاريخ لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير، وغيرها، كما استفاد من بعض المصادر الأجنبية مثل كتاب «جنتيخ خان» لتهيرلد ليب، وكتاب «الدعوة إلى الإسلام» لتوماس آرنولد.

وإذا كان الشيخ قد ظهرت لديه موهبة الخطابة، فقد نمت وتجلت بفضل اتصاله بشيخه محمود إلياس، الذي تلقى به في بلهي، وقد أعجب الشيخ أبو الحسن به خاصة في توجيهه للجماهير، وارتحاله إليهم، وحسن استقبالهم لخطبه، وتأثيره العظيم فيهم (١)، بفضل طويقه في الدعوة إلى الله، وعرضه للأدلة، وبسطها وسلامتها ترتيبها، وتقديمه لما به تصلح أحوال المسلمين وتطور، من هنا فقد أصبح الشيخ أبو الحسن خطيباً داعية، أو داعية خطيباً، ولقد شكل هذا التوجه معالجته لقصص التاريخ الإسلامي، إذ يغلب على هذه القصص أسلوب الخطيب الداعية، وهو مما يجلي فكرة القصة الموجهة لديه، كما سوف يتضح.

■ ملازم التوجيه الحضاري والعلمي

ففي قصته «رسالة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم» (٢) يستثمر الشيخ عاروي من أن رجلاً جاء «يوم

البرموك إلى أبي عبيدة رضي الله عنه — قائد المسلحين — فقال: إنني قد تهيأت لأمر (أي الشهادة)، فهل لك من حاجة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال أبو عبيدة: نعم! تقره علي السلام، وتقول: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً» (٣).

من ثم يتشكل الحدث في هذه القصة معتمداً على هذا الخبر، لتجسيد عنصر الحكاية بمعنييه اللغوي والفني (٤)، اللغوي على معنى النقل، أي النقل من التاريخ الإسلامي، وحكاية الكلام، والفني بمعنى توظيف هذا الحدث في بنية القصة لتحقيق الغايات الفنية، والإسلامية للنوطة بها، ومنها أن تثبت في ذهن الأطفال مانتقده نحن المسلمين من «وصول الميت إلى عالم الآخرة، واجتماع الشهيد برسول الله صلى الله عليه وسلم» (٥)، ورغم أنها فكرة مجردة لكن الشيخ يحاول بحسه الخطابي أن يقدم لها مايسوغها بدليل بسيط يناسب مرحلة الطفولة المتأخرة (من ٩-١٢ سنة)، منتقلا عن طريق التماثل من علاقة عالوفة بسيطة يتركها الأطفال، هي علاقة الأب بالابن، وما بينهما من حب وحسد ورعاية، إلى علاقة أخرى تماثلها في كونها بين طرفين، لكنها تحتاج إلى مستوى أرقى في الإدراك، وهي علاقة الأمة بالرسول صلى الله عليه وسلم، وما أثر عنه من رعاية شديدة لها، ليقبض الطفل الثانية على الأولى، فاستقر الفكر العقدي المتبغاة في ذهنه، ويستطيع استيعابها، فالطفل في هذه المرحلة السنية المشار إليها يكون قادراً على القياس، وإدراك بعض العلاقات (٦).

وهو يقدم هذا الدليل مقترناً بعدة وسائل تعبيرية أخرى أسهمت في تشكيل القصة، وإعطائها هذا الطابع الموجه الذي يعد من أهم سمات قصص الأطفال في هذه المجموعة عند الشيخ أبي الحسن، وهو ماخصصنا له هذه الدراسة، وهو في الوقت نفسه نتيجة لحسه الخطابي في الاتصال بالجماهير، من هذه الوسيلة التعبيرية هيمنة ضمير الخطاب (ك) على الفقرة الأولى من القصة هيمنة تجسد قوة الاتصال بين المرسل والمستقبل، فيؤكد التواصل المرجو بينهما، والتعاطف وحسن التلقي بين الطفل والعمل الأدبي، يتضح ذلك في [جاءك — أياك — لك — منك — بابيك — أبوك — منك — صحتك].



■ ■ ■ التصويير

فإذا ما تحقق هذا المستوى من التواصل والإدراك والاستيعاب بالنسبة للطفل، لا يلبث الشيخ أن يدعمه بوسيلة تعبيرية أخرى في الفقرة الثانية، هي التصويير البياني المتمثل في التشبيهِ، الذي برغم قنيتِه يمكن أن يناسب هذه المرحلة من مراحل الطفولة، فهو قياس على شكل صورة بيانية، تكشف عن علاقة الدنيا بالآخرة، وتوضح اعتقاد المسلمين أن الموت هو الجسر الذي يربط بينهما، وكل من عبر هذا الجسر من المسلمين وصل إلى الآخرة. واجتمع هنالك برسول الله ﷺ، وتشرف بزيارته، ولابد أن رسول الله ﷺ سائل عن أمته (١٠).

وإذا كان ضمير الخطاب هو المهيمن في الفقرة الأولى، فإن ضمير الغياب هو المسيطر في الفقرة الثانية، وذلك انتقال من المخاطب: الطفل الموجه إليه القصة، إلى الغائب وهم المسلمون، الذين تحدثت القصة عن معتقداتهم في الصلة بين الدنيا والآخرة، وعلاقة المصطفى ﷺ بأمته، ومكان الشهيد، وصلته بذلك المعتقد، عندما ينتقل من الدنيا إلى الآخرة، وينال الخطوة بلقاء المصطفى ﷺ، من ثم كان الانتقال من ضمائر الخطاب إلى ضمائر الغياب وسيلة تعبيرية أخرى لتثبيت الفكرة ودعمها في ذهن الطفل، عن طريق «الالتفات» بواسطة هذه المغايرة بين الضمائر، وأثر هذه المغايرة في تهيئة الطفل للتلقي والاستيعاب للفكرة.

وتأتي علاقة «التخالف» في الفقرة الثالثة ليستكمل بها شيخنا تقرير هذا المعتقد وتثبيتته في نفس الطفل، فإذا كانت علاقة الضمائر في الفقرة الأولى قد كشفت عن اهتمام الابن بالاتصال بابيه، لإبلاغ سلامه إليه عن طريق القريب أو الصديق المسافر، وحرص الوالد على استقبال أخبار ابنه والاتصال به بواسطة هذا القريب أو الصديق المسافر، كما يحرص الرسول ﷺ بعد الموت على الالتقاء بالشهيد، وسؤاله عن أخبار أمته اهتماماً بهم، فإن الفقرة الثالثة تبين أن القريب أو الصديق المسافر قد لا يلتقي بالآب، ومن ثم لا تصل أخبار الابن وسلامه إلى أبيه، ولا يتم الاتصال بينهما، وهنا تتحقق المخالفة في أننا نحن المسلمين لانشك في وصول الميت إلى عالم الآخرة، واجتماع الشهيد لمكانته برسول الله ﷺ واتصاله به، وسؤال المصطفى عن أحوال أمته، وذلك معتقد للمسلمين

لا يتبدل أو ينتقض، وعلى أساس هذه المخالفة يمكن أن تنهيا نفس الطفل لاستقبال ذلك المعتقد، ومن ثم يستقر في وجدانه.

■ ■ ■ الأنبياء وحكاية الحدث

ويشكل الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لجنة مهمة أخرى في بناء هذه القصة، خاصة وهي تتحدث عن انتصار المسلمين، ووعد الله لهم بذلك، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ، وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصفافات ١٧٢ - ١٧٣]. وكذلك حديث المصطفى ﷺ عندما بشر بذلك «التفتحن كنوز كسرى وقيصرو»، والنصان معاً في صلب القصة بشري لكل مؤمن بالنصر، مما يجلي الرغبة في الشهادة في ميدان الحرب غاية سامية إيجابية، يتطلع إليها المؤمنون، لأنها شهادة قرينة بالنصر، من ثم فقد جاء ذلك الرجل إلى أبي عبيدة وهو موقن بالأميرين معاً الشهادة والنصر، متطلع إليهما معاً، حريص على لقاء المصطفى صلى الله عليه وسلم، وبذلك يسهم الاقتباس في تشكيل الحدث مجسداً عنصر الحكاية، كما أشرت في بداية هذه الدراسة، والحكاية هنا، هي ما يحكى ويُقص من مرسِل إلى مستقبل مباشرة أو استحضاراً، فيتأكد التواصل وحسن التلقي، والاستيعاب والتوجيه في القصة. وهكذا تتأزر هذه الرسائل التي تكشف عن محاولة الشيخ أبي الحسن تشكيل قصة للأطفال، تعتمد على الخبر التراثي، وتتوسل بوسائل الحسن الخطابي لتثبت في نفس الطفل ذلك المعتقد الإسلامي، وهو الاتصال بين الدنيا والآخرة، والتقاء الشهيد هناك بالمصطفى ﷺ.

والقصة بتركيزها على الحدث على هذا النحو، قد لا يتاح للعناصر القصصية الأخرى من عناية الكاتب ما يبرزها، وذلك لصغر حجم القصة، برغم قاعلية هذه العناصر الأخرى في هذه المساحة الضيقة، وهي فاعلية جليلة في تحديد المكان والزمان والشخص، إذ يتجلى ذلك في كون هذه المعركة معركة اليرموك التاريخية في الشام بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

ويمكن أن تمثل هذه القصة بهذا التوجه وذلك التشكيل مجموعة من قصص هذا الكتاب، منها «رحلة سيدنا عمر ابن الخطاب إلى بيت المقدس» (١١)، مع فارق جلي بينهما أن قصة «رسالة إلى رسول الله ﷺ» تعتمد في تشكيلها

مواطنيه إلى الإسلام، وبذلك تغيير مستقبل الأسرة الحاكمة في تركستان من الكفر إلى الإسلام، يقول الكاتب في هذه القصة:

«لعلكم سمعتم أو ستقرؤون في كتب التاريخ قريباً - خير غارة التتار على العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري....»

«إليك حكاية من حكايات هؤلاء الريانيين الكثيرة الذين يرجع إليهم الفضل في إقبال هؤلاء التتار على الإسلام...» ويلاحظ في كلتا القصتين أثر «صميم الخطاب الجمع» في استحضار الكاتب للمتلقين من الأطفال ككون من الوان الاتصال والتجاوب مع النص، والتوجيه المباشر لهؤلاء المتلقين، وذلك صليح يتضح في كثير من حكايات هذه المجموعة، وهو في الوقت نفسه نتيجة من نتائج الحس الخطابى لدى الشيخ أبي الحسن الندوي، وهو يتوجه إلى الأطفال بحكاياته المستمدة من التاريخ.

وتأمل استخدام الشيخ للفظ «حكاية» بدلا من قصة، لأنها أبسط في شكلها، وأقرب إلى المتلقين من الأطفال لوضوح الحدث فيها، وبساطة التعقيد، وقلة الشخصيات، واستخدام لفظ «كان» بصورة لافتة للنظر، مؤكدة اتصال المرسل بالمستقبل وتواصلهما، وتجلى الدرس التعليمي المتمثل في لباقة الداعية إلى الله، وعلماء الإسلام بمبادئه وتعاليمه لكل البشر.

بالإضافة إلى أن هذه الحكايات يمكن أن تكون امتدادا للرصيد الموروث، على المستويين المحلي والعالمي لحكايات الأطفال، خاصة والفعل الماضي «كان» مع تغيير هياكله إليه كصليح لغوي مهيم على كثير من قصص هذه المجموعة، وارتباط هذا الفعل بمعنى الحكاية اللغوي الذي أشرت إليه سابقا، بالإضافة إلى مآثر من حكايات «كان» - يماسكان» للأطفال التي تعتمد على الراوي، وحشد الوسائل اللغوية التي أشرت إلى بعضها، من أجل تقريب المتلقي الطفل من المبدع، الذي يحكي ويفسر ويسرد أحيانا، وتجلى صليح التوجيه بشكل لبنية هذه القصص. كل ذلك من الأسباب التي تجعلني أقترح عنواناً آخر لهذه المجموعة، هو: «حكايات للأطفال من التاريخ الإسلامي» بدلا من «قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال»، خاصة والمؤلف نفسه استخدم لفظ حكاية (١٤) في معالجته للقصص الأخيرة من هذه المجموعة.

على الحدث بالدرجة الأولى، بينما حكاية «رحلة سيدنا عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس»، تعتمد على الشخصية في بنائها وتطورها، كما تعنى بالحدث وتجليه.

■ التوجيه والخطاب

ومما يكشف عن التوجيه أيضاً كصليح في القصة نتيجة الحس الخطابى في هذه المجموعة القصصية: أن الكاتب قد توجه مباشرة إلى متحدث أمامه، وكأنه يخاطبه، وذلك امتدادا لتوظيف ضمائر الخطاب التي سبقت الإشارة إليها كوسيلة تعبيرية. يتضح ذلك في قصته «قدر الشيء حق قدره والجزاء الأوفى عليه» (١٢)، التي تتناول موقفاً للحسن بن علي رضي الله عنه، عندما رأى عبداً يأكل رغيفا، فيضع لقمة في فمه، ويقدم الأخرى للكلب دون مغالبة حتى انتهى الرغيف، فما كان من الحسن رضي الله عنه، وإعجاباً بموقف العبد إلا أن اشتراه وأعتقه، كما اشترى له البستان الذي وجده يؤكل الكلب بجواره. يقول الكاتب في هذه القصة:

«كلكم تعلمون الحسن بن علي، ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه..... وإليك حكاية تدل على علو همة، وقدر الفعل الحسن حق قدره، والجزاء الأوفى عليه...» (١٢).

وكذلك في قصة «جواب كان السبب في إسلام مئات ألوف من الناس» (١٣) التي يكشف فيها الكاتب عن إسلام التتار بفضل حكمة ولباقة داعية إسلامي، هو الشيخ جمال الدين من «بخارى» عندما رد بحكمة على تغلق بن تيمور خان ملك كاشغر، الذي أسلم ودعا غيره من



■ المقدمة النفسية للمقدمة

وفي قصته «الله خير حافظاً» وهو أرحم الراحمين» (١٥) نلاحظ أولاً اقتباس العنوان من سورة يوسف عليه السلام، بتوظيف مادة (حفظ)، ونسبة الحفظ لله سبحانه وتعالى في كلا الموقفين: في الآية الكريمة عندما جاء إخوة يوسف عليه السلام يستأذنون أباهم في اصطحاب أخيهما الصغير إلى مصر، حيث يوسف أمين على خزائنها، دون أن يعلموا حقيقته، وكذلك في القصة الأولى التي نعرض لها، حيث يشير الكاتب إلى حفظ الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ ورعايته له، ومن ثم يتشكل الحدث بأجزائه وقد هيمنت عليه فكرة حفظ الله للرسول (١٦).

ومن مقومات الحس الخطابي هنا أيضاً محاولات الكاتب التفسير والشرح والبسط ليصل إلى عقل المتلقي ووجدانه، سواء أكان هذا الشرح لبعض مفردات اللغة الموظفة، أم للمواقف والأحداث، من ثم تتعدد وسائل ذلك الشرح، ليتحقق التواصل بين المرسل والمستقبل، ويتحقق التأثير والإمتاع، وهما عماد الخطاب في الخطبة، ولقد تجلّى ذلك في هذه القصة كادوات للكشف عن رؤية الكاتب التي ينبغي تقديمها للأطفال، لتشكيل وجدانهم بها، وتثبيت العقائد الصحيحة، والأخلاق القويمة، في عقولهم وقلوبهم، وهي هنا يمكن أن تتمثل في الإيمان بالرسول ﷺ ورسالته، ورعاية الله سبحانه وتعالى وحفظه له، والحث على الجهاد في سبيل الله.

ويتصل بهذا الموقف الفني الموجّه للقصة، المتمثل في الشرح والتفسير، والذي هو صدى للحس الخطابي لدى شيخنا، المقدمة السردية التمهيدية للقصة، التي يحاول الكاتب فيها الإضاءة للمواقف المشكلة للقصة، عندما يحين حديثه عنها، والتحامها بجسم الحدث مشكلة له، ولذلك تبدو هذه المقدمة كتمهيد، برغم اتصالها بما يليها من أحداث جزئية، وهي في الوقت نفسه ذات طابع تفسيري سردي، وذلك ملمح يتجلى في كل قصص هذه المجموعة تقريباً (١٦).

■ أثر الأسقفية في تشكيل الحدث

ويتضح الأسلوب الإنشائي المتمثل في الاستفهام، والإجابة عنه وسيلة تعبيرية أخرى تكشف عن الحس الخطابي الموجّه، عندما يوظفها الكاتب للشرح والتفسير في القصة، مستحضراً جمهور الأطفال الذين «يوجه»

إليهم هذه القصة، وفي الوقت نفسه: يبني به حدثه خلال تشكيلها، وقد يكون هذا السؤال نصاً تراثياً لكن الكاتب يجعله وإجابته يلتحمان بينية القصصية، ويسهمان في نموها، من هذه المواضع: قول الرسول ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه، عندما كان يتعجب من عدم اكتشاف الكفار لهما برغم يسر ذلك وهما مختلفيان بفار ثور: «ما ظنك يا أبا بكر بالله ثالثهما» (٥١٧). ثم يقرن الكاتب بذلك السؤال النص القرآني تأكيداً لحفظ الله لرسوله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه، وكأنه إجابة عن السؤال (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) (١٨) مما ينمي الحدث، ويكشف عن الغاية الفكرية التي يجسدها العنوان، والمتمثلة في (الله خير حافظاً) وهو أرحم الراحمين)، فيستقر في ذهن الأطفال الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وحفظه له.

وهناك أسئلة تسهم في تشكيل حدث القصة أيضاً، لكن الكاتب لا يقدم إجابة عنها، ومع ذلك، تحقق جانب الشرح والتفسير، لأن السياق القصصي يوجي بهذه الإجابة تصريحاً أو تلميحاً، كما أنها تترد شاهدة على عنوان القصة، مسجدة لتحقيقه، وذلك كقول الكاتب تعليقاً على عدم اكتشاف المشركين للرسول ﷺ وصاحبه، برغم وصولهم إلى منخل الغار، ولكن إرادة الله وحفظه جعلت العنكبوت تنسج نسجها على باب الغار: «وكيف يدخل أحد الغار، ولا يقطع نسج العنكبوت، ويبقى على حاله» (١٩).

من ثم يتأزر هذان السؤالان بإجابتهما في تشكيل هذا الموقف الكاشف عن حفظ الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، وتدعم طريقة الكاتب هذه في الحكاية (بمعنى ما يحكى ويَقص) غاية في تثبيت ما ينبغي بالقصة من معتقدات إسلامية.

وبرغم أن الاختفاء في الغار حدث مستقل، لكن الكاتب يربطه بغيره من المواقف التي يلتقطها من التراث، للكشف عن حفظ الله لرسوله ﷺ كما سوف يتضح، وليس هذا الربط ربطاً تاريخياً، وإنما هو ربط قصصي منطقي، وبذلك يستثمر الكاتب السيرة النبوية الكريمة وأحداث التاريخ في بناء حكاياته للأطفال.

ويشير الكاتب في حديثه إلى بعض التفاصيل المتعلقة ببعثة المصطفى ﷺ وجهاده ضد الشرك والمشركين، وهجرته إلى المدينة، مبرراً بعض مظاهر رعاية الله

شراً للمفردة، وندخلنا لبناء الحدث في هذا الموقف:
لعلكم تعلمون أن المسلمين كانوا يخرجون للجهاد في

سبيل الله، وكانوا يقاتلون المشركين والكفار لوجه الله تعالى، ولعلكم تعلمون لفضية الجهاد في سبيل الله؟
وكان النبي ﷺ يخرج أحياناً مع المسلمين، وأحياناً يمكث في المدينة لشغل أو مصلحة، ويبعث جنداً من المسلمين في الغزوة مخرج قيسها رسول الله ﷺ في جند من المسلمين للجهاد في سبيل الله.

نعم، فخرج رسول الله ﷺ في غزوة ورجع عنها في الظهيرة، وكانت أيام الصيف، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يستريح... (٢٠).

ونأمل فيما سبق تكرير «لعلكم» بما تتضمنه من خطاب يهيمن على هذه الفقرة وسياقها، ليستحضر المخاطبين ويتحقق التواصل والتوجيه.

■ مدونة الفعل الماضي «كان»

ومن الطبيعي في مثل هذا السياق القصصي الحكائي أن يسود الفعل الماضي. كملصق لغوي آخر، خاصة للفعل «كان» مع تغير مايسد إليه، كما تتخذ الأفعال المضارعة، الدلالة الزمنية نفسها في هذا السياق، مسهمة في تشكيل عنصر الحكى القصصي الذي يجسد التوجيه، وهو في الوقت نفسه يجذب الأطفال في جميع مراحل عمرهم، لتكون هذا الزمن يدل على أحداث قد تمت وتحققت، خاصة عندما تتضمن مايشير دهشتهم، بكشفها عما لا يتوقع! كالخلفاء الرسول ﷺ وصاحبه رضي الله عنه بالغار، ووصول المشركين إليه دون اكتشافهم لمن فيه، وعدم خوف الرسول ﷺ من تهديد المشرك والسيف في يده.

وقد يكون مصدر الدهشة التحولات غير المتوقعة، خاصة عندما ترتبط ببعض مظاهر البطولة، كسقوط السيف من يد المشرك، والتقاط الرسول ﷺ لهذا السيف، وتحوله من مهدد إلى مهدد، ولا تفسير لغير المتوقع فيما سبق إلا إرادة الله - سبحانه وتعالى - الحافظة لرسوله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه، وهو مايجسد عنوان هذه الحكاية أو القصة، كما أن مظاهر البطولة والشجاعة هنا مما يناسب نمو الطفل في هذه المرحلة السنية التي تلامسها هذه القصة. وهي مرحلة الطفولة المتأخرة (٢١)، التي يسيل الطفل فيها إلى المغامرة والبطولة والمنافسة والشجاعة.

وحفظه لرسوله عليه الصلاة والسلام في هذه الأحداث، حتى تهيأ الرسول للغزو دفاعاً عن الحق، ورداً لتكيد للمشركين، وفي إحدى هذه الغزوات نام الرسول أثناء العودة منها تحت شجرة، وترك سيفه معلقاً بها، وانتبه أحد المشركين هذه الفرصة، والتقط السيف ووقف به على رأس الرسول ﷺ مهدداً إياه، سايراً شجاعته وثباته، قائلاً له من يحميك مني الآن؟ فنجيه الرسول ﷺ في ثقة وثقائية، الله، مما أذهل المشرك: فسقط السيف من يده، وبذلك ينقلب الموقف، إذ يلتقط الرسول ﷺ السيف، ويسأل خليفه عما يمتعه هو منه الآن؟ وبينما يستجدي المشرك عفو الرسول، يطلب منه ﷺ الشهادة، لكن الرجل يرفض. ويعاهد الرسول ﷺ على ألا يقاتله، ولا يكون مع قوم يقاتلونه، مما جعل الرسول ﷺ يعفو عنه، ويذهب الرجل إلى أصحابه، مقرراً لهم أنه التقى بخير البشر.

وإذا كانت معظم الأحداث السابقة في هذه القصة مقررة في مصادر التراث الإسلامية، فإن أول مسوغات التقاط الكاتب لها، ومحاولة الربط القصصي بينها، أنها جميعاً تكشف عن مظاهر حفظ الله للرسول ﷺ ورعايته له، كما أوضحت.

ويتضح السؤال والإجابة عنه كوسيلة تعبيرية توجيهية في هذه القصة أيضاً، عندما يتناول الكاتب فيها موقفاً آخر من المواقف المشككة لحدثها، وهو تلك الغزوة التي نام الرسول ﷺ تحت شجرة ليستريح أثناء العودة منها، يقول الكاتب في هذا الموقف من القصة، شارحاً معنى «الغزوة»: «وخرج رسول الله ﷺ وآله في غزوة، هل تعرفون ماهي الغزوة؟» وتصبح الإجابة عن هذا السؤال



وهذه الحكاية من الحكايات التي يمكن أن تشبع هذه الميول.

■ بُعد جديد لمفهوم التاريخ الإسلامي

والقصتان الأخيرتان في هذه المجموعة وهما «فمن عفا وأصلح فأجره على الله» و«رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه» يتضح فيهما كثير من خصائص «التوجيه» التي أشرت إليها سابقاً، لكنهما تضيفان بُعداً جديداً لمفهوم التاريخ الإسلامي في ذهن الأطفال، بكشفهما عن جانب من صراع المسلمين في الهند، وتضالهم من أجل عقيدتهم، والدعوة إليها، وهو جانب مجهول، به تكتمل حلقات هذا التاريخ وتقتل، ويتمثل ذلك في نضال الإمام السيد أحمد بن محمد بن عوفان الشهيد (١٢٠١ - ١٢٤٦ هـ) الذي يبيع بالإمارة سنة ١٢٤١ هـ منشأ دولة إسلامية على الحدود الشمالية للهند، قاومت المستعمر وروّعته، بفضل أولئك الرجال الذين ربّاهم على الإسلام وتعاليمه.

كما تكشف هاتان القصتان أيضاً عن «الاقتباس» من القرآن الكريم، في العنوان، وأن ذلك وسيلة تعبيرية يعتمد عليها الكاتب، للتأثير بها في المتلقين وتوجيههم، خاصة عندما يسهم هذا العنوان في تشكيل الحدث في الحكاية، في بعض قصص هذه المجموعة، والتي منها أيضاً «الله خير حافظاً» وهو أرحم الراحمين» التي سبقت الإشارة إليها كنموذج لهذه الوسيلة التعبيرية.

ولعل ما أشرت إليه من وسائل تعبيرية في تشكيل مجموعة «قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال»، للشيخ أبي الحسن الندوي، قد كشف عن أثر الحس الخطابي لديه في إبراز ملامح التوجيه في هذه المجموعة القصصية، سجلية نموذجاً من نماذج قصص الأطفال وحكاياتهم، وهي قصة الأطفال الموجهة.

■ الهوامش:

- (١) انظر د. إحسان عباس «القصص العربية أجيال.. وأفاق» ١٩٧/٧ ص ٨٩، كتاب العربي (٢٤).
- (٢) السابق نفسه ص ١٦.
- (٣) انظر د. عبدالحسن طنجة بدر «الرؤية والأداة» ط ٣ دار المعارف: القاهرة، المقدمة.
- (٤) انظر د. محمد رجب البيومي، أبو الحسن الندوي سيرة

ذاتية.

(٥) أبو الحسن علي الحسن الندوي: «قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال»، نشر مؤسسة الرسالة، إصدار رابطة الأدب الإسلامي العالمية، العدد (٤) ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م ص ٨٢.

(٦) السابق نفسه وصفاً ٨٣.

(٧) انظر المعجم الوسيط ج ١ مجمع اللغة العربية، المكتبة العلمية طهران ص ١٩٠.

(٨) قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال ص ٨٣.

(٩) انظر د. غسان يعقوب «تطور الطفل عند بياجيه» دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٢ م ص ٨١ وكذلك انظر للمؤلف: النص الأدبي للأطفال ط ١ إصدار رابطة الأدب الإسلامي العالمية ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م ص ٣١.

(١٠) السابق نفسه والصفحة نفسها، وكذلك قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال ص ٨٣.

(١١) انظر السابق نفسه ص ٩٠.

(١٢) السابق نفسه ص ٩٧.

(١٣) السابق نفسه ص ١١٤.

(١٤) انظر على سبيل المثال الصفحات: ١١٧، ١٢٤، ١٢٥.

(١٥) انظر قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال ص ١٣، وكذلك انظر سورة يوسف آية (٦٤).

(١٦) انظر على سبيل المثال القصص التالية في هذه المجموعة: التضييق الجائع ص ٢٠، شهادة اليتيم ص ٣٣ من دون أحد ص ٤٥، علي الخشبية ص ٦١، رسالة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ٨٢، الغرم بدل الغنم ص ٨٥، رحلة سيدنا عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس ص ٩٠، قبر النبي حق قدره والجزاء الأوفى عليه ص ٩٦، لاجأه إلى ذكر اسمي ص ١٠٥، جواب كان السبب في إسلام مئات الوف من الناس ص ١١٤.

(١٧) السابق نفسه ص ١٥.

(١٨) سورة التوبة، آية (٤٠).

(١٩) قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال ص ١٤.

(٢٠) السابق نفسه ص ١٦، ١٧.

(٢١) انظر: نكاح الحر: الطفل العربي وثقافته المجتمع، دار الحدادة - بيروت لبنان ط ١ سنة ١٩٨٤ م ص ٤٧ وكذلك انظر النص الأدبي للأطفال ص ٣٨.



مختارات أبي الحسن

الريادة في



«مخطيء من يظن أن المكتبة العربية قد استنفدت وعصرت إلى آخر قطراتها، إنها لاتزال مجهولة تحتاج إلى اكتشافات ومغامرات، إنها لاتزال بكرًا جديدة تعطي الجديد وتنفج بالغريب المجهول، إنها لاتزال فيها ثروة دفيئة تنتظر من يحفرها ويليرها.

إن مكتبة الأدب العربي في حاجة شديدة إلى استعراض جديد وإلى دراسة جديدة، وإلى عرض جديد.

ولكن هذه الدراسة وهذا الاستعراض يحتاجان إلى شيء كبير من الشجاعة، وإلى شيء كبير من الصبر والاحتمال، وإلى شيء كبير من رحابة الصدر وسعة النظر (١)».

بهذا التصور القوي يقدم (أبو الحسن الندوي) مختاراته الأدبية، مؤكداً أبرز ميزة في هذه المختارات: وهي

سعي الكاتب إلى ارتياد آفاق مجهولة، ودفع النص الأدبي الجميل إلى مخيلة الإبداع،

ليكون أنموذجاً يُحتذى، أنموذجاً في جماله الفني الرائع، البعيد عن التكلف، وفي مضمونه الأخلاقي الذي يعكس من خلاله رسالة الأدب.



المنهج والتطبيق

■ مصاحف جديدة
للأحاديث الأهم

حرص (أبو الحسن) من خلال هذه المختارات على إعادة اكتشاف تراثنا، وفتح مجالات واسعة للادب الإسلامي، ثقة منه بأن هناك كنوزاً ثمينة في تراثنا لم يستفد منها، ولم تستثمر حتى الآن.

ومصادره هي كتب الأحاديث والسير والتراجم، والتاريخ والطبقات، ويعطي مثلاً لتلك المصادر وهي كتب الحديث والسيرة التي اشتملت على

معجزات

بيانية

وقطع أدبية

ساحرة —

تخلو منها

مكتبة الأدب العربي — على سعتها وغناها — وهو دليل على صحة هذه اللغة ومرونتها، واقتدارها على التعبير الدقيق عن خواطر ومشاعر، ووجدانات وكيفيات نفسية عميقة دقيقة، ووصف بليغ مصور للحوادث الصغيرة.. فكتب الحديث والسير تشتمل على روايات قصيرة وطويلة، وكلها أمثلة جميلة للغة العرب العزباء، التي كانوا يتكلمون بها، ويعبرون فيها عن ضمائرهم وخواطرهم، ويقف دارس الأدب العربي فيها من البلاغة

من أن تكون النصوص الأدبية خواء فارغة لا جواهر لها، ولا قيمة لضمونها وهذه الصفة ليست غريبة على (أبي الحسن الندوي) الداعية الإسلامي، الذي نذر حياته لبث الوعي، ونشره في أوساط المسلمين، ووجه لذلك كل جهده: تأليفًا وخطابة، وتعليماً ورحلات، ومشاركات متعددة في المؤتمرات والندوات في أنحاء العالم، لا يحجزه عن ذلك مرض، ولا شغفه مطالب الشيوخة، ولا يستكين لداعي الدعة، وقد طرقت أبوابه غير مرة، لكنه لم يعر نداءها أدناً صاغية، فآبى بالخفية، وعجزت عن منعه من الماضي على الطريق الذي اختلعه لنفسه.

هذه هي المؤشرات الأساسية في مختارات أبي الحسن، من حيث صلتها بطبيعة المؤلف وأخلاقه، وفكره وثقافته، حيث تمثل هذه المختارات عطاء أدبياً لا يقل أثراً عن عطائه الأخرى، وتستحق منا أن نقف على جوانب مختلفة، جديدة بالنظر والتقدير. لقد كان أبو الحسن رائداً في اختياراته التي سعى من خلالها إلى وضع النص الإسلامي تحت أنظار المثقفين والنقاد للإفادة منها، ولكي تعين في تقديم سمات مهمة للادب الإسلامي في مجال النص الإبداعي.

وثمة صلة وثيقة بين اختيار الرجل من جهة، وبين عقله وذوقه وشخصيته من جهة أخرى، وهي قضية معتبرة لدى النقاد وكان على رأس من نبه إليها وأكدها ابن عبدربه الأندلسي في مقدمة كتابه: (العقد الفريد).

ولقد كانت اختيارات (أبي الحسن الندوي) الأدبية في كتابه (مختارات من أدب العرب) انعكاساً لأخلاقه التي عُرِف بها، فلقد أكد في اختياراته على رفض التكلف والتصنع، وعدهما من أوسع الأبواب التي دخلت فيها الصنعة إلى الأدب العربي. وكذلك هي حال (أبي الحسن الندوي) عند كل من عرفه وعاش معه، بل يذهب في البساطة واللين والسهولة مذهباً يجعلها معلماً من معالم شخصيته التي عرف بها.

وفي اختياراته نلاحظ الارتباط الوثيق بالأدب العربي والانتماء القوي إلى الأصل منه، وكذلك شأن (أبي الحسن) في حبه للعرب وإعجابه بهم، وغيرته الشديدة عليهم، ورغبته في أن ينهض العرب من كبوتهم بأسرع وقت ممكن، وثقته أن العالم العربي لا قيمة له بدون الإسلام.

ونشهد كذلك في هذا الكتاب تأكيداً على العنصر الأخلاقي الفاضل، وإيمانه أن رسالة الأدب أكبر وأعظم

العربية، والقدرة البيانية، والوصف الدقيق، والتعبير الرقيق، وعدم التكلف والصناعة ما يوقف أمامه خاشعاً معترفاً للرواة بالبلاغة، والتحرّي في صحة النقل والرواية، ولغة العربية بالسعة والجمال (٢).

«أما الروايات الطويلة فهي ثروة أدبية، ذات قيمة فنية عظيمة، وهي التي تجلت فيها بلاغة الراوي العربي، واقتداره على الوصف والتعبير والتصوير، وهي التي يطول فيها نفسه فيحكي حكاية، يعبر فيها عن معان كثيرة، وأحاسيس دقيقة، ومناظر متنوعة، فلا يخلو اللسان، ولا يخون البيان، ولا يتخلف عنه مدد اللغة، وكأنها لوحة فنية متناسقة، قد أبدع فيها الفنان، أو صورة متناسبة قد أحسن فيها المصور كل الإحسان» (٣).

ثم يضرب لذلك بملين يختارهما من كتب الحديث:

الأول: حديث كعب بن مالك — رضي الله عنه — عن تخلفه عن غزوة تبوك.

والثاني: قصة الإفك كما تروىها أم المؤمنين عائشة — رضي الله عنها.

وقد وفق (أبو الحسن) كل التوفيق في هذا التمثيل، الذي يتجلى في كل واحد منهما الجمال الأدبي بأسمى صوره ومعانيه، ونرى فيهما أمثلة رائعة للوصف الدقيق البليغ، وللأسلوب المتميز بالقوة والجمال، وصدق التصوير، وبراعة التعبير.

ويؤكد (الندوي) أن مصادر الأدب الإسلامي أوسع وأكثر وأشمل من المصادر التقليدية للأدب، وأن ساحة

وبدع الزمان: فاخترعوا أساليب للكتابة والإنشاء تتميز بالصنعة، وتبتعد عن كلام العرب الأولين. المرسل الجاري مع الطبع.

ولكن إذا كانت للأدب الطبيعي هذه المنزلة العالية فلم تأخر رتبته وتقدم عليه الأدب الصناعي المتكلف؛ يرجع أبو الحسن الندوي ذلك إلى جملة أسباب من أهمها:

١ — صدور ذلك الأدب الرائع عن رجال لم ينقطعوا إلى الأدب والإنشاء، ولم يتخذوه حرفة، ولم يشتهروا بالصناعة الأدبية.

٢ — أن هذا الأدب لم يكن متميزاً واضحاً بعنوان يعرف به، فقد ظل مبشوراً في المصادر، دون أن يبدو للقاري بصورة مركزة ومحددة، فبقي مغموراً عموماً في الأدب الديني أو الكتب العلمية.

٣ — أن المصادر التي يوجد فيها هذا الأدب ليست المصادر التقليدية للأدب، حيث تقررت في أذهان النقاد والأدباء جملة مصادر، يدت أمامهم هي الكتب التي لا يستقي الأدب الجميل إلا منها.

■ ■ ■ الأدب الصنعي

وهو في مقابل الأدب الطبيعي، وهو ذلك الأدب الذي صدر ممن اتخذ الأدب حرفة وصناعة، وأسرف في تنميته وتحبيره ليثبت براعته وتفوقه، ثم أتى على الناس زمان لا يفهم من كلمة (الأدب) إلا ما أثر عن هذه الطبقة من كلام مصنوع، وأدب تقليدي لاقوة فيه ولا روح، ولا جدة ولا طرافة، ولا متعة فيه ولا لذة.

ومن أبرز مصادر كتيب الرسائل



الأدب الإسلامي واسعة، وأرض بكر لم تجهد بكثرة الحرث والزرع.

■ ■ ■ الأدب الطبيعي

وهو ذلك الأدب الذي تجلت فيه عبقرية اللغة العربية، وأسرارها، وبراعة أهل اللغة، ولباقتهم. وهو مدرسة الأدب الأصيلة الأولى، وهو أكبر سناً وأسبق زمناً من الأدب الصناعي.

ويريد أبو الحسن بالأدب الطبيعي هو ذلك البعيد عن التكلف والصنعة، وهو تعبير بليغ يحرك النفوس ويثير الإعجاب، يصدر عن أدباء بالفطرة والسليقة، وإن لم يشتهروا بالصناعة الأدبية (٤).

ويرصد مسيرة الأدب الطبيعي من عهد رسول الله ﷺ، مروراً بالعصور الإسلامية الزاهرة، التي حفظت كتب التاريخ والأدب أدبها العربي في جماله ونقائه وأصالته، حتى جاء دور المتكلمين المقلدين للعجم من أمثال: أبي إسحاق الصابري، وابن العميد، والصاحب بن عباد، والخوارزمي

والمقامات، ويُعدُّ من أبرز رجاله أبو القاسم الحريري، والقاضي الفاضل، إضافةً لإجملة ممن سبقهم من الكتاب، كابن العميد والصاحب وبيدع الزمان. وقد بقي أسلوب هؤلاء هو الأسلوب الوحيد المتحكم في العالم الإسلامي، الذي (يسيطر على الأوساط الأدبية، وأصبح ما خلفه هؤلاء الكتاب المتصنعون من تراث أدبي هو المعني بالأدب العربي) (٥).

■ مختارات أبي العسر (نظرة تحليلية)

صدرت هذه المختارات في جزء واحد عام ١٣٥٩هـ، واقتصرت على النثر دون الشعر، ثم صدرت بعد ذلك في جزئين اثنين، وقد اشتملت هذه المختارات على ثلاثة وسبعين نصاً أدبياً، من القرآن الكريم أربعة نصوص، ومن الحديث الشريف نصان، ومن الأثر إثنا عشر نصاً، وأكثر النصوص لكتاب من المتقدمين، ماعدا أربعة عشر نصاً لكتاب معاصرين.

ومن الطريف أن الكاتب قد حمل على الكتاب المتكفين، من أمثال الحريري والقاضي الفاضل وقبلهما بيدع الزمان وابن العميد. ولكنه عند التطبيق اضطر إلى إيراد نصوص أدبية لهم، وقد علل ذلك بالقيمة الفنية لتلك النصوص، ولأنها تمثل نورا من تاريخ الأدب الإسلامي، ثم ذكر ذلك التعليل بأسلوب آخر في مقدمة الجزء الثاني من المختارات، حيث يرى أنه قد اضطر إلى عرض نماذج للنثر الفني لا يرتضيها الذوق العربي السليم، ويرى فيها انحرافاً عن السليقة

إسلامية مختلفة، كما نقف في ختام هذه النصوص على ما يمثل مشكلات العالم الإسلامي المعاصر، وبخاصة موقفه من المدنية الغربية.

وفي القطاع الثاني نرى الساحة تمتد إلى مواقع كثيرة، على خارطة العالم الإسلامي، كالجزيرة العربية والعراق ومصر، والهند والأندلس. وهو اتجاه أفقي يتجاوز فيه حدود المحلية التي تفرضها طبيعة المنطقة الواحدة.

وفي هذه المختارات يشدنا الجانب العلمي في شخصية (أبي الحسن الندوي) من خلال اختياره لنص يمثل البرنامج اليومي للخليفة معاوية بن أبي سفيان - رضى الله عنهما - حيث نرى كيف يقوم ذلك الخليفة المسدد بإدارة الوقت، وتوزيع المسؤوليات بصورة تبعث على الدهشة والإعجاب، يجعلنا نردد مع أبي تمام

العربية الأولى، وخضوعاً للأدب الأعجمية، ولعوامل اجتماعية، ولكنه واقع تاريخي، وثروة لغوية أدبية، وأسلوب من أساليب الكتابة لم يسع المؤلف الإعراض عنها. وتعليله مقبول من منظور واحد، وهو كون هذه المختارات مادة دراسية، أراد منها المؤلف أن تعطي تصوراً واضحاً عن الأدب العربي في أطواره. ودخول العنصر التاريخي هو الذي جعل أبا الحسن يخل بالشرط الذي اشترطه على نفسه في أسس اختيار النصوص.

أمّا من المنظور الفني الخالص فإن إيراد الكاتب لتلك النصوص يمثل تراجعاً نسبياً عن موقفه. وإشعاراً بأن الجانب التطبيقي لن يكون محققاً تماماً لتطلعات المؤلف وغاياته السامية.

ومن الكتاب الجدد الذين يصادف القاريء العربي أسماءهم أول مرة: الشيخ ولي الله الدهلوي، واختار له نصاً يتحدث عن (المدينة الأعجمية عند بعثة الرسول ﷺ) وكاتب آخر هو محمود بن محمد الجونفري، الذي اختار له نصاً عن (تأثير البيئـة والصناعة في الأدب).

وفي قطاعها الزمني نشهد سعة أفقية، حيث نرى من خلال تلك النصوص طقولة الرسول ﷺ وكيفية هجرته إلى المدينة، كما نشهد قصة تخلف كعب بن مالك - رضى الله عنه - عن غزوة تبوك. كما نرى رواية مثيرة لحادثة استشهاد عمر بن الخطاب رضى الله عنه - برويها شاهد عيان.

ثم نرى نصوصاً أخرى لعصور



قوله:

فعلّمنا أن ليس إلا بشقّ الفـ

فحس صار الكريم يُدعى كريما
كما تشهد مجلس ابن الجوزي،
ونرى شدة إقبال الناس عليه، مما
يصحح الانطباع الخاطيء الذي يخرج
به القاريء لعدد من كتب تاريخ
الأدب، التي تقدم ذلك العصر وقد
انصرف الناس فيه إلى المجون
والانهماك في المذات والتهتك.

وتظل نتقنا تلك المختارات من نص
في علو الهمة، إلى أخرى في أخلاق
المؤمن، إلى رؤى تربوية لابن خلدون،
ومن المفارقات أن كل جزء من
المختارات قد ختم بنص للاستاذ علي
الطنطاوي الأول بعنوان (الفردوس
الإسلامي في قارة آسيا)، والآخر نص
أدبي لموقف رائع: بين العالم الشيخ
سعيد الحلبي، وجمال باشا الوالي
التركي على الشام، وفيه مشهد لقوة
يقين العالم وإخلاصه في الحق.

وإذا كانت نصوص المختارات قد
نحت نحو الجد والتوجيه، فإن بعض
تلك النصوص كانت من الأدب الذي
أساسه الطرافة، والترويح عن النفس،
وإن كانت لا تخلو هي الأخرى من
عبرة وموعظة بليغة (٦).

■ مختارات أبي الحسن

قيمها الأدبية والعلمية

تمتاز هذه المختارات بآنها تمثل
تطبيقاً علمياً، وشاهداً عدلاً لدعوة أبي
الحسن الندوي، إلى إعادة اكتشاف
تراثنا والتأكيد على درره وجوامره،
التي لم تقدم للناس على الرغم من
وفرتها، ونفاستها في بحر التراث

تجاوز تلك المختارات المؤلفات
التقليدية إلى مؤلفات ومراجع
جديدة، فإن هذه الميزة تمثل
واحدة من الميزات الكبرى لهذا
الكتاب، الذي يفتح عيوننا على منابع
أخرى للأدب العربي الجميل الأصيل،
ومن أبرزها كتب الحديث والتاريخ،
وحينئذ نلظف منها بالرائع الجميل،
الذي اعتقدنا أننا لانجده إلا في
مصادر محدودة، بذت لنا هي
مصادر الأدب فحسب: فإننا بنا
نرى نصوصاً أدبية رائعة في
غير تلك المصادر، يمثل كل نص
نموذجاً للأدب الحي الخليل بالبقاء،
الذي يتدفق بالحياة والقوة والجمال.

رحم الله أبا الحسن الندوي، وجزاه
خير الجزاء على هذه المختارات، التي
تمثل خدمة جليلة أسداها للأدب
الإسلامي، وفتحاً في عالم اختيار
النص الإبداعي، يؤكد سعة أفاق أدبنا
العربي الأصيل، الذي نجد فيه مانحن
بحاجة إليه من أسلوب فني شائق،
ومضمون إسلامي كريم.

■ الهوامش:

- (١) مختارات من أدب العرب لأبي
الحسن الندوي: ١٧/١ (مكتبة الندوة
التجارية - لكهنؤ - الهند - د - ٥).
- (٢) انظر السابق: ٨/١.
- (٣) السابق: ٩/١.
- (٤) السابق: ٨/١.
- (٥) السابق: ١٣/١.
- (٦) السابق: انظر على سبيل المثال:
للغامة المضبرية: ٨٠/٢ والمقامة الزبيرية
٩٠/٢٠، والبخيل الحكيم: ٦٠/٢، قاضي
البصرة: ٦٣/١، إخوان الصفا: ٥٤/١
أشعب والبخيل: ٧٦/١.
- (٧) مقدمة الجزء الأول: ٥



المتلاطم الأمواج.

ومن جوانب القوة في هذه المختارات
العنصر الزمني لتطورها (١٣٥٩هـ)
الذي يسجل أسبقية مهمة: فهي تعد
في الأدب الحديث من المختارات
الرائعة الجيدة، التي استطاعت أن
تقدم نفسها نموذجاً للاختيار
الصحيح، وهذه الأسبقية للدعوة إلى
منهج إسلامي في الأدب.

وقد تلقى الناس هذه المختارات
بالقبول، حتى غدت من الكتب الشهيرة
للمؤلف، وكانت مع شهرتها تنجح في
فرض نصوصها على المختصين. ومن
ذلك أن اللجنة المستولة عن التعليم في
الثانوية الشرعية في الشام، قد بحثت
وفتشت عن مختارات أدبية لتقررها،
 فلم تر أجود من مختارات أبي الحسن
ولا أجمع منها لفنون القول واللون
البيان (٧).

وكما أن الشيء من معدنه
لا يستغرب، فإن استخراج نصوص
أدبية من المصادر الأدبية المعتمدة،
لا يعد أمراً لافتاً للانتباه، أمّا أن

النقد المعيارى.. عند الشيخ أبي الحسن الندوى

بقلم الدكتور

منجد مصطفى بهجت

النقد CRITICISM أو CRITIQUE لغة يقترن بمعان كثيرة، فهو: نقد الدراهم، أي تمييزها، وله معانٍ أخرى كثيرة تذكرها المعاجم. وأما اصطلاحاً، فله تعريفات كثيرة، منها: أنه تعبير عن موقف كلي متكامل في النظر إلى الفن عامة، أو إلى الشعر خاصة، يبدأ بالتذوق.. ويعبر منه إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقويم، خطوات لا تغني إحداها عن الأخرى، كي يتخذ الموقف منهجاً واضحاً، مؤصلاً على قواعد جزئية أو عامة، مؤيداً بقوة الملكة بعد قوة التمييز. وأما المعيارى في اليونانية CRITERION (١)، فهو على صيغة «مفعال» التي تدل على اسم الآلة، مثل «المسبار» و«المكيال»، و«الميزان».

والمعيار في لسان العرب من المكايل (٢)، ما عَيرَ، والمعيار ما تمايزت به المكايل، فالعيار صحيح واف، وعابرت به: أي سويته، والمعيار بالكسر العيار (٣).

يقال: عابروا ما بين مكاييلكم وموازينكم، وهو فاعلوا من العيار، ولا تقل عيروا، وعيّر الدنانير، وهو أن تلقي ديناراً ديناراً فتوازن به ديناراً ديناراً، وفي المحيط: عيّر الدنانير، وزنها واحداً بعد واحد (٤).

وفرق الليث بين: عابرت، وعيّر، فجعل عابرت في المكيال، وعيّر في الميزان.. (٥)، وجعل الرازي «عابر» في المكيال والميزان وخطأ «عيّر» (٦) فالعيار والمعيار يلتقيان مع النقد في أنهما يختصان بالدراهم والدنانير، ثم استعير المعنى للأدب بإصدار الأحكام عليه.



■ ■ معرفة الندوي باللغات العربية والأردنية والإنجليزية

الشاعر عما سواه، وخطاً محاولة قرّر خصائص في الشعر تجعله متقدراً.

كيف نفسر هذا التشابه بين هذين الناقلين: الأصباهي والأمريكي، وليس لدينا دليل على اطلاع المتأخر على ما كتبه السابق بحوالي ألف عام؟. والزاجع عندي أن أصالة الآراء النقدية تجعلها تلتقي وإن تباعدت بها الأزمان والثقافات والأعراق. والذي نريده بالنقد المعيارى في بحثنا هو تجلية الأحكام النقدية ذات البعد المعيارى، التي يمكن أن تكون مقاييس ثابتة وأحكاماً راجحة، في موضوعات الأدب عامة والأدب العربي خاصة.

إن الشيخ الندوي يمكن أن يوازن بالنظر القلائل من العلماء، أمثال ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، وابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، وابن حزم (ت ٤٥٦هـ)، وابن عبد البر (٤٦٣هـ)، من حيث تنوع ثقافته، وإسهاماته المتنوعة في مجالات أصول الدين ومقارنة الأديان، والكتاب والسنة، والسيرة والتاريخ، والدعوة والعقيدة، والأدب والنقد، وقد أتاحت ثقافته المبكرة هذا التنوع، في خوض مجالات العلوم الشرعية والإنسانية من باب واسع.

ويرى علي الطنطاوي أن معرفة الندوي باللغات الثلاث (العربية، والأردية، والإنجليزية) فضلاً عن الفارسية، أتاح له أن يكون ثلاثة في واحد، وأنه جمع الفضل مثلاً (١٣).

وليس أدل على هذا التنوع، من الاطلاع على جهود الأخ محمد طارق زبير، في رسالته الصغيرة التي جاءت في تسع وثلاثين صفحة، جمع فيها عناوين رسائل وكتب الشيخ، مرتبة على حروف المعجم (١٤)، وبلغت مؤلفاته مائة وستة وسبعين بين رسالة وكتاب وبحث، وقد سلخ سبعين عاماً في التأليف، إذا علمنا أنه ألف أول كتاب سنة ١٩٣٠، وكان في السنة السادسة عشرة من عمره، إذ أنه ولد سنة ١٩١٤، وبقي على ذلك حتى فارق الحياة ١٩٩٩. حقاً لقد واصل كلال الليل بكلال النهار، ولم ينقطع عن الكتابة وحضور



■ د. نجيب العيلاني

ولم أستطع الوقوف على كلمة «المعيار» مفردة أو مركبة «النقد المعيارى» في كتب المصطلحات الأدبية المتوافرة بين أيدينا (٨). وأما لفظة «عيار» فقد جاءت في المعجم المفصل: وعيار الشعر: هو إذا عرض على الناقد الحضيف فقبله واصطفاه، فيسمى الوافي، وإذا مّجه ولم يعجبه سمي ناقصاً، فعيار الشعر: الطبع، والنقاء، والإيقاع، والفهم، وسلامة الوزن، وصحة المعنى، وعذوبة اللفظ (٩). وأقدم من استخدام لفظة «عيار» عنواناً لكتاب هو: ابن طباطبغا العلوي (ت ٣٢٢هـ)، وقدم معياره النقدي على أساس من التنويع الفني دون سواه، وأكد ضرورة ثقافة الشاعر، واتباعه السنة العربية أو الموروثة (١٠).

ويضع معيار الشعر المحكم المتقن، ذلك إذا نقض بناؤه، وجعل نشراً، لم تبطل فيه جدوة المعنى، ولم تفقد جزالة اللفظ (١١).

والمفهوم الأخير يطلق على «الأدب العالمي»، ذلك الأدب الذي لو نقل من لغته إلى لغات أخرى حافظ على قيمته وأهميته وتأثيره، وإذا انتقلنا إلى هذا المصطلح عند النقاد الغربيين، وجدنا أن T.C. Eliot استخدم المصطلح عنواناً لمجلة نقدية أصدرها لسنوات، ومن الطريف حقاً أن يلتقي إليوت — مع قارق الزمن والنزعة الفكرية — مع ابن طباطبغا في مفهوم الشعر في أهمية التراث، الذي سماه ابن طباطبغا الموروث في النقد، واتباع السنة، يقول إليوت: «فالحس التاريخي يرغب المرء أن يكتب وهو لا يحس أن جيله بأكمله، يسكن في عظامه وحسب، بل أن يحس أن أدب أوروبية برمته، منذ هوميروس، ومعها أدب بلاده برمته يقفان معاً، ويشكلان نظاماً في آن معاً، معاً».

ولا يقتفى إليوت بهذا القيد على الشاعر، بل يسحب على النقد كذلك «إن جزءاً من

مهمة النقد هو الحفاظ على التراث، وأن مهمة الناقد أن ينظر إلى الأدب نظرة مستمرة، فيراه كاملاً ولحداً» (١٢).

ولذلك خطاً إليوت النقد المعاصر له آنذاك في توجيهه نحو إيجاد مزايا يتفرد بها



■ الشيخ علي الطنطاوي

والفارسية.. أثاره له أن يجمع الفضل مثلثاً.

مؤتمرات رابطة الأدب.

ولنا وقفة مع بواكير الأدب:

— ١٩٢٩ ترجم قصيدة القمر لمحمد إقبال (١٥).

— ١٩٣٠ نشر مقالته في مجلة المنار عن سيرة أحمد ابن عرفان الشهيد.

— ١٩٣٢ نشر مقالته عن القيمة الأدبية في الحديث النبوي.

— ١٩٣٤ نشر رسالته عن شاعر الهند أكبر الإله آبادي. فهو خلال السنوات الخمس الثانية من عقده الثاني يقدم أربعة أعمال أدبية. بما يدل — بشكل واضح — على النضج المبكر.

والبيئة التي أحاطت بالشيخ كان لها أثرها الكبير. ولا سيما البيت و«ندوة العلماء» والعلماء الذين كانوا يقصدونها. أمثال تقي الدين الهلالي. و خليل بن محمد اليماني. وقد استمرت صلاته بالأول بعد أن ترك ندوة العلماء.

وفضلاً عن مؤلفاته المذكورة. لم يكن من العلماء الذاهلين عن مجتمعهم. بل تفاعل مع ما حوله على مستوى العالم الإسلامي تفاعلاً كاملاً. وانتصر لقضايا المسلمين السياسية والثقافية بشكل واضح. من خلال المؤتمرات العالمية التي كان عضواً بارزاً فيها.

ولما كان عام ١٩٤٧ انفتح على العالم الإسلامي. برحلاته إلى دول آسيوية وإفريقية. وأوروبا وأمريكا. وألقى المحاضرات في معظم الجامعات العالمية. والمؤسسات العلمية فيها. ومنح الجوائز وشهادات التكريم من أكثر من جهة. ولم يكن حريصاً على الشهادات التي ربما قدح تسلمها في مروءته وشخصيته. ولهذا ترك بعضها ولم يتسلمها (١٦).

■ ■ ■ بين الأدب والنقد:

ونتوقف عند الشيخ بين الأدب والنقد. وكنت أشرت إلى أنه صاحب ثلاث نظريات. اثنتان في اللغة والأدب. وثالثة في تعليمها (١٧). والنظرية مجموعة من الآراء والأفكار القوية. والمنسقة والعسيفة والمتراصة. والمستندة إلى نظرة في المعرفة أو فلسفة محددة. تدرس الظاهرة.. في سبيل استنباط وتاصيل مفاهيم تبين حقيقته وأثاره (١٨) وإذا

كان النقد تابعاً ولاحقاً بالأدب. إذ إن معظم المفكرين في اللغة والأدب مارسوا النقد من خلال أحكامهم على النصوص التي كانت بين أيديهم. فإذ لا تستطيع أن تفصل بين معالم شخصية أبي الحسن أدبياً وبين معالمها ناقدًا. فقد تكاملت فيه الصفتان. واجتمع فيه الامران. ولنا أن نتساءل مجموعة من الأسئلة في محاولة للإجابة عليها:

○ أكان الشيخ مبدعاً؟ وما ميادين إبداعه؟

○ أكان الشيخ ناقدًا؟ وما أبعاد ميادين نقده؟

○ هل قدم نظرية نقدية متكاملة؟

○ وهل استطاع أن يقدم تطبيقات عليها؟

○ ما المعايير النقدية التي اعتمدها؟ وما خصائصها؟

ونقرر أولاً أن صورة الشيخ المبدع نستطيع التوصل إليها من خلال كتب الاختيارات فضلاً عن قصص النبئين التي ألفها للأطفال (١٩). ومن ميادين الإبداع إسهامه في فنون النثر الأخرى. مثل أدب الرحلات. والسيرة الذاتية. وأدب التراجم. وأدب التقديمات.

ولا يقع اهتمامنا في حديثنا هذا بجوانب الأدب المبدع. ولكن لا بأس من أن نؤصل أولية الشيخ الندوي في مجال التنظير للأدب. فهو تاريخياً أول من تقدم بفكرة الأدب الإسلامي وأول من تبني الدعوة إليه في العصر الحديث. وكان هذا في مطلع حياته حين بلغ السادسة والعشرين حيث ألف كتاب مختارات من أدب العرب سنة ١٩٤٠.

ثم جاء سيد قطب في مقالاته المنشورة سنة ١٩٥٢. ثم جمعها في كتابه (في التاريخ.. فكرة ومنهج).

وجاء شقيقه محمد قطب في كتابه (منهج الفن الإسلامي) سنة ١٩٦١.

وبعد نجيب الكيلاني في كتابه (الإسلامية والمذاهب الأدبية). سنة ١٩٦٣.

ثم عماد الدين خليل في (النقد الإسلامي المعاصر) سنة



■ الشيخ الأولى في التنظير للأدب.. وكان أول من نبه

١٩٦٣ (٢٠).

لقد واكب الشيخ حركة الأدب الإسلامي على المستويين الفردي والجماعي، الفردي من خلال مؤلفاته وكتابات، والجماعي من خلال إقامته أول مؤتمر للأدب الإسلامي عام ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م وذلك في ندوة العلماء بمدينة لکنہو، وقد انتخب رئيساً للرابطة مدى الحياة.

ليس بين أيدينا كتاب نقدي خالص، له ولعل أبرز آرائه النقدية جاءت مبثوثة في كتابه نظرات في الأدب، وتأتي آراؤه الأخرى في دراساته الأدبية، ومع ذلك، فإن النظرية النقدية جاءت ذات معالم واضحة نستطيع أن نسجلها.

ويرى د. بن عيسى باطاهر أن الندوي كانت له نظرات نقدية جديدة في الأدب، فتحت أبواباً أمام الدارسين، ولقنت أنظارهم إلى الكثير من القضايا والمقاييس والقواعد في الأدب الإسلامي ونقده (٢١).

يرى الشيخ الندوي أن النقد للأدب بمثابة الميزان للعمل الأدبي (٢٢)، فهو يستخدم لتقويم عمل من الأعمال الأدبية وتقييمه (٢٣)، وهو ينفع لضبط الأعمال الأدبية، وقد بدأ العمل النقدي في العرب، وجرى بصورة طبيعية خلال قرونهم الماضية، ويرى أن القرآن الكريم أفيد منه في تحديد قواعد منه، واستمر مترابطاً مع البلاغة.

كما يشير إلى التيارات الفكرية الجديدة التي غزت الفكر الإسلامي، وإلى طبيعة هذه الاتجاهات لدى الغرب، فقد كانت مثبثة أو منطبعة بطبيعة اتجاهات أديبائه، المادية والمسيحية، والعلمانية والإلحادية بحكم حياتهم، وهي لا تتلاءم مع طبيعة العرب واتجاهاتهم، التي انطبعت بالبيئة العربية، المختلفة طبيعياً واجتماعياً وفكرياً عن طبيعة الحياة في الغرب، وانطبعت بالنظرة الإسلامية السارية في مجالات حياتهم. فإذاً تقتصر القواعد النقدية لدى الغرب إلى نظرات لمحة، تنقي النقد من لوثات لا تتلاءم مع طبيعة الحياة العربية، واتجاهاتها الإسلامية.

ويقول في موضع آخر: «لقد مضى علينا قرن كامل، وأوروبا تغتصب شبائنا وعقولنا، وتثبت في عقولنا الشك والإلحاد والنفاق، وعدم الثقة بالحقائق الإيمانية والغيبية، والإيمان بالفلسفات الجديدة، الاقتصادية والسياسية، ونحن معرضون عن مقاومتها، معتمدون على ما عندنا من تراث، مضربون عن الإنتاج الجديد، حتى فوجئنا في

العصر الأخير بانتهاء العالم الإسلامي» (٢٤).

فهو يؤكد على أهمية قيادة العالم الأدبية، وتأتي هذه القيادة مقرونة بالعلم والفكر، يقول: «إن القيادة العلمية والفكرية والأدبية للعالم كله من واجبات المسلمين، وهي حق للأمة الإسلامية، وماذا سيجر من شقاء وبلاء لو تخلت هذه الأمة عن منصبها ودورها القيادي، وما تلحق بها كذلك من خسائر وأخطار (إلا تغفلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)» (٢٥).

ومن الجوانب التي تكشف لنا عن شخصية الندوي النقدية، ثقافته الأدبية العميقة، وتذوقه للنصوص الأدبية على اختلاف أنواعها، يقول الشيخ الطنطاوي في مقدمة مختارات من أدب العرب: «حتى وجدت كتاب أبي الحسن، فإذا هو قد نفذ كتب الأدب والتاريخ نقضاً، وحرشاً حرباً، فاستخرج جواهرها، فأودعها كتابه» (٢٦).

ويقول محمد المجدوب: (٢٧) «ومتبع ما يكتب الشيخ الندوي يشعر بأن لعبارته الأدبية سحراً لا يتوافر في العادة إلا في العلية من أصحاب المواهب، الذين تعمقوا سر الكلمة، وتفاعلوا به، وكان لقلوبهم أكبر الأثر فيما يصوغونه، وتلك هي الخاصة الرئيسية...».

ولقد وصف الشيخ الطنطاوي أسلوب الندوي بأنه (نغمة علوية)، «يا أخى الأستاذ أبا الحسن! لقد كنت أفقد ثقتي بالأدب حين لم أجد عند الأدياء هذه النغمة العلوية» (٢٨).

أما الشيخ القرضاوي، فقد نوه بملكته الأدبية، وقلبه الحي ضمن خصال ستة، جعلها من المواهب والقدرات التي أعطاها الشيخ في دعوته (٢٩).

ومن نماذج الأمثلة التي تذكر على أن الشيخ أوتي ملكة وموهبة في التدقيق الأدبي، - وهي أول خطوة في إدراك النقد - قوله يصف أسرار جمال الحديث النبوي: «ما ظنك ببشر، ذل بالقرآن لسانه، وامتزج القرآن بلحمه ودمه، وجرى فيه مجرى الروح، وأخذ بقلبه، واستأثر بلبه، بل أشرب في قلبه القرآن، وتمكن منه ما الله أعلم به، فإن لم يكن كلامه بعد ذلك من الوحي - فكما قال أخونا الشاعر مصطفى صادق الرافعي - قد جاء من سبيله، وإن لم يكن له من دليل، فقد كان هو من دليله، قد عبّد له الوحي طريق الكلام وذلك».

دعوة للأدب الإسلامي في العصر الحديث.

كما كان بعد السيل مجراه مرتعا (٣٠)

■ النقد المعيارى

تجد النقد المعيارى عند القدماء (٣١)، كما يجيء عند المحدثين بأسماء مختلفة (٣٢)، ولا يد لنا — إذ نحن بصدد التوقف عند الأحكام النقدية المعيارية عند الشيخ أبي الحسن — أن نشير إلى جهود الباحثين في هذا المجال، فقد توقف بن عيسى بظاهر عند جوانب التفاصيل الإسلامى للنقد، ووظيفة النقد الإسلامى عند الشيخ، وصفات الناقد المسلم، وأن النقد وسيلة لا غاية، والقيم وأثرها في النقد الإسلامى، كما توقف عند نظرات الشيخ النقدية التطبيقية في الشعر والنثر (٣٣).

وساقى في هذه الموضوعات جوانب من نقادات الشيخ وآرائه. وجاءت الإشارة إلى آراء الشيخ أبي الحسن النقدية عند أنور الجندي، في سياق تأصيل نظرية الأدب الإسلامى (٣٤).

ونبه الدكتور عبدالباسط بدر إلى خصائص كتابة الشيخ الندوي، فرأى في نظراته في الأدب أنها تنظير للأعراف والقواعد والمقاييس، وريادة في دروب الأدب الإسلامى ونقده (٣٥).

وكان تعريف الشيخ المبكر للأدب الإسلامى:

«إنه تعبير عن الحياة، وعن الشعور والوجدان في أسلوب مفهوم مؤثر» (٣٦).

والتعريف هنا لا يشير إلى الإسلام وعلاقته بالأدب، لأن ذكر الإسلام متقدم في السياق، وقد علق الشيخ على تعريفه حينما سئل عن مصطلح الأدب الإسلامى فقال: «يعنى عندي بمعناه الواسع الهادف البناء» (٣٧).

وأما مفهوم الأدب الإسلامى عنده على لسان رابطة الأدب الإسلامى؛ فهو: «التعبير الفني الهادف عن الحياة والكون والإنسان وفق التصور الإسلامى» (٣٨).

ويرتبط مفهوم الأدب الإسلامى في الإشارة إلى معالنه المهمة «ذلك الأدب الطبيعي الذي يحمل الكلام المرسل، والتعبير البليغ، يحرك النفوس ويثير الإعجاب، ويوسع آفاق الفكر ويفرغ بالتقليد، ويبعث في النفس الثقة» (٣٩).

ولا بد للأديب الحاذق أن يتشرب بلبان التراث العربى، الذي يحتوى على أنفس ما أنتجتته القرائح البشرية،

وأبدعته العقول السليمة، وقاضت به خواطر، وسالت به محابر، عن أدب وشعر، وتاريخ وفق، وحكمة (٤٠).

«وأن المكتبة الأدبية، تكاد تكون ركازاً أدبياً، تنقظر همماً عالية، ونظرات واسعة، وأيدي أمينة قوية، وتصوراً للأدب صحيحاً واسعاً، وهياماً بالجمال والقوة والحياة، وبلاغة التعبير، ودقة التصوير، ومس القلوب، وإثارة النفوس، والقدرة على تحريك العاطفة، وحاسة الجمال (٤١) ويرفض أن يسير الأدب على خط واحد كما رسمه القدماء، وكان أحق بأن يتغير من الجمود والتقليد، ولا يقع فريسة العصبية التقليدية، ويصبح أسيراً للعادات والرسوم، ولما هذا ينكر محمد إقبال على المحافظين

فيقول: «إن هذه المدرسة تدور كتور الطاحون حول محور واحد قديم» (٤٢).

والجودة الفنية لا ترتبط بالأديب على إطلاقه، فالنظر يكون إلى ما قيل قبل النظر إلى من قال. جاء هذا في سياق الإنكار على الأوساط التعليمية والأدبية في الهند.

وترى الكاتب الواحد وجود قلمه مرة، ويتراجع أخرى، إذا كتب في موضوع علمي أو ديني، وإذا تناول موضوعاً أدبياً تكلف الإنشاء.. فقد سقطت كتب (أطواق الذهب) و(المدهش) للزمخشري، وابن القيم وليس لهما أية قيمة، أما (صيد الخاطر) و(تلبيس إبليس) و(المفصل) و(الكشاف) فهي جديرة بالبقاء جديرة بكل اعتناء.

في الوقت نفسه يرى أن لعائلة الأدب وكباره فعالية وأثراً، في الشعراء والأدباء الذين يأتون من بعدهم، «فإن الأدب لا يقدر على التأثير حتى يكون وراءه شخصية قوية، تقرض أثرها، وتقرض فكرها، ومدرستها ومنهج فكرها، على هذه اللغة وعلى الشعراء والكتاب من أمثال مولانا جلال الدين الرومي (٦٧٢هـ) والشيخ مصلح الشيرازي (٦٩١هـ) ومحمد إقبال (٤٣).

وأكثر ما يتجه الحديث في التجربة الشعرية، أو الفنية، ومعايير النقد فيها تقوم على أربع: العاطفة، والمعنى،



■ كار الأديب الجاذف الذي نشر بلبان الفرائث العربي

والأسلوب. والخيال (٤٤).

■ ■ ■

فالعاطفة أو الانفعال والمشاعر عند الشيخ ركن ركين، وأساس متين يقوم عليه العمل الأدبي، والعاطفة والطبع صنوان لا يفترقان، وليست العاطفة المطلوبة المجردة من المغزى والهدف، فالنص الأدبي شعراً أو نثراً لابد أن يكون قاصداً ومؤثراً، ذا رسالة هادفة.. ويختر لنا قول محمد إقبال: «لا بارك الله في نسيم السحر، إذا لم تستفد منه الحقيقة إلا الفتور والخصول، والذوي والذبول، إن غاية الإحسان في فن من فنون العلم والأدب لوعة الحياة الدائمة، وما قيمة شرارة تلتهب سريعاً وتتطفئ سريعاً؟ وما قيمة لؤلؤة كريهة أو صدف لامة، لا تحدث اضطراباً في الأمواج، ولا اضطراباً في البحار؟ لا نهضة للأمم إلا بمعجزة، ولا خير في أدب ولا شعر إذا تجردا عن تأثير عصا موسى (٤٥).

وحيثما تحدث عن رقة أشعار محمد إقبال يبرز أهمية العاطفة، إنني أتصور الأدب كأنثاً حياً له قلب حنون، وله ضمير واع، وله نفس مرهقة الحس، وله عقيدة جازمة، يتالم بما يسبب الألم، ويقرح بما يثير السرور» (٤٦).

ونتأمل في ألفاظ القلب والضمير والنفس والعقيدة، إذ هي مراكز العاطفة، ولننظر في صفات القلب والضمير «حنون وواع» وصفات النفس والعقيدة «مرهقة جازمة».

وعلى أن النقد الأدبي أفاض الحديث في الطبع والصناعة، فإن المرزوقي (ت ١٩٢٨ هـ) يختصر ذلك فيقول في التفريق بينهما: «والفرق بينهما أن الدواعي إذا قامت في النفوس، وحركت القرائح عملت القلوب، وإذا جاشت العقول بمكنون ودائعها تبعث المعاني ودرت أخلاقها» (٤٧).

وفي المجال التطبيقي لهذا المعيار، يتجلى بوضوح حين يقتبس لنا من شعر محمد إقبال، وتبرز فيها بوضوح أهمية المشاعر والعاطفة. يجيب محمد إقبال الذين لاموه على توجيهه على كبر

سنه إلى المدينة «يا إخواني ألا تعرفون أن الطائر يهيم على وجهه في الصحراء، ويخلق في الفضاء، فإذا أدير النهار، وأقبل الليل، تذكر وكره، ويرف بجناحيه إلى وكره، يطير إليه لياوي فيه، والمدينة وكر الروح، وكر العقيدة، وكر الإيمان.. فكيف لا يطير إلى وكره حين دنا أصيل حياتي» (٤٨).

ويقرر أن سبب تفوق إقبال يعود إلى ثلاثة أسباب: قوة شخصيته، وقوة العقيدة، وقوة العاطفة» (٤٩).

إن هذا الزخم من العواطف الذي امتاز به شعر إقبال جعل الندي يعترف فيقول: «وأشهد على نفسي، أنني كلما قرأت شعره جاش خاطري، وثارت عواطفه، وشعرت بديب المعاني والأحاسيس في نفسي.. وتلك قيمة شعره وأدبه في نظري» (٥٠).

وبعمل سر تفوق المدرسة الأدبية الإسلامية في الهند (٥١) في المديح النبوي، حيث يقول: إنهم لم يستطيعوا السفر لزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم، فاستعاضوا عن السفر بالشعر، «ولم يزل السفر يزيد القلب والشوق، وهو الحسام الزجل الذي لا يزالهم شيء ولا يعوقه شيء، وإذا امتلأت الكأس طفحت، وإذا طفحت فاضت، ولابد أن يعقب الرّي السكر، ولابد أن يعقب السكر التغني، وما أجمل ما قال الشاعر العربي:

سَقَوْنِي وَقَالُوا: لَا تَغْنِي وَلَوْ سَقَوْا

جِبَال سُلَيْمَى مَا سَقَيْتَ لَغَنَّتْ
واتجراف العاطفة عند بعض المذاهب أضعف أشعارهم» (٥٢).

وحيث يحدثنا عن زيارته للرسول ﷺ، لا يستطيع أن يعبر بالالفاظ والكلمات، عن الأشواق والسرور واللذة التي عاشها، «وفي القلوب أشواق ولوعات، وفي العيون دموع غزار، وعلى اللسان أبيات من الشوق والحب، وقصائد في مديح النبي الكريم عليه أفضل الصوات والتسليم» (٥٣).

وحيث تحدث عن شاعرية ظفر علي خان، وصف



■ محمد إقبال



■ تاحي صانق الزاقي

يكنوي على أنفسه ما أنبجته الفرائد البشرية.



إلى خير الإنسان، وبناء حياته (٦١). ومن أسباب تأليفه (في مسيرة الحياة) - وهو كتاب أدبي يدخل في باب السيرة الذاتية - استعادة الذكريات، والتأمل في صنع الله، وتذكره قوله الله تعالى: «سفرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد» السجدة: ٥٣ (٦٢).

ومن معايير النقد الحديث ما يؤيد منهج الندوي أنه يجمع الفائدة والمتعة. حين يؤدي العمل الأدبي وظيفته تأدية ناجحة: فإن نعمتي «الفائدة والمتعة» لا يجوز أن تتعايشا فقط، بل يجب أن تتدمجا» (٦٣).



وأما الأسلوب وما يطلق عليه المحدثون الشكل، وارتباطه بالعاطفة، فيشير إليه بقوله: «التعبير الدقيق من خواطر ومشاعر، ووجدانات، وكيفيات نفسية عميقة دقيقة، ووصف بليغ مصور للحوادث الصغيرة» (٦٤).

وانسياب الأسلوب بعفوية مهم جداً، ولأجله رفع الشيخ الندوي دعوته إلى النظر في كتب التراث، للوقوف على نصوص جديدة، ممثلة للأدب الحقيقي، فيه «عربية فنية، وأسلوب مطبوع يتدفق بالحياة» (٦٥) وهذه القطع الأدبية تتفوق في «قوتها وحيويتها، وسلاستها وسلامتها، وفي بلاغتها وجمال لغتها، على دواوين أدبية، ومجاميع ورسائل» (٦٦).

«تلك القطع الجميلة مليئة بالحياة، بعيدة عن الشروط والصفتان، والتقاليد المفسدة له، الطامسة لثورته، التي لا بد فيها من السجع، والصناعة، والبديع، والمحسنات اللفظية» (٦٧).

ويرتبط بالأسلوب عناية الشيخ بالأدب المطبوع، واستثقاله للأدب المتكلف والمصنوع «إنه أدب طباعي وكلام مرسل، وتعبير بليغ» (٦٨) ويقول في موضع آخر: «الوصف الدقيق، والتعبير الرقيق، وعدم التكلف

أسلوبه بأنه يتدفق كتدفق العين المنقجرة» (٥٤).

واختار لرسائله (إلى ممثلي البلاد الإسلامية) نموذجاً جديداً للأدب الإسلامي الدعوي - على حد قوله - كان في رسالته حرارة واندفاع، ولوعة قلب، وحسرة نفس، ودعوة إلى ثورة (٥٥).

لقد كانت العفوية وتجنب التكلف مبدأ لدى الشيخ الندوي في كتاباته، وقد التزمه في كتابه (في مسيرة الحياة)، فصرح أنه حينما يتحدث عن قصة حياته الشخصية يتحدث «في غير ما تكلف واهتمام» (٥٦).



وأما الركن الثاني: المعنى، فيطلق عليه المحدثون لفظ «المضمون».

حينما يتحدث عن إقبال: «إن أعظم ما حملني على الإعجاب بشعره هو الطموح والحب والإيمان.. هذا المزيج الجميل في شعره وفي رسالته.. وهي تندفع اندفاعاً قوياً إلى كل أدب ورسالة، يبعثان الطموح وسمو النفس، وبعد النظر، والحرص على سيادة الإسلام» (٥٧).

ولا يصح للأديب المسلم أن يجمع بين الكتابة في الموضوعات الإسلامية وغير الإسلامية، وبذلك يفقد أدبه هزة في النفوس المسلمة، وتأثيراً في القلوب المؤمنة. وقد وصف الدكتور طه حسين الذي خالفه الرأي في كثير من الأمور، بأنه يحسن كتابة شيء كثير لا يعتقد، ولا يتحمس له، وتلك صناعة لا يحسنها كل واحد (٥٨).

وظيفة الأدب وغايته، هو أنه وسيلة بناء وإصلاح وخير، يؤثر في النفوس، ويغير في الاتجاهات واليول، ويحدث الانقلاب في الأخلاق والعمل والتفكير (٥٩)، وأما أدب التسلية والترفيه، وأدب الغزل والمدح، فله قيمة في مكتبة الأدب وفي قلوبنا.. ولكنه ليس الكل، وليس الغاية التي يقبل عليها الإنسان بالقلب (٦٠).

فالأدب ليس أداة تسلية وإلهاء نفس، وإزجاء وقت، أو قتل وقت كما يقول بعض الأدباء فحسب، إن الأدب من بين أكبر الوسائل للوصول إلى الأهداف النبيلة، وللتأثير في النفس الإنسانية، والحرص على سيادة الإسلام وتسخير الكون لصالحه، والسيطرة على النفس والآفاق، ولإتعاش الإنسان وتنشيط مشاعر الإنسانية المعاصرة

كانت العفوية وتجنب النكف.. مبدأ لدى الشيخ في

(٨) ينظر، جبور عبدالنور: المعجم الأدبي، معجم المصطلحات الأدبية، مجدي وهبة، وكامل المهندس.
(٩) المعجم للفصل في الأدب، د. محمد التونسي، ٢/ ٦٦٥.
(١٠) بتحقيق الدكتور طه الحاجري، والدكتور زغلول سلام، القاهرة ١٩٥٦، وينظر تاريخ النقد الأدبي، إحسان عباس، ص ١٢٤.

(١١) المرجع نفسه، ص ٧، وينظر تاريخ النقد الأدبي ص ١٣٧.
(١٢) مقدمة الأرض البيضاء، د. عبدالواحد لؤلؤة ص ١٤، وجاءت آراء آبيوت هذه في دراسة مبكرة له، عنوانها «التراث والموهبة الفردية».

(١٣) مقدمة «في مسيرة الحياة»، ١٢/ ١.
(١٤) مؤلفات سماحة الداعية الإمام أبي الحسن علي الحسيني الندوي بالعربية، مكتبة حراء، لكهنؤ ١٩٩٨.

(١٥) في مسيرة الحياة ١/ ١٢٨.
(١٦) ينظر في حياته والبيئة العلمية «في مسيرة الحياة»، ٤٤/ ١ وما بعدها.

(١٧) ينظر مقالنا في مجلة المجتمع: أبو الحسن الندوي الداعية الأدبي، العدد ١٣٨٦، ص ٥٢.

(١٨) في نظرية الأدب، ص ١٣ (د. شكري عزيز الماضي، ط ١، ١٩٨٦).

(١٩) من كتبه التي تضمنت آراءه الأدبية، «شخصيات وكتب»، و«الطريق إلى المدينة»، و«روائع إقبال».

(٢٠) جهود الشيخ أبي الحسن الندوي، ص ٤٦ - ٤٧.
(٢١) الأدب الإسلامي وثله عند الشيخ أبي الحسن الندوي ص ٨٨ مجلة إسلامية المعرفة العدد ١٢ سنة ١٩٩٨ م.

(٢٢) من كلمته التي أرسلها إلى الملتقى الدولي الثاني للأدب الإسلامي في الدار البيضاء ١٢-١٥/ أبريل ١٩٩٨، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ١٨، ص ١٠٤.

(٢٣) يستخدم الشيخ لفظ «تقويم» و«تقييم»، وكأنه يفرق بينهما في الدلالة المعجمية، وليس الأمر واضحاً في المعاجم الغربية في هذا التقريب.

(٢٤) الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، ص ٨٠، نفاً عن بحث بن عيسى باطاهر، إسلامية المعرفة، العدد ١٢/ ١٩٩٨.

(٢٥) من خطابه الختامي في مؤتمر رابطة الأدب الإسلامي في جامعة الهداية، جني سور ٢٢ - ٢٣ يونيو ١٩٨٦، «في مسيرة الحياة»، ١٦٧/ ٢.

(٢٦) مقدمة «مختارات من أدب العرب»، ٦/ ١.
(٢٧) علماء ومفكرون عرفتهم، ١/ ١٤٦.

(٢٨) مقدمة كتابه «الطريق إلى المدينة».

(٢٩) مجلة البعث الإسلامي، ع ١٤، مجلد ٤٢، رمضان ١٤١٧ هـ.

(٣٠) جهود الشيخ أبي الحسن الندوي، ص ١٥٢.

(٣١) تناول النقد القديم ضروباً من النقد المعيارية، ولعل أنضجها ما عرف به «عمود الشعر» الذي تناوله الأمدي

والصناعة... (٦٩)، ويشير إلى بلاغة الراوي العربي باقتداره على الوصف والتعبير والتصوير (٧٠).

ويشير إلى قطعة نثرية أخرى فيقول: «لطيفة السبك، بارعة في التصوير» (٧١).

ويثني على ظفر علي خان، الذي كان من كبار شعراء عصره، فقد وصفه بأن له اقتداراً عجيباً على القوافي الصعبة، والبحور العويصة، وأمتاز بجزالة اللفظ، وحلاوة الجرس (٧٢).

■ ■ ■

ويصل بنا الحديث إلى العنصر الرابع وهو الخيال، فهو جزء من الأسلوب، وسيلة من وسائله القوية.

ويشير إلى أهمية الخيال في النص الأدبي، في المختارات التي اختاروها «تكون مادة لغوية، ومنبعاً فياً للخيال، والتعبير والكتابة» (٧٣).

وفي موضع آخر يشير إلى الخيال بتعبير «القدرة الميانية» (٧٤).

ومن جماع هذه الأركان الأربعة تتجلى لنا أبعاد التجربة الفنية وأركانها، فيقول: «كانها لوحة فنية منسجمة متناسقة، قد أبدع فيها الفنان، أو صورة متناسية قد أحسن فيها المصور كل الإحسان» (٧٥).

وبهذا نكون قد ولفنا عند أبعاد النقد المعيارية عند الشيخ أبي الحسن الندوي، نسال الله أن يتقبل منا عملنا ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

■ ■ ■ هوامش

(١) أسناد الأدب العربي في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوعي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

(٢) الأرض البيضاء، ترجمة د. لؤلؤة، ص ١١، (ط ٢)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٥.

(٣) لسان العرب، مادة «عبر».

(٤) مختار الصحاح، مادة «عبر».

(٥) المحيطة، مادة «عبر».

(٦) لسان العرب مادة «عبر».

(٧) مختار الصحاح مادة «عبر».

كتاباته.. التزامها في كتابه « في مسيرة الحياة ».



مشابهة عن العاطفة « الأحاسيس والمشاعر » وعن المعنى « العقل والفكر » وعن الأسلوب « اللغة والإيقاع والموسيقى » عن الخيال « الخيلة والصورة ».

(٤٥) نظرات في الأدب، ص ١٠٦.

(٤٦) نفسه، ص ١٠٥.

(٤٧) شرح حساسة أبي تمام، ص ١٢، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط القاهرة، ١٩٥١.

(٤٨) نظرات في الأدب، ص ١٠٥.

(٤٩) السابق، ص ١٠٥.

(٥٠) نفسه، ص ٨٢.

(٥١) نفسه، ص ٧٩.

(٥٢) صورتان متضادتان، ص ١٠٥.

(٥٣) في مسيرة الحياة، ١/ ١٩٦.

(٥٤) نظرات في الأدب، ص ٨٣.

(٥٥) في مسيرة الحياة، ١/ ١٩٨.

(٥٦) نفسه، ١/ ١٩٦.

(٥٧) نظرات، ص ٨١.

(٥٨) مختارات من أدب العرب، ١/ ١٤٠.

(٥٩) في مسيرة الحياة، ٣/ ٢٥١.

(٦٠) نظرات في الأدب، ص ٩٠.

(٦١) نفسه، ص ٨١-٨٢، ١٠٥، وينظر ما جاء في كلمته التي القاها في مؤتمر بالهند، مجلة الأدب الإسلامي، ع ١٩ ص ١٢٥.

(٦٢) في مسيرة الحياة، ١/ ٢١-٢٢.

(٦٣) نظرية الأدب، ص ٢٩، رينيه ويلك، وأوستن واين، ترجمة محيي الدين صبيحي، بيروت، ١٩٨٧.

(٦٤) نظرات في الأدب، ص ٢٢.

(٦٥) السابق، ص ٣٠.

(٦٦) نفسه، ص ٣٠.

(٦٧) نفسه، ص ٣١.

(٦٨) نفسه، ص ٢٢.

(٦٩) نفسه، ص ٢٣.

(٧٠) نفسه، ص ٢٣.

(٧١) نفسه، ص ٣٣.

(٧٢) نفسه، ص ٨٣.

(٧٣) مقدمة مختارات من أدب العرب، ١/ ٦.

(٧٤) نظرات في الأدب، ص ٢٣.

(٧٥) نفسه، ص ٢٣.



(ت ٣٧٠هـ) والجرجاني (ت ٣٩٢هـ)، ثم استكمل على يد المرزوقي (ت ٤٢١هـ)، فقد حدده بسبعة شروط، ثم وضع لكل شرط معياراً، يقول: «أنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، ومن اجتماع هذه الثلاثة، كثرت سواثر الأمثال، وشوارد الأبيات، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والثناء، على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكله اللفظ للمعنى، وشدة اقتضائهما للقافية، حتى لا منافرة بينهما، فهذه سبعة أبواب هي عامود الشعر..» وقد جعل المعايير التي تقوم عليها هذه الشروط: العقل الصحيح، والطبع، والرواية، والاستعمال، والذكاء وحسن التمييز، والفطنة وحسن التقدير، والطبع واللسان، والذهن وحسن الفطنة، وطول البرية ودوام الممارسة.

وقدم ثلاثة مستويات في النقد هي: ١ - أحسن الشعر وأصدق، ٢ - أحسن الشعر وأكذب، ٣ - أحسن الشعر وأقصره، لأن تجويد قائله فيه مع كونه في أسار الصنق يدل على الاقتدار والحق، ولأن قائله اختار الغلو وأسقط عن نفسه تقابل الوصف والوصوف، فامتد فيما يأتيه إلى أعلى الرتبة، وظهر قوته في الصياغة، وتمهره في الصناعة، فتصرف كيف شاء.

(٣٢) شرح ديوان الحماسة ص ٩-١٢ ط القاهرة ١٩٥١م. ومنهم الدكتور محمد مشور الذي قدم خمسة معايير بعد استقرائه لجهود النقاد في دراسته الميكزة، النقد المنهجي عند العرب، ص ٣٨٥-٣٨٩ (دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت)، وهي: ١ - مقاييس شعرية تقليدية ٢ - مقاييس لغوية ٣ -

مقاييس بيانية

٤ - مقاييس إنسانية ٥ - مقاييس عقلية.

(٣٤) الأدب الإسلامي وتقده عند الشيخ أبي الحسن الندوي، ص ١١٠ وما بعدها، مجلة إسلامية المعرفة، العدد ١٢، ١٩٩٨. (٣٥) أسلمة المناهج والعلوم، ص ١١٧، ١١٨، دار الاعتصام القاهرة، ط ١٩٨٦.

(٣٥) مقدمة «نظرات في الأدب»، ص ١٨.

(٣٦) نظرات، ص ٣٥.

(٣٧) مجلة الأدب الإسلامي، المجلد ١، العدد ٢، ص ٢٩.

(٣٨) مجلة الأدب الإسلامي في مقال: «شبهة المصطلح»، د. عبدالقدوس أبو صالح، ع ٨، ص ٦، ويلاحظ أن النظام الأساسي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية عرف الأدب الإسلامي بأنه: «التعبير الفني الهادف عن الحياة والكون والإنسان وفق الكتاب والسنة». ينظر النظام الأساسي، ص ٢٣ (ط ٢، ١٩٩١).

(٣٩) نظرات في الأدب، ص ٢٢.

(٤٠) مختارات من أدب العرب، ١/ ٣.

(٤١) مقدمة «الأدب الإسلامي وصلته بالحياة»، ص ١١.

(٤٢) الأدب الإسلامي فكرته ومنهجه، ص ٤٧.

(٤٣) نظرات، ص ١٠٨.

(٤٤) ينظر «النقد الأدبي» لأحمد أمين، ص ٢٢، وأطلقت الفاظ

الشيخ أبو الحسن وتطور اللغة العربية

إن الحياة متطورة متغيرة كما تتغير الطوائع والأزمان، ولا يعتور التطور الحياة والطبيعة والزمان لحسب، بل ينتاب العلم والأدب والثقافة والحضارة، حتى القانون والشرعة، فلا يتركز تغير الأحكام بتغير الأزمان، نشاهد نحن سكان الأرض نطوّر في كل صباح ومساء، ونواجه تغيراً كل ليلة ونهار، وتلك سنة الله، ولا نجد لسنة الله تبدلاً، والتطور هو الذي جاء بالوان من الحياة الإنسانية، منذ أن هبط الإنسان على هذه البسيطة إلى أن نما وترعرع ونهض وتقدم، فنشأت مجتمعات إنسانية ذات علم وفن وأدب وثقافة وحضارة ومدنية، تمتع فيها بنو آدم وصنعوا، وبنوا وشيدوا صروحاً شاهقة في كل عصر وعصر، وفي كل زمان ومكان، وهذه هي طبيعة البشر وفلسفة الحياة، وإما نحن طلاب اللغة العربية وأدبها فنمر ببؤس اللغة إلى عصرنا هذا بتطورات لغوية وأدبية، وتاريخية نقدية دراسية من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث والمعاصر، وهذه هي سنة الله أيضاً ولن نجد لسنة الله تحويلاً.

لست أريد هنا أن أحكي لكم قصة اللغة العربية عبر التاريخ فلها مجال آخر، ولكنني لابد لي من وقفة قصيرة عند اللغة العربية وأدبها، التي جلبت موارد عذبة

غنية، ومناهل صافية ثرية، سقت وروث رواد من العصر الأول إلى أن امتزجت بها مياه أعجمية كدرة، أو لوثت الصناعة والتملق والوشي والتطريق، فقد كان أدباً طبيعياً جعلاً تحت به الكتب والرسائل لأساطين العلم والأدب، تشهد بعفوية اللغة العربية وعالميتها، وقد أشار إليها رائد الأدب العربي في العصر الحديث بالهند الشيخ أبو الحسن علي الندوي رحمه الله، فيقول:

«إن هذه الكتب تشتمل على روايات قصيرة وطويلة، وكلها أسئلة جميلة للغة العرب العراء، التي كانوا يتكلمون بها ويعبرون فيها عن ضمائرهم وخواطرهم، ويجد دارس الأدب العربي فيها من البلاغة العربية، والقدرة البيانية والوصف الدقيق، والتعبير الرفيق، وعدم التكلف والصناعة ما يقف أمامه خاشعاً معترفاً للرواة بالبلاغة والتحمري في صحة العقل والرواية، واللغة العربية بالسعة والجمال» (مقدمة مختارات، ص ٨).

ولكن الأدب العربي كما ذكرنا أصيب بلوثة أعجمية ذهبت بروك وبهائه، وشيدته بسلاسل وأغلال، انتقدت حرية وانطلاقه وخفة روحه وجماله، وذلك ينبوع أدباء وكتاب تربعوا على عرش الأدب العربي، أمثال أبي إسحق الصائبي وابن العميد والصاحب بن عباد والخوارزمي والهمداني والعري، فاخترعوا أسلوباً للكتابة يختلف

عما سبقهم، كانت الصناعة والسجع والبديع تغلب عليهم، وجاء بعضهم أبو القاسم الحريري بمقاماته بنفس الأسلوب المسجع، بل غلب فيه وتلاعب بالألفاظ المنسقة والكلمات المطرزة، وسار القاضي الفاضل على هذا الدرب، ونهج هذا المنهج، الذي ورثه من الهمداني والحريري، وكانت له نولة وضوالة، فسيطر على الأساطير الأدبية وتحكم في هذا الأسلوب الكتابي القريب فقلده الأدباء والكتاب الذين خلفوه فانشغلوا به، فأصيبوا وأصيبت اللغة العربية بالجمود والعقم، إلى أن أمسك زمام الكتابة في اللغة العربية ابن خلدون، وفي شبه القارة الهندية الإمام ولي الله الدهلوي رحمه الله، واختاروا أسلوباً طبيعياً متديناً بالحياة والقوة والجمال، أولهما في «المقدمة» وثانيهما في «حجة الله البالغة»، فانتعش الأدب، وشما وترعرع، وبرز في العصر الحديث يستعيد قيعته وسكانته وحيويته ونشاطه، ولكن الثعاهد والمدارس كانت لا تزال تثبت بذلك المنهج والمقرر الدراسي القديم، الذي لم يكن يستغني عن الحريري ومقاماته، وزاد الطين بلة حينما ألف أدب هندي كشياً لتعليم اللغة العربية لواحد من سادات الإنجليز «نفحة اليعن»، فلم يكن الكتاب إلا ذمية يلهم بها طالب ومدرس، أو لعبة يتسلى بها دارس في أوقات الفراغ والتسلية، ولم ينته إلى وضع منهج جديد

والندوي..

آدابها

في ضوء أدب الإمام الدهلوي وأولئك الذين كانوا يحمون فعلته ويعتبرون أنفسهم تلامذته، بل إنهم غضوا النظر عن تلك الثروة الأدبية الزاخرة، ولم يستفيدوا ولم يكونوا يتعلمون إلا نادراً كما أشار إليه العلامة الشيخ عبدالحق الحسيني رحمه الله في رسالته «المقررات الدراسية لمدارس الهند وتطوراتها وأسف لهذا الموقف المؤلم الشيخ الندوي رحمه الله وقال: «وقد جنى هذا الإهمال على اللغة والأدب، وعلى الكتابة والإنشاء، وعلى التأليف والتصنيف، وعلى التفكير، فقد حرمة مادة غزيرة من التعبير وباعثاً قوية للتفكير» (مقدمة مختارات ص ١٧).

وحقا أدى بدارسي هذا المنهج إلى أنهم لم يكونوا يقدرون على إبداء ما يجيش في صدورهم من خواطر وأفكار. في هذه اللغة الكريمة، وقد قال عنهم أحد كبار العلماء الهنود: إنهم يعرفون عن اللغة العربية كثيراً ولا يعرفون اللغة العربية!! لأجل هذا جعل الدعوة والمؤسسون لحركة ندوة العلماء بالهند من أهدافها الأساسية تعليم اللغة العربية، كغاية حياة متدفقة بالحياة وخصوبة الفكر، وراحة بالآداب الرفيع والثقافة العالية، وعنا بها كثيراً، ولكن منعت فترة لم تنهيا لهم مقررات ومناهج مجدية ومستقلة مع إنشاء دار العلوم كنموذج مثالي لها، ولما تسلم رئاسة ندوة العلماء الدكتور

بقلم الدكتور،

محمد اجتباء

الندوي



الشيخ أبو الحسن الندوي ونظرة اللغة العربية وأدائها

■ الشيخ أبو الحسن في الملتقى الدولي الأول للادب الإسلامي في وجده - المغرب.

عبدالعلي الحسني رحمه الله، وكان قد تهل من المناهل الفديفة والحديثة، وعرف مطالب العصر وحاجاته، وأيقن بأن اللغة العربية هي لغة المستقبل، فلما بدأ من العناية بها وإتقانها، ونيل القدرة التعبيرية فيها كثافة وحديثاً، وقد كان العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله يشعر بشئ ما يشعر ويقدر: فوافق هو في نفس هواء الفاتمين بإنعاش الروح العلمية والأدبية في حرم دار العلوم، فاهتموا بها، وحالفهم الحظ بأن انتخب من بين الاساتذة الأكفاء سماعة الشيخ أبي الحسن على الندوي مدرسا للتفسير، والآدب العربي، وكان قد قرأ على استاذين عربيين هما الشيخ خليل اليماني والدكتور تقي الدين الهلالي، أخذ منهما التدقيق الأدبي والقدرة البيانية والتعبيرية في اللغة، وكان قد ورث من أبائه التعبير بواسطة اللغة والآدب، وإعداد الجيل الناشئ للمكارم والآثر والآداب الزكية الطاهرة والأخلاق النبيلة، فلقى نظرة على المناهج والكتب الدراسية العربية والمصرية، وكانت جيدة، ولكنها كانت خاضعة للظروف والأوضاع والأوساط التي ألفت فيها هذه الكتب، فلم تكن تفي بحاجة الطلبة الهنود، ولم تكن تسترعي انتباههم، لأنها لم تكن البيفة ومعروفة لديهم، والإنسان بطبعه مجبول على ما يشعر ويرى ويشاهد، فعقد العزم على تطوير اللغة والآدب العربي، وإعداد منهج

أدبي مفيد للطلبة الكبار والصغار، نظراً لما كانت حركة ندوة العلماء ترى وتحلم، وكتب الشيخ الندوي رحمه الله يقول:

«وكانت ترى (ندوة العلماء) تعليم اللغة العربية كلغة حية نابضة، يخاطب بها العرب أنفسهم، وتكون وسيلة الدعوة الإسلامية فيهم، وتنشأ في ملاب المدارس العربية وخريجياتها ملكة الخطابة والإنشاء والتحرير، وقد أنشأت هذه الحركة لأجل هذا الغرض، ولتحقيق هذه المشاريع والخطط، وعرض نموذج حي لذلك أمام المدارس الإسلامية في الهند دار العلوم المركزية الشابعة لها في لكهنؤ عام ١٣١٢هـ باسم «دار العلوم ندوة العلماء» (في مسيرة الحياة ج ١ ص ٣٩ - ٤٠).

وبما أن سماعة الشيخ رحمه الله كان يدرس الآدب العربي، فقد بدأ بإعداد مجموعة من النصوص النثي من العصر الإسلامي الأول إلى العصر الحديث في جزأين أثبت باسم «مختارات من آدب العرب» تلقاه الناس بالقبول، وحظي بانتخابه في المقررات الدراسية في بلادنا والبلاد العربية وبلاد الشام بخاصة، كما حكى عنه آدب العربية الكبير والمفكر الإسلامي العظيم الأستاذ علي الطنطاوي فيقول: «إذا كان الدليل على ذوق الآدب اختياره، فحسب القراء أن يعلموا أننا عرضنا من آدب قريب كتب المختارات الأدبية لتتخير واحدا منها، نضعه بين أيدي

تلاميذ الثانويات الشرعية في الشام، وتذهب كل واحد من أعضاء اللجنة - وكلهم من الآدباء - يبحث ويبحث، فعشنا جميعاً وقد وجدنا أن أجود كتب المختارات المدرسية، وأجودها بقضون القول والنون البيان، مختارات أبي الحسن (مقدمة المسلمون في الهند) «ولما طبع الكتاب في دمشق عام ١٩٥٧م أخذ كاتب هذه الأسطر نسخة منه، وقدمه إلى علامة الشام والعضو المؤسس للمجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية) وأستاذ الآدب وعلوم القرآن في الجامعة السورية (جامعة دمشق) فضيلة الشيخ محمد بهجة البيطار رحمه الله، فبدأ يقلب الصفحات ويهتئ ويترقب، ويثني على جودة الاختيار، وحسن التدقيق الأدبي للمؤلف، وكان هذا الكتاب ومقدمته البذرة الأولى للدعوة إلى حركة الآدب الإسلامي.

وكان قد بدأ سماعة الشيخ رحمه الله بإعداد منهج دراسي للأطفال، وأعتنى بأدب الأطفال خاصة، وكان الأمر قد شغل ياله، لأنه كان من عصر الأفعال وأصعبها وأهمها في نفس الوقت، فأخذ يعد هذه السلسلة «قصص النبيين للأطفال»، في ثلاثة أجزاء، ثم آلف الجزء الرابع بعد فترة من الزمن، وأتم السلسلة لهذه القصص بكتابه عن سيرة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام، في ذي القعدة ١٣٩٧هـ أكتوبر ١٩٧٧م، وكان قد أكمل سلسلة «القراءة



الجلسة الافتتاحية للملتقى الدولي الثاني للادب الإسلامي في الدار البيضاء - المغرب.

الراشدة، ثلاثة أجزاء بعام ١٩٤٤م، وقال عن هذه المجموعة للأطفال :

«وقد شعرت بعد بدئي بهذا العمل، بأن الله تعالى آتاه ويسره لي، فكنت أكتب عفوًا مرتجلاً من دون كلفة حتى كأنني أنكم، وقد التزمت فيه بأربعة أمور

١ - أن تكون ثروة اللفاظ فيه أقل قليل، ولكنها تنقل في ذهن الطالب بكثرة التكرار والإعادة

٢ - أن يكون الكتاب في لغة القرآن، وتوضع الآيات الكريمة في محالها كالكفص في الخاتم.

٣ - أن يشتمل على تعليم العقائد الأساسية (التوحيد، الرسالة، المعاد) وتلقيها للطالب بطريقة عقوية.

٤ - أن تبسط القصص وتزود الأطفال بما يكره إليهم الكفر والشرك والعاصي، وتحبب إليهم الإيمان والعقيدة، وترسخ فيهم الاعتقاد بعظمة الأنبياء وجلالة مكانهم، وكل ذلك بطريقة لا يشعر الطالب بشقله وأنه يلقي عليه. بل يتلقاه ضمناً وعفواً ويسمج معه، (في مسيرة الحياة ج ١، ص ١٤٥)

لقت هذه المجموعة القصصية حظوة وقبولاً لدى المعنيين بأبواب الأطفال، وتعليمهم وتربيتهم، وفي الطليعة كان الأديب الألهي الكبير الأستاذ سيد قطب رحمه الله الذي كان قد أعد مساهمة بعض زملائه قصصاً للأطفال، فقد مارس

العملية بنفسه، فيقول في تقديمه لهذه المجموعة :

«لقد قرأت الكثير من كتب الأطفال - بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم الصلوات والسلام - وشاركت في تأليف مجموعة «القصص الديني للأطفال» في مصر، ساخوناً كذلك من القرآن الكريم، ولكنني أشهد في غير مجاملة أن عمل السيد أبي الحسن في هذه القصص التي بين يدي، جاء أكمل من هذا كله، وذلك بما احتوى من توجيهات دقيقة وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة وحوادثها ومواقفها، ومن تعليقات الصغار والكبار.

جزى الله السيد أبا الحسن خيراً، وزاده توفيقاً، وهدى به الأجيال الناشئة التي تحيط بها العواصف والأعاصير، وتنتشر في طريقها الأشواك، وتتلهم من حولها الظلمات، وتحتاج إلى الهدى والنور والرعاية والإخلاص في حياتها ورعايتها، وعن الله التوفيق».

وتقدمت معاهد ومدارس في المملكة العربية السعودية والمملكة العربية الأخرى، فقررت هذه المجموعة القصصية في مناهجها الدراسية، وكان الجزء الأخير «خاتم النسيم» صلى الله عليه وسلم يدرس في شعبة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وقد صاغ سماحة الشيخ الندوي رحمه

الله مجموعة أخرى من حكايات الصحابة رضي الله عنهم، في لغة سهلة وأسلوب عذب باسم «قصص من التاريخ الإسلامي» للأطفال، مراعيًا فيها عقلية الأطفال وسقواهم، بحيث يستسيغونها بدون سامة وملل، والمجموعة كلها بالإجمال تتمثل في تهية أجواء ملائمة للتفوق والتشويق، والتفريق والتعود على القراءة والتعلم، بجذب رقع الروح المعنوية والخلق النبيل والعقيدة القوية، وإن طريقة التكرار والإعادة وغرب الأسئلة أجدي نفعاً في مثل هذه السن المبكرة من الأسئلة المتراكمة، والتمازج المكسرة، والتدريبات المنقلة، بحيث يقع الطفل يمثل هذه الأعمال المنزلية في إرهاق شديد، وتعقيدات بطير بها عقله وفكره، فقد لاحظنا في قراءة هذه القصص بعبارات متكررة معادة تتخللها آيات قرآنية أو أحاديث فائدة وأجدي نفعاً، ومبارت كالمسك إذا كررته ينضوع.

إنها نظرة إجمالية سريعة على ما قدم سماحة الشيخ السيد أبي الحسن على الحسيني الندوي رحمه الله تعالى من خدمات ومساهمات في تطوير اللغة العربية وآدابها في الهند، وكانت لها صدى في الأوساط الأدبية واللغوية بمدارس الهند وجامعاتها وخارج الهند أيضاً، فجزاه الله عنا نحن طلاب اللغة العربية وآدابها خيراً ورضي وأرضاه، وهو نعم المولى ونعم النصير.

آراء الشيخ أبو الحسن.. اللغوية

■ حبه حياكة اللغة العربية

صياغة دقيقة في رأي الشيخ

إن اللغة العربية لغة القرآن والحديث والتراث الإسلامي الضخم، فليس لأحد أن يكون ذا بصر وبصيرة في الدين بدون التمكن من ناصية هذه اللغة، فلهذا نرى الشيخ الندوي يكرر «إن اللغة العربية هي لغة الإسلام ومفتاح كنوز الكتاب والسنة» (١) وهذه الناحية تظهر أهمية اللغة العربية.

وهناك ناحية أخرى لفضل اللغة العربية، وهي أن هذه اللغة تحمل أنفس الآثار الأدبية منذ عصور قديمة، فاللغة العربية في رأي الشيخ: «باب تلك المكتبة العامرة الزاهرة، التي تحتوي على أنفس ما أنتجت القرائح البشرية، وأبدعت العقول السليمة، وفاضت به خواطر، وسالت به محابر، من أدب وشعر، وتاريخ وفن، وحكمة، في مساحة زمنية واسعة، كمساحة التاريخ الإسلامي، ومساحة مكانية شاسعة، كمساحة العالم الإسلامي» (٥) ولا شك أن القرن أكسب اللغة العربية البقاء إلى يوم القيامة، وأتاح لها التحرر من قيود الجاهلية، فضلا عن أن حلة الإسلام اتخذوها وسيلة لبث دعوتهم الجديدة، غرأوا عليها رونق البيان، وطوروها إلى لغة عالمية، كان يتكلم بها نصف سكان الأرض بعد الفتوحات الإسلامية، يقول الشيخ: «... الثورة العالمية البناءة التي قام بها

بعد أن اضمحل نفوذ العرب والعربية في القرون الأخيرة في الدول الإسلامية والعربية، أخذت اللغة العربية تنحط درجاتها (١)، إلى أن أصبحت منفصلة عن الحياة اليومية، والمكاتب الرسمية، ومجالس الخلفاء والحكام، وركنت إلى أقلام المطرزين، وأصحاب الحرف الأدبية للمتعقنين. وجاء بعدهم الاستعمار، ففهم أن نهضة اللغة العربية هي نهضة للإسلام، فأخذوا يتآمرون ضد اللغة العربية، حيث صرفوا عنايتهم إلى اللهجات العربية الإقليمية، وحاولوا وضع القواعد المعيارية لهذه اللهجات، لتكون بديلة للفصحى، وخوفوا الناس من الفصحى بأنها صعبة، وليس التمكن من ناصيتها سهلا، ولا طائل في ممارستها؛ لأنه لا علاقة بينها وبين الحياة المعاصرة، ونادوا لكتابة العربية بالحروف اللاتينية، واختاروا لها أنصارا وأعوانا من بني العرب، وطلبوا بخلق اللغة العربية الوسيطة؛ لتكون سهلة ووسطا بين العامية والفصحى، ودعوا إلى استخدام اللغة العامية (٢)، ومن مظاهر التآمر ضد اللغة العربية اختفاء المفردات العربية الفصحى من جزء كبير من الحياة، واقتصار اللغة العربية القديمة على الموضوعات الدينية، وفي المواعظ والخطب (٣).

فكل هذا الظواهر السالبة استدعت المعنيين باللغة العربية وبالإسلام أن يفكروا من جديد، ويحرروا العربية من هذه القيود، وأن يجعلوها ذات صلة بالدين الإسلامي الحنيف، ومستجيبة لحاجات العصر ومتطلبات العالم المعاصر، ويعد الشيخ الإمام أبو الحسن الندوي، رحمه الله، ممن تصدوا لهذا التيار الجارف، ومن تقدموا بالبديل المناسب لأبناء المسلمين، فكان في ذلك نذيرا وبشيرا، حيث إنه حذر المسلمين من هذه الهجمات الشنيعة، وحيث قام بتوجيه مصير اللغة العربية إلى اللون الإسلامي: كتابة وخطابة وتقدا ونثرا. وله آراء ذات قيمة بالغة في مسيرة اللغة وتطويرها، ونحن نذكر هذه الآراء من خلال النقاط التالية:



بروايات طويلة من الحديث يرويها أحد الصحابة، أو إحدى الصحابييات، من حوادث حياتهم أو تفاصيل إحدى رحلاتهم.. جاءت فيها اللغة اليومية وبساطتها، والتعبير الصادق عن المشاعر والعواطف.. تُعدّ أسعى نماذج اللغة العربية بعد كتاب الله تعالى (١٤).

ومن ثم علينا انتقاء الكلمات التي تحمل انعاني العقيدة المعشقة في عميق القلب، وتحمل صدق ما يختلج في النفس في صورة جيدة مرسوفة. وقد وجد الشيخ هذه الحقيقة حينما حلّ دعاء الرسول ﷺ الذي ابتسّل به إلى الله، بعد أن رضخته أحجار أهل الطائف. وكان الدعاء الذي استنجل به رحمة الله، واستنطر سحابة كرمه حاوية «كلمات كانت أشد تأثيراً، وأدق دلالة على المعاني، وأقل في اللباني، وأحسن وقعا في النفوس وجذباً للقلوب، وسعراً للأذنان والعقول» (١٥).

نعم، إن لكل كلمة مفاهيم ومعاني (١٦) ولهذا على أهل اللغة أن يختاروا المفهوم الإسلامي، أو ما هو أقرب له، والشيخ الندوي لم يقض النظر عن هذا الجانب، فقد استخدم كلمة «مراوغة» في عبارته مرة، فقال «مراوغة فكرية من فرعون» عندما ذكر الصراع بين سيدنا موسى وبين فرعون، وعلق عليه بقوله: «المراوغة قد تطلق في المخادعة المذمومة، والمقصود هنا جنة ونهباً من مكان إلى مكان، والقيام بحركة مفاجئة في اتجاه جديد، كما يفعل اللاعب الماهر مع منافسه، وأقرب كلمة إليه في اللغة الإنجليزية "Dodge" (١٧) وبهذا لفت أنظار اللغويين إلى هذا الجانب، بأن يختاروا المعنى الطيب من معاني الكلمة في سياق الجملة، ليظهر من خلاله المعنى

الإسلامية تتطلب منا الالتفات إلى الأمور التالية:

■ المفردات والمصطلحات

يقرر الشيخ يهدية تكون اللغة، فهي تتكون من المفردات والتراكيب، فقال: «إنه لا يتصور اللسان بدون مفردات وتراكيب» (١٨)، فالمفردات والتراكيب دور خطير في إبراز الخواطر والأفكار، فإن جاءت المفردات والألفاظ في الجمل عفوياً بدون تصنع وتكلف، وكانت سهلة ميسورة الفهم، أثرت في قلوب الناس، وكانت هي سر عبقرية اللغة العربية، وقد كشف الشيخ النقاب عنه حينما حلّ عناصر عربية سلفنا الصالح، فإنهم يختارون في كلامهم «اللغة النقية الصافية، واللفظ الخفيف، والتعبير الدقيق الرقيق» (١٩).

وكذلك تؤثر الكلمات التي تصدر عن الصدق والإخلاص في قلوب الناس، يقول الشيخ الندوي: إن الكلمات الصادرة عن لسان الصادق في التجربة الشعورية ستكون - ولاشك - معجزة من الأدب لأنها أفلاذ كبده، وقطع قلبه، ودموع عينيه، وسوف تلك القلوب وتبكي آلاف البشر قروناً طويلاً (٢٠). فاللغة المتكونة من الكلمات التي هي أفلاذ الكبده وقطع القلب، والتي صدرت مع دموع تترفعها العيون، لو اقترنت بها التصورات الإسلامية الصافية أصبحت لغة إسلامية مؤثرة، وهذا ما وجدناه في العصور الذهبية للغة العربية. وقد رأى الشيخ أن للكلمات درجة حرارة ويرودة (TEMPERATURE)، فلا توضع كلمة ذات حرارة متصاعدة مكان كلمة منخفضة، فضلاً عن أن توضع كلمة ذات حرارة مكان كلمة ذات برودة (٢١)، وبهذا تكتسب اللغة حلاوة ولذة، وقد مثل الشيخ لذلك

الإسلام، استخدم اللغة والأدب سلاحاً في دعوته ونشاطاته، استخداماً لم تستخدمه أي ديانة أو حركة، فقد كان أفضل دعاة الإسلام وأقوى مثليه، من ملوكا ناصية البيان، وبرزوا في الخطابة والكتابة في لغته (٢٢) فكانت اللغة العربية حينئذ في خطبة الجمعة وفي الخطابات الرسمية والاجتماعية والسياسية، وكانت يتداولها الناس في معيشتهم اليومية، وتصدر بها الدواوين الشعرية، والكتابات الأدبية، وكانت موارد اللغة العربية آنذاك غنية، نقية صافية، اللفظ الخفيف والتعبير الدقيق الرقيق، مما يطرب الناس ويملأهم سروراً ولذة، وثقة وإيماناً بعبقرية هذه اللغة، ورغبة في دراستها والتوسع فيها (٢٣).

إن كان الفضل في تطور اللغة العربية وخروجها إلى أوسع ما يكون من نطاق - في رأي الشيخ الندوي - للقرآن الكريم ولحديث الرسول ﷺ، الذي كان أقصع العرب (٢٤)، ولاندفاع حملة القرآن والحديث إلى العالم كله، فكانت حواشي اللغة العربية بيد هؤلاء المسلمين مهذبة، وعباراتها رقيقة، وألفاظها صافية، واستمرت تنمو وتغزى لفظاً ومعنى، إلى أن جاء دور المتكلمين التقليديين للعجم، فهدموا ما بنى السلف في عمارة اللغة، وأصبحت اللغة العربية مفسدة ومكبولة بأيدي الطرزيين المنحرفين بالزخرفة البديعية، ثم بعد المحن الطويلة للغة العربية، جاء العصر الحديث على أنقاض النهضة الحضارية الغربية، ولكن العربية واجهت مشكلات عدة من أعداء الإسلام الذين شنوا أنواعاً من الهجوم عليها منذ بداية النهضة الحديثة، فقد ظهرت اللغة العربية - على حد قول الشيخ - «عربية الوضع إفرنجية الروح، إسلامية اللغة، جاهلية السبك» (٢٥)، ولقاومة هذا التيار الفاسد، ارتأى الشيخ أن إعادة اللغة العربية إلى حوزتها

■ استعمال المصطلح في غير ما اصطلاح عليه الأقدمون.. يؤدي إلى إساءة في اللغة العربية.

الذي لا تنفس منه الطبيعة الإسلامية في اللغة واختيار الكلمات وانتقاؤها، في سبيل إضفاء التصور الإسلامي على اللغة محمود ومطالب به، فهو من متطلبات البلاغة والبين الساهر، وهو من عناصر اللغة المتأثرة، ولكن إذا كان الانتقاء لإظهار البساطة الكلامية، ورغبة في التشويق والتفويق، وإذا كان الاختيار للإتيان بالكلمات الغريبة لإبراز تمكنه اللامع من ناصية اللغة فهو مذموم. لأن هذه

الكلمات المصطنعة والمتكسفة، تعكر صفو اللغة، وتنقص سلاستها، وتذهب بهاءها ورواءها (١٨).

إن الحياة تتجدد كل يوم، وتتخلل في اللغة أسماء المستحدثات كل يوم، فهناك لغة تقرأ هذه الأسماء على هيئتها، بوصفها دخيلة، ولكن اللغة العربية لكونها لغة واسعة غنية بثروتها، يمكن لها أن تستخدم تلك المستحدثات، التي تأتي أكثر مما تأتي عن طريق الغرب في هذا العصر، تستخدمها بطريقةها المألوفة، التعريب والتوليد، ولا تنطرق إلى الدخيل إلا إذا اضطرت إليه (١٩) فبقى هذه الحالة ترضى الشيخ عول في الغالب على قرارات مجمع مؤاد الأول للغة العربية، فإذا وجدهم والفقروا

على كلمة في مستحدث ما له أصل عربي واشتقاق صحيح أخذها واستخدمها حيث «لا يلجأ الطالب في استعمال الكلمات الأعجمية أو الدخيلة أو يكون له لسان أخرس في المناسبات العصرية» (٢٠).

إنما اللغة أداة التواصل بين أفراد الأسرة والمجتمع، يعبرون بها عما في ضمائرهم من حب وبغض، في جدهم وهزلهم، (٢١) فقد بذل الشيخ جهوداً لجعل اللغة العربية مرنة، بالاستجابة إلى أساليب عصرية، ولغة مفهومة للقارئ الحديث، وسعى إلى «أسلوب جديد مبتكر»، على حد قوله، لأنه لم يكن أمامه إذ ذاك مثال أو نموذج يجفع بين قوة الدعوة، والعاطفة الدينية، والقلم القوي البليغ، واللغة العذبة السليسة، إنما كانت لديه إسماء مقالات أدبية خالصة، مثل كتابات السيد مصطفى لطفي المنفلوطي، ومصطفى صادق الرافعي، والدكتور طه حسين، أو مقالات علمية تحليلية ناقدة، مثل كتابات الدكتور أحمد أمين، وعباس محمود العقاد، والعلامة محمد كرد علي، ولم يكن حينئذ طمع على الأفق العربي نجم كسيد قطب، ومصطفى السباعي، وعلي المنطاطوي. «لذلك لم يكن لي إلا أن أبتكر أسلوباً وأتبع نهجاً جديداً» (٢٢) ومن أبرز مناهي ذلك الأسلوب المبتكر، كما يراها الدكتور عبد الباسط بدر، أن الشيخ الندوي يسك الخسوف الذهبي الثلاثي: الأدب والفكر والدعوة في آن واحد، ويرى هذه الميزة سادرة جداً في عصرنا بالذات، وأن هذا الأسلوب يتجلى في محمد إقبال وسيد قطب وفي الشيخ الندوي (٢٣).

ومن حل هذا الأسلوب وجد السر كما لنا أيضاً في استخدامه الموفق للكلمات القرآنية والحديثية، وروح القرآن والحديث في كلامه المرتجل العادي، فكلماته بليغة دائماً، تخرج من قلبه، وتحمل الفكرة بطريق مختصر، وتدعمها بشواهد مناسبة فتصب

في وجدان السامع وتملا قلبه (٢٤)، فقد قال عن هذه اللبنة: «التزمت في كتاب قصص النبيين للأطفال أن يكون في لغة القرآن، وتوضع الآيات الكريمة في محالها كالقص في الخاتم» (٢٥).

وأما المصطلحات فتجد الشيخ فيها حذراً جديداً، لأنها في نظره، «كالمخارطة للسفن والمراكب والطائرات، فسلق خطاً في خطوطها التي تضبط المراكب والطائرات، وتحدد الجهات والغايات، قد يكون سبباً لضباب هذه اليواخر والطائرات أو انحرافها عن الغاية المقصودة» (٢٦) فسفي هذه العبارة أوجز الشيخ الندوي أهمية المصطلحات، وخطورة الخطأ في معانيها، ولفت النظر إلى الاستخدام الضحيح لها: لأن الخطأ في وضعها، والتحريف في استخدامها، والزيادة أو النقص في مدلولاتها، واستعمالها في غير ما اصطلاح عليه الأقدمون، يؤدي إلى إساءة في اللغة العربية. فهذا أثر علي العلماء الذين أنشأوا لغة إسلامية جديدة في الهند، تسمى الأردية، أثر عليهم لعدم تعريفهم في الكلمات والمصطلحات، التي جاءت عن طريق العربية، فكانوا يهتضون بحفظ كلماتهم (الصوغية والدعاة والمصلحين) بنسبها ونسبها (٢٧).

ويرى أن المصطلحات منا لا يترجم إلى أية لغة من لغات العالم، مهما بذلت الجهود، وقطعت إلى ترجمتها السبل، فمثلاً كلمة «الحكمة»، فقد عد الشيخ أمراً مستحباً ترجمة هذا المصطلح فقال: لا أعتقد أن الكلمة البليغة العربية «الحكمة» من الممكن ترجمتها أو نقلها إلى لغة أخرى (٢٨)، فكان من طريق التاصيل الإسلامي للغة الهندية الوثنية، وجعلها إلى اللغة الإسلامية الأردية استخدام تلك المصطلحات الإسلامية، بدون اللجوء إلى الترجمة، فلماذا أن تهتم بإبقاء المصطلحات



الإسلامية القديمة على هبتها وحالها، بدون تحريف في تحديد المعنى. وانحراف في استخدامها. وأما في استخدام المصطلحات العلمية الحديثة، فقد رجع إلى استخدامات المصطلحات اللغوية العربية. ولكنه - نعتقد لتنبهه التام للفوضى التي تحدث في اختلاف المصطلحات في موضوع واحد - اعتمد على مجمع واحد وهو مجمع فؤاد الأول للغة العربية (٢٩).

■ الأساليب والتراكيب.

وللأسلوب اتجاهان في الدراسة اللغوية الحديثة، اتجاه يعتني بالأبنية اللغوية ووظائفها، حتى تراكيبها داخل النظام اللغوي، وتوظيف الكلمات في الجمل توظيفا صحيحا. وكذلك استخدام الأبنية اللغوية استخداما مقنا في العبارات، واتجاه يهتم بالنظام التركيبي في اللغة، وكل هذا يؤدي دورا خطيرا في تجلية المعنى، الذي يجول في خاطر الشخص (٣٠).

وإذا كان الأسلوب هو مرآة الأديب بل وقد قيل: إن الأسلوب هو الإنسان نفسه (٣١) وعلى الأديب أن يلتجئ إلى الأسلوب لتجلية فكره، فأسلوب الأديب هو شخصه وفكره، وقد عني الشيخ الندوي بدراسة الكلمات التي لها صلة بالفكر، والتي تحدث تغيير اللغة وتميتها إلى اللغة الدينية، وذلك حينما أخذ بدراسة النصوص القرآنية والحديثية، وتصوص روايات الصحابة والرواة والأدباء والكتّاب المطبوعين، والشعراء غير المهنيين، واكتشف مكان السحر في تلك النصوص. ففي كتاب «روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة» دراسة عميقة متأنية لأسلوب القرآن والحديث.

يقول الشيخ في سر الإعجاز القرآني: إن إعجاز القرآن كامن في ألفاظه وتراكيبه.

وفصاحتها اللغوية وبلاغته العنوية، معانيه ومحتوياته (٣٢) وأكد عليه مرارا وتكرارا مع الاعتساف بأن هناك وجوها عدة للإعجاز القرآني (٣٣) وقد حل بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لتذوق الإعجاز القرآني والحديثي، ولتوضيح أسلوب الكتاب والسنة في كتابه «روائع من أدب الدعوة في الكتاب والسيرة»، وتطرق في ذلك إلى أسس تعنى بها الدراسة اللغوية الحديثة، منها:

الكلمات ودورها في تانية المعنى، فإن كل كلمة تحمل مفهوما معينا، بل تحمل مفاهيم، فاختيار الكلمات الموفق لفهم دقيق أوسع يضي على اللغة جانبية ولذة، ومعنى واسع، وقد حل الآية «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» [النحل ١٦: ١٢٤]، فقال: «استحضروا الإعجاز الكامل في قوله تعالى: «ادع» وهو لا يختص بالخطابة، ولا يختص بالكتابة، ولا يختص بالوعظ والتضيعة، وإنما قال «ادع» الدعوة عامة تشمل هذه المعاني كلها والأساليب كلها، وقال: «ادع إلى سبيل ربك» ما حدد وما عين شيئا معينا خاصا، فمثلا تدعون الناس إلى الإيمان بالله وحده، وإلى العقيدة الصحيحة، وتحثون على الصلاة، وتدعون إلى مكارم الأخلاق وإلى الفضيلة، أو تدعون الناس إلى الشعور بكرامة الإنسانية، وسبيل ربك، يحوي كل شيء، إنه يعتقد ويسمى الأفاق، ليست هذه الأفاق فقط، إنها أفاق الأديان السماوية، وأفاق الحاجات البشرية والحياة الإنسانية (٣٤).

وقال في قوله تعالى: «إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر، ولا يقني عنك شيئا» [مريم ١٩: ٤١]، أولا تتأملون في قوله «يا أبت» لهجة فيها الرقة، وفيها البر، وفيها التواضع. فالولد إذا خاطب أباه بقوله «يا أبت» آثار فيه

الحنان الأبوي، وكان يمكن لإبراهيم أن يصيح فيقول: «ياسيدي» أو يقول يا شيخ الكهان، لأنه كان كاهنا، ولكنه يقول: يا أبت، تعمد إبراهيم هذه الكلمة: ليصل بها إلى أعناق قلبه، ويشير فيها الحنان، فالولد مهما بلغ الغضب من والده إذا ناداه بقوله يا أبت، رق ونهيا لسماع كلامه» (٣٥) ولننظر إلى تحليله لكلمة «ولا الضالين» من سورة الفاتحة، فإنه حل المفاهيم التي تحوي هذه الكلمة، وشرح كيف ثابت عن تلك المفاهيم في أن واحد، وهذا هو قوة الكلمة التي تؤدي المعنى الذهني، في أنق صورة وأوسعها (٣٦).

ومنها دور التراكيب في تجلية المعنى، فنقد درس الشيخ ميزة تراكيب الكتاب والسنة، وما أثر عن السلف الصالح، ووضع بمانا تمازج هذه التراكيب، وماذا تفوق على جميع الأساليب العربية، فقد حل الآيات القرآنية ٤١ - ٤٥ من سورة مريم، التي تحمل نصوص دعوة إبراهيم، فقارن بين أسلوب تلك الآيات التي كانت موجهة لأبيه، وبين أسلوب الآيات التي توجه بها إلى قومه، وجاء بنتيجة واضحة المعالم، بأن إبراهيم قرق بين الأسلوبين، أسلوب الدعوة لأبيه، وأسلوب الدعوة لقومه. ففي الأول اتخذ أسلوبا فيه لين، وفيه اقتراح، وفيه تودد، وللكلمات فيها وقع خفيف، والتراكيب فيها إخبار هادي، «لم يبدأ بالأشياء التي تعتمد على المنطق، وتعتمد على الذكاء النادر، وتعتمد على بحوث علمية أو نظرات فلسفية، إنما اختار الشيء الذي يفهمه الطفل، لأن والده كان في الطفولة العقلية، وإن كان مقدما في السن، فخطبه كما يخاطب الطفل» (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يقني

■ وجه الانظار إلى اتخاذ طريقة القرآن والحديث والتراث الإسلامي الرائعة في الكلام العصري.

عندك شيئاً). وفي الثانية: أسلوب جدال ومناظرة، فيه تحد وتوجيه إلى الأمور الفلسفية، فيه سؤال إنكاري عما يفعلونه: ﴿أنتل عليهم نبأ إبراهيم، إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا: نعبد أصناما فنظلل لها عاكفين، قال: هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون﴾ [الشعراء: ٦٩-٧١].

وقد حلل التوكيد في قوله تعالى ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة

٤:١]، فوصل إلى النتيجة أنه «كل تأكيد عرفته لغة العرب التي نزل بها القرآن، واختيرت لتكون لغة الصلاة العالية. وفي أبلغ أسلوب من الأساليب البيانية العربية.. (٣٧) وهكذا تحمل التراكيب الأفكار في أمانة ودقة، وهي تعطي اللغة السمات التي يقصدها المتكلم

ومنها إمكانية استثمار الموقف الخطابي في فهم القرآن الكريم، فالموقف الخطابي (Speech Situation) أو الطرف الكلامي (Event of Speech) هو الطرف المعين الذي يتبادل فيه الناس الحديث، وعناصره: الوضع المعين، والمشاركون في الخطاب وأدوارهم والتفاسيل بينهم، والرسالة ومقتضاها وطريقة إيصالها (٣٨) والموقف

الخطابي يقيد التفاعل بين المقال والمقام، أي يدرس العلاقة بين الكلام ومقتضى الحال، وله عناصر فوق لغوية، وهي الوسائل المعينات التي تساعد الخطيب لتوضيح ما يريد، ما عدا الحدث اللفظي كحركات اليد وغيرها (٣٩).

وإذا نظرنا في معالجة الشيخ الندوي في بعض الآيات القرآنية والنصوص الحديثية، اتضح لنا إمكانية استثمار الموقف الخطابي لفهم القرآن والحديث في العصر الحديث، كما فهمه الجيل الأول. لننظر في تفسيره آيات الدعوة في سورة يوسف (٤١-٤٦) ﴿ودخل معه السجن فتيان، قال: أحدهما إني أراني أعصر خمرا، وقال الآخر: إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تاكل الطير منه، نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين، قال: لا يأتيكما طعام تزرعانه إلا نباتكما بتأويله قبل أن يأتيكما...، قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ فقال: «وقبل أن نشرح هذه الآيات نريد أن نخيل لأنفسكم المحيط الذي قامت فيه هذه الدعوة، والأجواء التي اكتنفتها» (٤٠).

فلستحضر المواقف الحاسمة التي مر عليها يوسف عليه السلام، ليميز أفعية هذه الآيات والمعاني التي يمكن أن تؤدي، وصور لنا الأجواء التي أحاطت يوسف عليه السلام، وأوقفنا جوار تلك الأجواء التي كثيرا ما تواجهها في حياتنا المعاصرة. وقال وهو يصور الأجواء، وسلامح شخصيات المشاركين في الخطاب القرآني ﴿لا يأتيكما طعام تزرعانه إلا نباتكما بتأويله...﴾ قال سيدنا يوسف «لا يأتيكما طعام تزرعانه إلا نباتكما بتأويل هذه الرؤيا، حتى يطمنا أنهما لا يحتاجان إلى جلوس طويل، ولا يملان، ولا يائس السجان فيقول انعبا إلى مكانكما، ومن الذي أنن لكما بالحضور هنا؟ فقال: (لا يأتيكما طعام...﴾، يأتيكما وكانت مصر على

جانب كبير من الحضارة، وتنظيم الحياة المدنية، فالمفروض أنه كانت هناك مواعيد مضبوطة للطعام، وكان وقت الطعام قد حضر، فلذلك قال (لا يأتيكما طعام...) ثم هناك نكتة، وهي أن بين المسجونين وبين الطعام الذي يأكلونه في السجن صلة قوية، فلما ذكر الطعام أثار فيهم الشوق، وانتعشت قلوبهم لسماع ذكر الطعام، فالطعام حبيب إلى كل إنسان، ولكنه إلى المسجون أحب وألذ وأشهى، فوجد قرصة ليقدم إليهم الدعوة إلى التوحيد... (٤١) وهكذا قد فسر النصوص الدعائية التي ابنهل بها الرسول ﷺ بعد أن جرعه أهل الطائف (٤٢). فالشيخ الندوي ينظره إلى اكتشاف العلاقة بين الألفاظ والتراكيب والفكر، بوجه الانظار إلى اتخاذ طريقة القرآن والحديث والتراث الإسلامي الرائعة في الكلام العصري، وأظهر كيف وأين يمكن السحر في الكلام.

وهناك اتجاه آخر في دراسة لغوية حديثة للأسلوب، وهو الذي يحدد البواعث والأسباب التي جاء لأجلها هذا الأسلوب. وقد عني الشيخ أيضا في هذا المجال، ففي كتاباته عن جمال الأدب وروعه، أشار إلى سر الأسلوب الجذاب الذي يمتلكه القرآن والحديث، وبعض روايات الصحابة، وأصحاب السير، والأدباء المطبوعين، وقد دعا مرارا وتكرارا إلى اتخاذ تلك الأسلوب مع صياغة عصرية، يقول «والذين اتخذوا الأدب سلاحا لهدم الخلق والعقيدة لابد أن نقاومهم بأدب قوي دافق بالحياة، وكتابة أصيلة مشرقة الديباجة، وأسلوب من أحدث الأساليب وأقواها، ولا يثنى ذلك إلا بالتضلع من الأدب القديم ومصادره، ونقد الأساليب الجديدة، والاطلاع الواسع عليها، والممارسة للكتابة والإنشاء» (٤٣).

إن هو ينادي أصحاب التربية وأولي الأسباب والآداب أن يتسلحوا بالأسلوب



القوي، على طراز أحدث وأسمى، بالرجوع إلى الأدب القديم ومصادر، واكتساب الأساليب الجديدة في الكتابة والخطابة، ويبحث على اتخاذ مخططات دقيقة، لإعادة الثقة في شبابنا الحيارى، وذلك المخطط يحتاج إلى أسلوب جديد في الحديث مع الشباب يحتاج ذلك إلى الحكمة والموعظة الحسنة، ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، يحتاج إلى أن تكون عندنا أقلام قوية بليغة، وأن يكون عندنا تلك المقدرة البيانية، والطلاوة الأدبية، وحلاوة التعبير، التي لا يمكن لدعوة أن تشق طريقها إلى الأمام، وأن تنفذ في عقول الشباب، وفي نفوسهم عن غير هذا الطريق. (٤٤)

وهنا يذكر الأسباب التي تكسو الأسلوب الحلاوة والجدب، منها القوة في الكتابة، واكتساب المقدرة البيانية، والتزين بالطلاوة والأدبية، والتعبير الطو، وحينما حل سحر القصائد للشاعر محمد إقبال، أبرز أن سحرها مكنون في العقيدة التي كان يحملها، والعاطفة التي شرح صدره لها، والنور الذي سكن في قرار قلبه، حيث يقول: «إن شاعرنا العظيم محمد إقبال كان - وقد شهدت ذلك بعيني وأشهد بذلك بجوار المسجد - إذا ذكرت المدينة - فضلا عن الرسول ﷺ - دمت عبيته ولم يتسلك...» (٤٥) وعُدَّ الفضل الذي جعل لغة إقبال عذبة، فذكر منه قوة العقيدة، وتحديد الهدف في الكتابة وقوة العاطفة كل هذه العوامل أدت دورا فعالا في تنمية الأسلوب، وتزيينه بزينة الإسلام. ثم في إشارته إلى اتخاذ أحدث الأساليب العصرية في الحديث، والديباجة المشرقة في الكتابة، والمقدرة البيانية، والحلاوة في التعبير، والكلام السامع عن المشاعر والعواطف الصادقة، والتعبيرات الجميلة البسيطة الأخاذة تطلع على أسرار الأسلوب الرموق في اللغة العربية.

■ عناصر تنمية اللغة

يرى الشيخ أن جميع اللغات تتغير إلى الأذهار بعناصر أربعة (٤٦)، وبالتالي تعد هذه العناصر القوى الداخلية في التأصيل الإسلامي للغة العربية، والعناصر هي: الضرورة، العاطفة، الانتفاع، النفع والفائدة.

ونحن هنا نحاول أن نطل هذه العناصر على نهج الشيخ، أولا: الضرورة، فهي تنجلي عنه في اتخاذ جماعة من الناس اللغة العربية وسيلة لهم، في حركتهم ودعوتهم وثورتهم، حتى لا يجدون سواها وسيلة، ولا يعدون غيرها أداة لإيصال أفكارهم إلى العامة، ففي عصر الانحطاط لم تكن للجماعة المسلمة حركة قوية دينية أو سياسية أو اجتماعية، ولا دعوة وثورة تجبرهم على اتخاذ اللغة العربية وسيلة مهمة، يرى الشيخ أن بين الحركة واللغة الصلة القوية الدائمة... «فإنها أكبر سلاحها، وأسهل وسيلة إلى خطاب العامة والتوصل إلى عقولهم وقلوبهم، واللغة إذا رافقت حركة قوية وسارت في ركبتها، فإنها تقطع أحيانا مسافة قرون - لسمعتها ورخايتها صدرها، ورقبيتها وزدهارها وتأثيرها وقوتها - في أعوام وشهور، وتسقيف منها ما لا تسقيف من رعاية الحكومات وإشراف المؤسسات التعليمية وعنايتها بها» (٤٧) وأكبر دليل على ذلك ازدهار اللغة العربية بعد خمولها في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، حينما بدأ الشعب العربي الإسلامي طرد الاستعمار، وبدأت الحركة الدعوية والثورة العسكرية الدينية في مختلف البلدان الإسلامية. واتخذ العرب مرة ثانية لغتهم وسيلة مهمة لإيصال الدعوة التحريزية إلى عامة الناس، «حتى عادت اللغة العربية تنشط وتنهض، وتسلك سبيل الحياة في

حساس وقوة» (٤٨)

وخير مثال له نشأة اللغة الأردنية، فإنها بمرت نواثها في القرن التاسع الهجري، إلا أن ثمارها أينعت، وساقها قويت، وأصبحت لغة هندية إسلامية، بعد أن اتخذها الإمام أحمد بن عرفان الشهيد في الخطب والتواصل، لما وجد فيها سهولة، فكانت أداة وحيدة في ثورتهم الإسلامية، ودعوتهم الدينية، ورسائلهم الإصلاحية، وكلمات واسطة بين أهداف الحركة والقائمين عليهم وبين عامة من الناس (٤٩).

وأما العاطفة فتتمثل في استخدام اللغة للتعبير عما يختلج في النفوس، ويتهيج في القلوب، ويشتعل في الشمات، فالذين يكتبون مثبتهين بالمثبتين تدعم لغتهم من العاطفة، لأن المثبتين «قد يمثلون الملوك فيمصنعون أبهة الملك ومظاهره، وقد يمثلون الصعاليك فيمتظاهرون بالفقر، وقد يمثلون السعيد، وقد يمثلون الشقي، من غير أن يدركوا لذة السعادة، أو يكتسبوا بئار الشقاء، وقد يعززون من غير أن يشاركوا الفجوع في أحزانه، وقد يهتفون من غير أن يشاركوا السعيد في أفراحه» (٥٠) ومن ذلك ينطس نور لغتهم، والعاطفة أيضا نصيب في حياة اللغة ورقبيتها وازدهارها، فإذا كانت عامرة بالدين، وملينة بالروح الإسلامية، كانت الكلمات التي تدل على الدولوات الدينية في مكان القلب تشوق للخروج عبر لسانه.

إن الكلام لقي القسوة وإنما

جعل اللسان على الفؤاد دليلا (٥١)
وخير معين على تجلية العاطفة الصديق، فاللغة العربية تكون في مائتها الإسلامية إذا صدرت الكلمات وفق ما في ضمائر

■ أبداع الشيخ حينما صور الكلام غير النابع عن القلب أو العقيدة.. بالصورة التي لا حركة فيها ولا حياة.

المسلمين. من الإيمان
وحرارته. ومن العقيدة
وشلالها. وفي ذلك
يقول الشيخ الندوي:
«فإننا كسان هؤلاء
المتحدثون (من العرب)
لا يرضي ضميرهم بما
يقولون - ويعرفون أن
هذه الكلمات في غير
محلها. وإنما هو كله
مصالحهم للمالية،
في الانحطاط النفس
البشرية، وبالرخص
السلعة الغالية،
وبالضيعة الكلمات
العامة بالمعاني،
وبالشقاء اللغة العربية
بأهلها» (٥٢)
والاستجابة للعاطفة
الصادقة، وترك النفس

للمفعة بالإيمان على سجيبتها يضفي على
اللغة الرونق والبهجة واللذة. وهذا هو سر
لذة بعض الروايات الطويلة، التي يرويهما
الصحابه الرواة عن مواقف حياتهم
وأما العنصر الثالث فهو الاندفاع، ولم
يقصر لنا الشيخ ما هو الاندفاع، وما هو
الدلول الذي أراد بهذه الكلمة، فإننا كانت
مطروعة «دفع» - كما هو من معانيها -
فيقال: دفعه فاندفع. (٥٣) فمعناه أن تخرج
الكلمات والعبارات استجابة لما يدفعه قلبه
للكلام، فهو استجابة العاطفة والمسيرة مع
استحاشة النفس، فلا يتكلم إلا عندما
تحرصه عاطفته، ولا يكتب إلا من دفع
نفسه له. ويظن
الباحث أن هذا
المعنى يطابق المقام،
فإن الأديب أو
الشاعر مهما

حاول التمتع والتحسن والتجوير، فإنه
يبقى فاشلا فيه إذا لم يستجيب للدوافع
النفسية التي يحس بها في قرارة قلبه. فإن
كان من الدوافع الخارجية، كالنكسب
وطلب الشهرة فاللغة لا تكتسب تلك
الروائح التي تخرج بها الكلمات عندما
تختلط بعبير القلوب، وفي هذا المعنى يقول
الشيخ عندما وضع السبب لفقدان الجمال
التعبيري عند الكتاب أهل التصنع: «كان
غالبها (الكتابات) يكتب بالاقتراح من ملك
أو وزير أو صديق، أو لإرضاء شهوة
الأدب أو تحقيق رغبة المجتمع، أو حيا
لظهور والتسويق، وهذه كلها دوافع
سطحية، لا تمنح الكتابة القوة والروح ولا
تسبغ عليها لباس البقاء والخلود، ولا
تعطيها التأثير في النفوس والقلوب،
والفرق بينها وبين الكتابات المنبثقة من
القلب والعقيدة كالفرق بين النائحة
والتكلى» (٥٤)

لقد أبداع الشيخ حينما صور الكلام غير
النابع عن القلب والعقيدة، بالصورة التي لا
حركة فيها ولا حياة، وأما الكلام النابع من
قرارة النفس فهو كالإنسان الحي، الذي
فيه حركة وحياة، وأروع من ذلك تشبيهه
بالتكلم بدافع خارجي، بالنائحة التي تتباكى
على الفقد، فإنها لا تبكي عن شعور
حقيقي بالحزن والمصيبة التي حلت بها، بل
تبكي لأنها تتقاضى النقود من أصحاب
الفقد، فلا يؤثر يكاؤها في أحد من الناس،
وأما التكلى التي تبكي على فقدها لما
فجعه موت فقدها، ولما تكابد من آلام
وحسرة ولما تخرق الأحزان نياط قلبها،
فيكاؤها بيكي الحاضر ويشجي السامع،
إن إن اللغة تتطور وتترقى إذا كانت
تصدر عن اندفاع، وإذا كان الاندفاع مع
العقيدة والإيمان تزين اللغة بذلك الرونق،
وبهذا تصبح اللغة دينية
والعنصر الرابع هو النع والفائدة، فلما

كانت اللغة العربية نافعة لأهل البلاد
المفتوحة، حيث وجدوا لغة تحمل الدين
والحضارة الجديدة، وكانت أداة مهمة
للتواصل وتبادل الآراء، والاتصال بالذواثر
الرسمية، ازداد إقبال العجم على اللغة
العربية، وإذا لم يجد أحد في اللغة العربية
فائدة تذكر، لا من ناحية الدين ولا من
ناحية الحركة الإسلامية والدعوة الدينية،
ولا توجد هناك نفوذ عربية في الملكات
الإسلامية، انحسرت اللغة العربية عن
دورها، وأصبحت اللغة مقصورة على
الذين يحشرون الأدب، ويمتهنون الإنشاء
العربي حيث «يأتي على الناس زمان لا
يفهمون فيه من كلمة الأدب إلا ما أثر عن
هذه الطبقة من كلام مصنوع وأدب
تقليدي، لا قوة فيه ولا روح ولا جدة ولا
متعة» (٥٥)

■ الخاتمة

هذه هي آراء الشيخ الإمام أبي الحسن
علي الحسيني الندوي اللغوية، وعلى هذا
الأساس ألف الشيخ كتابه لتعليم اللغة
العربية، وعليه تقوم ندوة العلماء بلكناو -
الهند بتدريس اللغة العربية، لهذا نرى تميزا
واضحا في عربية المتخرجين في الندوة،
في كتاباتهم وخطاباتهم، وهذه النظريات
جديرة بالاهتمام من قبل الباحثين
واللغويين، ويمكن إجراء البحوث اللغوية
بالمقارنة مع النظريات اللغوية الحديثة.
أسأل الله المولى الكريم أن يتغمده الله
برحمته الواسعة، ويجعل مجهوداته في
ميزان حسناته، يوم لا ينفع الإنسان مال
ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

■ المراجع والمصادر

محاضر بالجامعة الإسلامية العالمية -
شينغافونغ، بنغلاديش.
(١) إبراهيم مذكور، اللغة المثالية، مجلة
مجمع اللغة العربية المصري، المجلد ٧.



السنة ١٩٥٣، ١٤.

(٢) ينظر أحمد حسن الزيات، لغتنا في لزمة، مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد ١٠، السنة ١٩٥٨م، ٤٦. ومحمد الغزالي، ثرائنا الفكري في ميزان العقل والشرع، (غزبيتا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٨٦م)، ١٨٩-١٩٣.

(٣) لنور الجندبي، أسلمة المنافع والعلوم، (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٦م)، ٩٨-١١٠.

(٤) أبو الحسن الندوي، مقارنات من أدب العرب، مقدمة، (الهند: مطبعة دار العلوم - ندوة العلماء، ط١، ١٩٤٠م)، ٣. وأبو الحسن الندوي، القراءة التراثية، (الهند: مطبعة ندوة العلماء، ١٩٨٨م)، ٥/١.

(٥) الندوي، مختارات من أدب العرب، مقدمة الطبعة الأولى، (الهند: مطبعة ندوة العلماء، ط١، ١٩٦١م)، ٣.

(٦) الندوي، في مسيرة الحياة، ٢/٢٢٢. (٧) أبو الحسن الندوي، نظرات في الأدب، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٩٨٨م)، ٢٨.

(٨) هذا معنى حديث رواه البيهقي في شعب الإيمان من طريق يونس بن محمد عن أبيه قال: قال رجل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أفصحك؟ ما رأينا الذي هو أعرب منك؟ قال صلى الله عليه وسلم: حق لي: فإنا أنزل القرآن على لسان عربي مبين. ينظر: السيوطي، المزهر، تحقيق: جاد المولي والأختران، (بيروت: المكتبة العصرية، ط١، ١٩٨٨م)، ٣٥/١.

(٩) الندوي، القراءة التراثية، ١٠/١. (١٠) أبو الحسن الندوي، المدخل إلى الدراسات القرآنية، (الهند: المجمع الإسلامي العلمي، ط٢، ١٩٩٤)، ١٣.

(١١) الندوي، نظرات في الأدب، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٩٨٨م)، ٢٨.

(١٢) أبو الحسن الندوي، شخصيات وكتب، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٩٩٠م)، ٧.

(١٣) الندوي، في مسيرة الحياة، ١٤٢/١.

(١٤) الندوي، نظرات في الأدب، ٢٨.

(١٥) ابن طباطبة، (محمد بن أحمد)، عيار الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام، (مصر: مكتبة المعارف، د.ت)، ٦-٥، وأبهم عباس حمودي القيسي، شعر العقيدة في

عصر صدر الإسلام، (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٩٨٦م)، ٣١٦.

(١٦) أبو الحسن الندوي، روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، (الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٤)، ٥٩.

(١٧) الندوي، نظرات في الأدب، ٢٨-٢٩.

(١٨) صبحي صالح، دراسات في فقه اللغة، (بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٣)، ٣٢١-٣٢٠.

(١٩) الندوي، القراءة التراثية، ١١/١.

(٢٠) الندوي، مختارات من أدب العرب، مقدمة الطبعة الأولى، ٥.

(٢١) الندوي، في مسيرة الحياة، ١٧١/١.

(٢٢) الندوي، نظرات في الأدب، ٦.

(٢٣) المرجع السابق، ٨.

(٢٤) الندوي، في مسيرة الحياة، ١٤٥/١.

(٢٥) الندوي، نظرات في الأدب، ٧. وأبو الحسن الندوي، كلمة الرئاسة للندوة العالمية للآداب الإسلامية، (الهند: مطبعة ندوة العلماء، ط١، ١٩٨٥م)، ٤٢-٤٣.

(٢٦) الندوي، في مسيرة الحياة، ٢٢٢/٢.

(٢٧) الندوي، روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، (الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٤م)، ١٥.

(٢٨) الندوي، القراءة التراثية، ١١/١.

(٢٩) عيد المنعم خفاجي، والسعدني قمرود، وعبد العزيز شرف، الأسلوبية والبيان العربي، (القاهرة: دار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٢)، ١٣.

(٣٠) قاله جورج بولون، ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٥م)، ٣٦.

(٣١) الندوي، المدخل إلى الدراسات القرآنية، (الهند: المجمع الإسلامي العلمي، ط١، ١٩٩٤م)، ٣٢.

(٣٢) المرجع نفسه، ٣٤-٣٥.

(٣٣) الندوي، روائع من أدب الدعوة، ١٤.

(٣٤) المرجع نفسه، ٢٠-٢١.

(٣٥) أبو الحسن الندوي، تأملات في القرآن الكريم، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٩٩١م)، ١٣-١٢.

(٣٦) المرجع نفسه، ١١.

(٣٧) أحمد شيخ، موقع اللغويات في إسلامية المعرفة، (بحث مقدم للندوة العلمية بالجامعة الإسلامية بماليزيا، ١٩٩٦م)، ٣٣.

(٣٨) Richard. Longman Dictionary of Linguistics

أحمد شيخ عبد السلام، موقع اللغويات في إسلامية المعرفة، ص ٣٣.

(٣٩) الندوي، روائع من أدب الدعوة في الكتاب والسيرة، ٣١-٣٢.

(٤٠) الندوي، روائع من أدب الدعوة، ٣٩-٤١. وللتفصيل يرجع من الكتاب، ٣٠-٤٣.

(٤١) الندوي، نظرات في الأدب، ٣٦-٤١.

(٤٢) الندوي، نحو التوبة الإسلامية الحرة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٧م)، ٩٥-٩٤.

(٤٣) المرجع نفسه، ١١٠.

(٤٤) الندوي، نظرات في الأدب، ١٠٥.

(٤٥) الندوي، في مسيرة الحياة، ٢٢٢/٢.

(٤٦) الندوي، في مسيرة الحياة، ٢٢٢/٢.

(٤٧) إبراهيم مذكور، اللغة المثالية، ١٣.

(٤٨) الندوي، في مسيرة الحياة، ٢٢٢-٢٢٣.

(٤٩) الندوي، نظرات في الأدب، ٣٢.

(٥٠) بيت منسوب إلى الأخطل، وليس موجوداً في ديوانه، ينظر: جماعة من العلماء، شرح العقيدة الطحاوية، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٨٤م)، ١٨٤.

(٥١) أبو الحسن الندوي، مثلاً خسر العالم باحتطاط المسلمين، (الرياض: الاتحاد الإسلامي العالمي للمنقلات العقلية الإسلامية، ط١، ١٩٨١م)، ٣٦٠.

(٥٢) المعجم الوسيط، مادة دفع.

(٥٣) مصر: مجمع اللغة العربية، د.ت.د.ت.

(٥٤) الندوي، نظرات في الأدب، ٣٢.

(٥٥) المرجع نفسه، ٢١.



في مسيرة الحياة.. الأبعاد والمنهج

■ ■ ■ مدخل

يطلق مصطلح «الترجمة» أو «السيرة» على ما يتناول التعريف بحياة شخصية معينة. تعريفاً بطول أو يقصر، ويتعمق أو يبدو على السطح، تبعاً لحالة العصر الذي كتبت فيه الترجمة، وتبعاً للثقافة المترجم — أي كاتب الترجمة — ومدى قدرته على رسم صورة كاملة واضحة دقيقة، من مجموع المعارف والمعلومات، التي تجمعت لديه عن المترجم له (١).

وتنقسم الترجمة بالمفهوم السابق إلى نوعين مشهورين :

١ — الترجمة الغيرية : BIOGRAPHY

وهي التي تعرض سيرة الآخر (٢)

ومن نماذجها في القديم : «مناقب أحمد بن حنبل» لابن الجوزي، و«النوادر السلطانية» لابن شداد، وهو في سيرة صلاح الدين الأيوبي (٣).

وفي الحديث : «حياة أبي بكر الصديق»، «الفاروق عمر»، «عثمان بن عفان» للدكتور محمد حسين هيكل، و«عقريات العقاد»، و«الإمام مالك» لأمين الخولي، و«أبو العلاء المعري» لبنت الشاطيء، و«أبو الطيب المتنبي» لعبد الوهاب عزام.

٢ — الترجمة أو السيرة الذاتية أو الشخصية : AUTOBIOGRAPHY

وهي التي تعرض حياة الشخص نفسه بقلمه، وفيها يكشف الكاتب عن ملامحه، وسيرورة حياته، وطبيعة علائقه مع الآخرين.

ومن نماذجها في القديم: ترجمة ابن خلدون بقلمه (٤)، وسيرة أسامة بن منقذ في «الاعتبار» (٥)، و«المنقذ من الضلال» للغزالي.

وفي الحديث: «حياتي» لأحمد أمين، وتربية سلامة موسى، وترجمة أحمد شوقي بقلمه، في الطبعة الأولى من الجزء الأول من الشوقيات، و«الأيام» لطف حسين.



ويذهب الدكتور يحيى إبراهيم إلى أن الترجمة الذاتية الفنية ليست هي التي يكتبها صاحبها على شكل مذكرات، بمعنى فيها بتصوير الأحداث التاريخية، أكثر من عنايتها بتصوير واقعه الذاتي. وكذلك ما كان «مذكرات»، تأخذ هذا الطابع، أو «يوميات»، تأتي فيها الأحداث على نحو غير رتيب، وكذلك ما جاء على شكل اعترافات أو رواية فنية (٦).

ولكن هذا الرأي فيه تشدد بالغ؛ لأنه يعد حجرا على حرية الأديب، فمن حقه أن يختار الشكل أو القلب الفني الذي يراه ملائما، فيكتب ترجمته في شكل حكايات، أو في شكل مذكرات أو اعترافات.

والدكتور يحيى إبراهيم نفسه عاد فاعتبر «اعترافات» القديس أوغسطين أشهر التراجم الذاتية في القرون الوسطى (٧)، وتعتبر «اعترافات» جان جاك روسو، من أشهر التراجم الذاتية في التاريخ، وفيها نرى حفا وافرا للبيئة والمجتمع والكنيسة ورجال الدين. واهتمام كاتب السيرة الذاتية بالأحداث العامة، وثبات البيئة لا يضعف من بنائها، ولا ينال من فنيته؛ فهذا الاهتمام يمثل بصدق مدى إحساس الكاتب بالجو الذي يعيش فيه، واستجابته، أو تمرده عليه، أي موقفه من عصره بيئة وزمنا. ومن يستطيع أن ينكر تلك الترجمة الذاتية التي سجلها، أسامة بن منقذ في كتابه «الاعتبار»، وهو مذكرات بديعة تصور لنا الفروسة العربية زمن الصليبيين، كما تصور حياة المسلمين لعصره، وحياة الصليبيين أنفسهم، وهو تصوير أمين دقيق، تسوده روح الإنصاف والعدل، فيذكر مآلهم وما عليهم (٨).



بقلم الدكتور:

جابر قمحة

ومن فضول القول أن نذكر في هذا المقام أن الكاتب لا يستطيع أن يصور ملامحه الذاتية، وخصائصه النفسية والعقلية والخلقية، وقيمه التي يؤمن بها، إلا في ظل البيئة التي يمثل هو نقطة سابعة في سمائها، أو نبتة ناجمة في أرضها، وخصوصا إذا كانت أحداث عصره من الوقائع المتوهجة الجسيمة التي غيرت

مجرى التاريخ، أو تركت بصماتها غائرة على صفحته. وليس المهم أن نتساءل أي الجانبين أغلب تصوير الذات، أو تصوير الأحداث والقيارات الاجتماعية وماشابهها، بل المهم أن يحدد الكاتب مكانه في زحمة هذه الأحداث، وتلك القيارات، ومدى تفاعله معها تأثيرا وتأثيرا، واستجابة أو ترددا ومعارضة، بحيث تكون شخصيته هي نقطة الارتكاز فلا يقاس حظ كاتب السيرة، وحظ البيئة قياسا كسفا. بل يبحث في السيرة عن الأبعاد والاعماق، ومدى إحساس الكاتب، وصدقها فيما كتب. بحيث لا تبتلع الأحداث، فتتحول الترجمة إلى تاريخ محض (٩).

وفيما يأتي: تسير مع مسيرة الشيخ، وتلقي عليها نظرات فاحصة: للتعرف على أبعادها ولامحها، ابتداء من التعرف على الدوافع التي حدثت به إلى ترجمة ذاته، ثم المساحات التي غطتها السيرة (زمانا ومكانا، والعلائق التي تربط بينها وبين الرحلات التي قام بها الشيخ.

وأخيرا نتعرف على المنهج الذي أتته الشيخ، وأهم خطوطه ولامحه، وإلى أي مدى وثقت السيرة في تصوير شخصية كاتبها، وشخصيات الآخرين، وكذلك أبعاد البيئة والعصر. وأهم الملامح الفنية في التصوير والتعبير.

■ الدوافع والخواف:

كتب الشيخ أبو الحسن عددا كبيرا من الكتب في التاريخ والسير، والعقائد والعبادات، والأدب، ولم يجد حرجا في ماكتب، ولكنه عندما فكر وشرع في كتابة سيرته الذاتية استبد به - كما يقول - «صراع عقلي، وتردد نفسي». وقد مضت أعوام، وهو يقدم رجلا ويؤخر أخرى، متهيبا الخوض في هذا الموضوع، والإقدام على الكتابة فيه (١٠) وقد لخص أسباب التهيّب والإحجام فيما يأتي:

١ - إيمانه بالحكمة الماثورة «رحم الله امرءا عرف قدر نفسه»، وفي ضوئها كان يستصغر نفسه في مجال التنويه بها، فهو لم يكن يوما سياسيا بارزا، ولا قائدا محنكا، ولا صاحب شهرة، وجاء عريض حتى يسوغ له التأليف عن نفسه.

٢ - خشية - وهو يكتب عن نفسه - من الغرور وخداع النفس، وخشيته من الإساءة إلى الشخصيات التي يكتب عنها في تضاعيف سيرته، بالتقصير في تقييمهم، أو الإقراط في

منحهم والثناء عليهم.

٢ - ما يتوقعه من ضرورة التعرض - في سيرته الذاتية - للحركات والأوضاع والعقائد الأخرى في بيئته، وذلك قد يثير حساسيات زائدة شديدة، هو في غنى عن إثارتها.

٣ - شعوره بأنه - إن كتب سيرته - إنما يقدم على «بدعة تاليفية». ورسائله تقتضيه إنفاق وقته في التأليف عن المصلحين والمجددين والصالحين، وإبراز مآثرهم، وليس في إطراد نفسه والتتويء بشخصه (١١).

ونلاحظ أن هذه العوامل المثبطة التي تشده إلى الإحجام عن كتابة سيرته الذاتية نابعة مما عرف عنه من مكارم الأخلاق في التواصل، وعفة القلم واللسان، وحسن التعامل مع الآخرين، ومعرفة أقدارهم.

■ ■ ■

لكن عوامل الإحجام لم تصمد أمام عوامل إقدام، كان لها قوتها الدافعة، التي حقزت الشيخ إلى البدء في كتابة سيرته الذاتية، في نهاية سنة ١٩٨٢، وخلاصة هذه العوامل:

١ - اقتناعه بالدور التربوي والخلقي، الذي يمكن أن تؤديه سيرته الذاتية، من تجارب ومعاناة، ودروس وغير، تدفع للعلو والطموح، وتقوي الإيمان والعزيمة.

٢ - إيمانه بأن هناك كثيراً من الموضوعات، والأحداث والوقائع، والمؤسسات والحركات، والشخصيات والجماعات، وتصوير البيئة والأعراف، ونظام التربية السائد في البيوتات، لا يتيسر الحديث عنها إلا في تضاعيف قصة حياته، ورحلة عمره، وإلقاء الضوء على واحد منها مستقلاً يحتاج إلى مجلدات، ولكن بالسيرة الذاتية تتحول حياة الفرد إلى صورة صادقة ناطقة لعمره، ومذكره حية له، وقد يعثر فيها المؤلف والمؤرخ على تلك المواد المفيدة الضرورية، التي لا يجدها في كتب التاريخ العرفي التقليدي.

٣ - وقوعه على كتب راقية في السيرة الذاتية لكبار من أساتذته ومشايخه الموقرين وهم: شيخ الإسلام السيد حسين أحمد المدني، وشيخ الحديث محمد زكريا الكاندهلوي، والأستاذ الأديب الشيخ عبدالمجيد الديابادي.

وهذه النماذج الثلاثة الطيبة، جعلته يخلع عن ذهنه فكرة كان يعتنقها من قبل، وهي أن كتابة السيرة الذاتية يعد بدعة تاليفية. وحتى لو صح ذلك فهي - كما يقول «بدعة حسنة» (١٢).

٤ - وثمة عامل قد يبدو هامشياً إذا قيس بالعوامل السابقة، ولكن ذلك لا يسلبه تأثيره وفاعليته، وهو أن الشيخ وجد لأسباب طيبة فرصة الفراغ والاستجمام لمدة محدودة، حيث لم يكن يستطيع - لبعده عن مقره ومكتبته - أن يشغل بعمل تاليفي كبير، لأنه يحتاج إلى الرجوع إلى كتبه ومصادره، فاضطر إلى شغل هذا الفراغ بالبدء في كتابة سيرته الذاتية، وهي تعتمد أساساً على الذاكرة، وإعمال العقل، واجترار التجارب والمواقف الشخصية، واستخلاص التجارب والعبر.

٥ - وهناك دافع قوي لمواصلة الشيخ كتابة سيرته الذاتية بعد أن عزم على إنهاء هذه السيرة بالجزء الثاني، هو إلحاح إخوانه ومحبيه من ناحية، وكثرة الأحداث والمحن والفقر بعد انتهائه من الجزء الثاني، مما يخشى معه إغفال الكتاب والمؤرخين لها من ناحية أخرى، فجعل الشيخ من الجزء



■ ■ إلحاح إخوانه ومحبيه من ناحية، وكثرة الأحداث

والمحن والفقر بعد انتهائه من الجزء الثاني.. كانت

دافعاً قوياً لمواصلة الشيخ كتابة سيرته الذاتية.

الثالث وعاء يحفظ هذه الأحداث، وهو يبدأ بذكريات عام ١٩٨٨، وينتهي بذكريات عام ١٩٩٣ (١٣).

■ مسير الحياة:

● المساحة الزمنية:

بين يدي - كما ألمحت آنفاً - ثلاثة أجزاء جاءت في ألف صفحة تقريباً، تحمل عنوان «في مسيرة الحياة» للشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله، وهي تغطي قرابة قرن من الزمان: ابتداء من حديثه عن أسرته في مطلع القرن العشرين الميلادي، وامتداداً إلى أواخر عام ١٩٩٣م. وإن كان قد استهل الجزء الأول من المسيرة بحديث موجز عن جذورها حيث ينتهي نسبها إلى محمد ذي النفس الزكية بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط الأكبر بن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، لذلك اشتهرت الأسرة بالهشمية (١٤).

وهذه الأجزاء الثلاثة تتسع لعمره الزمني إلى ما قبل وفاته بسنت سنين. ولكن علينا - في هذا المقام - أن نذكر أن هذا الكتاب بكل أجزائه - وإن حمل عنوان سيرته الذاتية - لا يستقل بهذه السيرة، بل يشترك معه بالإضافة والتفصيل، والشرح والتبيين كتبه في الرحلات التي قام بها في مشارق الأرض ومغاربها. ومن أهمها: مذكرات سائح في الشرق العربي - من نهر كابل إلى نهر اليرموك - أسبوعان في المغرب الأقصى - نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان - أحاديث صريحة في أمريكا.

وتمتد المسيرة الزمانية لتعرض مرحلة الطفولة والصبا والشباب، وسنوات التعلم والتعليم، والقيام بواجب الدعوة على النطاقين: المحلي والعالمي، وكذلك رحلات الحج والتدريس، والرحلات الدعوية والمؤتمرات الدينية والأدبية.

● المساحة المكانية:

ولو قلنا إن العالم كله كان مسرحاً لهذه الحياة المديدة العريضة لما أبعدنا، ومن الصعب أن يعثر الدارس على شخصية في العصر الحديث، لها من الأسفار والرحلات الدعوية والتعليمية والدينية مثل ما لأبي الحسن الندوي رحمه الله.

فزيادة على تنقلاته بين عشرات من المدن والقرى الهندية،

كان له أسفار ورحلات إلى الحجاز ومصر، والسودان، ودمشق، وبيت المقدس، والخليل، والأردن، ولبنان، والكويت، وقطر، وإمارات الخليج، واليمن، والعراق، والمغرب، والجزائر، وباكستان، وبنجلاديش، وسمرقند، وبخاري، وطشقند، وبورما.

وكذلك كان له أسفار إلى مدن أوروبية كثيرة منها جنيف، ولوزان، وبرايس، ولندن، وكمبريدج، وأكسفورد، وجلاسكو، ومانشستر، وشيفيلد، وليدز، ومبريد، وطيطة، وأشبيلية، وقرطبة، وغرناطة، وألب من أمريكا الشمالية وكندا (١٥).

ونلاحظ على هذه الأسفار امرين:

الأول: أن من هذه البلاد مقام صاحب السيرة بزيارته أكثر من مرة، وخصوصاً بلاد الحجاز كالمدينة ومكة وجدة، والإمارات العربية.

والثاني: أن هذه الرحلات - في أغلبها - كانت لأسباب دعوية أو علمية، برغبة صاحب السيرة ابتداءً، أو استجابة لدعوات من جهات رسمية أو شعبية: لحضور مؤتمرات، أو إلقاء محاضرات عامة أو محاضرات متخصصة على مستوى الجامعات.

وهذا الامتداد المكاني لرجل عقيدة داعية، وهذه الله قوة إيمان، وقوة عزيمة، وقدرة على التأثير في كل مكان حل به يجعل منه شخصية عالمية، فهو - كما يقول الدكتور القرضاوي - وإن كان هندي المولد والنشأة والدراسة، عالمي الوجهة والغاية، عالمي النشاط والحركة. وهو - وإن اهتم بالمسلمين في الهند، وشاركهم همومهم، وتصدر الصقوف أحياناً في ذلك كما في قوانين الأحوال الشخصية (١٦) التي أرادت الحكومة الهندية يوماً أن تقرض على المسلمين فيها ما يحرمهم من خصوصيتهم - لا يقتصر همه ولا نشاطه على القارة الهندية، بل يبتدئ إلى العالم كله (١٧).

■ في القصيدة والرحلات:

ونخلص مما سبق إلى أن الترجمة الذاتية للشيخ لها مصدران أساسيان هما:

١ - ما سطره بقلمه في «مسيرة الحياة» من وقائع حيات الخاصة والعامة، وأثارها، وموقفه منها.

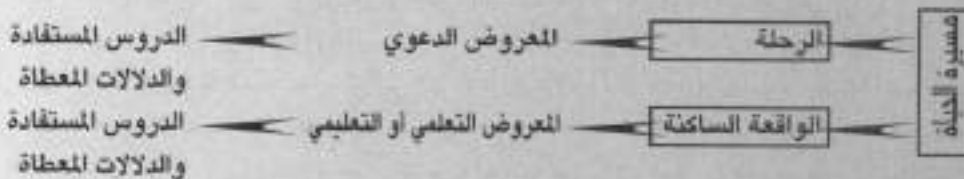
٢ - كتب الرحلات التي قام بها في حياته، وأغلبها - كما

ذكرنا - رحلات دعوية.

وهذا التقسيم - أو هذا التعداد - صناعي لاطبيعي: لأن الدارس لا يستطيع أن يعزل أحدهما عن الآخر. والشيخ كثيرا ما يحيل - في مسيرة الحياة - على كتب الرحلات، وهي تفصل مجملًا، أو توضح مبهمًا، أو تضم محاضرات ألقاها في البلاد التي مر بها (١٨).

ومن استقراء مكتبته الشيخ من السيرة الذاتية وأدب الرحلات - نخلص إلى أن بين «الرحلة» وهي حركة دينامية ناشطة، وبين الواقعة في موقعها الثابت مشابه، وجوه التقاء لا يخطئها النظر: فالرحلة لها مضمونها الدعوي الذي يخلص منه الندوي إلى إبراز الدروس المستفادة، ومعانقة الدلالات المعطاة، في آفاق الدين والمجتمع والنفس، وهي بذلك تشغل شريحة من زمن الترجمة الذاتية. أي مسيرة الحياة.

والواقعة الساكنة مكانيا في نطاقها المحلي - استقبالا أو إرسالًا، تلقيا أو إلقاء، أخذًا أو إعطاء - تشغل كذلك شريحة من «مسيرة الحياة» ورقعة من مساحتها المكانية. مع اختلاف الرحلة والواقعة الساكنة محلًا في حظ كل منهما من التوقف والتطور والمقاومة، ولكنه - على أية حال - فرق درجي لا نوعي. وينظام التخطيط يمكن ترسيمها على النحو التالي:



■ ■ ■

وأقوى وجوه الالتقاء بين السيرة الذاتية وأدب الرحلات عند الشيخ هو العقيدة النقية الخالدة، وهي في اللونين كالعصارة الحية في النبات، لاحتياقه له بدونها، والشيخ يرى بحق أن الكتابة التي لا يستطيع القاري أن يحدد زمانها ومكانها، ولا يهتدي إلى عقيدة مؤلفها وفكره، والقيم والمثل التي يجيها، وينتصر لها، ولا يشعر فيها بمرارة ألم وحزن، وحلاوة إعجاب ورضا، كتابة مسطعنة لا تؤثر في النفس، ولا تصلح للبقاء (١٩).

■ ■ ■ منهج السيرة

تتعدد مناهج السيرة الذاتية تبعًا لثقافة كاتبها، وظوايحه وسلامحه الفكرية والخلقية والدينية، والأهداف التي يتبعها من كتابة هذه السيرة. وفي سياق هذه الدراسة نعرض - في إيجاز شديد - أهم هذه المناهج خلوصًا للمنهج الذي أثره الشيخ لترجمته الشخصية. وهي:

١ - المنهج الروائي: ولديه نرى كاتب السيرة يعرض مسيرة حياته في شكل قصصي

■ ■ ■ المنهج السردى التأملى هو المنهج الذي أخذ

الشيخ نفسه به في سيرته الذاتية.. وهو منهج يتسق مع طبيعة الشيخ في الالتزام الصادق بالإسلام..



روائي، وغالباً ما يتوارى الكاتب في الشخصية الروائية المحورية، ويستخدم ضمير الغائب غالباً، ومن هذا اللون: الأيام لطف حسين، وعودة الروح، وزهرة العمر، وعصفور من الشرق لتوفيق الحكيم.

٢ - **المنهج العلمي التحليلي:** وهو لا يعطي الاهتمام للواقعة لذاتها، ولا للتابع الزمني للوقائع، ولكن لما تنفثه الواقعة من دروس ودلالات وجلالها لا يتبع من شغلها مساحة رحبية في الزمان والمكان، ولكن من عمق الدلالات التي تعكسها في أقطار النفس والضمير. وهذا الطابع هو الذي يحكم مبدأ الانتقاء الذي تعتمد عليه الترجمة الذاتية في اختيار وقائع الحياة.

ومن الكتب التي نهجت هذا النهج كتاب «المنقذ من الضلال» لأبي حاسد الغزالي، وهو يصور الغزالي في رحلته النفسية والعقلية، بحثاً عن الحق والحقيقة بين الفلسفة والعلم والتصوف، وفيه يصور الصراع النفسي العميق، حين تتجاذبه كل هذه الأحوال، إلى أن يصل إلى اليقين، وهو طلب العلم ونشره، وليس هو العلم الذي به يكسب الجاه، ولكنه العلم الشريف الراقي الذي به يترك الجاه، ويعرف به سقوط رتبة الجاه (٢٠).

وقد تبسط الترجمة الذاتية في عدة كتب، يمثل كل منها مرحلة زمنية معينة، أو يغطي جانباً موضوعياً في حياة الشخصية، على المستوى الفكري والخلقي والروحي والاجتماعي والسياسي، دون التزام بالتتابع الزمني للوقائع والأحداث. وأقرب الأمثلة لهذا النوع كتب عباس العقاد الأربعة: «عالم السود والقيود»، و«ساعة»، و«أنا»، و«حياة قلم». وكانت فصول أربعة في سفر ضخم من ألف صفحة، تمثل العقاد في معاناة السجن وفي تجربته العاطفية، وفي تأملاته النفسية، وبؤسه الذاتي، وشخصيته في علاقتها مع الآخر، في مجال السياسة والفكر. وقيمة الوقائع والأحداث تتحدد بقدر خدمتها لهذه الأبعاد (٢١).

المنهج السردى المحايد: ووقائع الترجمة الذاتية - في هذا المنهج - تتتابع منتظمة في خطها الزمني من البداية إلى النهاية، دون تدخل من صاحب السيرة بإبداء الرأي، ودون توقف أمام الوقائع لاعتصار الدلالات، واستخراج ما في الحدث من دروس وتوجيهات، فكل أولئك متروك

للقاري. والارتباط بين الوقائع - في هذا المنهج - هو ارتباط زمني تصاعدي: من الميلاد أو الصبا إلى الشباب وهكذا - إلى التاريخ الذي يتوقف عنده كاتب السيرة.

لهذا المنهج منهج تسجيلي راصد، يتقل إلى الأوراق «المشهود» من وقائع الحياة بحياد تام، ويكون هدف السيرة الذاتية - في هذه الحال - مجرد التعريف بالشخصية بلسان «الأناء»، وهو منهج تقليدي، لاحظ للتجديد فيه.

المنهج السردى القاطلي: وهو يشبه المنهج السابق في الاعتماد على رصد الوقائع والأحداث، مع مراعاة التتابع الزمني إلى حد كبير، ولكن الفارق الأساسي يتمثل في تعامل صاحب السيرة الذاتية مع الواقعة، فهو - في المنهج الأخير - لا يكتفي منها بأن تكون مجرد خيط من خيوط نسج شخصيته، بل يقف منها موقفاً نقدياً، بإبداء الرأي فيها، واستخراج مافيه من دلالات ودروس وعبر. فهي في هذا المنهج تؤدي وظيفتين:

الأولى: هي الوظيفة التعريفية، فهي بالاشتراك مع غيرها من الوقائع تقدم صورة مباشرة لمصاحب السيرة.

الثانية: هي الوظيفة التوجيهية أو التربوية. ولا تتحقق إلا باعتصار كاتب السيرة مافيه من دلالات ودروس دينية، أو اجتماعية، أو خلقية، أو نفسية، وذلك لا يتأتى إلا بالتأمل والاستبطان، والتعامل مع الوقائع بضمير حي، وعقل فاعل، وبصورة نافذة، «ولا كان الإنسان معطلاً ما وهبه الله من مواهب، فما أكرمه الله به وشرفه على جميع خلقه أن منحه صلاحية الاعتبار، وصلاحية تلقي الدرس من حوله. والله سبحانه وتعالى يمدح الإنسان بهذه الميزة، فيثير فيه العقل الواعي، ويريد أن يستخدم الإنسان عقله فيقول: إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار» آل عمران ١٣، ويقول: «... فاعتبروا يا أولي الأبصار» الحشر ٢ (٢٢).

وهذا المنهج الأخير هو المنهج الذي أخذ الشيخ نفسه به في سيرته الذاتية التي سماها «في مسيرة الحياة»، وهو منهج يتسق مع طبيعة الشيخ في الالتزام الصافي بالإسلام «قولاً وعملاً، وكتابة وسلوكاً». ابتغاء رضا الله، لارضا الناس (٢٣).

ويرتبط بالمنهج التعرف على طبيعة هذه الترجمة، والشكل الفني الذي اختاره الشيخ لصياغتها، وأول ما يندفعنا منها مطابعتها الموسوعي، فكتاب الشيخ — كما يقول الشيخ علي الطنطاوي — ليس سرداً لأحداث حياته، ولكنه كتاب تاريخ، وكتاب أدب، وفيه وصف للأمكنة كانتك تراها، وكتاب علم فيه ذكر العلماء، ومجالس العلم، وسجل اجتماعي فيه وصف عادات الناس، وأوضاعهم في الهند (٢٤). وقد أشرنا — في مطلع هذه الدراسة — خلافاً لما ذهب إليه الدكتور يحيى إبراهيم — إلى أن السيرة الذاتية قد تأتي في شكل مذكرات، أو يوميات، أو ذكريات، أو اعترافات. والمذكرات MEMOIRS: تعني تسجيل المراء لبعض حوادث حياته الماضية، في مكان أو ظرف ما. وقد يتسع هذا المصطلح ليشمل حوادث عامة، يصفها المؤلف من خلال تجاربه (٢٥). واليوميات DIARIES هي سجل، قد يكون يومياً للأنشطة الشخصية، ومشاعر الكاتب، وتأملاته في الحياة، والأصل فيه ألا يكون للنشر، ولكنه كثيراً ما ينشر المؤلف يومياته الخاصة. إذا اشتملت على آراء، أو وصف أحداث قد تهم الناس، وأحياناً قد ترقى اليوميات إلى درجة الأدب الممتاز. مثال ذلك «يوميات نائب في الأرياف» لتوفيق الحكيم (٢٦). والذكريات REMINISCENCES: تعني الصور الذهنية التي تحضر إلى الذاكرة، وتمثل أحداثاً مضت، وكثيراً ما تكون مادة للأدب، وخصوصاً في الترجمة الذاتية، وأدب الرحلات، وشعر الرثاء، والحنين إلى الماضي. فهي تعتمد على «التذكر» أي استحضار صور الأحداث الماضية في الذهن (٢٧). والاعتراف CONFESSION: وهو ذلك النوع من الترجمة الذاتية، التي يروي فيها المؤلف مواقف نفسية أو عاطفية، لا يعترف بها كاتبو الترجمة الذاتية عادة (٢٨). وهذه المصطلحات الأربعة — وخصوصاً الثلاثة الأولى منها — متقاربة المعنى إلى حد كبير، وقد أصبحت بالاستعمال أكثر تقارباً، حتى إنها تتبادل المواقع في ساحة واضحة، فتأخذ المذكرات عنوان «الذكريات»، وتكتب اليوميات تحت عنوان «المذكرات». أما الاعتراف فيتميز على الأنواع السابقة بالجرأة والصراحة، وذلك بطرح ملامح أو مواقف ذاتية، أو أسرية، جرى العرف على تكتمها، وعدم البوح بها (٢٩).

وفي كتابه «مذكرات سائح في الشرق العربي» أتبع الشيخ — رحمه الله — نظام اليوميات، فالتزم في هذه الرحلة كلها أن يسجل كل حديث، وكل انطباع في يومه غالباً، وفي أقرب وقت إذا فاتته التسجيل في اليوم، وأن يتحرى الدقة في النقل، والصحة في الرواية، وتسجيل الحديث في لفظ المتحدث، ولغته.

وتبدأ هذه اليوميات يوم الأحد ١٣٧٠/٤/١٢ — ١٩٥١/١/٢١ وتنتهي بيومية الأحد ١٣٧٠/١١/٩ — ١٩٥١/٨/١٢. وقد وضحنا من قبل طبيعة الارتباط بين السيرة الذاتية

■ استخدم الشيخ: المذكرات والذكريات والاعتراف

بصورة متداخلة، دون انخراط أجزاء المسيرة تحت

شكل واحد، ودون التزام حاد بمفهوم هذه الأشكال.



والرحلات التي سجلها الشيخ في عدد من كتبه بالتفصيل.

■ ■ ■

وفي سيرته الذاتية استخدم أبو الحسن الأشكال السابقة كلها: المذكرات والذكريات والاعتراف بصورة متداخلة، دون انخراط أجزاء المسيرة تحت شكل واحد، ودون التزام حاد بمفهوم هذه الأشكال، مع استثناء الجزء الثالث من هذه السيرة، فقد وصفه الكاتب بأنه ذكريات، ولكنه اتبع — في ترتيب هذه الذكريات وتصنيفها — طريقة القدماء في كتابة التاريخ، وهي «الطريقة الحولية»، التي ابتدعها ابن جرير الطبري في تاريخه، وتعد فيها مختلف الحوادث في كل سنة على حدة، وذلك بعناوين مثل: في سنة كذا، أو ثم جاء في سنة كذا. أما الصلة بين الحوادث المتعددة التي تحدث في السنة نفسها فكانت في الغالب تبين بطريقة سهلة، وهي إضافة هذه الجملة. وفيها: أي. وفي السنة نفسها (٣٠).

وكذلك نرى عناوين فصول الجزء الثالث: ذكريات عام ١٩٨٨ (ص ١١) — ذكريات ١٩٨٩ (ص ٣٣) — ذكريات ١٩٩٠ (ص ٦١) — ذكريات ١٩٩١ (ص ١٠٧) — ذكريات ١٩٩٢ (ص ١٤٣) — ذكريات عام ١٩٩٣ (ص ١٩١) — (٣٠٤).

أما الجزء الأول والثاني فالعناوين الموضوعية تصدر كل فصل من الفصول، دون تقسيم حولي، أو شهري، وإن كان تحديد تاريخ الحدث لازمة ثابتة يحرص عليها الشيخ في سياق الفصول، وقلّ بل ندر أن يخالف هذه اللازمة المطردة (٣١).

وغالباً ما يكون العنوان المختصر مركباً من العناوين الجزئية، الموزعة على موضوعات الفصل، وتكتب جانبياً ناحية اليمين، كهذا العنوان — على سبيل التمثيل: رحلات إلى إنجلترا، والجزائر، والحجاز، والمشاركة في جلسة المركز الإسلامي باكسفورد، وملتقى الفكر الإسلامي بالجزائر، والإقامة بالحجاز لأيام، وأحداث أخرى مهمة (٣٢).

وعرض العناوين بهذه الطريقة المباشرة ذات الطابع العلمي الذي يخلو من الإيحاء: يحدد الأفكار ويحصرها، وذلك لأنه يلعب مسبقاً إلى مضمون الفصل، وهذه الفائدة

الموضوعية تضحى في المقابل بالتشويق المرجو في السير الذاتية.

■ ■ ■ الفصيح والفقير الكاشف

«في مسيرة الحياة ترجمة ذاتية، ترسم لنا شخصية كاتبها رحمه الله، وكثيراً من ملامح الشخصيات الأخرى التي التقى بها، كما تلقي إضاءات قوية على مجتمعه، وغيره من المجتمعات والجماعات، والعقائد، والآداب، وفيما يلي نحاول أن نتعرف على مآقده هذه السيرة من صور في هذا المجال.

أولاً صاحب السيرة: قدمت هذه السيرة شخصية كاتبها رحمه الله بأبعادها العقلية والنفسية والروحية، ومن هذه الأبعاد ما يمثّل في البوح الذاتي المباشر، وذلك في حديثه عن نفسه، ومنها ما يستخلصه من مواقفه المتعددة على المستويات الدينية والاجتماعية والسياسية.

يبرز الكاتب قيمة التنقّل الذاتي، فيرى أن الدراسة المنتظمة والكتب المقررة ليست إلا لتفتح آفاق الدراسة والمطالعة، وتهيئ للتدبر والتأمل، والإفادة من جهود المتقدمين، واقتطاف ثمرات العلم عن حديقته الغناء، وأن التخرج في المدارس والجامعات وسيلة لا غاية، وهو عبارة عن بدء السير، والشروع في الرحلة الطويلة في مسار العلم الشاسع البعيد (٣٣).

وكان لأسرته الأثر في هذا التفتح العقلي، والقدرة على التعامل الصحيح السليم مع معطيات العلم والثقافة، وهو عميق راسخ يعترف به الكاتب، فيرى أن عقلية اشترك في تكوينها تأثيرات أسرته: الوالد والوالدة، والبيئة الأسرية وتقاليدها، والذوق الأدبي، والتأليفي، الذي استمر في ثلاثة أعقاب متوالية، وسعة الأفق، ورحابة الصدر، وحب الدفاع عن الدين، والحمية له! نتيجة العلاقة والانتماء إلى أسرة الإمام أحمد بن عرقان الشهيد وجسماته، وفوق كل ذلك صحبة أخيه الأكبر وتربيته، الذي كان جامعاً بين خصائص التعليم القديم والجديد، وبذلك وجد في نفسه انسجاماً بينه وبين طبيعة ندوة العلماء الفكرية والدينية، والثقافة التي تمثلها، وتحمل لواءها، ولذلك لم يضطر — لتكيفه مع هذه البيئة، ووضع نفسه في مكانها اللائق فيها — إلى هجرة عقلية.

أو رحلة ذهنية طويلة، بل شعر كأنه انتقل من حجرة أو زاوية في البيت إلى زاوية أخرى، وقد كان من الأسباب وراء ذلك أيضا أنه نشأ من البداية النشأة العقلية والعلمية في جو ندوة العلماء، وفي ظلها (٣٤).

فنحن أمام شخصية سوية متوازنة القوى والطاقات، متسقة مع الجو النبيل الذي نشأت فيه، مستجيبة للتأثيرات الراقية التي اتجهت إليها، ومتفاعلة معها في مصداقية بنيت على هذا الأساس الشريف المتين. واستكملت خصائص القيادة والريادة والعظمة والشرف. «وإذا كان من بني حصنا أو قائد جيشا عد من العظماء، فأبو الحسن بنى للإسلام في نقوس تلاميذه حصونا أقوى وأمتن من حصون الحجر، بنى أمة صغيرة من العلماء الصالحين، والدعاة المخلصين» (٣٥).

■ ■ ■

وقد أشرنا من قبل إلى أن الشيخ لم يكن يكتفي من الواقعة بروايتها وتسجيلها، ولكن يعنصر منها الدرس الذي يحمل الفائدة له وللآخرين. وهو طابع القائد المصلح الموجه، والامثلة في هذا المقام أكثر من أن تحصى، نحتزىء بالقليل منها.

١ - في سنة ١٩٢٨ تقدم لامتحان «قسم الأدب العربي» بجامعة لكهنؤ، وكان حظه الرسوب في هذا الامتحان، ويعلق على هذه الواقعة، ميرزا الفائزة التي خرج بها بعد ظهور هذه النتيجة المحزنة بقوله: «ولكن هنا الرسوب لم يخل من حكمة إلهية في التربية، فقد أراد الله أن أجرب الرسوب والإخفاق، وأتحمله، وأصبر عليه، وأضطر للجهد مرة ثانية» (٣٦).

٢ - في سنة ١٩٢٩ يتسلم - في حفل عام - شهادة التخرج من حاكم الولاية الإنجليزي، ويأخذه الأسى إذ يتسلم شهادة في اللغة العربية من حاكم إنجليزي، وأحد أفراد الشعب المعادي للإسلام. ولكن الشيخ يوجه إلى أصل من أصول النقد - كما يجب أن يكون - وهو أنه «ينبغي أن يحكم على كل شيء باعتبار المكان والزمان، ويوزن بصيران عصره وميئته، فلم يكن ذلك معيبا في تلك البيئة التي أتحدث عنها، والعصر الذي أورخه» (٣٧).

٣ - وبعد زيارته زيارات دعوية لبعض البلاد العربية، يوجه الدعاة الذين يقومون بسل هذه الرحلات الدعوية ألا يطأوا أرض هذه البلاد إلا بعد أن يدرسوا أدبها ولغتها وثقافتها دراسة ناقدة بصيرة، ويسبروا غورها، ويتعرفوا على حلوها ومرها (٣٨).

٤ - وبعد أن يعدد أسماء عدد كبير من الكتب والموسوعات التي قرأها بالعربية والإنجليزية، يقودنا إلى درس إيماني واقعي، وهو أن العبرة ليست بكثرة المقروء، فالفائدة المتوخاة لا تتحقق إلا بتوفيق الله «فالتوفيق إذا حالف عبدا فإنه يستفيد أحيانا من معلومات قليلة، ودراسات محدودة مالا يستفيد غيره، وينتج عملا كبيرا، ويتجلى بقدرة الله تعالى مشهد «تسقيكم منا في بطونها من بين ثمرات ودم لبنأ خالصا سائغا للشاربين» (٣٩).

■ ■ ■

■ ■ ■ لم يكتف الشيخ من الواقعة بروايتها وتسجيلها،

ولكنه اعتنصر منها الدرس الذي يحمل الفائدة له

وللآخرين... وهو طابع القائد المصلح الموجه.



والتعامل مع الوقائع بهذه الطريقة يدل بداهة على سعة الأفق، كما أنه يرتبط — بل يستند — مجموعة من القيم العليا، تكوّن نسيج هذه الشخصية. من أهمها: الزهد، والترفع على مفاتن الحياة وزخارفها، وزهد الشيخ «ليس زهد الحرمان، ليس زهد الجائع الذي لم يجد الطعام فوطن نفسه على فقده، بل زهد الذي فقد شهوة الأكل، والأكل أمامه، يحضر المؤتمرات ولكنه يجتنب الفنايق الكبيرة التي ينزلون فيها الوقود، وينزل في بيوت تلاميذه، وما أكثر هؤلاء التلاميذ» (٤٠).

وانطلاقاً من هذه السجية يرفض الشيخ سنة ١٩٤٣ عروضاً سخية بمرتبات ضخمة، للعمل خارج الهند، بعد أن ترك وظيفته للتفرغ للدعوة. يقول الشيخ بعاطفة إيمانية صادقة: «لو سلّطت في الأخيرة: هل كنت تركت وظيفة مدرستك ووطنك لأن الراتب كان قليلاً، وقبيلت الوظيفة الفلانية لأن الراتب كان كبيراً؟ فساداً يكون جوابي...» (٤١).

وعاش أبو الحسن — طيلة حياته — متواضعاً؛ لم يعرف الكبر والتعالي والغرور إلى حياته وشخصيته سيلاً، حتى بعد اشتغاره على المستويات العربية والإسلامية والعالمية، وقد رأينا أن من أسباب تردده في كتابة سيرته الذاتية أنه — كما قال عن نفسه «كنت أستصغر نفسي في مجال التنويه بها، واتصاء أمام الرجال الذين كتب في سيرتهم وترجمهم، أو تناولوا تقييد المذكرات لحياتهم».

ويصف نفسه «بالعبد الضعيف» (٤٢)، وأنه «قليل العلم، قصير الباع» (٤٣) ولما عمل مدرّساً بدار العلوم نراه يتقبل — في سماحة — نقد طلابه له، بأنه في حاجة إلى الإكثار من المراجعة والمطالعة، واستجاب لهذا النقد استجابة علمية، ورجع إلى أمهات المصادر مثل تفسير «الكشاف» للزمخشري، و«معالم التنزيل» للبغوي، وتفسير «المنار» وترجمان القرآن، لأبي الكلام آزاد (٤٤).



وتواضعه لا يتعارض مع سعة خلقية أخرى هي عزة النفس، وترفعها بالحق وفي الحق، فحينما كان في زيارة الكويت مع بعض رفاقه سنة ١٩٦٢ فوجيء ببرقية من وزير المالية بالحكومة السعودية تحمل دعوة له ولرفاقه

لزيارة الحجاز، وأداء فريضة الحج، ولكنه لم يستجب للدعوة، وقال لرفاقه: «إننا لانسافر على دعوة شخصية، ولا نريد أن نحمل منة أحد بمسفة شخصية» (٤٥).

وتواضعه لم يمنع من الاعتزاز بأعماله الفكرية التي كان لها آثارها الطيبة في نفوس المسلمين، ككتابه الرائع «ماذا خسر العالم بانتحاط المسلمين»، وكتابه الذي طبعه سنة ١٩٣٩ عن «سيرة السيد أحمد الشهيد»، وقد وصفه الشيخ بأنه «أول كتاب ألف حسب اتجاه العصر وطبيعته» (٤٦).

ويبدى اعتزازه الشديد بالرسالة التي وجهها سنة ١٩٨٤ إلى «أنديرة غاندي» رئيسة الوزراء، ورئيسة الحزب الحاكم، ينبهها فيها إلى خطورة حركة الإحياء الهندوسية، والقوضي الخلقية، والفساد العام الذي يدمر البلاد. يقول الشيخ في سيرته عن هذه الرسالة: «وهي تستحق أن يدرسها قادة البلاد، ورؤساء الحكومات، والمسؤولون، والإداريون، والمثقفون المعاصرون، بل قادة الجماعات الإسلامية، والسياسيون والمثقفون المسلمون أيضاً» (٤٧).

وعوداً على بدء أقول لا تعارض بين التواضع وبين الترفع وعزة النفس، بل إن التواضع لا يكون بهذا الوصف إلا إذا صدر من عظيم جليل عزيز النفس، وقديماً قبالوا «لتواضع من وضع، وماهله — من تواضع — رفيع».



وفي الشيخ صراحة في الحق، ووضوح في القول، بعيداً عن الالتواء والتخفي والتوازي، فهو يورد في تضاعيف سيرته — وخصوصاً الجزء الأول — كثيراً من «الاعترافات»، التي يسقطها كتاب السير من سيرهم في العادة، لأنهم يجدون في نكرها ما يعيبهم، ويسبى إليهم. ومن هذه الاعترافات:

١ — تصريحه بأن طفولته لم تكن مرجوة، تعلق عليها في ظاهر الأمر آمال الكبار، بل كانت مقلوبة يائسة، لا تبعث الآمال، ولا تبشر بمستقبل زاهر، بل إن كثيراً من أترابه وأطفال الأسيرة كانوا يفضلونه — بصفة عامة — في الذكاء والشعور، وكانت والدته تحزن لذلك (٤٨).

٢ — اعترافه بأن طلابه كانوا على حق، عندما أشاروا

بلطف إلى أنه في حاجة إلى الإكثار من المراجعة والمطالعة، وذلك دفعه إلى مزيد من التحصيل، والرجوع إلى المصادر الأمهات (٤٩).

٣ - اعترافه بأنه كان يطمح ويطمح أن يكون كإقبال، وأن يصنع صنيعه، ولكنه أخفق في تحقيق هذا الأمل. وفي ذلك يقول «كنت أرى أنني أقدر بالجهد والدراسة، وإتقان أسلوب الأداء، وطول المزا، على الوصول إلى هذا المطلوب، أو أقارب حدوده، ولكن تراءى لي أن مصدر آراء إقبال وأفكاره، وخواطره، ومنبع تفكيره، وأنشيدته فوق قدرتي، ووراء إدراكي - إنما هو قيص رباني، ورشحة من الرشحات العلوية، إنها عبقرية لاتدين للذكاء، وسعة العلم، وقوة التعبير، إنما هي هبة من هبات الله التي لانهاية لها» (٥٠).

٤ - اعترافه بإخفاقه في تحقيق الفائدة المرجوة من قيامه بالتدريس، وانصرافه إليه من عام ١٩٣٤ إلى عام ١٩٣٩، فكان يشعر بأن كل ما يبذل من جهد وكد وتحرف وتالم في محاولة تعليم الطلاب، وإصلاحهم خلقيا ودينيا لم يؤثر التأثير المطلوب، وكان يشعر أن درس اليوم أثر في الجدران الجامدة، وترك عليها نقوشا غائرة، ولكنه لم يترك في الطلاب أي أثر (٥١).

ثم يقوده هذا الشعور المر إلى درس ميداني صادق، وهو أن هذه المواعظ والتلقينات المدرسية، لاقية لها بدون حركة، ودعوة صالحة، واستخدام قوى الطلاب ومواهبهم خارج الدروس، وفي جهود ميدانية توافق أعمار الطلاب، ومستواهم، وأهداف التعليم والتربية (٥٢).

وهذه الاعترافات تقطع بمصادقية صاحب السيرة، مصداقيته مع نفسه، فلم يحاول أن يخادعها ويخدعها، ومصداقيته مع الآخرين، فقدم صورته بأبعادها الحقيقية، دون تزويق أو تلوين يؤدي إلى تزوير الصورة، وانخداع الآخرين بها.

■ ■ ■

وتبرز السيرة ملمحا جوهريا من ملامح الشيخ وهو «الملكة النقدية»، وهي ملكة يغذيها الإيمان القوي، والعاطفة الدينية الصادقة، والبصيرة النافذة والتفكير الواعي، فلا تكاد تغش في سيرته على حدث أو مشهد إلا وعرضه على ميزان النقد، وقيمة التقييم الصائب السديد. ونقده يتسم بالصدق، وقوة العاطفة، ودقة الحكم، وأغلبه يتجه إلى حال المسلمين، ومسائل ترتبط بوجودهم، وفي كثير من نقده تجديد وابتكار وطرافة.

فهو يصف حال المسلمين المعاصرين بأنهم لم يعودوا «العامل» المؤثر في التاريخ، بل «المعمول» الضعيف... فهم - كما يقول المثل الأوردي «كالبطيخ سواء أوقع على السكين أن وقع عليه السكين، فهو في الحالين المقطوع الخاسر» (٥٣).

ويشخص الداء العضال الذي يستبد بالمسلمين، ويرى أن أهم أسبابه:

١ - إيثار المصالح والمنافع على الأخلاق والمبادئ، والمعايير الخلقية.

٢ - الغفلة عن مواجهة تحديات العدو العالمي الأصيل (أوروبا والحضارة الأوروبية).

■ تبرز السيرة ملمحا جوهريا من ملامح الشيخ

وهو «الملكة النقدية»، التي يغذيها الإيمان القوي،

والعاطفة الدينية، والبصيرة النافذة والتفكير الواعي.



- ٣ - قلة العمل، والجبن والخوف.
٤ - الطاعة العمياء للقيادة القومية العلمانية.
٥ - التبذل، والعاطفية الحادة في الخطب والمقالات، وإبداء العواطف والخلاف (٥٤).



وعن رأيه في قيام دولة باكستان يقول «كنت من المعارضين لنظرية قيام باكستان، أو نظرية التقسيم، وكنت أؤمن بحاجة بقاء المسلمين في الهند، وبذل كل الجهود والملاقات في التأثير على الأكثرية، وتشريفها بالدين الإسلامي، بتبليغ الدين إليها، وتوجيه الدعوة، وإقامة نماذج إسلامية خلقية وروحية إنسانية عالية. وأرى أن هذا العمل أجدى وأنفع، وكنت أرى أن هناك إمكانات واسعة واضحة لهذا العمل. ولكن بعد قيام باكستان لم يكن لنا بد من تمني الخير لها، والدعاء لازدهارها وتقدمها، بدلا من مخالفتها (٥٥).



والنقد السابق يقودنا - بشداعي المعاني - إلى نقده لأسلوب الدعوة التقليدي الذي يعتمد على الدعوة في تجمعات المسلمين، ويقترح «عقد اجتماعات شعبية مشتركة، يدعى فيها غير المسلمين أيضا باهتمام بالغ، لاسيما المشغولين منهم، وتلقى فيها خطاباً مع مراعاة أجوائهم وعقلياتهم، وتعرفهم بالإسلام، وتزِيل الوحشة منه، وسوء التفاهم (٥٦) فإهمال هذه الأكثرية - غير المسلمة - والشغاضي عنها، وعدم إتاحة أي فرصة لاستماعها إلينا، ومعرفة ديننا، جناية على امتنا، وضرب على بلادنا (٥٧).



ويوجه نقداً شديداً إلى بعض الدعوات والحركات الإسلامية: لأنها عملت بالتسرع في هذا الأمر، وصدرت من قاداتها أعمال وتصرفات وبيانات، وأبدى أتباعهم، وممثلوهم، والمتحدثون عنهم تحمسا زائفاً، فكسبت العداء مع حكومات البلدان الإسلامية، وأصبحت قريباً مخاصماً لها، وأحدث هذا الموقف في بعض البلاد الإسلامية

والعربية خوفاً من العمل الإسلامي، ونعراً من كل نشاط باسم الإسلام، وكل مجهود يقصد استثمار الوعي الإسلامي، ودعم الحركة الإسلامية، وحدثت حساسية زائفة به في القادة السياسيين (٥٨). ولكن هذا الشعور لا يعطي الحكومات من مسؤوليتها عما أنزلته بهذه الجماعات من نكبات، من الحجر والسجن والتعذيب. لكن يجب أن تكون هذه التجربة موضع الاعتبار، ويستفاد منها، وتجنب مشاكل لا داعي لها (٥٩).



وينقد فكرة «القومية العربية» نقداً شديداً، فهي واحدة من محاضراته يوجه حديثه إلى العرب قائلاً «إنكم لو اتخذتم القومية العربية دينكم وإيمانكم فكانكم تخضعون المسلمين في شبه القارة الهندية، الذين لن يزالوا على مدى تاريخهم الطويل متمسكين بالقومية الإسلامية، إذ دعوتهم إلى الإسلام، ورجعتم أنفسكم إلى جاهلييتكم القديمة (٦٠).

ونلاحظ أن الشيخ اتسم في نقده - مع شدة لهجته أحياناً - بالوقار والعقلانية، وعفة اللسان، وصونه عن الفاحش من القول والتجريح، ولم يكن نقده متطلقاً لتحقيق هدف خاص، أو مصلحة شخصية، بل كان ينطلق من عاطفة دينية قوية، وحرص شديد على تحقيق مصلحة المسلمين في الهند وفي كل مكان.



■ ثانيها: شخصيات الأخويين ■

التقى الشيخ أبو الحسن - كما ذكر في مسيرة حياته - مئات الشخصيات، بعضها عن طريق القراءة عنها أولاً، وبعضها عن طريق اللقاء المباشر أو المعايشة، منهم كتّاب ومفكرون، ومنهم شعراء وأدياء، ومنهم علماء وفقهاء، ومنهم زعماء وقادة، زيادة على من عايشهم من أقاربه وأفراد أسرته. وفي هذا المجال نلاحظ ما يأتي:

١ - أن الجزء الأول من سيرته ضم العدد الأكبر من أسماء هذه الشخصيات؛ ليتعرف القاري ابتداءً عليها، فيكون مهيباً - بهذه المعرفة المسبقة - للتفاعل مع

ماسيرد بشأنها - فيما بعد - من أحداث وسلوكيات.

٢ - أن من هذه الشخصيات مارسم الشيخ له صورة مفصلة، أو موجزة، ومنها ما اكتفى معها بالإلماع أو الإلماع، وذلك تبعاً لقتضيات الحال.

٣ - أنه كان في رسم هذه الشخصيات متسماً بالإنصاف والاعتدال بعيداً عن الغلو والإسراف.

٤ - أنه في رسمه الشخصية كان يعطي اهتمامه الأكبر للبعد الجواني أو المعنوي الذي يضم الخصائص النفسية والعقلية والروحية والخلقية، وفي المرتبة الثانية يأتي البعد الاجتماعي الذي يمثل مجموعة من العلاقات بين الشخصية والمجتمع، وطبيعة هذه العلاقات، وذلك ابتداءً من الأسرة، وانتهاءً بالمجتمع الإنساني العام. ونادر أن يهتم بالبعد الخارجي أو البراني للشخصية، والذي يتمثل في الشكل والهيئة. كما أنه يعرض من سلوكيات الشخصية ما يؤيد ويدعم خطوط الصورة التي قدمها.

ونقدم فيما يأتي بعض الصور التي تلتقيها في مسيرة الحياة:

١ - كان خالي الحافظ السيد عبيد الله يملك شخصية محبة تجذب القلوب، وتجمع بين مختلف الصفات والمكانات، بل كان - حسب تعبير بعض رجال الفكر البصيرين - نموذجاً حياً للحياة الإسلامية، كان حافظاً جيداً للقرآن الكريم، يتلو بصوته الواضح الرخيم، يحدث يخلب القلوب، ويأخذ بمجامع النفوس، وكان بالرغم من كونه يملك الأراضي الواسعة، ويعد من الإقطاعيين الكبار في المديرية، ساجداً دؤوباً، ملتزماً بالمواعيد، نشيطاً مجداً، يتجلى في مشيته جدّه وصرامته وعزيمته، ويقف طوال الساعات يراقب الأعمال.

وكان إمام مسجد الحي في الصلوات الخمس، ومراقباً لأراضي وإقطاعه، مديراً لأعمالها في وقت واحد، فلو راه أحد في المسجد ظن أنه لاشأن له بالدنيا والأرض والإقطاع، وإذا راه في مراقبته لحقوله ومزارعه، ظن أنه يشق عليه التزام الصلوات، ولكن مستحيل أن يقصر في أحد الأمرين. وكان موضع ثقة وتقدير من أهل القرى القريبة. فكان الناس يضعون عنده الأسانات، ويودعون الأموال ويأمنون (٦١).

٢ - الشيخ عبدالقادر الرائي يوري، من العلماء الربانيين، المطلعين البصيرين، من أصحاب القراصة والذكاء، والانفتاح الذهني، الذين يجمعون بين العلم والعمل، والتربية والتزكية، وهو من أولئك القادة الروحيين، والعلماء الصالحين الذين يحتاج إليهم المسلمون في كل زمانٍ للقيادة والتوجيه والاستفادة من مبركاتهم، وطيب أنفاسهم، وقد رأينا في اطلاع الشيخ وبصره بأوضاع العصر وظروفه، وبصيرته السياسية، وقراسته الدقيقة، وجمعه بين فضائل الدين والدنيا، والجانب العملي المشرق نموذجاً طيباً للزوايا السنوسية، وذكرنا أخلاق الشيخ الفاضلة، وعطفه الأبوي، وتواضعه وحفاوته وضيافته بأخلاق السلف الصالحين، الذين كانوا يقتدون بأسوة صاحب الخلق العظيم صلى الله عليه وسلم (٦٢).

٣ - وفي حديثه عن أبي الأعلى المودودي نرى مزجاً متوازناً دقيقاً بين الحب والصراحة التي لا تعرف المواربة والالتواء، ولكنه حب وصراحة تهيم عليهما روح الاعتدال والإنصاف: فهو

■ فتح الأبصار على كنوز مطمورة تراكم عليها

الصخر بثقله الضاغط، ونسيها الوارثون من أهلها..

فانبرى ليحفظ لهذه الكنوز حرمتها.



يشعر شعورا غامضا بأن اتجاذه للمودودي، وتجاوبه معه يرجع لكتاباته القوية البليغة، التي رأى فيها صورة لخواطره وتمنياته، لا بشخصية قوية قيادية، كواحد من قادة الإصلاح والتجديد، والتربية الإسلامية وتزكية النفوس ممن قرأ تراجمهم، وكشف عن سيرهم في مؤلفاته (٦٢).

ويضيف أبو الحسن - في تواضع، وأدب جم - «ولذلك فقد كنت عاجزاً - لدراستي الدينية المباشرة، واستفادتي من كتب العلماء المتقدمين والمتأخرين الذين كانوا أوسع وأعمق علما في الكتاب والسنة، وتوجد عندهم اجتهادا في الفكر والرأي، وعمقا وإحاطة في الدراسة - عن أن أعتبر الأستاذ المودودي مفكراً إسلامياً فريداً، يندر نظيره عبر القرون. إنما كنت أعتبر ميزته الأساسية، وجوهده، ذكاءه، والمعينة. وحدة ذهنه، وقدرته الفائقة على الكتابة، والعرض في أسلوب عصري مؤثر. ولا أزال أعترف له بذلك» (٦٤).



■ ■ ■ ثالثاً البيئة والأثر العام ■ ■ ■

لا يستطيع أحد أن يفكر أثر البيئة في تشكيل الشخصية وتوجيهها، وقد يغلو بعض الباحثين فيرى لها التأثير الأكبر، ويقدمها على الهوية الشخصية، كما ذهب الناقد الفرنسي تين (٦٥).

ولكن الإسراف واضح في هذا الرأي، وإن كان للبيئة آثارها الواضحة على الشخصية، وتوجيه إمكاناتها، ولكنها لا تخلق الهوية، ولا تستقل بالتأثير.

وقد صور الشيخ أبو الحسن البيئة التي عاش فيها ابتداء من البيئة الأسرية، وبيئة المجتمع العام، وكثيراً من الملامح والأبعاد الاجتماعية والدينية والعلمية والسياسية، في البلاد التي زارها، وكان له حضوره الفاعل الذي يَحسُّ به من يقرأ مسيرة حياته، وكأنه نقطة مضيئة، تسبح في كل أفق يعرض للحديث عنه في سيرته، مما يبقي لترجمته الذاتية هذا الطابع، ولا يقرّبها من التاريخ المحض.

ويتسم ماكتب بالصراحة والإنصاف بعيداً عن الإسراف والغلو وارتباطاً بالأهداف التي عاش وجاهد من أجلها؛ يتحدث عن أسرته فيصفها بأنها كسائر الأسر، مرت

يأدوان الرقي والازدهار، والسقوط والانحطاط، والأخذ بالرخص والعزائم (٦٦).

وبالاستقرار والمتابعة يستخلص الصفات المشتركة في أسرته، وخلّصتها - من التفصيل الذي قدمه

١ - أنها أسرة حافظت على نسبها، إلى حد المغالاة والمبالغة، مما لم تكلف الشريعة به.

٢ - أنها أسرة لم تزل متمسكة بعقيدة التوحيد الخالص، بعيدة عن الأعمال الشركية، متجنبة للبدع والمحدثات.

٣ - أنها أسرة شيزت بالرجولة، والصفية الدينية، وعاطفة الجهاد، التي يمكن أن تعبر عنها بالجملة كلمة «الفتوة».

٤ - أنها أسرة تتسم - من دون بلادة وغباء - بنوع من السلاخية والوداعة، ورجالها يفضلون أن يكونوا مظلومين على أن يكونوا ظالمين.

٥ - أنها أسرة ظلت على اتصال متين بأي وجه من الوجوه بالشريعة والطريقة، أي بالناحية العلمية المحضة، والروحية والسلوكية، فإذا كان يظهر فيها العلماء الراسخون في جانب، يظهر المشايخ الروحيون في جانب آخر.

٦ - أنها أسرة لم تكن في أي فترة من فترات التاريخ ذات ثروات طائلة وأموال سائلة، بل قضت أكثر حياتها في التقشف والضئيل والمكابدة (٦٧).

إنها - كما قال الشيخ بحق - كانت - ولم تزل - أسرة العلماء والمؤلفين، وقد كان والده من كبار المؤلفين في عصره، ويعترف بالتأثير الكبير للبيئة والورثة في الأسرة، ولا يزال هذا التأثير ينتقل من جيل إلى جيل، ويطبع الصغار والكبار، والبنين والبنات، بطابعه في قليل أو كثير. وانتقل ذوق الوالد، وانهمك في القراءة، وغرامه بها إلى الأبناء، حتى إنهم كانوا يتفقون كل نقودهم، وما يهدى إليهم من روبيات في شراء الكتب (٦٨).



وبعد فترة التعليم المنتظمة سنة ١٩٢٤ - أي بعد عشرين عاماً من مولده، يبدأ في حياته فترة المطالعة الذاتية، والجهد الشخصي الذي لا يحد بحد وأمد (٦٩) ثم

يبدأ العطاء معلماً في دار العلوم التي كانت ثمرة من ثمرات ندوة العلماء. وفي نطاق البيئة المحلية يعيش متفاعلاً مع مشكلات المسلمين في الهند مجاهداً في سبيل الدفاع عن حقوقهم، وعن الشريعة، والعمل على رقع الظلم عنهم، مستخدماً شتى الوسائل، من مقابلات لكبار المسؤولين، ورفق الرسائل إليهم، وأسلوب الدعوة بالخطب والمحاضرات (٧٠). وفي نطاق البيئة الخارجية كان لأبي الحسن امتدادات محدودة كان لها ثمارها الطيبة، وأثارها البالغة، وتمثل ذلك - كما ذكرنا - في رحلاته المتعددة إلى البلاد العربية، وأوروبا وأمريكا، سعياً بسلام الدعوة في خطب، ومحاضرات، وكتابات، ومؤتمرات على مناهو مسجل في سيرته، وكتب الرحلات التي كتبها. ومن أهم مآثره تأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وتوليه رئاستها إلى أن لقي ربه (٧١).



■ دأباً، الأحباء النعمير

ذكرنا - من قبل - أن الشيخ قد وضع سيرته باللغة الأوردية، وترجمت بعد ذلك إلى اللغة العربية. وللحق كانت هذه الترجمة من الدقة والتوفيق، وكأنها كتبت بالعربية ابتداءً، مما يدل على أن المترجم كان رفيع المستوى في اللغتين: الأوردية والعربية. وفي السيرة نلتقي ثلاثة مستويات من الأسلوب: الأول: الأسلوب المرسل العفوي، الذي يأخذ طريقة الحكاية بضمير المتكلم، وهو الغالب على «السيرة» بأجزائها الثلاثة.

والثاني: الأسلوب العلمي أو القريب من العلمي، وهو الأسلوب المباشر، ذو الالفاظ المحددة المدلول، ويعتمد على التحليل والتحديد، والترقيم، ويخاطب العقل، ويهدف إلى الإقناع، ومن أمثله... والعوامل المهمة التي أدت إلى مأساة فلسطين، كان العامل الأول منها: فقد الدوافع النفسية إلى الاستماتة والتقاني في سبيل المبدأ والعقيدة، والعامل الثاني: طغيان العقل على العاطفة، وضعف روح المغامرة، والعامل الثالث: هو عدم وجود شخصية في الشعوب العربية والحكومات العربية كلها تلك فلسطين وقضيتها عليها مشاعرها وتفكيرها (٧٢).

والثالث: الأسلوب الأدبي الرفيع، وهو التعبير الجمالي المؤثر في الآخرين، بأن يستثير المرء في نفسه إحساساً معيناً، وهو إذ يعبر عنه بالكلمات يحاول أن ينقل ذلك الإحساس حتى يمارس الآخرون الإحساس نفسه الذي عاشه ويتأثروا به، ويعيشوه أيضاً (٧٣).

فالتعبير الأدبي الجميل لا يقتضي أداء الوظيفة التعريفية التي تتحقق بنقل المعاني والأفكار، بل يؤدي وظيفته الجمالية بالتأثير في الوجدان، وهز النفس والمشاعر، وتحقيق المتعة النفسية والروحية للمتلقى.

وفي تضاعيف مسيرة الشيخ أبي الحسن يلتقي القاريء قطعاً أدبية رائعة أسرة، كانت

في تضاعيف مسيرة الشيخ يلتقي القاريء قطعاً أدبية رائعة أسرة، كانت انعكاساً صادقاً لمناسبات ومواقف توهجت فيها وتجاهها عاطفته ومشاعره.



انعكاساً صادقاً لمناسبات ومواقف توهجت فيها وتجاهها عاطفته ومشاعره، فجاءت فيض الخاطر دون أن يتكلفها، أو يقصد إليها، فإن ذلك يسيء إلى القطع الأدبية، ويفقدها الرونق والعذوبة التي تتنازع بها، وتطمس نورها، وقوة تأثيرها (٧٤).

ومن قطعه الأخاذة في سيرته :

١ - ما كتبه موجهاً إلى الأستاذ مسعود الندوي حين كان مقيماً في العراق (في ١٩٤٩/٨/٢) :

لاتل جهداً في بذر بذور الدين في تلك الأرض الطيبة، وأقم حجة الله عليهم، وصلّ الليل بالنهار، وحرّق القلب، وأذب الجسم، وأهرق دموع العين، ودماء الكبد أهرقها سيلاً مدراراً، حتى تبكي دجلة والفرات على قصر باعها، وقلة بضاعتها، أمسك بتلابيب كل شخص، وقل له : أيها الغزال الضال في صحراء العرب، وياكرامة العالم، وشرف الأمم، ويا أمل إبراهيم ومحمد - عليهما الصلوات والتسليمات - أين أنت؟ (٧٥).

٢ - وعن إلغاء الخلافة العثمانية في ١٩٢٤/٣/٣٠ كتب :

.. حكم المجلس الوطني بالقسطنطينية بحل الخلافة والقضاء عليها، وبذلك انهدم - ليس سور الأساكن المقدسة فحسب - بل سور عرض المسلمين، وعزهم، وكراماتهم، الذي بناه الأتراك العثمانيون بتضحياتهم الجسيمة، وقوتهم العسكرية، وبكأنه الخلافة المقدسة (٧٦).

٣ - ومن أشد هذه القطع تأثيراً في النفس ما كتبه عن موت أبيه، وهو طفل صغير لم يجاوز التاسعة من عمره، (عام ١٩٢٣). يقول واصفاً حال المعزين معه :

... فكان منهم من يجلسني حياً وشفقةً يجنّيه، ومنهم من يضعني إلى صدره، ومنهم من يمسخني حياً وحناناً، كانت العيون تدمع، والقلوب تترق وتحنّ، أما الذي كان يستحق هذه التعازي، ويقدر على شكرها، وإيقاظ الموقف حقه - وهو أخي الأكبر - فقد كان على مسافة ألف ميل في «مدارس» - ولم يكن عنده أي فكرة عن الحادث (٧٧).



ولا يحق لنا أن نفاضل بين الألوان الثلاثة من الأساليب

لتعيين أنسبها وأجدرها بالأداء التعبيري في سيرته الذاتية، لأن نوع الأسلوب يرتبط بالموضوع والفكرة، وطبيعة الموقف. وقد وفق الشيخ في كل ذلك : فكان الأسلوب المرسل الذي يعتمد على الوصف والحكاية بلسان المتكلم هو الأصل السائد المهيمن، ويظهر الأسلوب العلمي المباشر، بكلماته ذات المعاني والمدلولات المحددة في مقام تحليل المواقف، ومعالجة القضايا، ووضع الحلول. فإذا كان هناك ما يؤثر الوجدان، ويوهج العاطفة، ويشير مكان الشعور كأن الأسلوب الأدبي هو المناسب الذي لا يغنى عنه غيره.

وفي هذا كله يبقى مدار الأمر - كما يقول ابن قتيبة - على القطب، وهو العقل، وجودة القريحة، فإن القليل معهما وإن الله كاف، والكثير مع غيرهما مقصر (٧٨).



وإذا كان بعضهم قد وصف الأسلوب بأنه الشخصية فإن الشيخ من أصدق الأمثلة على صحة هذه المقولة، إذ كان ينطلق فيما يقول ويكتب، وفي معاملاته وسلوكياته من إيقانه القوي بدينه، وأخذ نفسه بالأخلاق السامية، فعاش متحلياً بما أوجه ابن قتيبة على من يتصدى للكتابة بأن «يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه، ويصون مروءته عن دناءة الغيبة، وصناعته عن شين الكذب، ويجانب - قبل مجانبته اللحن - ويخط القول - شنيع الكلام، ورفق المزح» (٧٩).

ومن سمات أسلوب هذه السيرة الوضوح، فلا تغرر ولا التواء، ويكثر الترادف، والتكرار المعنوي، أي التعبير عن المعنى أو الفكرة الواحدة بأساليب متعددة، وذلك حرصاً على تحقيق الوضوح من ناحية، وتأكيد المعنى وترسيخه في نفس المتلقي سامعاً وقارئاً من ناحية أخرى. وتكثر هذه السمة الأسلوبية - بصفة خاصة - في المحاضرات والرسائل. فمن رسالته لرئيسة الوزراء أنديرا غاندي «... إن النقطة الأولى التي أريد أن أثيرها هي أنه لا طريق أسلم، وأصلح، وأضمن لسلامة هذه البلاد، ضمانتها، وبقياتها، واستحكامها، وأدائها لدورها الكبير الرائع... إلخ» (٨٠).

ومن إحدى خطبه في نوفمبر ١٩٩٢ في جمع حاشد

بمدينة لكهنؤ:

«وبدل التاريخ على أن الظلم كان في بعض الأحيان السبب الرئيسي لانتهيار المجتمعات، ولاندثار الإمبراطوريات، وانطفاء نورها، والقضاء على ما تكون فيها، من حضارة وثقافة، ومانشأ فيها من ثروة علمية وأدبية..» (٨١).

■ ■ ■

وفي السيرة تكثر الشواهد إلى درجة الإغراق أحياناً: شواهد من القرآن الكريم (٨٢) والأحاديث النبوية والأقوال الماثورة (٨٣) والشعر العربي (٨٤). أما أكثر الشواهد على الإطلاق فمن شعر إقبال (٨٥) ولم ترد هذه الشواهد من قبل التزيين، ولكن لتقوية المعنى، والإقناع بالفكرة. وهو يجعل من أبيات إقبال — بخاصة — ما يشبه «لحظة التنوير» تكون خاتمة لمشهد، أو تذييلاً لفكرة:

فبعد حديث مفصل عن جلال الدين الرومي، يورد قول إقبال: (إن عيني مستبيرة من قبسه، وإن كاسي لمتزعة من بحره) (٨٦) وبعد أن يعرض بدعوى القومية العربية، ويتحدث عن الإسلام: قومية وجنساً وديناً ودولة، يورد قول إقبال: (لاوجود ولا اعتبار للعالم العربي بالحدود والشغور، وإنما وجوده واعتباره بالانتماء إلى محمد العربي صلى الله عليه وسلم) (٨٧).

■ ■ ■

والتصوير البياني في مسيرة الشيخ سهل المأخذ، قريب الخيال، لا يسرف في التحليق والتزهيم، ولكن من توفيقاته الجميلة الأسرة توظيفه «القصة الخيالية» بنجاح لخدمة فكره ودعوته: ففي مؤتمر «رسالة الإنسانية» الذي عقد بولاية «بهار» بالهند في ٣٠/٦/١٩٩٢، استهل خطبته بقصة، اقتبسها من إحدى رسائل الشيخ شرف الدين يحيى، خلاصتها: أن أحد الأثرياء كان له قصر شامخ على قمة جبل، وساعة اختصاره أوصى ابنه بأن يعدل في القصر كما يشاء، ولكن عليه أن يبقى على شجرة ذات رائحة طيبة — عينها له أبوه — مهما أصابها من جفاف وذبول، وثمت أشجار حديقة القصر في الربيع، ولكن الذبول أصاب هذه الشجرة، فاقطعها ورمى بها خارج القصر، وعندها دخلت حية من حجر، ولدغت الولد ومات، ولم يدرك الولد أن هذه الشجرة — زيادة على رائحتها الطيبة — كانت تمنع براحتها الحيات والثعابين من الاقتراب من القصر وحديقته.

ويربط الشيخ بين القصة والواقع المعيش في الهند، فيقول: إن بلدنا الهند في حديقته ثلاث شجرات، لو أقتلعت، ورمى بها كان الخراب والدمار، واستباحث ثعابين الفتنة بلدنا العظيم. وهذه الأشجار هي: شجرة اللاعنف وشجرة العلمانية، وشجرة الديمقراطية (٨٨).

والقصة كانت — وما زالت — وسيلة فعالة من وسائل التربية والتعليم، والدعوة، وتوجيه الأفراد والشعوب؛ لأنها تكاد تكون الفن الوحيد الذي يجمع كل الناس على حبه واستساغته، مهما كان حظهم من الوعي والإدراك والثقافة. وفي القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف آيات بينات معجزات من أحسن القصص.

■ ■ ■

في السيرة تكثر الشواهد إلى درجة الإغراق أحياناً:
شواهد من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية،
والأقوال الماثورة، والشعر العربي.



ونكتفى بما قدمنا من بعض ملامح الأداء التعبيري في سيرة الشيخ الجليل التي سماها «في مسيرة الحياة» وقد رأينا كيف كانت تمثيلاً حياً لحياة شامخة لا تقاس بالسنين. ولكن بما قدم شيخنا من عطاء عظيم كبير للكلمة والفكرة، والإسلام والمسلمين، والقيم الإنسانية العليا. يرحمه الله.

■ المراجع والتعليقات

- (١) انظر محمد عبدالغني حسن: التراجم والسير ٩.
- (٢) انظر في تعريفها المفصل: د. حسين فوزي التجار، التاريخ والسير ١٤.
- (٣) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون: ١/ ٣٧٠.
- (٤) نشرت هذه الترجمة في آخر الجلد السابع من تاريخه - طبعة بولاق - مصر ١٢٨٤ - ١٨٦٤. وانظر مصطفى نبيل: سير ذاتية عربية ١٥٥ - ٢٠٩.
- (٥) انظر شاكر مصطفى: مرجع سبق ١/ ٣٧٤. ومصطفى نبيل السابق ٩٥-١١٧ وشوقي ضيف: الترجمة الشخصية ٩٤. ويوسف الشاروني: مجلة العربي: مارس ١٩٦٠. مقال بعنوان: الاعتبار أول كتاب يؤرخ فيه عربي لنفسه.
- (٦) د. يحيى إبراهيم: الترجمة الذاتية ٣.
- (٧) السابق ١٣.
- (٨) ضيف: مرجع سبق ٢٤.
- (٩) انظر: ماهر حسن فهمي: السيرة تاريخ وفن ٢٤٤. وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار كتاب (قصة حياتي) للطفي السيد سيرة ذاتية. مع أنه اهتم بالأحداث العامة. ولكن شخصيته واضحة في غمار الأحداث. أما كتاب أحمد شفيق (مذكراتي في نصف قرن) فهو أقرب إلى كتب التاريخ. لأن حضور الكاتب باعت فيه.
- (١٠) أبو الحسن الندوي: في مسيرة الحياة ١/ ١٩.
- (١١) انظر: السابق ١٩/ ٢٠.
- (١٢) السابق ١/ ٢٥.
- (١٣) السابق ٣/ ٥-٦. كتب الشيخ سيرته الذاتية في خمسة أجزاء بالأوردية. ثم ترجمت بعد ذلك إلى العربية في ثلاثة: ضم الأول الجزئين الأول والثاني. وجاء الثاني ترجمة للشالط. أما الجزء الثالث فترجمة للرابع والخامس. وقام بالترجمة إلى العربية الأستاذ سلمان الندوي. ماعدا الجزئين الرابع والخامس فقد ترجمهما إلى العربية الأستاذ واضح رشيد الحسني.
- (١٤) السابق ١/ ٢٨.
- (١٥) انظر السابق ٣/ ٣٨٠.
- (١٦) انظر قصة هذه القوانين، وموقف الشيخ أبي الحسن منها، وجهوده في سبيل الحفاظ على قانون الأحوال الشخصية

في صورته الإسلامية: في مسيرة الحياة ٢/ ٨٥-١١٥.

(١٧) د. يوسف القرضاوي: رباني هذه الأمة: أبو الحسن الندوي ١٠.

(١٨) ففي مقام حديثه عن رحلته إلى لبنان وتركيا سنة ١٩٥١، يحيل من أراد قولاً مفصلاً فيهما على كتابه «مذكرات سائح في الشرق العربي» انظر: المسيرة هامش ١/ ٢٦٢. وعن رحلته سنة ١٩٧٣ إلى أفغانستان، إيران ولبنان وشرق الأردن والشام والعراق. يحيل على كتابه «من نهر كابل إلى نهر اليرموك» انظر السابق ١/ ٣٥٠.

(١٩) الندوي: مذكرات سائح في الشرق العربي ٥ - نظرات في الأدب ٦٥.

(٢٠) الغزالي: المنقذ من الضلال ١١٣. وارجع لمصطفى نبيل: م.س. ٦٢-٧٦.

(٢١) انظر: جابر قعيحة: منهج العقاد في التراجم الأدبية ١٥١. وللتفصيل ارجع إلى ص ١٥١-١٦٧.

(٢٢) الندوي: أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين ٩١.

(٢٣) الشيخ علي الطنطاوي من تقديمه للفسيرة ١/ ١٥.

(٢٤) الطنطاوي: السابق ٩/ ٩.

(٢٥) د. مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب ٣١١.

(٢٦) السابق ١١٠.

(٢٧) السابق ١٧٢.

(٢٨) السابق ٨٥.

(٢٩) نبادر فنشير هنا إلى أن الشيخ في تسجيله وقائع حياته، وأحداث رحلاته، وما يرتجله فيها من محاضرات كان يعتمد على ذاكرته غالباً، وعلى ما تسجله بعض الأشرطة نادرًا، وكذلك على ما يكتبه فيها بعض مرافقيه مثل ابن أخته محمد الرابع الندوي. وقد يضم إليها بعض الآيات، والأحاديث وبعض أقوال المفسرين. [انظر لأبي الحسن: سفنات الإيمان ١٤ - أسبوعان في المغرب الأقصى - من نهر كابل إلى نهر اليرموك ٤].

(٣٠) روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين ١٠٢.

(٣١) لم تظهر هذه المخالفة إلا مرة واحدة فاشترك التاريخ في العنوان (انظر عنوان الفصل ١٣-١/ ٢١٧ من المسيرة).

(٣٢) السابق. الفصل السادس ٢/ ١٣١.

(٣٣) السابق ١/ ١١١.

(٣٤) السابق ١/ ١١٤.

(٣٥) من تقديم علي الطنطاوي ١/ ١١٧.

(٣٦) المسيرة السابق ١/ ٨٧.

(٣٧) السابق ١/ ٨٨.

(٣٨) السابق ١/ ١١٧.

(٣٩) السابق ١/ ١٥٧.

(٤٠) من تقديم الطنطاوي ١/ ١٧.

(٤١) المسيرة ١/ ١٨٨.

أبو الحسن علي الحسيني الندوي

في مسيرة الحياة



والله اعلم

- (١٢) المسيرة ٦٥/٢
- (١٣) المسيرة ١١٣/١ - وانظر كذلك ١٧٥/١
- (١٤) المسيرة ١١٥/١
- (١٥) المسيرة ٢٧٩/١
- (١٦) المسيرة ١٣٣/١
- (١٧) المسيرة ٦٣/٢
- (١٨) المسيرة ٧٤/١
- (١٩) المسيرة ١١٥/١
- (٢٠) المسيرة ١٢٨/١
- (٢١) انظر المسيرة ١٥٤/١
- (٢٢) المسيرة ١٥٥/١
- (٢٣) المسيرة ١٧٤/١
- (٢٤) المسيرة ١٨٢/١
- (٢٥) المسيرة ٢٥١/١ - وانظر كذلك ٢٠٢/١
- (٢٦) المسيرة ٢٤٧/١
- (٢٧) المسيرة ٢٤٨/١
- (٢٨) المسيرة ٣٠٠/٣
- (٢٩) المسيرة ٣٠١/٣
- (٣٠) المسيرة ٢٦٢/١ - وانظر كذلك ٢٨١/١
- ٢٨٥، وكتابه: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ١١٠ - ١١٨
- (٣١) المسيرة ٤٨/١
- (٣٢) المسيرة ١٦١/١
- (٣٣) المسيرة ١٦٤/١
- (٣٤) المسيرة ١٦٥/١

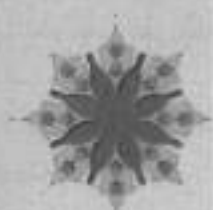
(٣٥) يرى «تين» أن الشخصية لعمدة من لعمرات البيئة، وأن الحياة العقلية لا يكون لها ويشكلها إلا: الجنس والبيئة الطبيعية والاجتماعية والزمن [انظر محمد مندور: النقد والنقاد المعاصرون ١٤٩ - أحمد ضيف: مقدمة لدراسة بلاغة العرب ١١٩].

- (٣٦) المسيرة ٣٢/١
- (٣٧) انظر المسيرة ٣٣-٤٠
- (٣٨) المسيرة ٥٦/١
- (٣٩) المسيرة ١١١/١
- (٤٠) انظر رسائله إلى أتباعه غاندي رئيسة الوزراء ورئيسة الحزب الحاكم، وفيها يثورها ويصغرهما من خطورة الحركة الهندوسية على المسلمين وعلى الهند كلها، ويأخذ عليها لبقوة سياستها وضعفها. [المسيرة ٦٣-٦٨] وكذلك رسالته إلى راجيف غاندي بشأن خطر الكسانون الدني للوحدة علي المسلمين. [المسيرة ١٠٥/٢ - ١٠٧].

- (٧١) انظر المسيرة ١٩/٢، ١١٧، ١٥٩، ٢٠٧، ١٣٤/٣، ٢٥٠
- (٧٢) انظر المسيرة ٢٤٠/١، وكذلك ١٥٨، ٦٧
- (٧٣) وهذه خلاصة تعريف تولستوى للفن، وهو قريب من تعريف ورنزورث للشعر. انظر: هربيرت ريد: معنى الفن ١٦١ - ١٦٢
- (٧٤) انظر: الندوي: نظرات في الأدب ٣١
- (٧٥) المسيرة ٢١٠/١
- (٧٦) المسيرة ٦٦/١
- (٧٧) المسيرة ٧٠/١
- (٧٨) ابن قتيبة: أدب الكاتب ١٤
- (٧٩) السابق ٢٧
- (٨٠) المسيرة ٦٣/٢
- (٨١) المسيرة ١٩٥/٣
- (٨٢) انظر المسيرة ٣٨٩/١، ٣٦/٢، ٤٨، ١٢١، ١٢٦، ١٢٧، ١٦٦، ١٨٤، ٢١٠، ٢٦٤، ٢٦٨
- (٨٣) انظر المسيرة ٣٣٩/١، ٣٨٦، ١٥٤/١



- دمشق — ط ١٤١٨ — ١٩٩٨.
- ١٨ — قصة حياتي : أحمد لطفي السيد. الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة ١٩٩٨.
- ١٩ — مذكرات سائح في الشرق العربي : أبو الحسن الندوي مؤسسة الرسالة — بيروت، ط ٣ — ١٣٩٨ — ١٩٧٨.
- ٢٠ — مذكراتي في نصف قرن : أحمد شفيق — الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨.
- ٢١ — معجم مصطلحات الأدب : د. مجدي وهبة — مكتبة لبنان — بيروت ١٩٧٤.
- ٢٢ — معنى الفن : هريث ريد — ترجمة سامي خشبة — الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨.
- ٢٣ — مقدمة لدراسة بلاغة العرب : أحمد ضيف — مطبعة السفير — القاهرة — ١٩٢١.
- ٢٤ — المنقذ من الضلال : أبو حامد الغزالي، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ت.).
- ٢٥ — من نهر كابل إلى نهر التيموك : أبو الحسن الندوي — دار الإيمان — بيروت — ط ٢ — ١٣٩٦ — ١٩٧٦.
- ٢٦ — منهج العقاد في التراجم الأدبية : نجابر قمحية — مكتبة النهضة المصرية، القاهرة — ط ١ — ١٩٨٠.
- ٢٧ — نقولات في الأدب : أبو الحسن الندوي — دار البشير — عمان — الأردن ط ١ — ١٤١١ — ١٩٩٠.
- ٢٨ — نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان : أبو الحسن الندوي مؤسسة الرسالة، ط ١ — ١٤٠٦ — ١٩٨٦.
- ٢٩ — النقد والنقاد المعاصرون : د. محمد مندور — مطبعة نهضة مصر، القاهرة (د.ت.).



- (٨٤) انظر المسيرة ١/٣٨٦/٣، ٢٣٠.
- (٨٥) انظر المسيرة ١/٦٧/٢، ٣٦/٢، ١١٩/٣، ٧٩/٣، ١١٩.
- (٨٦) المسيرة ٢/١١٩.
- (٨٧) المسيرة ٣/١١٩.
- (٨٨) انظر المسيرة ٣/٢٢٧-٢٢٩.

■ ■ ■ مَسْرُودُ الْمَرَايِمِ

- ١ — أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين : أبو الحسن الندوي مؤسسة الرسالة — بيروت ط ٢ — ١٤٠٨ — ١٩٨٧.
- ٢ — أدب الكاتب : ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم — تحقيق محمد الدالي — مؤسسة الرسالة — بيروت ط ٢ — ١٤٠٥ — ١٩٨٥.
- ٣ — أسبوعان في المغرب الأقصى : أبو الحسن الندوي مؤسسة الرسالة — بيروت ط ٢ — ١٤٠٩ — ١٩٨٨.
- ٤ — الاعتبار أول كتاب يؤرخ فيه عربي لنفسه : يوسف الشاروني، دراسة بمجلة العربي الكويتية، مارس ١٩٦٠.
- ٥ — التاريخ العربي ولؤلؤيون : شاكر مصطفى — الجزء الأول — دار العلم للملايين — بيروت — ط ٣ — ١٩٨٣.
- ٦ — التاريخ والسير : د. حسين فوزي النجار — دار القلم — القاهرة ١٩٦٤.
- ٧ — التراجم والسير : محمد عبد الغني حسن — دار المعارف — القاهرة ط ٧ — ١٩٦٨.
- ٨ — الترجمة الذاتية في الأدب العربي : د. يحيى إبراهيم عبدالدايم — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة ١٩٧٥.
- ٩ — الترجمة الشخصية : د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦.
- ١٠ — رباني هذه الأمة : أبو الحسن الندوي، الدكتور يوسف القرضاوي — دار الكلمة — المنصورة — مصر — ٢٠٠٠.
- ١١ — السيرة تاريخ وفن، د. ماهر حسن فهمي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط ١ — ١٩٧٠.
- ١٢ — سير ذاتية عربية : مصطفى نبيل — الهيئة المصرية للكتاب — القاهرة — ١٩٩٩.
- ١٣ — الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية : أبو الحسن الندوي — دار القلم — الكويت ط ٥ — ١٤٠٥ — ١٩٨٥.
- ١٤ — علم التاريخ عند المسلمين : قرآن روزنتال — ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي — مؤسسة الرسالة — بيروت ط ٢ — ١٤٠٣ — ١٩٨٣.
- ١٥ — في مسيرة الحياة (١) أبو الحسن الندوي — دار القلم — دمشق ١٩٨٧.
- ١٦ — في مسيرة الحياة (٢) أبو الحسن الندوي — دار القلم — دمشق ط ١ — ١٤١٠ — ١٩٩٠.
- ١٧ — في مسيرة الحياة (٣) أبو الحسن الندوي — دار القلم —



■ للنصبة الرئيسية للمؤتمر الرابع لرابطة الأدب الإسلامي العالمية.. يتوسطها الشيخ أبو الحسن الندوي، والأستاذ محمد قطب، ود. عبد القدوس أبو صالح.

١٤١٧هـ/١٩٩٦م، وقد قدمت في حفل التكريم مجموعة من البحوث، وألقيت كلمات وقصائد، وما هي ذي بحوث ذلك اللقاء التكريمي تجمع في كتاب، من مطبوعات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، سيصدر قريباً.. وفي هذا المقال عرض لمحتوياته أرجو أن يكون وافياً ومفيداً. عنوان الكتاب: الشيخ أبو الحسن الندوي.. بحوث ودراسات، يضم الكتاب ثمانية عشر بحثاً، موزعة على عدد من المحاور، وتصديراً بقلم د. عبد القدوس أبو صالح، نائب رئيس الرابطة، ورئيس مكتب البلاد العربية.

■ ■ ■

رحم الله الشيخ أبا الحسن الندوي، فقد كان عظيماً في حياته، وعظيماً بعد مماته، وإذا كان قد لقي التكريم حيث حل في رحلاته وأسفاره، التي امتدت زماناً ومكاناً، فقد كان لموته صدى في الشرق والغرب، ويخيل إلي أن سفرأ ضخماً سيجتمع من كلمات الرثاء، وبرقيات العزاء، ورسائل المواساة، التي انهالت علي مقر ندوة العلماء في (لكنو) في الهند، وعلى مكاتب الرابطة في أنحاء البلاد العربية والإسلامية. وقد أحسنت رابطة الأدب الإسلامي العالمية حين كرمت شيخها في حياته، وذلك في اجتماع الهيئة العامة للرابطة، الذي عقد في اسطنبول سنة

شيخ أبو الحسن الندوي..

ببوش ودراسات

■ عرض لبحوث

اللقاء التكريمي للشيخ
أبي الحسن الندوي،
التي جمعت في كتاب
من مطبوعات رابطة
الأدب الإسلامي
العالمية، سيصدر قريباً
متضمناً البحوث
والقصائد والكلمات
التي ألقيت في ذلك
اللقاء.



عرض الدكتور

مأمون فريز جرار

لجهوده، وجوانب
شخصيته، بدءاً من
سيرته مسرداً
وتحليلاً، ومروراً
بركائز الفكر والدعوة
لديه، ومنهجية في
الدعوة، والأدب

الإسلامي، والسياسة، وأسلوبه في
الدعوة والتربية، والسيرة النبوية،
وأدب الرحلات، وفن التراجم، وأدب
الأطفال.

وقد بين د. عبدالقدوس ابوصالح
أن البحوث التي قدمت لحفل تكريم

■ وقد أشار د. عبدالقدوس
ابوصالح في تصديره للكتاب، إلى
سنة حميدة سارت عليها الرابطة، هي
تكريم رموز الأدب الإسلامي أحياءً
وراحلين، وذلك على خلاف ما هو سائد
من عدم تكريم المرء إلا بعد وفاته.
ومن كرمهم في حياتهم إلى جانب
الشيخ أبي الحسن رحمه الله،
د. نجيب الكيلاني، والمستشار محمد
النهامي، والدكتور مصطفى الشكعة.
لقد شملت البحوث التي قدمت لحفل
تكريم الشيخ الندوي عدداً من الجاور
التي أسهمت في رسم صورة متكاملة



■ من اليمين: الشيخ أمين سراج... د. محمد بن سعد بن حسين... د. سعد أبو الرضا...
د. يوسف القرضاوي... والقريق يحيى المعلمي، يرحمه الله.

الشيخ تم اختيارها من مجموعة البحوث، وحكمتها لجان من أعضاء الرابطة.

■ ■ ■ سبعة المئذ الفطور

تناول سيرة الشيخ رحمه الله
باحثان، أحدهما الأستاذ محمد طارق
زبيير القدوي، الذي قدم سيرة
سردية، تعطي القاريء صورة شاملة
عن مراحل حياة الشيخ، من ولادته
إلى سنة تكميته (١٩٩٦م).

فقد تحدث عن ميلاده ونشأته،
وحياته العملية، وجهوده الدعوية،
والمهام التي قام بها، والوظائف التي
تقلدها، والجمعيات والمؤسسات التي
انتسب إليها، وأهم مؤلفاته التي تتبعها
تاريخيا وفق سنة تأليفها، ثم تحدث
عن رحلاته في الهند و خارجها، وذكر
من لقي من الملوك والأمراء في
رحلاته، ثم مالقي من تقدير وتكريم
في مختلف البلاد الإسلامية، باختياره
عضوا في عدد من المؤسسات، ومنحه
الجوائز، والشهادات الفخرية، وحفلات
التكريم.

وتناول د. محمد رجب البيومي
سيرة الشيخ تناولاً مختلفاً، لم يقم
على السرد وحده، بل على التحليل
التفاعلي مع جوانب السيرة.

فهو شديد الإعجاب بالشيخ وسيرته، وهو يذكر أن بحثاً موجزاً لن يستطيع استيعاب تأنيده عن رغبة في الحديث عنه، فهو في رؤيته قد أشرق في محيط العالم الإسلامي بذرا مكتملاً في كتابه «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» وانطلق من الحديث عن هذا الكتاب لسيرحل مع

سيرة الشيخ، ويحلل عناصر ثقافته وروافدها، فهو ذو موهبة متميزة، وأنيحت له نشأة علمية باهرة، في أعرق منازل الفضل في الهند، وهو ذو روح إسلامية عالية، هي قبسة من قبسات رجال الصدر الأول من تاريخ الإسلام. يتحدث د. البيومي عن ولادة الشيخ ثم يرحل في نسبه، ورحلة جده الأعلى من المدينة المنورة إلى الهند، ومن نجوم هذه الأسرة سلطان المسلمين أحمد بن عرفان الشهيد، ثم يتحدث عن والد الشيخ وجهوده في التاريخ لأفئدة المسلمين في الهند، في ثمانية أجزاء في (فزهة الخواطر).. كل ذلك كان رصيذا للشيخ أبي الحسن الفتوي في حياته وما قدمه من مؤلفات وجهود دعوية. يضاف إلى ذلك أم كانت نموذجاً في الأمهات صلاحاً وعلماً وأدباً، وأخ شقيق أحسن رعايته بعد فقده الأب صغيراً، وأحسن توجيهه علمياً، فجمع بين ثقافة التراث، وثقافة العصر. وقد اتخذ الشيخ للدعوة وسيلتين: الكتابة والحديث، فكتب وألف، وسعد المنابر وتحدث في المجالس، وتأثر بالشيخ محمد إلياس في مجال الدعوة، وتأثر بالشاعر محمد إقبال. والرجلة معلم من معالم شخصية الشيخ، وقد ظهر أثرها في كثير من كتبه، والشيخ - كما يرى د. البيومي - ذو شجاعة أدبية منقطعة النظير، فهو يصارح أهل كل بلد بمشاعره، وما يراه من حالهم، ويقدم لهم النصيحة من غير مواربة. فهو يكتب في مجلة الرسالة (اسمعي يا مصر) ويكرر مثل ذلك مع بلاد عربية أخرى، ويمضي د. البيومي في عرض ملامح شخصية الشيخ الفتوي ويعرض ما قدمه في مجال

الفكر والدعوة، في عرض يجمع بين
المعلومة التاريخية والموقف الذاتي
للكاتب.

■ ■ الفكر والحكمة:

تحدث عن محور الفكر والدعوة لدى الشيخ الندوي أربعة من الباحثين، فقد تحدث الدكتور يوسف القرصاوي عن «ركائز الفكر الدعوي عند العلامة أبي الحسن الندوي» واستخلص بعد رحلة من إنتاج الشيخ الندوي عشرين ركيزة، استند إليها الشيخ



ومجالات تأليف أجال فيها قلمه، ومجالات حركة أمضى فيها حياته، وهي مجالات تنوعت وامتدت؛ حتى إن المرء ليعجب كيف استطاع الشيخ الندوي رحمه الله أن يجد من الوقت والجهد ليعطي كلا منها حقه، هذا فضلاً عن القول: إن بعض هذه الركائز كانت موجّهات للعمل، وحوافز للهمة، صممت مدة حياته.

وتحدث د. محمد اجتباء الندوي عن «منهج سماحة الشيخ أبي الحسن علي الندوي في الدعوة»، فأشار إلى أسلوبين في الدعوة اتبعهما الشيخ هما: الأسلوب الشفوي؛ بالخطابة وإلقاء المحاضرات في الأوساط العلمية ولدى العامة. والأسلوب الكتابي؛ بالكتابة والتأليف وتحرير الكتب والرسائل.

ولم يكتف الشيخ رحمه الله بالكتابة والتأليف وإلقاء الخطب الموجهة إلى العلماء والعامة، بل راسل الملوك والأمراء ورؤساء الحكومات ورجال الحكم في الهند والعالم الإسلامي والبلاد العربية، ولغت أنظارهم إلى مواضع الضعف والتقصير في أمر الإسلام وشريعته. ومن أبرز ملامح منهج الدعوة لدى الشيخ مايلي:

- ١- تحريك الإيمان في نفوس الشعوب الإسلامية.
- ٢- صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الإسلامية من التحريف.
- ٣- تقوية الصلات الروحية والعقلية والعاطفية بالنبي ﷺ، والحب العميق له.
- ٤- إعادة الثقة في نفوس الطبقة المثقفة.
- ٥- صياغة نظام التربية والتعليم صياغة إسلامية جديدة.

وتأكيد عقيدة النبوة، ومقاومة فتنة القاديانية، ومقاومة الردة الفكرية، وتأكيد دور الأمة المسلمة واستمراره في التاريخ، وبيان فضل الصحابة ومنزلتهم في الدين، والتنويه بقضية فلسطين وتحريرها، والعناية بالتربية الإسلامية الحرة، والعناية بالطفولة والنشء، وإعداد العلماء والدعاة الريانيين المعاصرين، وترشيد الصحوة الإسلامية، ودعوة غير المسلمين. ويلاحظ أن هذه الركائز كانت مجالات عمل سعى فيها الشيخ سعيه،

الندوي في رحلته مع الدعوة والفكر الإسلامي، هي تعميق الإيمان في مواجهة المادية، وإعلاء الوحي على العقل، وتوثيق الصلة بالقرآن، وتوثيق الصلة بالسنة والسيرة النبوية، وإشغال الجنوة الروحية الإيمانية الربانية، واتباع أسلوب البناء لا الهدم، والجمع لا التفريق، وإحياء روح الجهاد في سبيل الله، واستحياء التاريخ الإسلامي ويطولاته، ونقد الفكرة الغربية والحضارة المادية، ونقد الفكرة القومية والعصبيات الجاهلية.



■ د. عبد الحلیم عویس يتحدث خلال الندوة.

٦- حركة علمية قوية دولية، تعرف الطبقة المثقفة الجديدة بذخائر الإسلام العلمية، وتراثه الجيد، وتتفخ في العلوم الإسلامية روحاً من جديد.

٧- معاملة الحضارة الغربية بعلومها ونظرياتها، كمواد خام، يصوغ منها قادة الفكر وولاة الأمر حضارة قوية عصرية.

٨- إقناع الحكومات في بعض البلاد الإسلامية - المشغولة بحرب إبادة العنصر الإسلامي أو تفسير الإسلام تفسيراً يوافق أهواءها - إقناعها بأنها سياسة عقيمة لم تنجح في بلد إسلامي، وإقناعها بتوجيه طاقاتها إلى عدوٍّ مشترك.

٩- القيام في البلاد غير الإسلامية بالدعوة إلى الإسلام، والتعريف به، بأساليب حكيمة تتفق مع طبيعة الإسلام وروح العصر. وفي البلاد التي فيها أقليات إسلامية ينبغي الاهتمام بتمثيل الإسلام والحياة الإسلامية تشيلاً يلتفت إليه الأنظار.

١٠- ضرورة وجود حركة إيمانية دعوية إيجابية قوية في العالم الإسلامي، تفترون بصفات الرجولة والطموح وعلو الهمة.

وتحدث د. أحمد الحلبي عن «جهود أبي الحسن الندوي في الفكر الإسلامي المعاصر» وجعل بحثه في أربعة محاور فكرية، كان للشيخ رحمه الله جهود بارزة فيها:

١- بناء الذاتية للفكر الإسلامي.

٢- تأصيل الفكر الإسلامي.

٣- نقد الحضارة الغربية.

٤- بناء الفكر الإصلاحي.

واستخلص أربع صفات للمؤلفات الفكرية للشيخ

هي:

١- سهولة الأسلوب والصياغة

الأدبية الرقيقة.

٢- نظرة الاسقراء للتاريخ.

٣- سلامة المنهج بالالتزام بالكتاب

والسنة.

٤- القفيرة على قضايا المسلمين

ومستقبلهم

وقد تجلت جهود الشيخ في بناء

الذاتية الإسلامية في القضايا التالية

١- التأكيد على استقلال منهج

الإسلام في الفكر.

٢- بيان ضرورة التغلب على الحيرة

والازدواجية.

٣- تقوية الشخصية الإسلامية

وتذكير الأمة برسالتها.

٤- دعوة الأمة إلى صياغة الحضارة

من جديد.

وأما ما قدمه الشيخ في تأصيل الفكر

الإسلامي فقد لخصه الباحث في

الجلات التالية:

١- تفسير «أركان الإسلام الأربعة»

في كتابه الذي حمل هذا العنوان.

٢- تأكيد اختتام النبوة وانقطاعها

بمحمد ﷺ.

٣- تجلية معنى تزكية النفس.

٤- إبراز مسألة انتهاء التعليم في

العالم الإسلامي.

وفي مجال نقد الحضارة الغربية

سعى الشيخ الندوي إلى

توضيح حقيقة تاريخ الحضارة

ومكوناتها، وبيان عيوب الحضارة

الحديثة بنقائها ما لا يقع تحت الحس،

وإيثار العاجل على الأجل، والخواء

الروحي، والإخفاق في إعداد الفرد

الصالح، والمجتمع المؤمن، وتهميش

الإنسان.

وقد رصد الشيخ الندوي مواقف

المسلمين من الحضارة الغربية التي

تنوعت بين سلبية مطلقة منها،

واستسلام تام لها، وموقف واع عالٍ

منها.

وأما جهود الشيخ الندوي في بناء

الفكر الإصلاحي فقد ظهرت في سعيه

إلى تحرير العقل الإسلامي من

الخرافة والتقليد والهوى، والسعي إلى

تربية الفرد وإصلاحه، وبتشخيص

واقع المسلمين والبحث عن أسباب

ضعفهم، والدعوة إلى مواجهة

التغريب، وبالسعي إلى إيجاد نظام

تعليم إسلامي، والدعوة إلى بعث الأمة

من جديد لتقوم بدورها القيادي في

إسعاد البشرية، وبمواجهة النحل

والحركات الفاسدة من قاديانية

وغيرها.

ورابع البحوث التي تناولت الفكر

والدعوة لدى الشيخ الندوي بحث

الدكتور محمد كاظم الظواهري

«خواطر وملحات حول منهج الإمام

العلامة أبي الحسن الندوي في الفكر

والعمل».

وقد جاء في هذه الخواطر والملحات

وقفات مع منهج الشيخ الندوي الذي

كان يعرض الصور المتناقضة

متجاورة، ومن ذلك ثنائية التناقض

بين الشرق والغرب، ومن صفات

منهجه: الواقعية والاعتدال، والنقد

الصريح القاسم على الإنصاف،

واستيفاء عناصر البحث العلمي في

دراساته.

وتحدث الباحث عن وقوف الشيخ

على أسباب تخلف المسلمين، ومنها:

توقف الاجتهاد، وانتشار البدع

والضلالات، والانكباب على الذات،

والجمود العلمي، ومن صفات دراسات

الشيخ الندوي مؤلفاته: الموسوعية،

والاهتمام بالأدب، والفهم الشافي



لتاريخ الأدب ومراحله، والحس الأدبي العالي الذي يمتلكه.

ومن صفات الشيخ أبي الحسن رحمة الله أنه كان يحمل هم المسلمين في كل البلاد، وقد رفع صوته في أكثر من زيارة لأكثر من بلد، وتجلّى ذلك في عناوين رسائله، وبعض كتبه ومنها: اسمعي يا مصر، واسمعي يا سورية، واسمعي يا زهرة الصحراء (الكويت)، واسمعوها مني صريحة أيها العرب.

■ الشيخ الفدوي وقضايا المسلمين

كان للشيخ رحمه الله اهتمام بقضايا المسلمين في شتى بقاع الأرض، وقد تحدث ثلاثة من الباحثين عن هذا الموضوع، فجاء بحثان عن قضايا المسلمين في الهند، والبحث الثالث عن اهتمامه بقضايا الأمة العربية.

تحدث الدكتور عبدالحليم عويس عن «الشيخ الفدوي وقضايا الأمة العربية»، ومما أشار إليه الباحث منطلقات حب الشيخ للعرب، ومظاهر اهتمامه بقضاياهم، فقد تفاعل الشيخ الفدوي مع القضايا العربية، وزار البلاد العربية، وظهر أثر ذلك التفاعل في كتبه ورسائله، ودعا الشيخ العرب إلى قيادة سفينة الإنسانية من جديد، وأبرز الدور الحضاري المستثمر للعرب في الدعوة الإسلامية، وسعى إلى تخلص العرب من التأثر بالمدنية الأوروبية.

ومن المحاور التي تحدثت عنها الباحث: موقف الشيخ الفدوي من القومية العربية، والشيخ يرى أن القومية العربية باعتبارها عقيدة

إيديولوجية أخطر من كل الحركات القومية التي ظهرت في العالم الإسلامي، لأن العرب كانوا منبع الإسلام، واتحصارهم بالقومية بدلا من كونهم حملة الدعوة الإسلامية العالمية كارثة تاريخية، لأن الصلة بين العرب والإسلام صلة أبدية، ولا يظهر الإسلام الصحيح إلا إذا قاد ركبته العرب.

وتحدث الدكتور عبدالحليم عويس عن موقف الشيخ من القضية الفلسطينية، وقد تابع الشيخ القضية الفلسطينية في المجتمع الهندي، وفي البلاد العربية، ونفّثته إلى النكبة الفلسطينية أنها نتيجة، وعتاب إلهي للعرب الذين خافوا الإسلام بالسياسة التي تبنتها الدول الأوروبية، وفي الأدب وفي كل جوانب الحياة، وبترك العلماء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن الخطايا التي ارتكبتها العرب في شأن القضية الفلسطينية أنهم لم يضعوها في إطارها، وكان له دور بارز في الدفاع عن الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند، بالاحتكام إلى الشريعة الإسلامية، وسعى إلى تقريب الفئات المتباعدة من السيرة الصالحة من المسلمين، الذين صاروا أعداء لدينتهم، وذلك بالسعي إلى تفهيمهم الإسلام، ومحاربة التبذير، والطفوس الجاهلية، وتقليد غير المسلمين في الأحوال الشخصية. وأما غير المسلمين فقد أسس حركة (رسالة الإنسانية) لفتح الحوار معهم، بعقد الاجتماعات، وإجراء الحوارات، سعيا إلى إزالة الأحقاد والعداوة من نفوسهم.

وقد ألقى محمد واضح رشيد الفدوي أضواء أخرى على جهود

الشيخ الفدوي في هذا المجال، في بحثه: «المنهج السياسي لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الفدوي، ودوره في حل قضايا المسلمين». وقد لخص ذلك ببيان أن منهج الشيخ رحمه الله كان يقوم على إزالة سوء الظن، ومكافحة الكراهية في نفوس غير المسلمين في الهند، وسعى إلى ذلك بطرق متعددة، منها: الكتابة إلى قادة البلاد في الهند، وزعماء الحركات والمنظمات الشعبية والاجتماعية والسياسية، وجمع المسلمين مع غيرهم على منابر مشتركة دفعا للتطرف، وتقهما للظروف المشتركة.

ومن جهوده في هذا المجال سعيه إلى جمع كلمة المسلمين في المجلس الإسلامي الاستشاري. لقد استطاع الشيخ رحمه الله بالحكمة واتخاذ الوسائل المناسبة للظروف التي يعيشها المسلمون في الهند، أن يحقق كثيرا من المكاسب، فتفهم الحكام قضايا المسلمين، وغيروا منهجهم تجاههم، وأسهم في تيريد كثير من الأزمات التي وقع فيها المسلمون.

■ الشيخ الفدوي والميرة النبوية

كانت السيرة من المجالات التي برع الشيخ رحمه الله في كتابتها، وكانت محورا من المحاور التي لفتت أنظار الباحثين، وقد سعى الدكتور عماد الدين خليل إلى استكشاف المنهجية الخاصة التي تفرد بها الشيخ الفدوي عن غيره من كتّاب السيرة، وثبّن له بعد الدراسة والبحث الخصائص التالية:

١- أن تبني السيرة بأسلوب عصري علمي.

٢- أن تعتمد على خير ما كتب في القديم والحديث.

٣- أن تحقق تطابقاً مدروساً بين مفرداتها كافة وما جاء في القرآن الكريم والسنة الموثقة.

٤- أن يكون النص أو الرواية الموثقة الحكم، وأن يتحرر من أية محاولة لتقييده بحكم مسبق أو إغراقه بالتعليل والتحليل على حساب الواقعة نفسها، وأن يترك للنص حرية التعبير عن ذاته، لكي ينطق بما كان فعلاً، لا بما يراد أن يكون.

٥- السعي إلى تحقيق توازنات بين ثنائيات شتى، منها: الموضوعية والوجدان الديني، والعلمية والضرورات التربوية، والتسوية بالخطاب إلى المسلم وغير المسلم.

٦- ضرورة تسليط الضوء على البيئة التي ظهر فيها الرسول ﷺ، ببعديها: التاريخي والجغرافي، وامتدادها: المحلي والعالمي.

وتحدث الدكتور محمد بن حسن الزبير عن «السيرة في أدبيات الشيخ أبي الحسن الندوي» وأشار إلى تفاعل الشيخ مع السيرة في وقت مبكر من حياته، مما جعل لها أثراً في تكوينه الفكري، هذا الأثر الذي نجده ماثلاً في عدد كبير من كتبه، فضلاً عما خصصه لها، وقد عد الباحث عشرين كتاباً تجلت السيرة النبوية فيه. ووقف الباحث على كتاب السيرة النبوية، ليجلو هدف الشيخ من كتابته وسمات أسلوبه ومنهجه، وموقع هذا الكتاب بين كتب السيرة النبوية.

لقد عبر الشيخ عن تهيئه من كتابة كتاب مستقل في السيرة النبوية؛

لإحساسه بضخامة المسؤولية، ولكن الهدف الذي سعى إليه وهو السعادة الذاتية بأن يكون ممن أرخوا لسيرة النبي ﷺ، خفف من تهيئه وحفزته إلى الكتابة، وليتزود من دراسة السيرة النبوية.

لقد درس الشيخ السيرة النبوية دراسة وافية، من مصادرها الصحيحة: كتب الحديث والتاريخ، وقد عبر عن إحساسه باستحالة إعداد سيرة كاملة لحياة النبي ﷺ.

ومن سمات أسلوب الشيخ في كتابة السيرة كما جلاها «الزبير»، جمال العرض، وحسن الترتيب، وجودة التلخيص.

وقد أورد ملامح المنهج الذي سلكه الشيخ في كتاب السيرة النبوية، وأشبه بعض ما استخلصه ماجاء في بحث د. عماد الدين خليل، ومن هذه الملامح:

أن الشيخ اتبع أسلوباً عسكياً خاطب به أهل زمانه، واهتم بتصوير البيئة الإسلامية بل عالجه كقضية قومية. والإسلام هو سبيل استعادة فلسطين، وذلك بإزالة عوامل الهزيمة الأخلاقية والنفسية والفكرية، وقد استحضّر الشيخ الندوي في نظريته إلى القضية الفلسطينية التجرية التاريخية في زمن الصليبيين، الذين احتلوا الساحل الشامي قرنين من الزمان.

ومن جوانب اهتمام الشيخ الندوي بالقضايا العربية، تلك الصلات الطيبة التي ربطته بعدد كبير من الحكام والوزراء العرب، والمفكرين والحركات الإسلامية في مختلف البلاد العربية، وكانت هذه الصلة صلة دعوة ونصح، وتشاور وحوار، يهدف إلى ما فيه

عصاة الإسلام والمسلمين.

وقد كان من المتوقع أن تلقى قضايا المسلمين في الهند عناية الشيخ الندوي، وجلي هذا الموضوع الشيخ محمد الرابع الندوي، في بحثه «قضايا المسلمين في الهند، وساعي الشيخ أبي الحسن الندوي في حلها».

لقد نال المسلمون معاملة ظالمة في الهند بعد الاستقلال، أدت إلى ظهور مشكلات مع الهندوس. فقد نادى المتطرفون الهندوس بعدم ظهور باكستان بضرورة هجرة المسلمين من الهند؛ لتكون خالصة للهندوس، ونادوا بهدم المساجد، وتغيير الملامح الإسلامية في الهند حكماً وتعليماً وثقافة، وطلبوا المسلمين بالوفاء للتراث الهندي، وترك الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية. وقد كان إلى جانب هذا الموقف المتطرف موقف معتدل من حزب المؤتمر الهندي، الذي نادى بالعلمانية، وكان من قاداته هندوس ومسلمون، وسيخ ونصاري، وللمسلمين وزتهم الانتخابي الذي كان يجعل الأحزاب تقدم لهم الوعود في الانتخابات، ولكن كثيراً منها كان يذهب هباءً بعدها. وقد أحس المسلمون بمشكلاتهم قبل الاستقلال ويعددها، ولذا شكلوا الجمعيات والمجالس التي تدافع عن حقوقهم، وكان للشيخ الندوي رحمه الله جهود في خدمة المسلمين وحل قضاياهم في الهند، وقد سعى مع غيره من علماء المسلمين إلى إنقاذ مسلمي الهند من الذلة، ومن الانحراف الديني، ومن التخاذل والقنأ.

وكان من مجالات عمل الشيخ: الشريعة والأدب، والعلم والدعوة، والإصلاح، وصيانة الشريعة

الإسلامية في التغيير، ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام، واتباع في ذلك كله السياسة الهادفة بالحوار والإقناع. لقد سعي الشيخ رحمه الله إلى تربية المسلمين على الأخلاق الكريمة، وتحسين مستوى التعليم لهم وتوسيعه، ووازن بين الجانب العلمي والجانب التربوي والبلاغي، وجاور بين العقل والعاطفة، واعتمد التحليل والتعليق، والمقارنة والاستنتاج، واستشهد بالآيات القرآنية، ووضع عنوانات جانبية دالة على ما جاء تحته.

وقد أشار الدكتور الزير إلى المنزلة التي نبأها كتاب الشيخ في السيرة النبوية، إلى جانب ما أشبهه من كتب السيرة مثل كتاب «الرحيق المختوم» للمبار كنفوري و«فقه السيرة» للغزالي.

■ الشيخ الندوي وأحب الرحلة

يمكن أن يقال إن الشيخ الندوي رحمه الله كان أحد رحالة القرن العشرين، ذلك أنه قضى من عمره سنوات في الرحلات، بل أنه ما كان يحل حتى نراه يرحل، مشاركاً في مؤتمرات، أو لحضور اجتماع، أو لقاء لمحاضرة.

وقد درس الدكتور سمير عبدالحميد إبراهيم «أدب الرحلة في كتابات الشيخ أبي الحسن الندوي بين العربية والأردية».

وبحثه كما هو واضح من عنوان يرصد أدب الرحلة لدى الشيخ ما كتبه بالعربية والأردية، ويوازن بين الرحلات التي كتب عنها باللغتين.

يرى الباحث أن الرحلة هي الدافع لعظم كتابات الشيخ، وكثير من كتبه

كانت ثمرة من ثمرات رحلته. وقد بدأ رحلاته في طلب العلم في أوائل الأربعينيات في الهند. وقد استخدم الباحث منهجاً تاريخياً، وقسم رحلات الشيخ إلى خمسة أدوار، بدءاً من رحلته إلى الشرق سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م التي شملت مصر والسودان وسورية وفلسطين، وكان من ثمراتها كتابه «مذكرات سائح في الشرق العربي» ورسائل أخرى.

وتحدث عن رحلاته في الدور الثاني، الذي بدأ في أواخر سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م التي شملت سورية ولبنان وتركيا والعراق.

وشمل الدور الثالث بورما والكويت والسعودية سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م وامتدت إلى عام ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

وزار في الدور الثالث سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م أوروبا للمشاركة في اجتماعات المركز الإسلامي في جنيف، وزار في هذه الرحلة فرنسا وبريطانيا وأسبانيا، وتكررت زيارته إلى جنيف سنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م وزار ألمانيا بشطريها، وامتد الدور الرابع من سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م إلى سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، وشملت رحلاته في هذه المرحلة السعودية والكويت وأفغانستان وإيران ولبنان والعراق والأردن والإمارات والمغرب وأمريكا والجزائر وسيرلانكا.

وامتد الدور الخامس من سنة ١٤٠٤هـ/_____م - ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م وعلى الرغم من اعتلال صحته فقد امتدت رحلاته فشملت بنجلاديش والأردن والسعودية أكثر من مرة، وتركيا وماليزيا وأوروبا وأمريكا وإنجلترا. وقد وقف الباحث عند سنة ١٩٨٨م

ولكن رحلاته امتدت بعد ذلك حتى قبيل وفاته رحمه الله.

وقد بين الباحث أن الشيخ الندوي.. لم يكن سائحاً طالباً للمتعة، بل كانت سياحته طلباً للعلم والمعرفة، ونشراً للدين، والاستزادة من النور في منابعه في مكة والمدينة، ولقاء أهل العلم والدعوة والتناصح معهم، والمشاركة في المؤتمرات والهيئات التي كان عضواً فيها في عدد كبير من البلاد.

وإذا كان الدكتور

سمير عبدالحميد

إبراهيم قد تحدث مؤرخاً

لرحلات الشيخ وما

أثرت من كتب ومؤلفات

في العربية والأردية فإن

الشيخ سعيد الأعظمي

قد تحدث عن كتاب من

كتب الشيخ، التي كانت

من ثمرات رحلته الأولى

إلى الشرق «مذكرات

سائح في الشرق

العربي» وكان موضوعه

تحت عنوان «سماحة

العلامة أبي الحسن علي

الحسني الندوي ونماذج

من أسلوبه الدعوي المتميز في أدب

السياحة، وقد استعرض فيه ما كان

للشيخ من نشاط دعوي في تلك

الرحلة، وما ألقى من محاضرات، وما

كان له من لقاءات، فما قام به الشيخ

سعيد الأعظمي هو عرض نموذج من

نماذج أدب الرحلة لدى الشيخ، وجهد

الشيخ الندوي فيه.

والباحث الثالث الذي تناول أدب

الرحلة لدى الشيخ هو «علامح الأدب



■ الشيخ محمد الغزالي



■ د. مصطفى الشعبة

الإسلامي في كتابات الشيخ أبي الحسن الندوي مع دراسة تطبيقية على أدب الرحلات» للدكتور عبدالقادر بن عيسى باطاهر. وأوضح أن هذا البحث ينتمي إلى محورين: الأدب الإسلامي وأدب الرحلات.

وقد تحدث عن مفهوم الشيخ للأدب وماله من وظيفة ورسالة في المجتمع، ومفاته للانسانية الرخيصة، وإن تكن المتعة غاية من غاياته. وتحدث عن الأدب الحي والأدب المزخرف، وما ابتلي به الأدب العربي من تسلط أصحاب التكلف والتصنع عليه، كما تحدث عن الأدب وقضايا الحضارة.

وانتقل الباحث إلى المحور الثاني، وهو دراسة تطبيقية على أدب الرحلات، الذي حرص الشيخ علي ابنخاله في دائرة الأدب الإسلامي، وله فيه تصور نظري وممارسة عملية. ومن أبرز آرائه النظرية في أدب الرحلة: أن تكون نظرة الرحالة إلى المجتمع الذي يكتب عنه نظرة شاملة لاجزائية، وأن يسجل الأحداث والمشاهدات تسجيلًا مباشرًا حتى لا تبسّط صورتها إذا استمدت من الذاكرة، وأن يبرز الأديب ذاته وشخصيته في رحلته، ويظهر عاطفته وعقيدته فيها.

وقد قدم الباحث دراسة تطبيقية على كتابين من كتب الشيخ هما «مذكرات سائح في الشرق العربي» و«اسبوعان في المغرب الأقصى». تحدث فيها عن الأفكار والمشاعر المعروضة فيهما وعن أسلوب الكاتب.

■ ■ ■ الشعر والنواجم

تتأول هذا

الجانب من إنتاج الشيخ رحمه الله
ياحث واحد هو الدكتور الحسين
العربي بن رحمون، وهو جانب
سأزال بحاجة إلى المزيد من البحث
والدراسة، بجمع جهود الشيخ في هذا
المجال والوقوف عليها، للتمكن من
الحديث عنها حديث الخبرة المباشرة.
وقد كان جل اعتماد الباحث في بحث
على كتاب الشيخ «شخصيات وكتب»
ومما استخلصه من أهداف الشيخ في
ترجمة: الهدف الدعوي بفقہ الدعوة
من خلال سأنجها التي يقدمها إلى
قرائه، وإيجاد حركة إصلاحية
تجديدية تتناول النفوس بالتهذيب
وتبث العزة في الهمم.

ويرى الباحث أن الشيخ طور مفهوم الترجمة القديم، من حيث الصياغة الموضوعية، والصياغة الشكلية، فقد كان يقدم المترجم له من خلال قضية من القضايا التي تشغل السليبي، ويعتمد الأسلوب الأخاذ، والعناصر المستحدثة، التي تناسب مستجدات الحياة وأذواق القراء المعاصرين. وقد استخلص الباحث المعايير التي وضعها الشيخ أو التزامها في كتابة «الترجمات والسير» وهي العفوية الشخصية للمترجم له معرفة واعية، وحسن التعبير عن أحوال المترجم له وتصويرها، والدقة في نقل الخبر والامانة في روايته، وتوافر الدافع النبيل لدى الكاتب.

■ ■ ■ الشُّعْبَةُ الْفَدْوِيَّةُ وَالْخُرَيْفَةُ

وقد تناول هذا المجال باحث واحد هو الدكتور محب الدين أبوصالح في بحثه «القريبة عند سقاية الشيخ أبي الحسن علي الحسيني التدي».

وقد طاف الباحث في مؤلفات الشيخ، وسعى إلى رسم صورة متكاملة للثريية لديه، فبين أن لها أبعاداً ووظائف وأسساً ومؤسّسات وجوانب وأساليب، وقدم تصور الشيخ لغياب التعليم الإسلامي في البلاد الإسلامية، أسبابه ونتائجه، والحلول المقترحة لحل المشكلات الناتجة عنه، وختم بحثه بعرض ستة وثلاثين مبدأً ومفهوماً تربوياً استخلصها من رحلته مع كتب الشيخ رحمه الله.

ومما عرض الباحث في حديثه عن غياب التعليم الإسلامي وفرض نظام التعليم الغربي سرده ما بينه الشيخ من أسباب هذا الغياب ومنها: غارة الأمم الغربية على البلاد الإسلامية، والحضارة الغربية الحديثة، والثورة البلشفية، وتطبيق نظام التعليم الغربي، واستعارة مناهجه التعليمية. وهذه أسباب خارجية، وهناك أسباب داخلية منها: تخلف العلوم الإسلامية، وركود الفكر الإسلامي، ومعارضة بعض المربين تطوير التعليم الإسلامي. وقد كان من نتائج هذا الغياب وجود صراع عقلي زعزع العقيدة، ووجود ردة فكرية، وردة دينية، وانتشار الحرة الإباحية، وطغيان المادية والأناية وحب الدنيا، وانتشار حياة البذخ والترف.

وما استخلصه الباحث من الحلول التي وضعها الشيخ لحل المشكلات التي نتجت عن غياب التربية الإسلامية: أسلمة نظام التعليم، وإعادة الثقة بالإسلام، وملاحقة للقيادة والتوجيه، وعدم إخضاع حقائق الدين ومناهجه للتصورات الغربية، والاستفادة من الحضارة الغربية على



الوجه المشروع، ووجود علماء ربانيين.

لقد أدرك الشيخ رحمه الله أهمية التربية في حياة الأمم، وشارك في عدد من المؤسسات التربوية، وكان ماقدمه من نظرات تربوية نابعا من عمق تفكير وتجربة عملية.

■ الشيخ الندوي وأدب الأطفال

تناول هذا المحور باحثان: أحدهما جال في الأدب الذي قدمه الشيخ إلى الأطفال جولة عامة، والآخر وقف مع نموذج منه وقفة فنية تحليلية.

تحدث الدكتور سعد أبو الرضا عن «ملاح قصص الأطفال الموجهة في مجموعة - قصص من التاريخ للأطفال»، وقد تفرد هذا البحث من بين البحوث الأخرى بمنهج الفني النقدي، فقد مضى في بحثه مسلحا بوجهة نظر فنية في دراسة القصة التاريخية، باحثا عن وسائل التوجيه فيها، وهي وسائل تعبيرية في الشرح والتفسير مع المحافظة على الشكل القصصي وتحقق غاياته الفنية والفكرية الإسلامية.

كما رصده الدكتور سعد صفة الخطيب الداعية لدى الشيخ الندوي التي تغلب على أسلوب قصصه في المجموعة التي درسها. وقد مضى يدرس من ملاح التوجيه الضمائر والعلاقات في بعض مواضع المجموعة، والتصوير والتناص وحكاية الحدث، ومن مظاهر التوجيه الحس الخطابي الذي تمثل بتوجه الشيخ إلى متحدث أمامه وكأنه يخاطبه، وهذا امتداد لطريقته في استخدام الضمائر. ومن ملاح التوجيه في القصص المقدمة للتفسيرية السردية. وتحدث

عن أثر أسلوب الاستفهام في القصص في تشكيل الحدث في هذه القصص، ووقف على محورية الفعل (كان) في السياق القصص الحكائي.

وقد ختم الباحث بحثه بقوله: ولعل ما أشرت إليه من وسائل تعبيرية في تشكيل مجموعة (قصص من التاريخ للأطفال) للشيخ أبي الحسن الندوي قد كشفت عن أثر الحس الخطابي لديه في إبراز ملامح الشوجيه في هذه المجموعة القصصية مجلية نموذجا من نماذج قصص الأطفال وحكاياتهم، وهي قصة الأطفال الموجهة.

وأما نصر العتوم فقد تحدث عن «أدب الأطفال عند أبي الحسن الندوي»، وكانت مراجعته الأساسية في بحثه ثلاثة كتب للشيخ هي: «قصص النبيين للأطفال»، و«سيرة خاتم النبيين»، و«قصص من التاريخ للأطفال». وقد تحدث الباحث عن هذه الكتب من محاور متعددة: هي اللغة والدعوة، والتربية والفكر، وملاح الاتجاه الإسلامي.

أما لغويا فقد رصد الباحث عددا من الملاح التي تجلت في هذه الكتب وهي: تنوع الأساليب اللغوية فيها بما يتفق مع طبيعة الأطفال، واستخدام الحوار، وحسن اختيار العنوان المناسب لكل قصة، وحسن الترتيم والتقسيم للقصص.

وأما دعويا فقد سعى الشيخ إلى تقديم أدب الدعوة إلى الطفل من خلال النماذج التاريخية، وكشف للأطفال أساليب الدعوة وأنواعها من سرية وجهرية، مما يسهم في إعداد الطفل دعويا.

وفي الجانب التربوي تدرج الشيخ في الأساليب التي خاطب بها الناشئة

بما يوافق عقليتهم، وسعى إلى غرس مكارم الأخلاق لديهم، وسعى إلى تحزير الطفل المسلم من الأساطير والخرافات وسلطان الشهوات، وإلى حثه على حب العلم.

وفي مجال الفكر سعى الشيخ إلى سلامة التكوين الفكري للطفل المسلم وتوليد المناهضة لديه ضد الأفكار الغربية، ومقارنة النظام الإسلامي بالنظم الجاهلية، وعرض القضايا الإسلامية المعاصرة، وسعى إلى التكوين النفسي السليم للطفل المسلم بالسمو الروحي وغرس الثقة بالنفس، والإيمان بالقضاء والقدر، وغرس روح الشهادة لديه، وأخيرا تحدث عن ملاح الاتجاه الإسلامي في هذه الكتب التي درسها فوجدها ملأى بالعاطفة الإسلامية، والحب العظيم للرسول ﷺ.

■ أما بعد..

قيل وفيت هذه البحوث حقها من العرض؟ أشك في ذلك، لأنه قيل من قبل إن «المترجم خائن» وهو يفقل المضمون من لغة إلى أخرى فكيف بمن يختصر ويوجز ويختار؟ فمعذرة كل المعذرة.

وهل وفّت هذه البحوث حق الشيخ أبي الحسن رحمه الله؟ أقول: لقد قامت ببعض الواجب، وما يزال في أعناقنا وأعناق محبيه دين ثقيل من دراسة آثاره، وحسن تعقل لها، وسير على منهجه الذي ارتضاه. رحمه الله رحمة واسعة، وجزي خيرا كل من كتب عنه.



روائع إقبال

كرض .. وهذافشة.. ونفويه

استاذنا أبو الحسن علي
الحسني الندوي فتن بالدكتور
(محمد إقبال) شاعراً ومفكراً
وإنساناً.

يقول في مقدمة كتابه، تحت
عنوان «صلتي بمحمد إقبال
وشعره»:

«كنت في السادسة عشرة من
عمرى، وقد قدر لي أن أزور
«لاهور»، بلد العلم والثقافة في
الهند - غير المنقسمة - ومقر
الشاعر العظيم. وفي يوم
صائف شديد الحر، من أيام
آيار الأخيرة أخذني الدكتور
(عبدالله الجغتائي) - استاذ
الفن الإسلامي في «جامعة
البنجاب» اليوم - إلي (محمد
إقبال). وقدمني إليه» (١)

ثم يقول في مكان آخر:
«وقد قدر الله أن أجتمع

بالشاعر العظيم قبل وفاته
بشهور، وأن تكون لي معه
جلسة طويلة تاريخية. كان
ذلك في السادس عشر من
رمضان عام ١٣٥٦هـ (٢٢
تشرين الثاني - نوفمبر - سنة
١٩٣٧م)، زرت في منزله في
الصباح، وكان معي عمي
الاستاذ الكبير السيد (طلحة
الحسني)، وابن عمي السيد
(إبراهيم بن إسماعيل
الحسني)، وكان معتكفاً في
بيته في مرض طال به
وأضناه. وكان مرضه الأخير
الذي توفي فيه، صادفنا من
نفسه نشاطاً طيباً، أو نشط
بقُدومنا - لست أدري -
وقاضت قريحته، قطالت
الجلسة، وطابت حتي
استغرقت نحو ثلاث

ساعات. (٢)

إن الذي يشدنا إلي
اعتماد هذا المصدر محفزات
عدة، منها التعاصر الزمني،
والتعارف مباشرة وعن كُتب..
ثم شغف (الندوي) وإعجابه
بالدكتور (إقبال) ومتابعاته
لمؤلفاته، وكتابات وأشعاره..
ثم إحاطة الاستاذ (الندوي)



أبو الحسن علي بن أبي حمزة الثمالي

فَوَائِدُ إِقْبَالٍ

ولعل أهم ما في التمهيد، لقاء المؤلف بـ (إقبال) الذي هو أشبه بوثيقة تاريخية، تلقي الضوء علي أهم ما كان يشغل بال (إقبال) قبيل وفاته رحمه الله.

ثم تتعاقب فصول القسم الأول من الكتاب كالتالي:

١- «شاعر الإسلام الدكتور (محمد إقبال): حياته وثقافته، شاعريته وإنتاجه» [ص ١٥ - ٢١]

٢- «العوامل التي كوَّنت شخصية (محمد إقبال)» [ص ٢٢ - ٤٠]

٣- «نظرة (محمد إقبال) إلي نظام التعليم العصري ومراكزه» (ص ٤١ - ٤٥)

٤- «نظرة (محمد إقبال) إلي العلوم والآداب» [ص ٤٦ - ٥٠].

٥- «الإنسان الكامل في نظرة (محمد إقبال)» [ص ٥١ - ٦٢].

■ فصول الكتاب - سابقة الذكر - في أصلها:

الفصل الأول حديث إذاعي، أذيع من «الإذاعة السعودية» عام ١٩٥١. والفصلان الأول حديث إذاعي، أذيع من محاضرة ألقيت علي طلبة كلية «دار العلوم، بالقاهرة في (٢٠ جمادي

ثعود إلي الكتاب لتستوضح فيه قسمين متميزين:

الأول ويشتمل علي عرض لحياة (إقبال) وثقافته وأفكاره، وهي مبنية كالتالي:

— «صليتي بمحمد إقبال»

وهو بمثابة مقدمة أو تمهيد، يتحدث فيه عن لقاءه مع الدكتور الشاعر، وما كان يدور بينهم من أحاديث تتصل بالشعر العربي، والعلوم الطبيعية في لقاءاتها مع الإسلام في مياديه، والفلسفة الإغريقية، والتصوف الإسلامي، والتجديد الإسلامي في الهند، واستقلال باكستان عن الهند.

ثم تحدث المؤلف عن اهتمامه بشعر (إقبال) وتعريف المجتمع العربي به، وعن ترجمة الدكتور (عبد الوهاب عزّام) لشعر (إقبال)، ثم الدوافع التي حدث بالمؤلف لوضع كتابه.

فرغ المؤلف من هذا التمهيد في الثالث من ربيع الأول عام تسعة وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة، ويقع بين الصفحتين [١٤ - ٢]



بقلم:

حكمت صالح

وتمكنه من لغة (إقبال) إلي جانب العربية، الأمر الذي أتاح له فرصة الترجمة، وسهّل عليه مهمة تقضي الدقة فيها.

■ ■ ■

الثانية ١٣٧٠ هـ المصادف: ٢٨ آذار (مارس) ١٩٥١م

يقول المؤلف الاستاذ (الندوي) في التمهيد:

«وفي عام ١٩٥٠م سافرت إلى الحجاز ومصر وسوريا، ونشطت في هذه الرحلة، التي استغرقت أكثر من عام، لكتابة عدة مقالات عن (إقبال) وفكره وشعره، وألقيتها محاضرات في «دار العلوم» وفي (جامعة فؤاد الأول) (جامعة القاهرة الآن)، ومقالة كتبتها في دمشق عام ١٩٥٦م في زيارتي الثانية لسوريا هي مقالة «محمد إقبال في مدينة الرسول صلي الله عليه وسلم» أذيعت في محطة الإذاعة السورية» (٣)

ومهما يكن من شيء، فإن الكتاب حصيلة خبرة هي خلاصة تجارب حياتية فكرية معاشة، كرس المؤلف من خلالها جهوداً لا يُستهان بقيمتها، وأوقف لها طاقات مدروسة ومخططة، في تعريف المجتمع العربي بهذا الشاعر المجيد، الذي أوقف كل حياته لخدمة الفكر الإسلامي المعاصر وتجديد الثقافة الإسلامية.

كما أضافت
الفصول سابقة
الذكر - زيادة

علي التعريف بثقافة (إقبال) وتطورها. استشهدات من التراجم الشعرية، جاءت بمثابة الأسانيد الموثقة للنتائج التي خرج بها المؤلف.

علي الرغم من التبجيل بشخصية (إقبال) والإنبهار بشعره وأفكاره (حيث يتضح ذلك مباشرة في حنايا الفقرات هنا وهناك) فإن المؤلف يصدر عن روح موضوعية في نهج بحثه.

فهو يشهد علي نفسه: «إني كلما قرأت شعره جاش خاطري، وثار عواطفني، وشعرت بدبيب المعاني والاحاسيس في نفسي، وبحركة للحماسة الإسلامية في عروقي، وتلك قيمة شعره وأدبه في نظري» (٤)

في حين نري هذا الإقرار بالإعجاب جاء إثر تجريد المؤلف شاعرنا (إقبالاً) من تصورات العصمة ومعاني القداسة. كما أنه لا يتورع من الإفصاح عن بعض الأفكار الفلسفية والتفسيرات للعقيدة الإسلامية التي لا يتفق فيها مع (إقبال):

«أما بعد فإنني لا أعتقد في (إقبال) عصمة ولا قداسة ولا إمامة ولا اجتهداء، في الدين، ولا أبالغ في إجلاله والاستشهاد بأقواله، كما يبالغ كثير من الكتاب المعاصرين، والمؤلفين المتطرفين.. إنني أعتقد أن (الحكيم السنائي) و(فريد الدين العطار) والعارف (الرومي) كانوا أرفع منه مكانة بكثير، في التأديب بأداب الشرع، والجمع بين الظاهر والباطن، والدعوة والعمل.. وقد كانت له في محاضراته التي ألقاها في

المدارس أفكار فلسفية وتفسيرات للعقيدة الإسلامية لا نوافقه عليها، ولا أعتقد - كما يعتقد كثير من الشباب المتحمسين - أنه لم يفقه الإسلام عالم مثله، ولم يحط بعلومه، وحقائقه - غير، إنني لم أزل - والحق أحق أن يقال - في كل دور من أدوار حياتي وثقافتي معتقداً أنه لا يزيد علي أن يكون تلميذاً من تلاميذ الثقافة الإسلامية النجباء والأذكياء. درسها دراسة مخلص، وكان لا يزال في حاجة إلى التعمق والرسوخ فيها، والاستفادة من معاصريه الكبار، وكانت في شخصيته الكبيرة النادرة جوانب ضعف لا تتفق مع عظيمته العلمية، وعظمة رسالته، وشعره، لم يجد وقتاً كافياً وجواً ملائماً لإكمالها وتسديدها» (٥).

وبعد فلنا مجموعة ملاحظات علي فصول القسم الأول من الكتاب:

١- إن عنوان الكتاب «روائع إقبال» يجعلنا نتسامح إلي حد كبير مع المؤلف في ملاحظتنا هذه، ذلك أن العنوان يوحي بإبراز تلك الروائع والوقوف عند قصائده (وهذا ما سنقف عنده في حديثنا عن القسم الثاني من الكتاب)، أي أن غاية الكتاب الأساسية الكشف عن شاعرية (إقبال) في اختيار المؤلف من قصائده، وعليه فإن فصول القسم الأول أشبه بالتمهيد أو المقدمة. ولعله كان المبرر في عدم الإلمام في استيضاح كل الجوانب الحرة بالبحث في استجلاء تكوين شخصية (إقبال) الفكرية.

٢- أما تبويب الكتاب، فنقد جاءت فصوله متداخلة في طوابعها، فحيناً تأخذ شكل مقال أدبي، وحيناً آخر



شكل محاضرة و حديث إذاعي. وعليه فإن الكتاب أشبه بمجموعة من المقالات التي يشدها موضوع أساسي. ولعل ذلك هو السبب الذي دفع بالمؤلف إلى عدم إضفاء صفة الفصول على موضوعات الكتاب. وهذا لا يعني تجريده من مواصفات النسق المنهجي في طرح متسلسل.

٣- ولأن فصول القسم الأول في أصلها محاضرات أو أحاديث إذاعية فقد تسرب إلى منهج الكاتب أسلوبه: مواصفات الخطابية تارة والإنشائية أخرى. وبالرغم من كون ذلك يحد من الموضوعية والتحليلات النقدية والتعليقات العلمية، فإن ما طرحته الفصول من ثراء طغي على الخطابية، وعلى الإنشائية التي حظيت بقسط واف من جمالية التعبير ومتانته. وهو أسلوب متبع في البحوث الأدبية قبل أكثر من ربع قرن، وما أسلوب (طه حسين) - وخاصة في «حديث الأربعاء» الذي كان يقدمه من الإذاعة بالأصل ببعبعد. وصفتنا الخطابية والإنشائية تظهر بوضوح في حديثه عن «العوامل التي كونت شخصية محمد إقبال»، كما لا تخلو منها الفصول اللاحقة.

٤- تحدث المؤلف عن نشأة (إقبال) والمؤثرات التي كونت شخصيته باقتضاب، وبشكل يوحي بالسرعة؛ وكان حرياً به - أن يقف عن بيئته وعصره - وقفة أطول: للكشف عن بدايات توجهه الثقافي ونزوعه الفكري اللذين حملاه الرسالة الفكرية، وأناطاً به المهمة الأدبية، فأقني حياته في سبيلها!

٥- غالباً ما يركز المؤلف على

المدرسة الإسلامية في تكوين شخصية (إقبال)، ولا يكاد يقف عند المدرسة الغربية إلا سريعاً. وهي - بلا شك - ظاهرة متقصدة، تاجمة عن أحد أمرين:

إما لضيق النافذة التي يطل منها المؤلف على الثقافة الغربية والمذاهب الفكرية الأوروبية التي تأثر بها (إقبال):

وإما لتجسيم النوازع الإسلامية، وإبراز معطياتها في تكوين شخصية (إقبال)، الذي خرج إلى الناس داعية إلى تجديد الفكر الديني في الإسلام، وحمل رسالة إضفاء ملامح المعاصرة عليه، لتكون مبادئ الإسلام دستوراً، لم يفقدها «تقدميتها» تعاقب العصور. ونحسب هذا الأمر الثاني أكثر رجوحاً في منطق.

٦- فغلب الفصل الثاني وقف المؤلف عند المدرسة الأولى التي تخرج منها (إقبال)، ونقصد بها «مدرسة الثقافة العصرية والدراسات الغربية»، وكانت وقفته سريعة جداً، حيث لم تشغل أكثر من نصف صفحة (٦). في حين أفرد الصفحات السبع عشرة التالية للمدرسة الثانية، ونقصد بها «المدرسة الإسلامية التي تشرف عليها السلفية الإلهية وتمدها بالقوة الروحية» - وللعوامل التي تتصل بها، وهي:

الإيمان «بالقرآن» معرفة النفس «الطبيعية» «مثنوي» (جلال الدين الرومي)، فهو حتى حين يتحدث عن معرفة النفس وعن الطبيعة، ينطلق من منظور المؤثرات الإسلامية، وكان الثقافة الغربية لم يكن لها نصيب في تعامل (إقبال) معها!

صحيح أن صدور (إقبال) كان

كذلك، إلا أنها صورة نصفية تجسد ملامح شطر من منطلق اتجاهها! أما القسم الثاني من الكتاب فيشتمل على تراجم لبعض قصائد (إقبال)، وقد ذكر المؤلف في معرض حديثه عن صلته (بمحمد إقبال) وشعره:

«واقترعت في الترجمة والنقل على الدواوين التي لم يتناولها المرحوم العلامة (عبد الوهاب عزام) بالتعريب، وكان لديوانه «بال جهريل» أكبر نصيب من هذه التراجم، وقد رتبتهما كما كتبت ونشرت، إلا أنني جعلت مقالة «في مدينة الرسول» خاتمة هذه المجموعة، لأنها من شعره الأخير، ولأن المدينة هي نهاية المطاف للشاعر المؤمن، مهما طالت سياحته الفكرية، (٧).

عليه فهو لا يعتبر تراجمه تراجم خالصة، إنما يسميها بـ «المقالة»، أي أن تراجمه أقرب إلى المقالات التي تتضمن نصوص القصائد المترجمة. فقد امتاز أسلوبه بأن يقدم للنص أو يعلق عليه أو يشرحه، أو يذكر مناخ القصيدة وجوها. وهو في أسلوبه هذا أقرب إلى منهاج الشرح منه إلى النقد، وإن كانت مقالاته لا تخلو من ملاحظات نقدية، تأتي ضمن السياق هنا وهناك، وتبقي تلك الملاحظات في أسر الإطار والتبجيل والثناء! أما معطيات الشروح والتعليقات فلا تخلو من تسليط بعض الأضواء أمام عامة القراء! لاستيعاب مضامين القصائد في حين كانت الالتفاتات النقدية والرؤية الفنية في إبراز وتجسيد جمالية النص الشعري وتقويمه محدودة. وكنا نطمح منه إلى الاستغراق في هذا الجانب، ليعوض لنا

الفقد الناجم عن عملية الترجمة.
إن المؤلف - والحق يُقال - متمكن من أداته اللغوية بالعربية، ملم بأساليبها، رصيده من المفردات ثري وغني، إنشاؤه قريب من الشعر، لا سيما أنه يتعامل مع القصيدة الناضجة أصلاً، إلا أن لنا وجهة نظر في تراجمه هذه، سنقف عندها في غير هذا الموضع - بإذن الله.

أما القصائد المترجمة التي احتواها الكتاب فهي علي التوالي:
«برلمان إبليس» (ص ٦٣)، «إلى الأمة العربية» (ص ٧١)، «في جامع قرطبة» [ص ٨٩]، «دعاء» (طارق)، [ص ٩٤]، «حديث الربيع» [ص ٩٨]، «نبأحة (أبي جهل)» [ص ١٠٢]، «رجعة الجاهلية» [ص ١٠٧]، «ساعة مع السيد جمال الدين الأفغاني» [ص ١١٠]، «في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم» (ص ١١٧).

وبعد، فإن كتاب «روائع رقبال» جهد مشكور، أمضى الاستاذ (أبو الحسن علي الحسيني الندوي) وقتاً ليس بالقصير، وطاقة ليست بالهينة في إخراجها، فهو إضافة سبت شاغراً في المكتبة العربية، خاصة أنه حلقة الوصل التي

أثبتت جدارتها، وقضت علينا احترامها. فعزقنا بشاعر مسلم أحب العرب، وعشق دينهم، وأفنى حياته في حمل الرسالة، فكان مؤشراً يُعتمد به في طريق التجديد الفكري الإسلامي لمواكبة الحياة المعاصرة. فشكر الله له هذا الصنيع، وأثابه الحسن في الآخرة.. أمين.

دواوين محمد إقبال وأعماله الشعرية
١- أسرار خودي (أسرار الذاتية)، ١٩١٥ - ١٩٥٩، ٦ طبعات، ١٣٠٠٠ نسخة.
٢- رموزي خودي (رموز نفي الذاتية)، ١٩١٨.
٣- بياض مشرق (رسالة المشرق)، ١٩٢٣ - ١٩٥٨، ٩ طبعات، ١٨٠٠٠ نسخة.
٤- بانك دار (صلصة الجرس)، ١٩٢٤ - ١٩٦٣، ٢١ طبعة، ١١٤٠٠٠ نسخة.

٥- زيور عجم (زيور العجم)، ١٩٢٧ - ١٩٥٩، ٧ طبعات، ١٦٤٠٠ نسخة.
٦- جاويد نامه (رسالة الخلود)، ١٩٣٢ - ١٩٥٩، ٤ طبعات، ٦٠٠٠ نسخة.
٧- مسافر (عن وحي زيارته لأفغانستان)، ١٩٣٤.
٨- بال جبريل (جناح جبريل)، ١٩٣٥ - ١٩٦٣، ١٢ طبعة، ٦٢٠٠٠ نسخة.

٩- بس جي بايد كرد أي أقوام شرق (ما ينبغي أن تعملي يا أمم الشرق)، ١٩٦٢ - ١٩٠٩، ٤ طبعات، ١١٠٠٠

نسخة.
١٠- ضرب الكليم ١٩٣٧ - ١٩٥٩، ٧ طبعات، ٤٣٠٠٠ نسخة.
١١- أرمغان حجاز (هدية الحجاز) - نشر بعد وفاته، ١٩٢٨ - ١٩٥٩، ٧ طبعات، ٢٢٠٠٠ نسخة.
- مجموع نسخ دواوينه (٣٠٥٤٠٠) نسخة إلى سنة ١٩٥٩ فقط.

- تجددت - بعد ذلك - طبعات كل دواوينه.
- كثير من الطبعات تُجدد وتنتشر دون الحصول علي حقوق النشر.
- وإلي جانب أعماله الشعرية ودواوينه قله مؤلفاته في الاقتصاد.. والفلسفة، وله رسائل.. وخطب.. ويوميات، نشرت بعد وفاته - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.. أمين.



قائمة بالمراجع التي يمكن الاستفادة منها لوضع دراسة موسعة عن الشاعر الفيلسوف الدكتور (محمد إقبال) رحمه الله
أ- من المراجع العربية:
● محمد إقبال: سيرته وفلسفته. الدكتور: عبد الوهاب عزّام.
● ديوان: «ضرب الكليم».. ترجمة الدكتور: عبد الوهاب عزّام.
● ديوان: «رسالة الشرق».. ترجمة الدكتور: عبد الوهاب عزّام.
● ديوان: «الأسرار والرموز»..
● فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الباكستان، الصاوي شعلان ومحمد حسن الأغظمي.
● إقبال شاعرًا ومفكرًا، اعداد: مهدي حمود الفلوجي، مطبعة الجامعة، بغداد.





أبو الحسن الندوي كاتباً ومفكراً



يقدم:
عبد الباسط أحمد

لطالما جادت أمة الإسلام بأعلام أعادوا للأمة صورة حية من حياة السلف الصالح، فكراً ودعوة وتربية وأدباً رصيناً، من بينهم بل من أجلهم الشيخ أبو الحسن الحسني الندوي، رحمه الله. وقد كتب كبار الدعاة والعلماء والأدباء عن حياة الشيخ وعن فكره وأدبه، وقد أطلعت على كتاب صغير في حجمه كبير في مضمونه، حول هذا الداعية الكبير ومؤلفاته، عرض فيه مؤلفه نذر الحفيظ الندوي الأزهرى تحت عنوان: «أبو الحسن الندوي - كاتباً ومفكراً، في ضوء مؤلفاته وكتاباته، وكما يراه علماء العرب والمسلمين وأديانهم» تحليلًا جيدًا لكتب الشيخ ورسائله ومحاضراته، على اختلاف محاورها، وتنوع موضوعاتها. وأورد بعضها من أقوال أعلام الفكر والأدب العرب عن الشيخ، وما تضمنته كتبه من أسلوب عذب، ومضامين هي في حد ذاتها مدرسة في الدعوة الواعية، عبر أسلوب يعد من شوامخ الأدب الإسلامي، ولاغرو فالشيخ من أبرز دعاة هذه المدرسة، ومن أشد مناصريها ومؤيديها.

١٩٧٧.. ويضم مجموعة الكلمات والخطب والمحاضرات التي القيت بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده.

● إقبال الشاعر الناصر، نجيب الكيلاني، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط/١، ١٩٥٩.

● حفل إحياء ذكرى محمد إقبال، الدكتور محمد حسن الزيات.

● إقبال، الشاعر والفيلسوف والإنسان، الدكتور حميد مجيد هدي.

● إقبال، مقالات في مجلة الرسالة، ١٩٣٥، كتبها: أبو النصر الهندي.

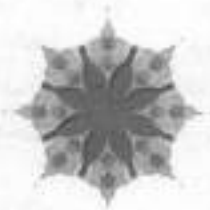
● محمد إقبال في ذكرى مولده، ندوة كلية العلوم جامعة الكويت، نقلتها إذاعة الكويت ١٩٨٢ - ١٩٨٣.

■ ■ ■

■ ■ ■ الموامش

من العراق:

- (١) الندوي، روائع إقبال ص: ٤.
- (٢) الندوي، روائع إقبال ص: ٦.
- (٣) الندوي، روائع إقبال ص: ٩.
- (٤) الندوي، روائع إقبال ص: ١٣.
- (٥) الندوي، روائع إقبال ص: ١١ - ١٢.
- (٦) الندوي، روائع إقبال ص: ٢٢.
- (٧) الندوي، روائع إقبال ص: ١١.



يحتوي الكتاب على مقدمة، يليها تحليل وجيز لواحد وثلاثين كتاباً من كتب الشيخ: مضموناً وأسلوباً مدعوماً بأقوال كبار الدعاة والعلماء، والانباء العرب والمسلمين، وختم الكتاب بكشاف للرسائل والمحاضرات، التي كتبها الشيخ، وألقاها في أماكن مختلفة من العالم.

بدأ المؤلف مقدمته ببعض أقوال كبار العلماء والدعاة عن الشيخ. فقد قدم الدكتور مصطفى السباعي، رحمه الله، لكتاب الأستاذ الندوي «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» بعد أن تحدث عن وجود حركة قوية في العالم الإسلامي، ترمي إلى الرجوع إلى الإسلام، كتشريعة تنظم شئون الحياة فقال: «... ومن أعلام هذه الحركة المباركة الأستاذ أبو الحسن الندوي مؤلف هذا الكتاب، فهو عالم مصلح، وداعية مخلص، دأب منذ أتاه الله العلم، على الدعوة إلى الله، بقلعه ولسانه، وبرحلانه الدعوية إلى أقطار العروبة والإسلام، وبجولاته الموقفة في ميادين الدعوة، حتى إنه ليعد من أبرز أعلام الإسلام والمصلحين في ديار الهند، وله تلاميذه المنتشرون في كل بلد وله كتبه ومؤلفاته، التي تتميز بالدقة العلمية، وبالغوص العميق في تفهم أسرار الشريعة، وبالتحليل الدقيق لمشكلات العالم الإسلامي ووسائل معالجتها، عدا ما يمتاز به من روح مشرقة، وخلق نبوي كريم، ومعيشة تذكر العلماء السلف الصالح، في زهده وتقشفه، وعبادته وكرامة نفسه». يضيف المؤلف أن مؤلفات الشيخ الندوي تحتل مكانة بارزة في مجال الدعوة والتربية الإسلامية، وتمتد هذه الجهود على مدى نصف قرن كامل. في كتاباته ومحاضراته، ورسائله وجولاته الميدانية، وأعماله التعليمية، والتربوية والاجتماعية، في



الشرق والغرب، بحيث سد الفراغ الهائل في مجال الكتب الدراسية التي تهتم بتعليم أطفال المسلمين عقائد الإسلام الأساسية، وتعتني بالناحية التربوية، وتركز على تعليم اللغة العربية، كما يقول. إن موهبة الشيخ الندوي تجلت في ميدان الأدب الإسلامي، عندما رأى جسوداً وثقلاً سائدين في هذا الميدان، فخرج بكتابه «مختارات من أدب العرب (١-٢)»، ومقدمة هذا الكتاب تعتبر ثورة في التفكير، وتحدياً غير عادي في مجال الأدب، فاعتُرف كبار الأدباء العرب بفضل هذا الكتاب، في فتح كوة جديدة على آفاق الأدب الإسلامي الواسعة، وأصبح الكتاب فيما بعد نواة جديدة، وقاعدة محكمة لتأسيس نظرية الأدب الإسلامي الصحيحة. يقول الأديب الكبير الأستاذ علي الطنطاوي رحمه الله في تقديمه لكتاب «المسلمون في الهند»، ص ١٥: «وإذا كان الدليل على ذوق الأديب اختياره، فحسب القراء أن يعلموا، أننا عرضنا من أمد قريب كتب المختارات الأدبية، لتتخبر واحداً منها نفسه بين أيدي تلاميذ الثانويات الشرعية في الشام، وذهب كل واحد من أعضاء اللجنة - وكلهم من الأدباء - يبحث ويفتش، فعدنا جميعاً وقد وجدنا أن أجود كتب المختارات المدرسية، وأجمعها لغنون القول وألوان البيان «مختارات أبي الحسن».

ويعرض المؤلف كذلك لبعض كتب الشيخ، التي دعا فيها إلى الإصلاح والتجديد وإعادة مجد الإسلام الغابر، فيقول: إن الباحثين والكتاب والمؤرخين، قد اعتادوا النظر إلى المسلمين من خلال التاريخ العالمي، كشعب عادي، وكامة من أمم كثيرة، ولكن أبا الحسن تخطى هذا الحد المرسوم، وخرج من الإطار التقليدي، فأراد أن ينظر إلى العالم من خلال المسلمين، فقلب الموضوع ويبحث عن «ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين»، فكان كتابه هذا ثورة في التفكير، وفي أسلوب البحث والتحليل، وتقوية لمعنويات المسلمين، وإثارة روح الثقة والاعتزاز بأنفسهم، بدينهم ومركزهم، والتهيؤ لقيادة العالم من جديد، ليردوا إلى الإنسانية اعتبارها، وإلى العالم السعادة والسلامة. وقد حاز هذا الكتاب إعجاب المفكرين والباحثين، في الشرق والغرب، واعتبروه من خيرة الكتب التي صدرت في هذا القرن بل قرروا أن قراءة هذا الكتاب فرض على كل مسلم، يعمل لإعادة مجد الإسلام.

ويضيف الكاتب أن موهبة الشيخ أبي الحسن الندوي

تجلت في الثورة على منهج تأليف التاريخ، الذي يدور حول الملوك وحاشيتهم، وحول الحروب والحوادث السياسية، المنهج الذي قاد بعض المتحمسين والمؤلفين العصريين خطأ إلى الاعتقاد أن تاريخ الإصلاح والجهاد في الإسلام مستقطع، وأن هناك ثغرات أو ثغرات في الإصلاح والتجديد، فقام الأستاذ الندوي باستعراض التاريخ الإسلامي من جديد، وتجاوز في دراسته من كتب التاريخ، الرسمي المصطلح، وتعدى هذه الكتب، إلى الكتب التي لا تحمل اسم التاريخ ولا توجد في ركن التاريخ في مكتبة، ولكنها عادة واسعة للباحثين والمؤرخين، وشمل فراغا مهما في التاريخ الإسلامي، وبهذا جاء كتابه «رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ليجلو الغبار عن الكثير من أعلام الإسلام وكذلك الذين أرسوا لهذه الأمة أسس نهضتها وقوتها.

كثير من كتب الشيخ أبي الحسن تنصب على بحث واقع المسلمين، وبيان علل المجتمع الإسلامي وكذلك الغربي، وأسباب ضعف المجتمع الإسلامي، وسبل النهوض به من كبوته، واستعادة مجده كقائد للناس في شتى مناحي الحياة، بل تعداه إلى إزالة الغبار عن مقاصد الإسلام الحقيقية، فجاء كتابه «الأركان الأربعة» ليضيف صفحة جديدة في دراسة الفكر الإسلامي، مبينا الكثير من جوانب هذه الأركان الجلية، وصلتها بالحياة، وحلها لكثير من المشكلات والمعضلات. ولا يفت الشيخ عند هذا الحد، بل يتعب مذهبا وأغيا، في تحليل الوقائع والأحداث التي هزت كيان المجتمع الإسلامي وفي نقد الأفكار الغربية وفلسفاتها وحضاراتها اللادينية. وهذا ما يتجلى واضحا في كتابه «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» و«الصراع بين الإيمان والمادية» و«نحو التربية الإسلامية الحرة في الأفطار الإسلامية، حيث وجهها إلى الطبقة المثقفة، التي تعتبر من أقوى الأسباب والعوامل وراء انحراف المجتمع الإسلامي المثقف عن الجادة، منوها بحقيقة أنه لا بد من تغيير جذري في منهج التعليم والتربية، والعودة إلى الإسلام من جديد.

بعد ذلك يعرض المؤلف لأساليب الشيخ العلمية والأدبية والخصائص البارزة لأفكاره وآرائه، ناقلا بعض الانطباعات التي أبدتها كبار العلماء والقادة والمربين والمفكرين، في العالمين الإسلامي والعربي. فمن ذلك قول

الأستاذ أنور الجندي في مجلة «رابطة العالم الإسلامي» (ص ٢١): «أسلوب الشيخ الندوي في غاية الروعة والجمال، وله قدرة عالية في البيان، وعمق الفهم للإسلام.. يستغرب الناس ويندهشون حينما يرون تنوع مؤلفات الشيخ الندوي، تتميز كلها بالإبداع، والدقة العلمية والأسلوب القوي، فيتمسكون عن منابع القوة والتأثير، والحبوبة والسحر الحلال كما يشير الأستاذ محمد المجذوب رحمه الله في كتابه «علماء ومفكرون عرفتهم» إلى أن «... لعباراته الأدبية سحرا لا يتوافر عادة إلا في العلية من أصحاب المواهب، الذين تعمقوا سر الكلمة وتفاعلو به... وتلك هي الخاصة الرئيسية، التي يمتاز بها أبدا أولو الأنواق الروحية» من المخرجين من مدرسة القرآن.

لقد جمع الشيخ بين جمال الأسلوب اللفظي والدق المصغى والحس الرفيع، وبلاغة الأولين وسهولة الآخرين، وهذا ما يشير إليه الأستاذ أحمد محمد طحان في مجلة المجتمع الكويتية، معلقا على كتاب الندوي «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» فيقول: «... كاتب إسلامي عظيم، من طبقة العلماء القلائد، الذين جمعوا بين العرض الموضوعي العلمي الدقيق، وبين المقارنة الواسعة والحل المناسب، ضمن أسلوب أدبي رصين، جمع بين بلاغة الأولين وسهولة الآخرين».

بعد هذه المقدمة يعرض المؤلف لكتب الشيخ الندوي بالتفصيل، مبينا ما امتازت به كتاباته من جمال الأسلوب وعمق المعنى، داعما تحليله هذا بأقوال كبار الأدباء والدعاة المعاصرين للشيخ. وإن كان يصعب في هذه العجالة استعراض جهود الشيخ في التأليف والدعوة، والتجديد والتأصيل، إلا أننا سنحاول وضع محاور ننطلق من خلالها، إلى بيان ما انضبت عليه جهود الشيخ، خلال رحلته الدعوية والفكرية الطويلة في الحياة، من خلال بعض كتب الشيخ التي استعرضها المؤلف في كتابه

■ منهج الدعوة

لا شك أن الشيخ يعتبر من أبرز الدعاة إلى الله في العصر الحديث فهو مدرسة في الدعوة الواعية الأمينة، بعيدا عن الغلو والتشنج، وله في ذلك جهود مباركة، بقلمه ورحلاته ومحاضراته. ومن أبرز كتب الشيخ في هذا المجال «ماذا

خسر العالم بامتطاط المسلمين»، وهو الكتاب الذي يعد من أشهر مؤلفات الأستاذ الندوي، وأوسعها انتشاراً، وهو ثورة في التفكير الإسلامي، ذلك أنه ينظر إلى العالم من خلال المسلمين بدلاً من النظر إلى المسلمين من خلال العالم، بل هو كما يقول عنه سيد قطب - رحمه الله - في مقدمته للكتاب بأنه يمثل «بالفهم العميق لكليات الروح الإسلامية في محيطها الشامل». بل هو كتاب يبين حال المجتمع الإسلامي، ويقدم الحلول لها، ويدعو المسلمين إلى العودة لقيادة العالم من جديد. ومن الكتب التي اهتم الشيخ من خلالها بأمر الدعوة كتابه «رجال الفكر والدعوة في الإسلام»، حيث حشد الشيخ في أربعة أجزاء رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ابتداء من القرن الهجري الأول وانتهاء بالقرن الرابع عشر الهجري، وبذلك سد ثغرة في دراسة التاريخ الإسلامي، بشهادة كثير من أعلام الفكر والدعوة في العالم الإسلامي، وثالث كتبه في هذا المجال «إلى الإسلام من جديد» وهو عبارة عن مجموعة محاضرات ينصح فيها الشيخ الأمة المسلمة بالعودة إلى مكانتها كامة معلمة مرشدة، في عالم مشحون بالجراح والآلام جراء كفره بالله وبيته، هذا بالإضافة إلى العديد من الكتب والرسائل والمحاضرات في مجال الدعوة الإسلامية.

■ مخدو النبوة

أدرك الشيخ أبو الحسن أن لا نهضة لهذه الأمة إلا بتربية أجيالها من الأطفال والشباب على أسس واعية تدرك عظمة دينها، وتنبهه إلى الناس بعيداً عن التهمج واللغة. وقد



برع الشيخ في هذا المجال، وتعددت فيه كتبه. ومن أبرز كتبه في هذا الميدان «التربية الإسلامية الحرة» و«العقيدة والعبادة والسلوك» و«الأركان الأربعة»، راعى الشيخ فيها فهم الجيل المعاصر وتفسيره وثوقه، بأسلوب عصري قمة في البيان، وهذه المجموعة من الكتب تصلح لأن تكون دليلاً إلى الاعتقاد السليم المطلوب، والسلوك الإسلامي الجامع، وتستوفاً لحياة المسلم، الطالب للحق، الباحث عن الأسوة النبوية، في الأعمال والأخلاق.

■ مخدو المير والفراخ

لم يكن الشيخ يقصد من وراء تراجم أعلام الدعوة والفكر في الإسلام، إلى مجرد السرد التاريخي لهذه الأسماء، بل عني بما وراء هذه الشخصيات، من فكر ودعوة تحفز الشباب المسلم على اقتفاء أثرها في الجهاد لنصرة دين الله، في شتى ميادين الحياة. ومن أبرز كتبه في هذا المجال «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» في أربعة أجزاء استعرض فيها جهود المفكرين والدعاة المسلمين، من القرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الرابع عشر، بالإضافة إلى كتب أخرى يطالع القارئ أسماءها ومضامينها في الكتاب موضوع هذا العرض.

■ مخدو الأدب الإسلامي

من يقرأ كتب الشيخ الندوي يدهش للأسلوب العذب والبيان المتألق لكتاباته. فلا يكد القارئ يبدأ أول صفحة من أي كتاب للشيخ، حتى يتعلق به ويتوقف عنده حتى ينتهي منه. وقد اهتم الشيخ بمفهوم الأدب الإسلامي، وسانده كل المساندة، وهذا ما تجلى واضحاً في كتبه القيمة من مثل: «روائع إقبال» و«روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة» وغيرهما. وقد تجلّى في هذه الكتب الصفاء الذي يتمتع به الشيخ في الأسلوب، والغنى في الألفاظ، والسلاسة في التعبير.

وفي الختام، فإن الشيخ أبا الحسن، رحمه الله، علم من أعلام الفكر الإسلامي مضى، وعزير أن يأتي الدهر بمثل من مضى، وكتاب «أبو الحسن الندوي مفكراً وكاتباً» كتاب جدير بالغراءة، ذلك أنه يعرف بالشيخ أبي الحسن وكتبه تعريفاً موجزاً وممتعاً، يمكن القارئ من قراءة كتب الشيخ باستيعاب لمضامين هذه الكتب، وتذوق للأسلوب الذي كتبت به.

أبو الحسن الندوي

أول من عرفنا من علماء شبه القارة الهندية

أول من عرفنا في الجزائر،
ونحن طلاب في الجامعة،
خلال السبعينيات
والثمانينيات، من القرن
العشرين الميلادي، من علماء
شبه القارة الهندية، في العصر
الحديث. الشيخ أبو الحسن
الندوي، مقرونا بالمفكر أبي
الأعلى المودودي. وهذه ظاهرة
معروفة في ميدان العلم والفكر
والأدب، تتجسد في عدد من
رجال الإسلام، كالذي عرف
في المرافقة التاريخية بين
الخلفاء الراشدين: أبي بكر
وعمر وعثمان وعلي، رضي
الله عنهم، والمقارنة التي
عرفت في ميدان الجهاد
والفصاحة بين القعقاع وبين
أبي عبيدة الجراح وعمرو بن
العاص وغيرهم. وفي ميدان
الفقه كانت المقارنة بين الفقهاء
الأربعة.

بقلم الدكتور

محمد هيشور

ومن علماء الحديث عرفنا صاحبي الصحيحين البخاري ومسلم، يضاف إليهما أصحاب السنن. وفي ميدان الفلسفة عرف ابن سينا وابن رشد والفارابي وغيرهم. والسنة نفسها جرت في ميادين أخرى: كالتفسير والتاريخ والأدب، والتي لها مثلها في تاريخ النهضة الحديثة، حيث نعرف الشيخ محمد عبده وإلى جواره الشيخ رشيد رضا، والشيخ عبدالحميد بن باديس وإلى جواره الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، إضافة إلى معرفة العالمين الشيخين يوسف القرضاوي ومحمد الغزالي، وكأنهما توأمان، والعلم رحم بين أهل. فهذه سنة جارية وظاهرة صحية، حيث يعرف أهل الفضل بذويهم، إن على مستوى الدعوات والحركات أو على مستوى الأفكار والأفراد. ووفق مقتضيات هذه السنة وتدابيرها كان من مصادر معرفتنا بالشيخ أبي الحسن الندوي ما يلي:

ما تضمنته الآثار التاريخية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ١٩٣٦م - ١٩٥٦م والثورة الجزائرية ١٩٥٤ - ١٩٦٢م، حيث يوجد في أرشيفهما أخبار: عبارة عن مقالات ومراسلات، تكشف عن وجود صلات وروابط بين الجزائر والكثير من أقطار العالم الإسلامي، ومنها بلاد الهند، من خلال أبي الحسن الندوي في رسالة بعث بها إلى الأستاذ الفضل الورتلاني أحد علماء جبهة العلماء الجزائريين ورجالات الثورة، بعد لقاء جمعا في دمشق، ثم بعد العودة إلى الهند بعث له برسالة جاء فيها بعد تقديم تحية مسلمي الهند والباكستان للمجاهدين الجزائريين ما يلي:

عزيزي الكريم وأخي في الله، السيد الفضل الورتلاني، بارك الله في أعمالكم وتقبل جهادكم، وحيالكم أطيع تحية، وبعد، فلقد ازداد تأثري واشتد ألمي من قضية شقيقتنا الجزائر، بعد اجتماعنا الأخير، حتى وددت لو أنني كنت هناك، في جبالها أو سهولها أحصل البندقية، إن كان نفسي في حملها، أو تؤدي أي عمل مفيد، يشرفني بالانتماء إلى المجاهدين، ويحشرنني في زمرة يوم القيامة، وقد يبدو هذا الذي أتمناه أنا والمستضعفون من أمثالي، ليس بالأمر المهم، الذي يجعل لقضية الجزائر النصر والنهاية، لأن عصب الحرب في كل زمان ومكان، هو المال الذي لا يملك منه أمثالي، ما تقام به الحروب، وتدفع به الجيوش الجرارة، هذا صحيح، ولكن الأصح منه، أن القليل من المادة بيد مؤمنة ثابتة مستميتة، أقوى ألف مرة من كثيرها في يد حريصة على الحياة، مرتجفة متخاذلة، والشاهد على ذلك اليوم، قائم في الجزائر محسوس، أما في ماضيها المجيد، فأيام محمد

ﷺ وأيام أصحاب محمد، كلها شواهد كالنجوم، في بريد أخبار الحركة الإسلامية العالمية، التي تناقلتها وسائل الإعلام يومئذ، ومنها الكتاب الإسلامي الذي وصلتنا ضمنه قائمة من كتب الشيخ أبي الحسن الندوي، التي يكاد يكون لكل كتاب منها قصة لي معه ومنها:

«كتاب ماذا خسر العالم بإحطاط المسلمين»، هذا الكتاب الذي أخذ شهرة عالمية كبيرة، كانت له شهرة مثيلة في الجزائر خلال السبعينيات، حينما أحمرت سماؤها، وقد أريد لها ذلك من فئة كانت يومئذ اشتراكية، وأصبحت اليوم علمانية، لها نظيراتها وأشباهها في كثير من أقطار العالم العربي والإسلامي، إن لم أقل فيها كلها، هذا الكتاب قرأناه في تلك الفترة عبر الصحف، أي بطابور الانتظار: الأول فالأول، وظللت أشتاق له وكأنني أريد اقتنائه واحتضانه إلى أن حصلت عليه في منتصف الثمانينيات، وأعدت قراءته مرة أخرى ولكن هذه المرة لعلها كانت بفهم ووعي أكثر، ثم حينما قدر لي أن أدرس مادة حاضر العالم الإسلامي في الجامعة الجزائرية، كان من أهم مصادر الفكرية لإعداد المحاضرات، كتابات أخرى مثل «ربانية لا رهبانية»، «كيف دخل العرب التاريخ»، «التاريخ الإسلامي بين المد والجزر»، ومما يشد الانتباه في هذه الكتابات، هو حسن اختيار العنوان، وانتقاء الموضوع، وكان المؤلف يريد أن يطلع القارئ على الكتاب من خلال عنوانه وبمجرد قراءته، ويبدو أنه كان يقصد إلى ذلك قصدا متعمدا، أو يهتدي إليه بتجربته وخبرته، وموهبته التي تلصح عنها مؤلفاته، التي تتميز وكأنها كتابات وليست مؤلفات، بمعنى أنها ليست معزولة في دائرة الأكاديمية، وإنما في متناول القارئ العام، المطلع في ميدان الحياة اليومية.

■ ■ ■ الأهم والشعوب والتاريخ

وهذا من طبيعة الكاتب، الذي يريد أن يبلغ رسالته في أسرع وقت، ومن أقصر طريق: أحتي لا يثقل على قارئة وتلميذه، ولعل هذا واضح في كتابه «كيف دخل العرب التاريخ»، الذي هو عبارة عن سؤال، يتضمن المحتوى جوابه، الذي بين فيه المؤلف أن الأمم والشعوب تدخل التاريخ من عدة أبواب كالحروب والغزوات وأن العرب كانت أمامهم عدة أبواب هيئوا لدخول التاريخ من خلالها مثل:

أ - الغزو: فقد كانوا أمة شديدة البأس، وقد دامت الحروب بينهم السنوات الطوال، كنحرب ناهس والغبراء، التي استغرقت أكثر من أربعين عاما، وما لانت سنينهم، وما

خارت عزائمهم الحربية.

ب - التجارة والمال: والعرب أصحابها وقد قادوا رحلة الشتاء والصيف، وجاسوا خلال ديار الدنيا بها، وساحوا على خريطة العالم، يصدرون ويستوردون، فوصلوا الشام والصين والهند ذاتها.

ج - البلاغة والفصاحة: وهم أربابها وربانها، ولكن هذه كلها بقت سجايا، هيأهم القدر الرباني من خلالها لاستقبال الإسلام، مع أنها كانت أبوابا كبيرة، دخلت منها كثير من الأمم: كاليونان والروم والفرس والهند التاريخ الحضاري. قلله در العرب، وكيف شاء الله لهم أن يدخلوا التاريخ من باب آخر، وهو أشرف أبوابه، حيث حملوا رسالة رب العالمين، الدينية والحضارية الإنسانية، فكان لهم شرف التكليف ومسؤولية الانتماء، لو كان أكثرهم يعلمون.

من كتابه أبو الحسن الندوي الأدبية

■ مدرسة شبه القارة الهندية العربية الإسلامية

يبدو أن أبا الحسن الندوي انطلق في حياته الأدبية مما أسماه بـ «مدرسة شبه القارة الهندية العربية والإسلامية» و«المدرسة الأدبية الإسلامية الهندية» (٥) وعلى وجه التحديد من تراث المفكرين الأدبيين الكبارين جلال الدين الرومي ومحمد إقبال، ثم راح يستمد وجوده من خارج شبه القارة الهندية، حيث سلم عقله وقلبه لعطاءات الحضارة الإسلامية المعرفية القديمة والحديثة، وخاصة المشرق العربي، لما نجده في كتابه «مذكرات سائح في الشرق العربي» تضاف إليه إفادته واستقاداته من مثقبات الفكر الإسلامي في الجزائر، التي أتاحت له فرصة الاطلاع على جزء من تاريخها وثقافتها، ثم اطلع من خلالها على المغرب العربي عامة، فكانت تكتمل لديه الصورة، عن الوضع الحضاري القديم والحديث للوطن العربي، وقد أعانه على ذلك تمكنه من اللغة العربية، التي عززت فهمه للإسلام، ومعارفه العقدية والتعبدية، والفكرية الحضارية وبذلك تأسست لديه فكرة إسلامية المعرفة، التي شغله عنها أكثر شيء الأدب الإسلامي، الذي كانه كان يأبى أن يدخل الأدب إلا من بابيه الإسلامي، هذا المصطلح الذي ظل منظرو الإسلامية الحديثة، أو العالمية الإسلامية الثانية يبدعون وينظرون داخل دائرة مفهومه، ولم يجدوا اسمه إلا بعد حين، فكان أن عرف مصطلح إسلامية المعرفة، والتفسير الإسلامي للتاريخ، والاقتصاد الإسلامي، وإلى جانب هذا عرف مصطلح الأدب الإسلامي، الذي كان

أبو الحسن الندوي قد دعا إليه في مجمع اللغة العربية في دمشق سنة ١٩٥٦م، ولعل الفكرة بقيت تختصر في ذهنه، وإلى جانبها يسكن كيانها هاجس الدعوة إلى هذا الأدب، إلى أن توافرت له عوامل التضج والوعي، فطرح قضايا النهضة والتحضر في الإطار الإسلامي، فظهرت مصطلحات تنتمي إليه: فأضيفت إلى مفردات اهتمام أبي الحسن الندوي الدعوية والفكرية والتاريخية مفردة أخرى، وهي الأدب الإسلامي، فانبهر لها إلى جوار أخيار آخرين يؤسسون رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

هذا الأدب الذي ما زالت تكثر فيه الاجتهادات، وتتوالد فيه الآراء في كل حين، وكان هذا الأدب أبي أن يغادر مرحلة التعريف والتأسيس لدى بعضهم، وعلى كل فإن الأدب الإسلامي نأثرته واسعة، وله مرونة القابلية للآخر، على أن يستوفي شروط الموضوعية، ومقاييس النقد العلمية، وهو لا يرفض الآخر من خلال ما اختلف فيه معه، وإنما يقبله من خلال ما اتفق فيه معه.

ولو كان قليلا، ولا يأخذ بمقولة من ليس عني فهو ضدي. ولعل نظرية الأدب الإسلامي تلزم قاعدة الأمور بمقاصدها، وخاصة وهي في طور التأسيس، وإن كان من أدبياتها وأخلاقياتها قاعدة الغاية لا تبرر الوسيلة، وغايته هنا أن يكون الأثر الذي يتركه الأدب، مرغبا في القيم الخيرية، والمبادئ الإنسانية، دافعا إلى الاقتراب من الإسلام، بل الدخول فيه: لأن من الأصول

في رسالة الأدب الإسلامي أن يعرف بالإسلام.

ولعله بعد هذا يجدر بنا التعريف ببعض كتابات أبي الحسن الندوي الأدبية، التي أتخيل أنها منه بمنزلة الأبناء والأحفاد من أيهم أو جدهم، يحبهم كلهم، ولكن يخض أحدهم أو إحداهم بحب زائد، لأسباب يعلمها أو لا يعلمها، وإنما يجدها في نفسه، ومن هذا المنطلق يبدو أن منزلة كتاب «ماذا خسر العالم بالانحطاط المسلمين» هي أعلى منزلة عند مؤلفه، يعرف هذا من خلال ما أشاد به في سيرته الذاتية «في مسيرة الحياة»، ولعل هذا الكتاب اكتسب هذه المنزلة من كونه باكورة أعمال صاحبه وما ناله من قبول لدى القاري. وإذا كان هذا الكتاب يعترف صاحبه، أنه ذو موضوع خطير، وكان من الأفضل أن يتناول كاتب أكثر



■ الشفلوطي



■ طه حسين

اطلاعا وأوسع تجربة وأوفر معلومات (٦)، لأنه يبدو أن المؤلف أعد كتابه وهو في مقتبل العمر، فاحس بأن لدى غيره من التجربة والمعلومات ما يمكن أن يخدم به موضوع كتاب «ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين»، أكثر مما خدم به أبو الحسن الندوي. ولعله عن اللياقة أن نترك الفرصة لصاحب الكتاب، ليتحدث في تجربته مع مؤلفه ولو باختصار. حيث عرفنا أن موضوعه سيظهر على تفكيره ومشاعره، وأخذ عليه سجام قلبه، لكونه باكورة كتبه، وكتابته بالعربية وهو يومئذ لم يتمكن من قواعدها وأساليبها. قلعه أول كتاب يصدر له بالعربية، إضافة إلى أنه ألفه في أجواء الحرب العالمية الثانية. كان قد انقطع عنه فيها البريد الثقافي المعرفي، ومنه البريد بين البلاد العربية والهند، فشحت المراجع لديه. وهو ما تهب يستدركه في الطبوعات الأخرى، ويرجو ملاحظات القارئ حوله. والتقديم للكتاب مرة أخرى، كالمقدمة التي كتبها له سيد قطب رحمه الله خلال الخمسينيات، والكتاب طبعته الأولى من إصدارات الأربعينيات (٧) ولعله من هنا إذا كان كتاب «ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين» أحب كتب الندوي لنفسه في ميدان التاريخ والفكر، فإني أرى أن أحب كتبه إليه في ميدان الأدب: هو كتاب «مختارات من أدب العرب».

■ لكل كتاب قصة

يضاف إلى هذا أن تجربة التأليف تبين أنه يكاد يكون لكل كتاب قصة لدى صاحبه. وقصة هذا الكتاب هي أنه ألف لغرض تعليمي، فتقرر في برنامج دار العلوم «ندوة العلماء» بالهند، وهي مدرسة - بل جامعة - لها أعلامها وتقاليدها العلمية والمنهجية الأكاديمية العريقة، التي استمدت منها فكرة وضع كتاب أو مختارات في الأدب واللغة، تتضمن نماذج عالية من أدب العرب، من القرن الهجري الأول إلى العصر الحديث، بعد التصدير بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ليحقق الكل مقاصد وغايات، كتحرير اللغة والأدب العربي من قيود السجع والتكلف، والتعبير عن العواطف والمشاعر، والتصورات السليمة والمقاصد السامية، وكانت هذه الفكرة هي الدافع الأساس إلى تأليف هذه «المختارات» (٨). يرى المؤلف أنه بناء على هذه الفكرة أقيمت الندوة العالمية للأدب الإسلامي بتاريخ ١٧ - ١٨ أبريل ١٩٨١م التي حضرها لفيف من الأدباء العرب. هذا ومع العلم أن فكرة الأدب الإسلامي هي أقدم في وجدان أبي الحسن الندوي وذهنه من هذا التاريخ؛ فقد ولدت في

نفسه يوم أحس أن الطرح التعليمي والتربوي لما يسمى بالأدب العربي من خلال نماذج مختارات يطرحها آخرون، لا تتفق والطموحات الحضارية، التي تتبناها الدعوة الإسلامية، التي يعد أبو الحسن الندوي واحدا من قادتها، وهذا ما دعاه إلى أن يعترف في محاضرة له بالمجمع العلمي في دمشق سنة ١٩٥٧م أن أدب العرب في حاجة إلى عرض جديد لتاريخه، تستخرج منه الجواهر واللآلئ، التي لم نزل مغفورة ومطمورة تحت تراكمات التراث التاريخية، وهو ما ينبغي لفت أنظار الدارسين والعلمين إليه (٩) هذا إلى جانب وجود مادة أدبية خارج إطار المصادر والمراجع الأدبية، المتعارف عليها تاريخيا، وفق مقاييس منهجية وتعليمية، وضعت من قبل مؤلفين أصحاب رأي وأيديولوجية، ثم التزامها الأجيال من ورائهم، وسارت عليها وكأنها مسلمة، من غير أن تدري هذه الأجيال من معلمين ومتعلمين، أن هذه المقاييس المنهجية لا تحقق إلا مقاصد واضعها. ولهذا كان أبو الحسن الندوي واحدا من الذين استدركوا على المنظومة التعليمية، ومسار الأمة الإسلامية الحديث، استدراكات نبهوا من خلالها إلى وجود منهج آخر، يوسع دائرة الأدب فيدخل فيه أدباء آخرون، يستفون، وفق مقاييس منهج المسار المتبع، ضمن قائمة المؤرخين أو الفقهاء أو المفكرين الخ... مع ما لهم من انتاجات تنضج بماء الأدبية. مثل الحسن البصري والمسهودي وابن الجوزي والغزالي وابن تيمية وابن خلدون وغيرهم... ولعله من هنا حقق كتاب «مختارات» نجاحا كبيرا. فتقرر في كثير من المدارس والجامعات، وإن كانت أخرى عملت برأي «أنظر إلى من قال ولا تنظر إلى ما قال» (١٠) والذي يهم أكثر في هذا المجال هو ميلاد فكرة الأدب الإسلامي ونموها لدى المؤلف وتلاميذه وزملائه، من خلال كتاب «مختارات من أدب العرب» الذي هو كتاب مرجعي لهذه الفكرة، وكأنه كان مضمونا يبحث عن الاسم فقط، وينتظر ميلاد مصطلح الأدب الإسلامي. وهذه حقيقة قد تنطبق على كتابات أبي الحسن الندوي الأدبية الأخرى، بل ربما حتى على كتاباته الفكرية والدعوية والتعليمية، يضاف إليها ما يكون قد دعم به دروسه التطبيقية، ومحاضراته الوعظية، التي كان يحاول أن يستجمع لها قوة الحجة العقلية والصورة الأدبية، ليجمع قلمه ولسانه، بين منطق العقل وأسلوب العاطفة العذب. وهو ذاته يعترف أنه كان يغترف من مدارس الكتاب العرب المختلفة فيقول: «كانت لدي مقالات أدبية خالصة، تجد أمثلتها في كتابات مصطفى لطفي المنفلوطي، ومصطفى صادق الرافعي والدكتور طه

حسين ومقالات علمية تحليلية ناقدة، نرى أمثلتها في كتابات أحمد أمين وعباس محمود العقاد. ولم يكن قد طلع يومئذ في الأفق العربي الإسلامي نجم سيد قطب ومصطفى السباعي وعلي الطنطاوي، ولا كانت تصل إلينا كتب الإخوان ورسائلهم، بل لعلي كنت أجهل اسم الشيخ حسن إيليا لذلك لم يكن لي إلا أن أبتكر أسلوباً، وأنهج منهجاً جديداً (١١) إلا أنه يرى أن اللغة العربية كانت تنقصها يومئذ مقالات، تمتاز بالثقة والحماس، والاندفاع الداخلي، والحرارة الإيمانية المتدفقة، وتجمع في الوقت نفسه قوة الاستدلال، والجد والرزاق، والعفوية والتدفق (١٢).

■ الحزير يغيبور التاريخ

والتأمل في هذه النظرات والأفكار يعرف أن صاحبها كان يريد شيئاً، ويبحث عن غاية تدفعه إليها عوامل، فيتمسك لها الأساليب، والطرق المؤدية إليها، وهذا شأن الذين يغيبورون التاريخ، ويسهمون في بناء الحضارات، فمن قد لا تنضح لهم الغاية كلية يلتزمون سنة التدرج، فلكل مرحلة ظروفها الحضارية، التي تقتضي مواصفات خطاب، على أن توصل المرحلة السابقة إلى لاحقتها، وهكذا يتم الإبداع على الطريق فتتجمع عطاءات المراحل، لتكون عطاء حضارياً عاماً، إن لم يوصل إلى المقاصد النهائية، التي قد تكون غاية لا تدرك، فإنه يوصل إلى أجزاء منها، على أن يبقى السير نحو الكمال الإنساني، والمزيد من الازدهار الحضاري غاية كبرى، تقسح المجال أمام حركة الإبداع، والاكتشاف والاختراع، لتحقيق غايات ومقاصد حضارية أخرى، من خلال الأسلوب الأدبي، أي في إطار منهجية الكتاب الأدبي، الذي عول عليه أبو الحسن الندوي، في تحقيق غاياته الدعوية الحضارية. فكان من أهم ما أنتجه في المادة الأدبية كتاباته التالية:

١ - «مختارات من أدب العرب»: وهو كتاب يدل اسمه على مسماه، أي محتواه، ومنه يعرف مستوى الحس النقدي، والتذوق الأدبي، الذي انتقى من خلاله عيوننا من الأدب العربي، أو أدب العرب كما سماه. وهو كتاب يفيد أكثر لأن يكون ضمن مقررات البرنامج المدرسي التعليمي، فهو يشكل مواجعة للبرنامج الآخر، القائم على أساس الانتقاء أو الاختيار الآخر، الذي يصطفى من تراث العربية ما يخدم أغراضه وأهدافه، ويصرف النظر عما يصدم نيته وأفكاره. كما نجد هذه الطريقة البيئة لنية السوء، تختار مثلاً شعر اللجون لأبي نواس، ولاتعباً بشعر توبته وزهده، الذي يمثل عيوناً رائحة من أدبه، وكان أدباء قديمهم المحظوظ وفيهم ما هو

دون ذلك. ولذا فالكتاب يضع أمام القارئ والفكر والأدب والناقد مادة للتفكير والتأمل والإبداع، ولإعادة التقويم، وقراءة التاريخ الإسلامي، والتاريخ الأدبي منه خاصة. وهذه حقيقة تدفع إليها خلفيات ذهنية وفكرية ذات تكوين، فتميز له مقاصده وغاياته الحضارية. وهو ليس بدعا من أصحاب فكر معين، بل هو ظاهرة عامة شاملة، يتخطى بها كل أصحاب التوجه والرأي في الحياة.

٢ - «نظرات في الأدب»: وهو كتاب صغير، من منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، صدرت طبعته الأولى سنة ١٤١١ هـ الموافق ١٩٩٠م بمقدمة مطولة من الدكتور عبد الباسط بدر، جاء فيها أنه كتاب يتميز بنادرتين هما:

■ إنه إنتاج قلم جمع صاحبه ثلاث تكوينات أساسية، هي الأدب والفكر والدعوة إلى الله.

■ إنه كتاب تنظير وتعميد للأدب الإسلامي، وهي عبارة عن بيان مبادئ هذا الأدب القديم الجديد، يؤصل بشكل مباشر وغير مباشر لتقاليد وأعرافه ونظرياته.

هذا بالإضافة إلى أن الكتاب يقصص بصورة واضحة عن الحس الأدبي الإسلامي لدى أبي الحسن الندوي أكثر من سابقه. مع أن قليلاً من المثقفين فقط يعرفون العنصر الأدبي في شخصية الكاتب، ولذا ربما فاجأت كتبه الأدبية قارئة لها إلا ماندر، من الذين أحسوا أدبيته من خلال أسلوب

كتابات الأخرى، ولمسوها في ألفاظه ومفرداته المستعملة، وعباراته وجملة المنتقاء، ووعي حضاري عام، وحس أدبي مثبصر.

■ المدعوة الأدبية الإسلامية الهندية

هذا وإن الكتاب قد تضمن موضوعات صوفية وأدبية أخرى، يدور كلها حول الحياة العلمية والنقدية والأدبية في الهند، كالتطرق إلى أدب صوفي في شبه القارة الهندية، والمدرسة الأدبية الإسلامية الهندية (١٣)، والإشارة إلى موضوعات من أدب جلال الدين الرومي.. وهذه مجموعة إلى جوار جملة نظرات أخرى كثيرة، قد لا تحصي عدداً إذا تتبعنا أطرافها وأجزاءها، ولكن أبرز النظرات الكبرى فيها



■ سيد قطب



■ العقاد

هي النظرة إلى أدب الشعب الهندي الإسلامي. التي خصها الكاتب بشبه فصل تحت عنوان «لمحة عن المدرسة الأدبية الإسلامية الهندية، أتبعها بتطبيقات من إبداعات جلال الدين الرومي، وتوجيهات إقبال الأدبية وهي حقول أدبية معرفية، يمكن أن يطلع القارئ من خلالها على ما وراء حدود الدائرة العربية، من معارف والأدب والفكر الإسلامي. وهي عطاءات تعد جزءاً مهماً من عطاءات الإنتاج الإسلامي العام.

٣ - روائع إقبال: وهو كذلك ركز على ما رآه روائع من فكر إقبال وأدبه، وإن كان ترك روائع أخرى وراء ما انتقاه واختاره من روائعه. ولعل الكاتب لو وظف «من» للتبويض لكان التعبير أفضل وأدق. ولكن يبدو أن استعصال الألفاظ التي تفيد العموم، في مؤلفاته الأدبية التنظيرية هذه الثلاثة تحقق الغاية ذاتها. وهي عناوين معنائة ومستدولة في عالم التأليف، والمختارات، النظرات، الروائع، لعلها عنونت الكثير من الكتب؛ فهي ليست ألفاظاً جديدة على ظهور الكتب، ولكن الجديد يأتي حيث توضع هذه الألفاظ أو المصطلحات عناوين للمحتوى والمضمون، فالاختيار أو النظر يخضع لخلق الكاتب الفكرية والمنهجية المعتمدة، وللأسلوب الذي يميزه عن غيره. وهذه الحقائق هي التي تؤهل الكاتب لبيدع في المألوف المعتاد. وهي التي تظهر عبقريته حين يأتي بالجديد في هذا الميدان أو ذاك. أما إذا كان الموضوع بركا غير مطروق فإن كل كاتب ومؤلف يمكنه أن يأتي بجديد فيه. ولعل هذا ما وفق أبو الحسن الندوي فيه، حين اختار من أدب العرب غير ما اختار غيره، ونظر في الأدب غير نظرة الآخرين، فتميز بحسن الاختيار وحسن النظر؛ فتجلت قدرته وعبقريته، حيث أبدع في مألوف وهو الذي قال «إن موضوع شعر إقبال وفلسفته من الموضوعات التي تضجت واحترقت، ولا أعرف شخصية ولا مدرسة فكرية في العصر الحديث تناولها الكتاب والمؤلفون، من مؤرخين وفلاسفة وأدباء ونقاد مثلاً تناولوا هذا الشاعر العظيم. حتى قدر عدد ما صدر فيه من أبحاث ٢٠٠٠ ما بين كتاب ورسالة» (١٤).

ولعل من أسرار نجاح أبي الحسن في التأليف في فكر إقبال وأدبه حبه الشديد له منذ الصغر، وقد عثر عن هذا في أحد فصول الكتاب تحت عنوان «صلتي بمحمد إقبال وشعره»، وهو واحد من أهم الفصول التي عبرت عن حسن تعبير أبي الحسن الندوي، عن صلته بالأديب والشاعر الإسلامي الكبير محمد إقبال، ثم واصل المؤلف حديثه عن روائع إقبال، ليظوف من خلالها في ثقافة صاحبها، التي

غطت مناطق من مساحة خريطة العالم الإسلامي؛ الجغرافية والتاريخية والحضارية، حيث تطرق إلى أجزاء من ثقافة شبه القارة الهندية، ليتوجه إلى الأندلس، ثم ليعود إلى العصر الجاهلي العربي، ثم إلى فلسطين، ثم إلى مدينة الرسول ﷺ، ليطلق أفكاراً وآراء في واقع الحياة المعاصرة، والتاريخية القديمة والحديثة، وهي رحلات زمانية ومكانية، وجولات تأملية فكرية تقصع عن حقائق كثيرة، لو تتبعها القارئ لأفاد الكثير، واكتشف العديد من الروائع الأخرى الكامنة وراء ما أشار إليه المؤلف من روائع إقبال، بعضها في الحقل الأدبي مثل «نظرة محمد إقبال إلى العلوم والأدب»، و«من شعر إقبال»، و«الحقائق التاريخية في شعر إقبال» وبعضها الآخر في حقول أخرى حول الأدب والفكر مثل «الحضارة الغربية»، و«التربية الغربية»، إلى آخر الموضوعات المطروحة في هذا الكتاب.

٤ - الطريق إلى المدينة: لهذا الكتاب قصة، لعلها أطرف قصص أبي الحسن الندوي عندي أو معي، وإنني أستأذن القارئ الكريم لأحدث عنها، ومنها بدايتها الأولى التي ترجع إلى أيام الطفولة، وقد تعلقت بالأدب الأندلسي تعلقاً شديداً، مما كنت أسمعه عن الأندلس وحضارتها، من حكايات شعبية تحدثنا أن المسلمين سكنوا أرضاً تسمى الأندلس، مايزيد على ثمانية قرون، ثم فروا منها تحت ضربات العدو، حين نصبت لهم ما يسمى بحاكم التفتيش، وهي أفران ومعاقل للتعذيب، فنزحوا إلى مناطق من المغرب العربي أو الشمال الإفريقي، ومنها الجزائر ومنها منطقة الغرب، وخاصة منطقة تلمسان التي سزال الكثير من سكانها يحملون ملامح البشرة الشقراء حتى اليوم، وكان لعلماء الأندلس فضيلهم العلمي والثقافي، على هذه المنطقة وما جاورها، من هذه الحكايات تكونت في نفسي رغبة شديدة لمعرفة الأندلس وحضارتها، إلى أن كانت المرحلة الثانوية، فجاءنا أستاذ مادة معرفية تسمى الأدب الأندلسي، فشدت رغبتني أكثر فأكثر، ورحت أجمع كل ما أستطيع جمعه عن الأندلس، ومع أبي عمشت طفولتي في بداية استقلال الجزائر، فقد كانت المادة المعرفية الأدبية والتاريخية شحيحة بين يدي، إلى أن من الله عليّ بدخول الجامعة، وتلذذت أشي ساستزيد معرفة واطلاعا على الأندلس، وحضارتها وتاريخها وأدبها، ولكن المفاجأة كانت أن الرياح قد تجرئ بما لا تشتهي السفن، حيث نخل علينا أستاذ المادة في الجامعة، عن الإخوة العرب الأشقاء، فأغاثت رغبتني في معرفة الأندلس وأعدها في كياني ووجداني. ومن خلال كل ما قدم لنا من طلاسم وأرقام، واتصالات

وإبحاث، وأفكار وإيديولوجيات حمراء - كانت تريد إخضاع معطيات تاريخنا الحضاري لرغباتها - سميت كلها أدبا عربيا زهدتني في الأدب، فقدمت على اختيار هذه الشعبة في الجامعة، وتنبئت لو أنني اخترت قسما آخر، كالتاريخ أو الفلسفة، أو انخرطت في كلية أخرى، كالحقوق أو الإدارة، لعلي أجد رغبتي في معرفة ضالتها في تاريخنا المعرفي الحضاري، ولكن سبق عليها القدر، وذات يوم وأنا أقرأ كتابا وجدت من مراجعه عنوان كتاب يسمى «هاتف من الأندلس» وهي قصة أدبية للاستاذ المرحوم علي الجارم. وكان الأندلس هاتفني من خلالها، يدعوني إلى العودة إلى الأدب، ولكن هذه المرة لأدب آخر يسمى الأدب الإسلامي، وهو غير الأدب الذي تلقيناه في الجامعة، ولكن أخي القارئ، لم أحصل على كتاب «هاتف من الأندلس» حتى هذه اللحظة.

■ المنطق والجحافل ■

ولذلك ربما لم تكن قد اكتشفت عودتي للأدب الإسلامي بعد، وانضحت لي ملامحه الإبداعية، إلا من قراءة كتاب آخر وهو «الطريق إلى المدينة» لولانا الأستاذ أبي الحسن الندوي هذا الكتاب الذي زودني بالرؤية الإبداعية في الأدب الإسلامي، إلى جوار كتابين آخرين للكاتب نفسه في المجال نفسه، وحتى في الميدان النظري هما: «مختارات من أدب العرب» و«نظرات في الأدب» وقد سبقت الإشارة إليهما، وهذه الكتب الثلاثة قد تيسرت لي قراءتها بفضل الله، وهي أبرز خلاصة في أدبية أبي الحسن الندوي، إلى جانب مقالات في الأدب استأثرت بها مجلات مثل مجلة «المسلمون» خلال الخمسينات من القرن العشرين الميلادي، ومجلة «البعث الإسلامي»، و«المجتمع»، بالإضافة إلى مجلات في اللغة الأوردية والتركية، هذه المجلات التي لعلها تضمنت مقالات صارت فيما بعد من مضامين كتبه، وهذه ظاهرة واضحة في ميدان الكتابة والتأليف، وليست بدعا من أبي الحسن الندوي، تتجلى في الكثير من كتبه من خلال ما يوثق به الفصول منها، مثلما نجد في كتابه «نظرات في الأدب» كوثائق فصل لمحة عن المدرسة الأدبية الهندية منه، وهو أشد فصول الكتاب عاطفة، وإن كان الكتاب كله يفصح عن قدرة أدبية رائعة لدى أبي الحسن الندوي، تفيض بالعاطفة الإيمانية، هذا إلى جوار عاطفته في كتابه «الطريق إلى المدينة»، وخاصة فصل ولود الأمة بين يدي نبيها ﷺ، وإنني لأظن أن قارئنا يقرأ هذا الكتاب ولا يحرك فيه مشاعر الإيمان والحب، وقد جاء الكتاب وليد حاجة أحسها المؤلف في العالم، وهي ضعف الصلة بين الطبقة المثقفة والرسول ﷺ، ولعل المقصود هو ضعف الصلة

الروحية العاطفية، فالف كتابه «الطريق إلى المدينة»، ليحاول فيه إعادة ربط الصلة وتجديدها بين الأمة ونبيها ﷺ، من خلال الأدب مرة أخرى، وهذا بعد أن غزت ساحة الحياة الإسلامية جيوش الفلسفات المادية، والعلوم الغربية، فرأى أن يجهز جيشا من بلاد الحب والعاطفة ليوقظ الشرارة الكامنة في قلب كل مسلم، بالمقالات القوية المؤثرة، والخطب الجذابة، التي تشدق بمعاني الحب والحنان، وتنضح بحرارة الحيلة في قلوب الشباب، ورجال الفكر من أصحاب البحث والأقلام من العرب خاصة، فيشعر بالغيرة من العجم في حبهم للرسول ﷺ وتكذهم بذكره (١٥) ويبدو أن أبا الحسن الندوي استمد فكرته وخيالاته هذه من أستاذه محمد إقبال، حين قال «لقد عز علي أن أجهز جيشا من بلاد الحب والعاطفة: فقد بدت في مركز الإسلام طلائع قوة يقودها العقل الفلسفي»، فهذه فكرة مزج فيها صاحبها بين العاطفة والفكر، أو بين القلب والعقل، وهو ما يعرف بالمنطق الوجداني، وقد قلده في هذا الأسلوب تلميذه أبو الحسن الندوي. وفي كل الحالات فإن كتاب «الطريق إلى المدينة» رائعة أدبية: فيها جديد كثير تحدث مؤلفه فيه عن حبه العميق لرسول الله ﷺ، وأعلى خياله عليه خواطر وصورا بيانية، من استعارة وتشبيه رائع، وإنني أتمنى أن تعيد الرابطة طبعه وتوزيعه على أوسع نطاق ممكن.

يضاف إلى هذه الكتابات المصياغة الأدبية التي احتضنت الكثير من أفكاره وآرائه، ونظراته العلمية والتاريخية والدعوية، ما يمكن أن يلتقطه الباحث في انتاج أبي الحسن الندوي، ويجمعه من نظرات أدبية أخرى، لاشك أنها تكون جديدة بالقراءة، والاهتمام من أقلام الفكر الأدبي الإسلامي.

■ المراجع ■

- ١ - انظر فضيل الورتلاني الجزائر الدائرة ص
- ٢ - انظر سورة البقرة الآية ٢٤٩
- ٣ - انظر أبا الحسن الندوي في مسيرة الحياة ج ١ ص ٤١٤
- ٤ - انظر المرجع السابق الصفحة نفسها
- ٥ - انظر أبا الحسن الندوي نظرات في الأدب ص ٦٨
- ٦ - انظر في مسيرة الحياة ج ١ ص ١٧٤
- ٧ - انظر المرجع السابق ج ١ ص ١٧٧ - ١٧٨
- ٨ - انظر المرجع السابق ج ١ ص ١٤٢
- ٩ - انظر المرجع السابق ج ١ ص ١٤٣
- ١٠ - انظر المرجع السابق ج ١ ص ١٤٤
- ١١ - انظر المرجع السابق ج ١ ص ١٧١
- ١٢ - انظر المرجع السابق ج ١ ص ١٧٢
- ١٣ - انظر أبا الحسن الندوي نظرات في الأدب ص ٧٧
- ١٤ - انظر أبا الحسن الندوي روايات إقبال ص ٦
- ١٥ - انظر في مسيرة الحياة ج ١ ص ٥١٥



أثر الشيخ الندوي في الأدب الإسلامي

لم تحفظ مجلة «الأدب الإسلامي» الفصلية، التي يصدرها مكتب البلاد العربية إلا بكلمتين لسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي - رحمه الله تعالى - نشرت أولهما في العدد الأول تحت عنوان «طلیعة خير وبركة» [ص ٣]، ونشرت ثانيتهما في العدد الخاص المزدوج، الذي صدر عن رائد القصة الإسلامية الأديب الدكتور نجيب الكيلاني - رحمه الله تعالى - [ص ٣].

أما مجلة «المشكاة» المغربية، التي يرأس تحريرها الدكتور حسن الأمrani فقد نشرت له موضوعاً في العدد السابع تحت عنوان «لمحة عن المدرسة الأدبية الإسلامية الهندية» [ص ٨٨]، ثم نشرت له في العدد الثامن موضوعاً تحت عنوان: «اليقظة الإسلامية وارتباطها بموقف الأتراك من الحرب العالمية» [ص ٩]. ثم نشرت له بحثاً في العدد الحادي عشر بعنوان: «نظرة جديدة إلى التراث» [ص ٣]. ثم نشرت له بحثاً في العدد الثالث عشر عن أدب الأطفال [ص ٣٢] لكن أيا من هذه المواد لم يكتب لمجلة المشكاة خاصة.



للأديب التركي رسول طوسون قال: «الحقيقة أن عملنا في مجال الأدب الإسلامي، كان قبل أن تنشأ هذه الرابطة، وقد عشنا بالأدب، لأننا نعتقد أن الأدب من أقوى العوامل هدماً وبناءً.

لقد عملنا في مجال الأدب الإسلامي في نطاق ندوة العلماء، وقد ألغت كتاب «قصص التبيين» للأطفال في أربعة أو خمسة أجزاء، وكتاب «القراءة الراشدة»، ثم ألغت كتاب «مختارات من الأدب العربي» وكانت أول خطوة جريئة في سبيل تقديم الأدب العربي في شكله الطبيعي غير المصطنع، [المشكاة ع ١٤ ص ١٢٢].

وبهذه الرؤية يدخل - رحمه الله تعالى - ساحة الأدب الطبيعي من أوسع الأبواب، وتدخل آثاره كلها - وقد قرأت منها الكثير - في هذه الساحة، ساحة الأدب الطبيعي، وبهذا لا يكون - رحمه الله - منظراً للأدب الإسلامي فحسب، وإنما يكون أدبياً إسلامياً أيضاً.

ومن المصطلحات التي حدد دلالتها مصطلح «أدب الدعوة»، وهو مصطلح طرح ليكون بديلاً لمصطلح «الأدب الإسلامي». وهناك كتب صدرت تحمل على غلافها هذا المصطلح، وهناك مناهج دراسية في بعض الجامعات الإسلامية تُلَفّ تحت مظلة هذا المصطلح، ولكن سماحته - رحمه الله - لم يستخدم هذا المصطلح ليكون بديلاً لمصطلح «الأدب الإسلامي» فاعتوان الكتاب هو «روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة» وهو يضم مجموعة محاضرات في مناهج الدعوة وآدابها، أُلقيت في «المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي» التابع لجامعة دار العلوم - ندوة العلماء سنة ١٤٠٠ هـ - وهي تدور حول أساليب الدعوة إلى الله ولغتها، ومن نماذجها دعوة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد قدم لها نموذجين، وقدم مثلاً من دعوة سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام، ثم أمثلة من دعوة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، وحكمته النبوية، وهكذا فهي تدور حول أساليب دعوات الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين ولا تتجاوزها، وهكذا نرى أن مصطلح «أدب الدعوة» عند سماحته يختلف في دلالة عنه عند غيره ممن يقفون تحت راية هذا المصطلح



الغيث في التربة الكريمة، وكان يرى - تبعاً لإقبال - أن الأخير في أدب لا يملك تأثير عصا موسى، ومن هنا شغل بالأدب بدوره في هذا الزمان، وكان يرى أن للأدب سلطاناً على النفوس لا يعده سلطان، وأن الدعوات العظمى والمذاهب الكبرى لا يمكن أن تحقق لنفسها سعة وانتشاراً وتأثيراً إذا لم تستعن بالأدب. وهذه نقطة نفتقدها عند كثير من الدعاة في العصر الحديث، وقد قرأت لكثير من كبار الدعاة، واستمعت إليهم، واختلطت بهم، ولم أجد عند كثير منهم ما وجدته عند سماحة الشيخ، من حب للأدب وعشق له، وإيمان بدوره وتأثيره ومن هنا جاء اهتمامه بالأدب الإسلامي، حتى أصبح هما من أكبر همومه، وشاغلاً من أعظم شواغله، ففي سبيله كان يرحل من بلد إلى بلد في آسيا وأفريقيا وأوروبا؛ يشارك في المؤتمرات والندوات، ويلقي المحاضرات، ويحضر اللقاءات، ويلقي بالأحاديث، على كبر سنه وضعف صحته. وكان إذا تكلم تدفق بالسحر الحلال قلبك قلوب سامعية، واستولى على عقولهم ومشاعرهم وأحاسيسهم، فلفته عالية رقيقة ساحرة، تستمد سحرها وتأثيرها من لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، والبيان العربي الرقيق، وهذا هو «الأدب الطبيعي» وهو مصطلح طرحه سماحته ليضعه بآزاء «الأدب الصناعي» في وقت مبكر، وذلك في كلمته «نظرة جديدة إلى التراث الأدبي العربي» التي قدمها إلى مجمع اللغة العربية بدمشق، حينما اختير عضواً مراسلاً له. ونشره في كتابه «نظرات في الأدب» الذي نشرته رابطة الأدب الإسلامي العالمية - مكتب البلاد العربية [١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م]، ونشر أيضاً في مجلة «المشكاة» [١١٤ ص ٢]. والمقصود بالأدب الصناعي هو الأدب الذي يكتبه الأدباء المحترفون من شعراء وناثرين، ككتاب الرسائل والمقامات، والمقصود بالأدب الطبيعي هو التعبير الذي «يحرك النفوس ويثير الإعجاب ويوسع آفاق الفكر ويفري بالتقليد ويبعث في النفس الثقة، وقد يجيء هذا في بحث ديني أو كتاب علمي أو موضوع فلسفي أو اجتماعي» [نظرات في الأدب ص ٢٢].

وهذان مصطلحان جديان، لا أعرفهما لأحد من قبله، بهما وسع آفاق «الأدب الطبيعي» وقد كانت له - رحمه الله - تجربة عملية سابقة في الأدب الطبيعي، ففي إحدى إجاباته

والتعاطف، كل ذلك مندرج تحت باب «الآدب» [المشكاة ع ١٤ ص ١٢٢].

والآدب بالمعنى الأخلاقي، ممارسة وسلوك، والآدب الصادق هو الذي يكون آدبه تعبيراً عن أخلاقه، ويكون سلوكه ترجماناً لآدبه، والمثل الأعلى في ذلك هو - رسول الله ﷺ - فقد زكاه ربه بقوله: «وانك لعلى خلق عظيم»، ووصفته السيدة عائشة رضي الله عنها بأنه «كان خلقه القرآن»، وقد كان شيخنا نموذجاً من الذين تتطابق أقوالهم وأفعالهم، فلم يكن - رحمه الله - يتميز عن أصفائه وأتباعه بشيء، لافي المأكل والمشرب، ولا في المجالس والمنتديات، وكان يحسن الاستماع إلى كل أحد مهما كان، وكان يقدم تلاميذه، في اللقاءات والمنتديات ويشجعهم على القول، ويسر بما يقولون، وقد أمت ذلك بنفسه في المدينة المنورة، وفي مدينة استانبول بتركيا أكثر من مرة، وقد كان لي نصيب من عنايته ورعايته ودعواته - رحمه الله تعالى - ففي لقاء سريع بالنادي الأدبي بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام أجلسني معه على المنصة، وقد كان عليها أيضاً د. عبدالقدوس أبوصالح والدكتور عبدالباسط بدر، وشجعني على الكلام في هذا الجمع الحافل، وقد كان النادي مكتظاً بالحضور، مع أن اللقاء لم يعلن عنه إلا في اليوم نفسه.

وأما المرة الثانية فقد كان في آخر مجلس للأمناء حضره قبل وفاته - رحمه الله تعالى - وقد كان ذلك في العاصمة الأردنية، وكنت قد تخلفت عن الحضور بسبب نزيف المخ الذي أدخلني في غيبوبة استمرت فترة طويلة ثم أجريت لي عملية في القلب لتعديل بعض الشرايين التاجية، ففي الوقت الذي انعقد فيه مجلس الأمناء في «عمان» كنت أنا في مستشفى عين شمس التخصصي بالقاهرة غائبا عن الوعي، وقد علمت بعد ذلك أن سماحته - رحمه الله تعالى - دعا لي وأفاض في الدعاء، وأمن الحاضرون على دعائه، فكانت هذه أعظم هداياها لي - رحمه الله تعالى - وعوضاً فيه خيراً وجمعنا وإياه في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. آمين.



وإذا رجعنا إلى مصطلحي «الآدب الطبيعي»، و«الآدب الصناعي» اللذين طرحهما منذ وقت مبكر فإننا نرى أنه يدخل بهما دائرة صك المصطلحات الجديدة الدالة، فهو - رحمه الله تعالى - لم يكن يستخدم المصطلحات المتداولة، وإنما كان يجتهد في إبداع المصطلح الذي يتميز به الآدب الإسلامي، ويجتهد في تحديد دلالاته، حتى لا يلتبس على الناس فيستخدم في غير موضعه.

ومن ذلك أنه لم يكن يتوسع في استخدام مصطلح الآدب الإسلامي، فيطلقه على كل أثر جيد، فمن شروط دخول النص الأدبي دائرة الآدب الإسلامي أن يكون قاطلة مسلماً، وقد سأله الأستاذ رسول طوسون: «وإذا كان هناك آديب غير مسلم كتب شيئاً لا يخالف الإسلام هل يكون آدبه إسلامياً؟» فأجاب - رحمه الله - «إذا كان مؤسساً على مبادئ شريفة، وإذا كان تعبيراً عن فكرة صحيحة نقول: هذا آدب جيد، ثم سأله: هل نقول: آدب إسلامي؟» فأجاب - رحمه الله - لا. لا نقول آدباً إسلامياً، نقول: إنه آدب صالح [المشكاة ع ١٤ ص ١٢٢ - ١٢٤].

فنحن هنا أمام مصطلحين مترادفين: «آدب جيد» و«آدب صالح». فالآدب هنا موصوف بصفة مدح في كل مصطلح، ويمكن أن يوضع بجوارهما: «آدب حسن»، فهو يقوم بالدور نفسه، ويحقق الغاية نفسها. وهي مصطلحات لا تثير أحداً، لأنها كلها صفات مدح. لكن وصف آدب ما بأنه «آدب غير إسلامي» ليست كذلك، وسهما يكن بعد الآديب المسلم عن الإسلام فإن وصف آدبه بأنه غير إسلامي يستثير.

ومن المصطلحات التي يمكن أن تكون مقبولة إذا أطلقت على الآدب الحسن الذي يكتبه غير المسلمين مصطلح «الآدب الأخلاقي» وقد ذكر سماحته - رحمه الله - أن الآدب في مصطلح الإسلام وفي اللغة العربية لا ينفصل عن الخلق، واللغة العربية تشاز بأنها اللغة الوحيدة التي أطلقت على البيان المشرق والإنشاء والشعر كلمة «الآدب»، ولذلك ثبت عن الرسول - ﷺ - في حديث صحيح: «أدبني ربي فأحسن تأديبي». ولذلك ثروا في ديوان الحماسة أبواباً في الحماسة والزناء والهجاء والمدح والآدب، ويأتي تحت الآدب مكارم الأخلاق والمروءة والبسولة والقروسية والإيثار



عندما توفي الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله
في يوم الجمعة ٢٣ / رمضان / ١٤٢٠ هـ الموافق
١٩٩٩ / ١٢ / ٣١ م

سارع الكتاب والشعراء وكثير من المؤسسات
والهيئات العلمية والأدبية إلى نعيه، والتعبير
عن أثره الكبير في حياة المسلمين الدينية
والثقافية؛ في الهند خاصة وفي العالم الإسلامي
عامة، في القرن العشرين،
وقد تتبعت - بتوفيق الله - معظم ما نشر عن
الشيخ، وسجلته مرتباً حسب مصادر النشر؛
بادئاً بالصحف ثم المجلات، ولا أشك أن
موضوعات أخرى غير قليلة لم أطلع عليها، لعل
الأخوة القراء الذين يطلعون على هذا الكشف
يضيفون إليه ما فاتته ليكون مرجعاً للدارسين في
المستقبل، إن شاء الله.
كما خصصت عدة مجلات أعداداً خاصة وممتازة
عن الشيخ الندوي، أو نشرت ملفات عنه.



الشيخ أبو الحسن الندوي.. في الصحف والمجلات العربية

إعداد: محمود شمس الدين

ملاحظات	التاريخ	العدد	اسم المجلة
عدد خاص	١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م	المجلد السابع - العددان ٢٦ / ٢٧	الأدب الإسلامي - السعودية.
عدد ممتاز	ذو الحجة / محرم / صفر	الأعداد ٤ / ٥ / ٦	البعث الإسلامي - الهندية.
ملف خاص	ربيع الأول ١٤٢١ هـ - يونيو ٢٠٠٠ م	العدد ٧	البعث الإسلامي.
عدد ممتاز	ذو القعدة / ذو الحجة ١٤٢٠ هـ	العددان ١١ / ١٢	الداعي - الهندية.
عدد ممتاز	٢٣ رمضان - ٩ ذو القعدة ١٤٢٠ هـ	الأعداد ١٣ - ١٦	الرائد - الهندية.
ملف خاص	ذو القعدة ١٤٢٠ هـ / فبراير - مارس ٢٠٠٠ م	العدد ٢٩	الشقائق - الإماراتية.
عدد ممتاز	محرم ١٤٢١ هـ / أبريل ٢٠٠٠ م	العدد ٣٦	الصحوة الإسلامية - الهندية.
ملف خاص	٢٦ / شوال ١٤٢٠ هـ - ٢ / ١ / ٢٠٠٠ م	العدد ١٣٨٦	المجتمع - الكويتية.

■ حفل تابين في رابطة الأدب الإسلامي.	المحرر	صحيفة الراي	الأربعاء ١١/٢٥/١٤٢٠هـ ٢٠٠٠/٣/١م
■ رابطة الأدب الإسلامي تؤيّد العلامة الندوي.	المحرر	صحيفة الراي	الأثنين ١١/٣٠/١٤٢٠هـ ٢٠٠٠/٣/٦م
■ نعي عالم جليل.	جماعة الإخوان المسلمين/الأردن	صحيفة السبيل الأسبوعية	الثلاثاء ٩/٢٧/١٤٢٠هـ ٢٠٠٠/١/٤م
■ أبو الحسن الندوي في ذمة الله.	الحرر	صحيفة السبيل	٩/٢٧/١٤٢٠هـ
■ نعي عالم جليل.	الحرر	صحيفة السبيل	٩/٢٧/١٤٢٠هـ
■ لن تأكل نجوم العلماء.	شيام فؤاد ضمرة	صحيفة العرب اليوم اليومية	الجمعة ١٠/١٤/١٤٢٠هـ ٢٠٠٠/١/٥م
■ رحيل العلامة الشيخ أبي الحسن الندوي.	المحرر	صحيفة اللواء الأسبوعية	الأربعاء ٩/٢٨/١٤٢٠هـ ٢٠٠٠/١/١٢م
■ أبو الحسن الندوي.. بدر غاب.	محمد جمال عمرو	صحيفة اللواء	الأربعاء ١٠/٦/١٤٢٠هـ ٢٠٠٠/١/١٢م
■ أبو الحسن الندوي.. عرفناه كبيراً.. ومات عظيمًا.	زهير الشاويش	صحيفة اللواء	الأربعاء ١١/٥/١٤٢٠هـ ٢٠٠٠/٢/٩م

الصفحة العودة

■ وفاة العالم الشيخ أبي الحسن الندوي في الهند.	فهد البكران - الرياض	الجزيرة / العدد ٩٩٥٦	السبت ١٤٢٠/٩/٢٤ هـ
■ أبو الحسن الندوي.	د. عائض الرنادي	الجزيرة / العدد ٩٩٥٨	الأثنين ١٤٢٠/٩/٢٦ هـ
■ ماذا خسر العالم بالخطأ للمسلمين؟	عبدالله بن عبد العزيز بن الرئيس	الجزيرة / العدد ٩٩٧٣	الثلاثاء ١٤٢٠/١٠/١٢ هـ
■ أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى.	د. سعيد بن عطية أبو عالي	الجزيرة / العدد ٩٩٧٣	الأثنين ١٤٢٠/١٠/١٢ هـ
■ رحيل العلماء - وفاة الندوي شتون وشجون.	د. عبد الرحمن العثماني	الجزيرة / العدد ٩٩٩٠	الجمعة ١٤٢٠/١٠/٢٨ هـ
■ تلويحة وياح للشيخ الهند.. «قصيدة»	محمود السيد الدغيم	صحيفة الحياة	الأثنين ١٤٢٠/١٠/٥ هـ
■ رحيل الشيخ الندوي.. عن ٨٥ سنة في خدمة الإسلام والمسلمين.	محمد عبدالله السهلي	الرياض / العدد ١١٥١٣	السبت ١٤٢٠/٩/٢٤ هـ
■ وفاة الشيخ أبي الحسن الندوي.. رئيس ندوة العلماء المسلمين بالهند.	د. ظفر الإسلام خان	الرياض / العدد ١١٥١٤	الأحد ١٤٢٠/٩/٢٥ هـ
■ حزن في الأوساط الإسلامية بعد رحيل الشيخ الندوي.. «تقرير إخباري».	مكتب البلاد العربية للرابطة	الرياض / العدد ١١٥١٥	الأثنين ١٤٢٠/٩/٢٦ هـ
■ نعي الشيخ أبي الحسن الندوي.	د. حيدر الغنيم	الرياض / العدد ١١٥١٥	الأربعاء ١٤٢٠/١٠/١٢ هـ

٢٠٠٠/١/١٩ هـ	الرياض / العدد ١١٥٣٢	د. فوزية بريون	■ عميد الأدب الإسلامي.
الخميس ١٤٢٠/١٠/١٣ هـ	الرياض / العدد ١١٥٤١	معالي الأستاذ : عبدالعزيز بن عبدالله السالم	■ أبو الحسن الندوي.. العالم الرياضي.
٢٠٠٠/١/٢٠ هـ	سعودي جازيت ٨٢١٠	شاهين نازار	■ Noted Islamic Scholar Ali Miam Is die
السبت ١٤٢٠/٩/٢٤ هـ	الشرق الأوسط / ٧٧٠٤	إمام محمد إمام - لندن	■ رحيل أبي الحسن الندوي بعد حياة امتدت قرناً.
٢٠٠٠/١/١ هـ	الشرق الأوسط / ٧٧٠٤	رابطة الأدب الإسلامي العالمية	■ نعي الشيخ أبي الحسن الندوي.
السبت ١٤٢٠/٩/٢٤ هـ	الشرق الأوسط / ٧٧٠٦	د. عبدالله بن صالح العبيد	■ الأمة الإسلامية خسرت عالماً وداعية..
٢٠٠٠/١/١ هـ	الشرق الأوسط / ٧٧٠٧	د. يوسف القرضاوي	■ برحيل الشيخ الندوي.
الإنش ١٤٢٠/٩/٢٦ هـ	الشرق الأوسط / ٧٧١٢	مراسل الصحيفة - الرباط	■ رباني الأمة وداعية الإسلام العلامة أبو الحسن الندوي.. في ذمة الله.
٢٠٠٠/١/٣ هـ	الشرق الأوسط / ٧٧١٢	د. يوسف القرضاوي	■ الإيسيسكو تنعي الشيخ الندوي.
الثلاثاء ١٤٢٠/٩/٢٧ هـ	الشرق الأوسط / ٧٧٣٣	سعيد بن مرتضى الندوي	■ الشيخ يوسف القرضاوي يعدد مآثر الفقيد العلامة أبي الحسن الندوي.
٢٠٠٠/١/٤ هـ	الشرق الأوسط / ٧٧٣٨	هشام سالم - جدة	■ رحيل العالم الزاهد الداعية الشيخ الندوي.
الأحد ١٤٢٠/١٠/٢ هـ	الشرق الأوسط / ٧٧٦٧	د. عبدالله بن عبدالحسن التركي	■ هل كان أبو الحسن الندوي شخصية معروفة للشباب؟
٢٠٠٠/١/٩ هـ	الشرق الأوسط	إمام محمد إمام - لندن	■ الشيخ الندوي كان يمثل مدرسة فكرية افتقدناها
١٤٢٠/١٠/٢٣ هـ	عكاظ / العدد ١٢١٨٠	سعيد السهيمي - الرياض	■ العالم الإسلامي يودع الشيخ الندوي عشية استقبال القرن الحادي والعشرين.
٢٠٠٠/١/٣٠ هـ	صحيفة المدينة	طالب بن محفوظ - جدة	■ الأمة الإسلامية تفقد العلامة الشيخ أبا الحسن الندوي.
الخميس ١٤٢٠/١٠/٢٨ هـ	المدينة / العدد ١٣٤٢٥	أ.د محمد خضر عريف	■ القرن العشرون يطوي معه حياة العلامة الشيخ
٢٠٠٠/٢/٣ هـ	الرسالة - ملحق المدينة	الحرر	■ الندوي.
الجمعة ١٤٢٠/١١/٢٧ هـ	اليوم / العدد ٩٧٠٩	سامي لثبارك	■ رسالة إلى أبي الحسن الندوي.
٢٠٠٠/٣/٣ هـ			■ منح جائزة شاه ولي الله لاسم أبي الحسن الندوي.
السبت ١٤٢٠/٩/٢٤ هـ			■ العالم الإسلامي يودع عميد الأدب الإسلامي.
٢٠٠٠/١/١ هـ			
السبت ١٤٢٠/٩/٢٤ هـ			
٢٠٠٠/١/١ هـ			
الثلاثاء ١٤٢٠/١٠/١٩ هـ			
٢٠٠٠/١/٢٥ هـ			
الإنش ١٤٢١/٣/٣ هـ			
٢٠٠٠/٦/٥ هـ			
الجمعة ١٤٢٠/١٠/٧ هـ			

■ العربي الهندي د. يوسف القرضاوي اليوم / العدد ٩٧٠٩ ١٠/٧/١٤٢٠ هـ ١/١٤/٢٠٠٠ م

الحصيف الجامعية

الراوي العام الكويتية	حافظه الشيخ صالح	■ الندوي الكبير رحمه الله.
صحيفة الأيام البحرينية	عادل علي عبدالله	■ كلمات في رثاء العلامة الشيخ أبي الحسن الندوي.
صحيفة الأيام	خليفة بن عوي	■ انسلاب آخر من عبادة العلم.
صحيفة الأيام	سعد أحمد الندوي	■ وقاد الشيخ الندوي وموجز عن حياته.

الصلف الحصرية

■ قائد الشعب المسلم الهندي أباهد الروحي.	د. غريب جمعه.	صحيفة النواء الإسلامي	الخميس ٢٧/١٠/١٤٢٠ هـ ٢/٣/٢٠٠٠ م
--	---------------	-----------------------	------------------------------------

المذنبات

■ مأساة المسلمين في نهاية القرن (وفاته الشيخ أبي الحسن الندوي).	د. أنس أحمد كرزون	إقرأ - السعودية.. العدد ١٢٤٤
■ صاحب النفس الكبيرة.	د. عبدالقدوس أبو صالح	الأسرة - السعودية / ٨٠
■ الندوي... آخر الكبار الراحلين في العام الحزين.	علي محمد الغريب	الأسرة / العدد ٨٠
■ العلامة الراحل أبو الحسن الندوي - ريثاني الأمة و داعية الإسلام.	د. يوسف القرضاوي	الإصلاح / العدد ٤٢٣
■ ندوة علمية في جامعة كاشف العلوم. (أخبار اجتماعية وثقافية وعلمية).	المحرر	البعث الإسلامي - الهندية العدد الثامن - المجلد ٤٥
■ سماحة الشيخ أبي الحسن علي الندوي وتطور اللغة العربية وآدابها وإعداد المقررات الدراسية في الهند.	د. محمد اجنباء الندوي	البعث الإسلامي.. العدد الثامن - المجلد ٤٥
■ الشيخ الندوي حامل لواء العربية في القارة الهندية.	أ. محمد حسن بريغش	البعث الإسلامي.. العدد الثامن - المجلد ٤٥
■ رثاء فقيد الأمة الإسلامية فضيلة الإمام الهمام.. مولانا السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي.. سقى لله نراه، وجعل الجنة مثواه.	الشيخ أبو محرقونة الكريم معصومي	البعث الإسلامي.. العدد الثامن - المجلد ٤٥
■ أسسية تأبينية حول حياة وإنجازات فقيه الأمة الإسلامية - في مدينة كلكتا بالهند.	المحرر	البعث الإسلامي.. العدد الثامن - المجلد ٤٥
■ أبو الحسن علي الحسيني الندوي الإمام للمفكر، الداعية الأديب.. «عرض كتاب».	المحرر	البعث الإسلامي.. العدد الثامن - المجلد ٤٥
■ الجانب اللطفي في حياة العلامة الندوي.	مؤلف الكتاب: عبد الماجد الغوري د. مصطفى أبو سليمان الندوي	البعث الإسلامي.. العدد التاسع - المجلد ٤٥
■ العلامة الندوي .. عرضاه عمدا .. ومات عظيما.	زهير الشاوش	التقوى - اللبنانية. نو القعدة ١٤٢٠هـ



الأهلية العام

رسالة

عجلة

100 هـ

Volume 3, No. 3800, Issue No. 12127

100 هـ - 1421 م - 2000 G, No. 12427

أفراح

الدستورية وشحت العمر... وزير سابق ينتظر الدعم الحكومي

البحر القين
2000 G, No. 12427

بدر هاشم

العدد ٩٠	شباط ٢٠٠٠ م
الرابطة	شوال ١٤٢٠ هـ
العدد ٤٢٠ - السنة ٣٧	فبراير ٢٠٠٠ م
الرابطة - العدد ٤٢٠	شوال ١٤٢٠ هـ
الشريعة والدراسات الإسلامية - الكويتية / ٤٠	نو القعدة ١٤٢٠ هـ
الفاروق - الباكستانية	مارس ٢٠٠٠ م
العدد ٦٢ - السنة ١٨	شوال - نو القعدة - ذو الحجة ١٤٢٠ هـ
المجتمع - الكويتية / ١٣٨٤	الأربعاء ١٠/١٢/١٤٢٠ هـ
المجتمع / العدد ١٣٨٤	٢٠٠٠/١/١٨ م
المجتمع / العدد ١٣٨٧	١٤٢٠/١٠/١٢ هـ
المجتمع / العدد ١٣٨٨	الخميس ١١/٤/١٤٢٠ هـ
المجتمع / العدد ١٣٩٠	٢٠٠٠/٢/٨ م
المجتمع / العدد ١٣٩٧	الخميس ١١/١١/١٤٢٠ هـ
المجلة العربية / السعودية	٢٠٠٠/٢/١٥ م
المجلد - السعودية / ٥٦٤	الخميس ١١/٢٥/١٤٢٠ هـ
النور الهندية - العدد ٣٤	٢٠٠٠/٢/٢٩ م
النور / ١١ - المجلد ١١	الثلاثاء ١١/٢٠/١٤٢١ هـ
النور / العدد ٣٥ - المجلد ١١	٢٠٠٠/٤/٢٥ م
النور / العدد ٣٥ - المجلد ١١	ذو القعدة ١٤٢٠ هـ
النور / العدد ٣٥ - المجلد ١١	ذو الحجة ١٤٢٠ هـ
النور / العدد ٣٥ - المجلد ١١	مارس ٢٠٠٠ م
النور / العدد ٣٥ - المجلد ١١	شوال - ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٢٠ هـ
النور / العدد ٣٥ - المجلد ١١	١٤٢٠ هـ
النور / العدد ٣٥ - المجلد ١١	محرم - صفر - ربيع الأول ١٤٢١ هـ
النور / العدد ٣٥ - المجلد ١١	محرم - صفر - ربيع الأول ١٤٢١ هـ
النور / العدد ٣٥ - المجلد ١١	محرم - صفر - ربيع الأول ١٤٢١ هـ
النور / العدد ٣٥ - المجلد ١١	محرم - صفر - ربيع الأول ١٤٢١ هـ

موضوعات منفردة

- فليد الأمة : سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي.
- وداعاً أبا الحسن.
- الدقائق الأخيرة في حياة الشيخ الندوي.
- محمد يوسف النجراي
- محمد يوسف النجراي
- سعيد مرتضى الندوي

ندوات.. في تأيين الشيخ

■ في المملكة العربية السعودية - الرياض: ندوة خاصة عن الشيخ.. فري «خميسية الوفاء»



أقيمت ندوة خاصة عن سماحة
الشيخ أبي الحسن الندوي -
رحمه الله - في الندوة الأدبية
المعروفة بـ «خميسية الوفاء»
لسعادة الشيخ أحمد محمد
باجنيد عضو الشرف في
الرابطة، وذلك في
١٣/١٠/١٤٢٠ هـ الموافق
٢٠/١/٢٠٠٠ م.

وقد حضر الندوة عدد كبير من
محبى الشيخ، ورواد الندوة، وبينهم عدد من أساتذة الجامعات،
ورجال الأدب والفكر والتربية.
وقد بدأ الحديث الشيخ سعيد مرتضى الندوي المحاضر بكلية
التربية للبنات - الأقسام الأدبية، فقدم وصفاً مفصلاً عن اللحظات
الأخيرة من حياة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله، حيث
حضر الصلاة على الفقيد،
كما أفاض في الحديث عن الجوانب المختلفة من حياة الشيخ:
نشاطه، وطلبه للعلم، ودوره في كفاح المسلمين في الهند، واختار
مواقف مهمة من حياته فيها العبرة للدعاة إلى الله سبحانه
بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان مما قاله:





■ الموقف الأول

كان في دار العلوم ديوبند وهي من أكبر المدارس الإسلامية وأقدمها في شبه القارة الهندية، وأوسعها انتشاراً لتلاميذها العاملين في مجال التربية والتعليم، والدعوة والإصلاح. كان فيها احتفال بمناسبة مرور ١١٧ عاماً على تأسيسها، وكان يرأس هذا الحفل معالي الدكتور عبدالله بن عبدالحسن التركي ممثلاً للمملكة العربية السعودية، وكان من سوء حظنا أن بعض الأحزاب السياسية دبرت مؤامرة، فحضرته في الحفل أنديرا غاندي، رئيسة وزراء الهند، وكان سماحته رحمه الله في تلك الأيام في الحجاز، واستعجل في الرجوع إلى البلاد؛ ليتمكن من حضور حفل الافتتاح، ومجرد أن وصل إلى «دلهي» علم أن أنديرا غاندي توجهت إلى دار العلوم ديوبند لتحضر حفل الافتتاح، فتضايق كثيراً، وتوقف في «دلهي» ولم يذهب إلى ديوبند في ذلك اليوم، بل حضرها في اليوم التالي، وبقي بما تكلمت به أنديرا غاندي في الحفل، وكان من جملة ما نادت به - على عادة الحكام الهنود منذ الاستقلال - مطالبة المسلمين بالانتماء في الغالب القومي أو التيار الوطني، وأعدت إياهم بأنهم إذا نفذوا مطالب الدولة فإن الدولة ستحميهم، وتوفر لهم التسهيلات اللازمة، وما يحتاجون إليه للتقدم والرقي، وما إلى ذلك.

فالقي سماحته رحمه الله وجزاه عنا الخير كلمته التي ذكر ملخصاً منها في كتابه «في مسيرة الحياة»، ولكن كلمته بالأردية كانت أقوى بكثير مما ذكره في الكتاب، ومن جملة ما قال في تلك الكلمة:

«من الذي يأمرنا نحن المسلمين أن نفعل كذا وكذا؟ لا نسمح لأحد أن يتطرق إلى ذلك، لا يأمرنا إلا الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، ولا نسمع لغير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ونحن نعلن هنا - وأريدكم أن تعلنوا قبل أن تغادروا مدينة ديوبند - أننا سنبقي في هذه البلاد محافظين على جميع شعائر ديننا، ولا نرضي بالتنازل عن جزء من شعائر ديننا، لا نرضي بالتنازل عن السنن والمستحبات؛ حفاظاً على شخصيتنا

الإسلامية، ونسكا بسنة نبينا ﷺ - فكيف بالفرائض والواجبات». وكان لكلمة سماحته - رحمه الله عليه - وقع في نفوس المسلمين، واعتبرت كلمته هي رسالة الحفل التي حملها الحضور - البالغ عددهم مئات الآلاف من غير مبالغة - وكان فيه إنذار وتحذير للآخرين كذلك بأنهم لن يتمكنوا - بحول الله وعونه - من إضعاف المسلمين، أو النيل من شخصيتهم الإسلامية.

■ الموقف الثاني

الذي أريد أن أذكره أيضاً: أصدرت المحكمة العليا في الهند حكماً متعارضاً مع الشريعة الإسلامية، في

مسألة وجوب الإنفاق على المرأة المطلقة، فتصدى المسلمون بقيادة علمائهم المتميزين في هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند، والتي كان يرأسها سماحته - رحمه الله - لذلك، ولهم حق - حسب الدستور الهندي - أن يحافظوا على أحوالهم الشخصية وفق الشريعة الإسلامية، من غير تدخل من القوانين الوضععية للبلاد، وكانت لسماحته عدة لقاءات مع رئيس الوزراء آنذاك راجيف غاندي، والحمد لله اقتنعت الحكومة بموقف المسلمين - أو اضطرت - إلى أن تلغي الحكم - الصادر من المحكمة العليا - بقانون تبناه الحزب الحاكم في البرلمان، وتمت الموافقة عليه من أعضاء

ندوات.. في تأيين الشيخ



البرلمان.

ومما يذكر من محادثات الشيخ مع راجيف أنه قال للشيخ ذات مرة: «يا شيخ، لم تصرون على الحفاظ على أحكامكم الشرعية هنا في الهند، وكم من بلدان إسلامية ألغت الأحكام الشرعية بالقوانين الوضعية؟»

يقول من حدثنا بهذا الموقف أن سماحته رحمه الله وهو الناعية الحكيم لم يتطرق إلى الرد على راجيف، أو توجيه ما حدث في بلدان محسوبة على

الإسلام - ولكن قال له كلمة صغيرة أثرت في نفسه، قال له: «ياراجيف لو أنت وافقت على الاحتفاظ بأحكام شريعتنا فالعالم كله يمدحك، ودع من الآخرين» وكانت النتيجة ما قد سبق ذكره من تبنيه لمشروع القانون الجديد، الذي وافق عليه حزبه الحاكم بالإجماع.

■ الموقف الثالث ■

وقد مرت به الأمة الإسلامية الهندية من قريب، وربما اطلعت عليه من خلال الصحف والمجلات، أن الولاية الشمالية في الهند التي تسمى بالهندية

«اتراباديش» استولي على الحكم فيها الحزب المتطرف، الذي كان له دور كبير في هدم المسجد البابري، وبمناسبة قصة هدم المسجد البابري أيضاً لا بد أن يذكر موقف الشيخ الحكيم في القضية، فعندما أثرت هذه القضية في عهد راجيف غاندي - وكان سماحته على صلة براجيف في تلك الفترة من أجل مشروع قانون الأحوال الشخصية السابق ذكره - فعرض سماحته على راجيف اقتراحاً ونري أنه لو وافق عليه الزعماء المسلمون - والأحزاب السياسية - ونفذ هذا الاقتراح لكان المسجد البابري والله أعلم لم يزل باقياً.

وذلك لأنني أرى أن المسلمين في الهند كانوا قد خسروا قضية المسجد البابري عام ١٩٩٩م، وبيان ذلك أن المسجد وإن كان عامراً تقام فيه الصلوات الخمس والجمعة، واستمر الأمر كذلك حتى بعد استقلال البلاد وانفصال دولة باكستان عن الهند لمدة سنتين، ولما أثرت المشكلة عام ١٩٩٩م، بوضع أصنام - وسط محراب المسجد في ظلام الليل - فأطلق المسجد، ولم يسمح للمصلين بالصلاة فيه، لا بدخل المسجد ولا بساحته المكشوفة، وبما أن في الأمر متسعاً ظل المسلمون يصلون في مساجد أخرى في الحي، مع متابعتهم لقضية استرداد المسجد في المحكمة الرسمية.

والجدير بالذكر هنا أن المسلمين منعوا من إقامة شعائر الصلاة في أرض المسجد، المسقفة منها والمكشوفة، ولكن الهندوس بما أن عبادتهم لا تتجاوز الانحناء للأصنام والتماثيل - ولو من مسافة شاسعة - فظلوا يمارسون طقوسهم الدينية، مروراً من عند بوابة

المسجد، وهنا هو الوضع الذي استغله الهندوس أمام حاكم المدينة - الذي أذن بفتح باب المسجد للهندوس - بحجة أن المسلمين لم يصلوا في أرض المسجد منذ أكثر من ثلاثين سنة، أما الهندوس فلم يزالوا يؤدون شعائرهم، ولو من خارج المسجد، فما المانع إذن من فتح الأبواب لهم؟

وعرف سماحته ببصيرته النافذة، وإدراكه لأبعاد القضية - التي يتغافلها السياسيون عمداً - بأن استرداد المسجد من أيدي الاكثرية في البلاد وإعادته إلى المسلمين - في هذه الظروف - شبه مستحيل، فقدم اقتراحه إلى رئيس الوزراء أن يعتبر المسجد أثراً تاريخياً، تتولى الإشراف عليه الحكومة المركزية، وكان هذا الاقتراح - في نظرنا - اقتراحاً موفقاً وواقعياً لما أشرت إليه، ولأن المساجد التي مازالت تحت إدارة الحكومة - باعتبارها آثاراً تاريخية - لم تزل باقية على وضعها التي كانت عليه عند استقلال البلاد، ويسمح للزوار المسلمين أن يؤدوا فيها تحية المسجد إن أرادوا، صحيح أنه لا تقام في أكثرها الصلوات الخمس، ولكن كان يكفينا في ذلك أن يبقى المسجد البابري في صورة المسجد رمزاً لبقاء المسلمين واحتراماً لحقوقهم، ومتى ما ذهب المسلمون لزيارته يسمح لهم بالصلاة فيه، ولكن أحزاباً سياسية، وأناساً من ضعفاء النفوس ذوي الأغراض التنافسية، لم يوافقوا سماحته في هذا المقترح الواقعي، فكان ما قدر الله، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

الموقف الرابع: كنت أتحدث عن الموقف الأخير لسماحته في الولاية الشمالية،

التي استولي فيها على الحكم الحزب المتطرف بهارتيا جنتاً، فأصدر وزير التعليم الإقليمي توجيهات شفوية إلى جميع المدارس الحكومية، بإلزام الطلاب الدارسين فيها بالمشاركة في تشييد نشيد يسمونه نشيداً وطنياً، ونشيد آخر وثني محض ديني عندهم أيضاً، وكلا النشيدين بشملان نصوصاً - أبياتاً - تتعارض مع عقيدة التوحيد، بما فيها من تقديس لبعض الأضنام، وتقديس لأرض الوطن.

فقاوم المسلمون - بقيادة علمائهم ومؤسساتهم التعليمية والدعوية - هذا التعميم بقوة، وكان على رأسهم سماحته - رحمة الله - بوصفه رئيساً لهيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند، ورئيساً لهيئة التعليم الديني للولاية الشمالية، وأميناً عاماً لندوة العلماء، وعندما أحس بأن الحكومة قد لا تستجيب لمطالب المسلمين، أصدر بياناً أمر فيه المسلمين بسحب أبنائهم من المدارس الحكومية كلها، وكان لهذا القرار وقع، وكان له صدى في وسائل الإعلام المحلية والعالمية، واهتمت بعض الإذاعات الخارجية بصفة خاصة بالموضوع، وأجرت لقاءات متعددة مع سماحته - ومع غيره من العلماء - فبرز هذا القرار الحكومتين الإقليمية والمركزية جميعاً. فبدأ المسؤولون الكبار يعتقدون إلى الشيخ وإلى المسلمين، وقالوا: لم نأمر بذلك، وانتهى الأمر بعزل هذا الوزير من منصبه.

وقد تحمل الشيخ من أجل ذلك أذى كثيراً، من المتطرفين الوثنيين، ممن أحرقوا صورته في الشوارع، ومن جاءوا إلى باب دار العلوم لندوة العلماء.

واحتجوا وتظاهروا ورموا بالحجارة إلى الداخل، بل توجهت فتنة منهم إلى قريته رأي بريلي، واقتحمت مقر سماحته - الذي كان وقتذاك في لكهنؤ - في منتصف الليل، وتجاوزت في المبنى، وقتلت الغرف: بحجة أنهم قد يجدون ما يثبت خيانتهم للوطن، أو إيواؤه للمتطرفين أو الإرهابيين، ولكن الله سبحانه وتعالى أثبت على الحق، وأعانهم عليهم، فهذا الآخر انقلب عليه عاراً وقضحية، ولم يجدوا مخرجاً غير أن يعتذروا إلى سماحته وإلى المسلمين.

أكتفي بذكر هذه المواقف الأربعة فقط، من غير ما أتطرق إلى مواقف سماحته الحاسمة، التي لها علاقة بالعالم الإسلامي والعالم العربي، وعلى رأسها قضية القومية العربية التي من أجلها صودر جواز سفر سماحته لفترة من الزمن، واستدعي ابن أخيه المرحوم محمد الحسني منشيء «مجلة البعث الإسلامي» - إلى الوزارة الخارجية، فأنتم جميعاً أعلم بها متى.

ثم تحدث الحاضرون أحاديث موجزة عن انطباعاتهم ولقاءاتهم بالشيخ أبي الحسن الندوي.

■ فقال الأستاذ حسن البشاري الملحق الثقافي اليمني في الرياض:

«إنك عندما تستمع إليه، وتحادثه يذكرك بعلماء السلف علماً وزهداً، وصدق لهجة، وقوة تأثير في سامعيه... وكان لقاءه بالشيخ عندما زار اليمن قبل ١٥ عاماً، حيث رافقه في مدينة الحديدة، وكانت الزيارة بدعوة من رئيس الوزراء اليمني آنذاك الأستاذ عبدالعزيز عبدالغني، وسجل الشيخ أبو الحسن رحلته تلك في كتاب: «مفحات

الإيمان بين صنعاء وعمان». ■ وقال الربيع الفاضل الشيخ عثمان الصالح «إن أبا الحسن الندوي حديقة الدنيا في البلاغة، وحديقة دنيا المسلمين با لخلق الطيب، وبالمسيرة الحسنة، التي هي مثال لا يزال باقياً - إن شاء الله - إلى يوم الدين».

■ وفي حديثه قال الدكتور محمد علي الهاشمي أستاذ الأدب في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية «سابقاً»:

«الإمام أبو الحسن الندوي هو من الرجال القلائل، الذين لا يوجد الزمان يمثله إلا قليلاً... وكان أدبياً ذواقاً... وداعية إسلامياً عالمياً... وإن أبرز ما يميزه صدقه مع الله تعالى...»

■ وألقي بعد ذلك دعدنان التحوي قصيدة رثاء في الشيخ.

■ أما دناصر الخنيز عضو هيئة التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فقال:

«لقد جمع الشيخ أبو الحسن - رحمه الله - خصالاً عديدة إضافة إلى حسن أخلاقه، وصفاء عقيدته، وإحساسه بشاعر المسلمين، وتركيزه على الجوانب التربوية والمقالات الأدبية».

واستدل على ذلك برئاسة الشيخ لأربطة الأدب الإسلامي العالمية، وأكد على قوة العلاقة التي كانت تربط بينه وبين الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله تعالى -.

■ ومن جامعة صنعاء في اليمن تحدث الدكتور طه غانم السروري عميد كلية التربية، الذي رأي في الشيخ مثلاً حياً للعالية الإسلامية فقال:

«إنما كانت الدعوة إلى العولة، وما فيها من غزو ثقافي يقصد بها هدم القيم

ندوات.. في تأبين الشيخ



والأخلاق لدي
بقية الأمم، فإن
الإسلام جاء
بالعولة قبل
خمس عشرة قرناً،
وكان رحمة
للعالمين، وما
الشيخ أبو الحسن
الندوي، وأمثاله؛
من العلماء في
الهند وغيرها من
بلاد المسلمين إلا
من فتاح هذا الدين
العالمي.

■ وعبر الأستاذ
الحامدي إبراهيم
العيسي عن شوقه
إلى معرفة المزيد
عن الشيخ أبي
الحسن الندوي.

■ كما تحدث
الدكتور أحمد
حسن فرحات

عضو هيئة التدريس في جامعة الإمارات
العربية المتحدة (العين) حالياً، ورئيس
تحرير مجلة حضارة الإسلام سابقاً، عن
بداية تعرفه على الشيخ عندما زار
دمشق في عام ١٩٤٥م. وكان بصحبة
الأستاذ أبي الأعلى المودودي - رحمه
الله - حيث كان الشيخ أبو الحسن يترجم
لأبي الأعلى المودودي، وظنوا أن أبا
الأعلى لا يعرف العربية. ولكنهم فوجئوا
أنه أنهى محاضراته بقراءة بيت شعر
عربي قراءة قصيدة وهو:

فد دون رأيك في الحياة مجاهداً
إن الحياة عقيدة وجهاد

وأكد د. فرحات على زهد الشيخ أبي
الحسن، من خلال ما عرف عنه من
تبرعه بمكافأته - التي كان يحصل عليها
من الجامعة الإسلامية - للطلبة الدارسين
للمحتاجين.

■ ثم ألقى د. حيدر الغدير قصيدة رثاء
مؤثرة، بدأها بكلمة نثرية موجزة، قال
فيها «يبدو لي أن الأستاذ الندوي واحد
من الربانيين الزهاد، الصادقين العمالقة،
في التاريخ الإسلامي. يبدو مرة كأنه
أحمد بن حنبل، ومرة كأنه الغزالي،
ومرة كأنه الحسن البصري، وكأنه جاء
في غير زمانه لأمر يريد الله، وهو أن
يقيم الحجة علينا».

■ وركز د. محمد بن خالد الفاضل
عضو هيئة التدريس في جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية، على الكلمة
التي نشرتها د. فوزية بريون في جريدة
الرياض ومنحت فيها لقب «عميد الأدب
الإسلامي» لسماحة الشيخ أبي الحسن
الندوي، وقال د. الفاضل: عرفنا عميد
الأدب العربي، وبقي هذا اللقب فيما أعلم
شافراً وهو لقب «عميد الأدب الإسلامي»
والفقيه يستحق هذا اللقب حقيقية».

■ أما الأستاذ حسن حسن فرحات،
فقد عبر عن إعجابه بالشيخ أبي الحسن
عندما قرأ له لأول مرة كتاب «العرب
والإسلام» من خلال أسلوبه العربي
المتين من رجل عاش في الهند، وكان
فرحه أشد عند قراءته كتاب «ماذا خسر
العالم بانحطاط المسلمين».

■ وقد تحدث عميد الندوة وعضو
الشرف في الرابطة الشيخ أحمد محمد
باجنيد، فأشاد بجهود الشيخ في الدفاع
عن الإسلام والمسلمين، وأثره العظيم
فيما يتبوؤه المسلمون من مكانة في

الهند، وقرأ مقتطفات مما قيل عن مكانة
الشيخ في ندوة تكريمه في الثانية عبيد
المقصود خوجه في جدة.

■ والأستاذ محمد الأسمرى قال في
كلمته «أنا أنظر إلى هذا الفكر نظرة
تقدير وإعجاب، فهو من دعاة السلم
المدني في شبه القارة الهندية، وقال
«نترحم على هذا الرجل الذي خلف لنا
هذا الفكر الخالد، كسيف تنادب في
الخطاب، وكيف نتحاور، وكيف نستخدم
السلم لتحقيق الأغراض بالهدوء و
الطمأنينة ولين القلب».

■ وعبر د. زيد بن عمر عن إعجابه
بالشيخ أبي الحسن الندوي، من خلال
تحذيره من طلوع فجر الكاذب في بلاد
فارس.

وكان الدكتور زيد بن عمر قدم سماحة
الشيخ في محاضرة ألقاها في جامعة
الملك سعود في الرياض، قبل سبعة عشر
عاماً.

■ وبدأ الدكتور عبد الله بن صالح
الغريني - عضو هيئة التدريس بجامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية حديثه
الموجز قائلاً:

الناس صنفان: موتى في حياتهم
وأخرون يبطن الأرض أحياء
وقال: الذي يعلم حياة الشيخ أبي
الحسن يعرف أنه من الذين تحيا القلوب
بذكرهم بعد موتهم. ونبه إلى ضرورة
السير على خطا الشيخ ومنهجه
والانتفاع بطريقة تجاوزه للعقبات
والخنادق. وما أكثرها في شبه القارة
الهندية.

وختم حديثه قائلاً:
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبيه بالكروام فلاح

■ في مصر:

ندوة عن جهود الشيخ أبي الحسن الندوي وأثاره الفكرية والأدبية

أقام المكتب الإقليمي للرابطة في القاهرة بمقره في جمعية الشبان المسلمين، تحت رعاية الدكتور أحمد عمر هاشم، الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية، ندوة عن جهود الشيخ أبي الحسن الندوي وأثاره الفكرية والأدبية، وذلك في ١٧/١٠/١٤٢٠ هـ الموافق ٢٤/١/٢٠٠٠ م. وشارك في الندوة لقيف من العلماء والأدباء والمفكرين الإسلاميين.

■ وقد تحدث في البداية د. عبد المنعم يونس - رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في

■ أما الدكتور أحمد البراء الأميري - المستشار في وزارة المعارف - فقد كان يمتلكه شعور قوي بأنه لن يوفي الشيخ حقه بالحديث عنه.

وتحدث بتأثر بالغ عن زهد الشيخ وتواضعه، وأن الصفة الأساسية التي يتمتع بها هي «الريانية»، وأنه كان يعلم بلسان حاله أكثر مما يعلم بلسان مقاله، ونقل صورة شاهد عيان من حياة الشيخ الخاصة في منزله في الهند؛ حيث زاره ثلاث مرات، وأقام عنده في ندوة العلماء، وقد ختمت الندوة بقصيدة شعرية ثالثة في رثاء الشيخ أبي الحسن القاها الدكتور أحمد الخائني «انظر قسم الشعر».

هذا، وقد كانت الندوة بإدارة الدكتور عائض الرادعي مدير إذاعة الرياض سابقاً، ووكيل وزارة الإعلام للإعلام الداخلي، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وقد شكر المتحدث الرئيس في الندوة الشيخ سعيد الندوي، وسائر المتحدثين الذين أثقوا خيراً على الشيخ الندوي رحمه الله، وأضاف قائلاً: في الحقيقة من حسن حظ الشيخ أن يُصلى عليه في الليلة السابعة والعشرين من رمضان في الحرمين الشريفين، حيث أقيمت صلاة الغائب على الشيخ رحمه الله بعد صلاة العشاء وقبل صلاة التراويح، حيث كان المسجد الحرام والمسجد النبوي في نزوة حضور المصلين رجاء موافقة ليلة القدر العظيمة.



■ من اليمين: د. علي صبح، د. عبد المنعم خفاجي، د. عبد المنعم يونس، ود. عبد الحليم عويس.

ندوات.. في تأبين الشيخ



القاهرة - عن مكانة الشيخ الندوي وجهوده في الدعوة إلى الله. وعن سعة معرفته بعدد من اللغات. وخص بالحديث كتابه «نظرات في الأدب» الذي دعا فيه إلى نظرة جديدة إلى التراث الأدبي العربي.

■ وتحدث الدكتور محمد عبدالمنعم خلفا - رئيس رابطة الأدب الحديث بالقاهرة - فذكر أن سماحة الشيخ الندوي صفحة مضيئة من صفحات النثر الإسلامي العظيم، وداعية من أبرز دعاة الإسلام في العصر الحديث، وهو كاتب ومؤلف، ومحاضر، وخطيب، ومناظر، ومرب، ومعلم من أعظم رجالات الإسلام في العصر الحديث. وقال د. خلفا: إن جهود العلامة الندوي في مجال التربية جهود كبيرة، تنوء بالعصبة أولي القوة من الرجال، واستعرض أسماء عدد كبير من مؤلفات الشيخ في مختلف المجالات.

■ وتحدث الدكتور علي صبح عضو المكتب الإقليمي للرابطة في القاهرة. عن فكر الندوي الذي يجمع بين الأصالة والمعاصرة، والتراثية والتجديد، وأنه عمل لترسيخ القيم الخلقية السامية في أدب إسلامي عالمي، تخطى حدود الزمان والمكان، مستمداً روافده وأصوله من القرآن الكريم والسنة الشريفة والتراث الإسلامي الخالد.

■ ثم تحدث د. عبدالحليم عويس عضو المكتب الإقليمي للرابطة في القاهرة، ومستشار رابطة الجامعات الإسلامية، وقال: إذا كان سماحة الشيخ الندوي ناقش قضية خسارة الحضارة الإنسانية بانحطاط المسلمين... وذلك في كتابه: «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» فعلياً أن ناقش قضية: ماذا خسر المسلمون بموت العلامة الندوي؟

■ واختتمت الندوة بكلمة موجزة ذات دلالة بعيدة عن سماحة الشيخ أبي الحسن ألقاها د. عبده زايد أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، حيث أكد في كلمته أن سماحة الشيخ الندوي أحب مصر حباً لا مثيل له.. ومن أراد أن يلمس ذلك فليقرأ رسالته القيمة المفعمة بالحب والعاطفة، والتي نشرت بعنوان: «اسمعي يا مصر».

وأوضح د. عبده زايد أن الشيخ الندوي كان يعلم أن الأدب الإسلامي إذا انطلق من مصر فإنه يلاشك سوف يصل إلى العالم كله...

هذا. وقد ألقى في الندوة عدد من القصائد الشعرية لشعراء الرابطة في رثاء الشيخ رحمه الله ألقاها كل من د. جابر قسيحة، والاستاذ أحمد عبدالهادي، والمهندس محمد عبدالقادر الققي، والدكتور محمد بدر معيدي.

■ في الأردن:

حفل خطابه

أقام المكتب الإقليمي للرابطة في عمان حفلاً خطابياً، وفاءً لذكرى سماحة الشيخ، أبي الحسن الندوي - رحمه الله - وذلك في قاعة مجمع اللغة العربية الأردني في ٢٥/١١/١٤٢٠ هـ الموافق ٣/١/٢٠٠٠ م.

وقد بدأ الحفل بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، تلاها د. عثمان قدرى مكائسي - عضو الرابطة.

بعد ذلك ألقى د. مأمون فريز جرار (رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في عمان) كلمته التي تحدث فيها عن مختلف الجوانب في حياة الشيخ أبي الحسن - رحمه الله - «فهو العالم الرباني.. الزاهد في الدنيا.. المقبل على الآخرة» الذي جعل الدعوة إلى الله همه، وشغل قلبه بهوم المسلمين في شتى البلاد. وأشار إلى كثرة أسفاره في الأرض؛ للنظر في أحوال المسلمين، وإسهامه مع أهل الفكر والرأي في المؤسسات العلمية، والجمعيات والمجامع والندوات.



■ من اليمين: عبد الله الطنطاوي، د. إسحاق فرحان، د. عبد القادر رمزي، د. عبد العزيز الخطيب، ود. مأمون جرار. في حفل تأبين الشيخ أبي الحسن.

الذي بعث برسالة اعتذار لعدم تمكنه من الحضور، كما شكر د. عبدالكريم خليفة، رئيس مجمع اللغة العربية الأردني، وعضو الشرف في الرابطة، وشكر الأمين العام للمجمع د. عبدالحميد الفلاح، واللجنة التحضيرية التي أشرفت على إعداد الحفل.

■ وألقى معالي الدكتور عبدالعزيز الخطيب - وزير الأوقاف سابقاً، وعضو مجلس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ورئيس قسم المصارف الإسلامية بمعهد الدراسات المصرفية وعضو الشرف في الرابطة - كلمة تحدث فيها عن بدايات سماعة بالشيخ أبي الحسن فقال: «كنت أسمع وأنا طالب في مصر عن رجل في الهند له سمعة طيبة، داعية له تأثير في مسلمي الهند...» وأشار إلى الأوضاع التي مرت بها شبه القارة الهندية وقيام دولة باكستان، وعن نشأة الشيخ أبي الحسن في تلك الأجواء في بيت علم وأدب وجهاد.

كما استعرض معاليه بإيجاز بعض آراء الشيخ أبي الحسن - رحمه الله - وتوجهاته، وأهمها:

١ - الاتجاه إلى الله في جميع مراحل الدعوة، بل في جميع مراحل الحياة..

وأشار إلى لقائه الأول بالشيخ عام ١٩٨١م في الندوة الأولى لرابطة الأدب الإسلامي في الهند، ثم توالى لقاءاته بالشيخ فيما بعدها من المؤتمرات والندوات، وقال د. مأمون:

«وأصدقكم القول، لقد كنت أجد علي الشيخ مهابة تجعلني أغض الطرف عنه، وكنت أجد لديه من النور والود ما هو ثمرة من ثمرات الإيمان، ما يغري بإشراق النظر إليه والتمتع بذلك».

وأعاد د. مأمون جرار ذكر ثلاثة أبيات قالها في ندوة العلماء في الهند، بمناسبة اللقاء الأول للرابطة:

**جزاكم الله من قوم وإخوان
غمرتمونا بتكريم وإحسان**

**فلا اللسان غريب في دياركم
ولا الوجوه غفيريها نور إيمان**

**ولو أبوالطيب الكندي حل بكم
لما شكنا غربة في شعب بوان**

وفي ختام كلمته شكر الأخوة الحاضرين الذين لبوا الدعوة، كما خص بالشكر الأستاذ كامل الشريف رئيس المؤتمر العام لبيت المقدس، وعضو الشرف في الرابطة،

ندوات.. في تأبين الشيخ



٢ - تصويره لوضع العالم الإسلامي، وحيرته بين دين لا يسهل عليه العمل به، وعادات نشأ عليها... وقد ذكر هذا التصوير في كتابه «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين».

٣ - رؤيته أن العرب مادة الإسلام، إذا عادوا إليه ونهضوا به نهض العالم الإسلامي.

٤ - نصحه الشباب بالبعد عن الترف والبذخ، ضارباً المثل بعمر رضي الله عنه وأصحابه، وقد فتحت لهم موارد الإمبراطوريتين.

٥ - التجرد للدعوة، والتفرغ لها بالقلب والقالب، والنفس والنفيس، والوقت والقوة.. ومما قاله المتحدث الكريم «وأذكر لما قابلته أول مرة رأيت فيه صورة الإنسان المنكسر لله، العالم المتواضع، الخاضع لعزته، تظل وجهه مسحة التقوى، ويظهر في ثبرات كلامه المؤمن المتوكل، المتجه إلى الله. وهذا هو السر الأول في نجاحه».

وبعد ذلك ألقى معالي الأستاذ الدكتور إسحاق المرحان - رئيس جامعة الزرقاء الأهلية، ورئيس جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، وعضو الشرف في الرابطة - كلمته التي بدأها بشكر القائمين على تنظيم هذا اللقاء السريع، من زملاء الشيخ الندوي ومريديه في الأردن، من أعضاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

وقال د. إسحاق «ولقد حزنا وحزن المسلمون على فراق العلامة الأستاذ الندوي، ومما يزيد هذا الحزن أن كان العام ١٩٩٩ عاماً قبض فيه عدد من علماء هذه الأمة».

وقال أيضاً: سنتعاون - بإذن الله - جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، وجامعة الزرقاء الأهلية، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية لتنظيم مؤتمر علمي لدراسة شخصية المرحوم الإمام

الندوي، وتحليل آثاره العلمية، وأعماله الدعوية في القريب العاجل، وتصدر وقائع هذه الدراسات في كتاب خاص - إن شاء الله - ...».

كما تحدث د. إسحاق بإيجاز عن مؤلفات الشيخ الندوي، ودوره الدعوي والإصلاحي، وإسهامه في تأسيس عشرات من الجمعيات والمجالس العائلية، ورئاستها وعضويتها.

وتحدث الأستاذ عبدالله الطنطاوي فقال في كلمته:

«لم تر - قط - عيني في مثل زهد إلا لدى شيخنا العالم الرباني سعيد الطنطاوي مد الله في عمره وبارك..»

كما أشاد بدوره العلمي والتربوي في مختلف المجالات، ولقاءاته بكبار رجالات العالم الإسلامي: للتيار في أحوال المسلمين، وأنه كان يولي الشباب عناية خاصة، ونقل بعض عبارات الشيخ - رحمه الله - من كتبه، ومنها أحاديث التي وجهها إلى عدد من البلاد العربية مذكراً، إياها بدورها مثل: اسمعي ياسورية - اسمعي يامصر - اسمعي ياكويت، وأبرز الأستاذ عبدالله الطنطاوي الجانب التربوي في اهتمام الشيخ الندوي رحمه الله. من خلال تأليف عدداً من الكتب للأطفال والفتيان والفتيات..

وقد ألقى كل من الشاعر عبدالله عيسى السلامة، والشاعرة نبيلة الخطيب قصيدة رثاء في سماعة الشيخ أبي الحسن الندوي.

■ ندوة ثانية ■

يعقد ها الفسه الديني السنوي بجامعة «عليكرة» الإسلامية

عقد القسم الديني السنوي بإشراف فضيلة الشيخ الدكتور محمد سعود عالم القاسمي، ورئيس القسم الديني السنوي، ندوة حول حياة سماعة العلامة الندوي رحمه الله تعالى، في الفترة ما بين ٢٥ - ٢٦ من شهر مارس ٢٠٠٠م، وذلك برئاسة فضيلة الشيخ نظام الدين، الأمين العام لهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند، وقد افتتح الندوة شيخ الجامعة الدكتور محمود الرحمن،

■ في الهند:

ندوة علمية حول «حياة سماحة العلامة الندوي» وتطور العلوم الإسلامية والعربية في الهند»

عقدت ندوة علمية حول «حياة وإنجازات سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله تعالى، وتطور العلوم الإسلامية والعربية» في جامعة «علكيرة» الإسلامية، تولى عقدها رئيس القسم العربي، أ.د. صلاح الدين العمري، وذلك في الفترة ما بين ٢٢ - ٢٤ / من شهر فبراير ٢٠٠٠م.

عقدت الندوة برئاسة شيخ الجامعة سعادة الدكتور محمود الرحمن، بتلاوة آي من القرآن الكريم، وألقى الكلمة الافتتاحية، مدير الندوة البروفيسور كفيل أحمد، وتحدث فيها عن سماحة الفقيه، وألقى بعض الضوء على حياته وخدماته، وشخصيته العلمية والدينية العظيمة، كما أن كاتب هذه السطور سعيد الأعظمي، رئيس تحرير مجلة «البعث الإسلامي»، ألقى الخطبة الأساسية، متحدثاً فيها عن الجوانب المتميزة في حياته، والخسارة الكبرى التي فُقدت بها الأمة الإسلامية بوفاته، كما شارك بعض تلاميذ الفقيه في إبداء انطباعاتهم، والإشادة بخدماته وأعماله الجليلة التي أنجزها، وومن أبرز تلاميذه الذين تحدثوا في هذه الندوة: أ.د. راشد الندوي، وأ.د. محمد سالم القدواشي.

وأخيراً تحدث سعادة شيخ الجامعة الدكتور محمود الرحمن، عن شخصية العلامة الندوي، وقال: لقد كانت حياته نعمة من الله تعالى كبيرة على العالم كله، فإن ما خلفه من آثار للعلم والثقافة الإسلامية، ستبقى منارة للأجيال القادمة بصفة دائمة، كما أعلن عن افتتاح «كرسي العلامة الندوي» في الجامعة في مستقبل قريب.

وقد استمرت الندوة يومين، ألقى فيها عدد من أساتذة الجامعات والمدارس والمراكز الإسلامية كلمات وبحوثاً حول الموضوع، وانتهت الندوة بعد ما استمرت يومين كاملين بغاية من النجاح، وفي جو علمي خالص، وأخيراً ألقى كلمة الشكر الدكتور الإصلاحي.

يومين كاملين، ألقى خلالها بحوث ومقالات حول حياة العلامة الندوي وخدماته رحمه الله تعالى.

وقد كان من المقرر أن يرأس الحفل الافتتاحي للندوة سعادة الشيخ السيد محمد الزايع الحسيني الندوي، رئيس ندوة العلماء العام، ومنعه كاتب هذه السطور سعيد الأعظمي لإلقاء كلمة في الحفلة الافتتاحية، وتقديم بحث حول مكانة العلامة الندوي في مجال اللغة العربية وآدابها، ولكن القدر لم يساعد، وتأخر القطار الذي كان مقرراً للسفر إلى «علكيرة» ثمانية عشرة ساعة ولا حول ولا قوة إلا بالله. ■■■

وأشاد بجلائل الأعمال التي قام بها سماحته، وقد أعاد إعلانه في هذه الندوة عن افتتاح كرسي باسم الشيخ أبي الحسن علي الندوي، في الجامعة، كما أن فضيلة الشيخ نظام الدين أشار إلى جوانب من حياة الفقيه المهمة، وتحدث عن الميزة الكبيرة التي كانت تزين حياته وأعماله. وحضر هذه الندوة الدكتور محمد الشيخ محمود صيام ممثلاً لمكتب البلاد العربية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، وقد تحدث عن: «أبو الحسن الندوي وقضية فلسطين».

حضر الندوة كثير من الشخصيات العلمية الكبيرة، وعدد وجيه من العلماء والأساتذة، واستمرت الندوة

ندوات.. في تايين الشيخ



■ في ماليزيا:

أبو الحسن الندوي: شاهد القرن

نظمت جمعية طلبة الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية العالمية، في مدينة «كولالمبور» عاصمة ماليزيا ندوة عن المفكر الإسلامي «أبو الحسن الندوي»، بهدف إبراز شخصية المفكر الراحل ودوره في الإصلاح والدعوة، وذلك في ٢٤/١٢/١٤٢٠ هـ الموافق ٣٠/٢/٢٠٠٠ م.

■ وقد تحدث في الندوة مدير الجامعة الإسلامية العالمية الأستاذ الدكتور محمد كمال حسن، مشيراً إلى ضرورة إجراء مثل هذه الندوات تكريماً للمفكرين، وقال: إن أبا الحسن قد جمع بين العلم والتقوى.

وكانت الحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية للدكتور إرشاد إسلام، من قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، وتحدث فيها عن ترجمة الشيخ أبي الحسن الندوي وأخياره.

■ أما المحاضرة الثانية فكانت للدكتور منجد بهجت من قسم اللغة العربية وآدابها بعنوان: النقد المعيارى عند الشيخ أبي الحسن الندوي. وفي حديث د. منجد عن الشيخ أبي الحسن بين الأدب والنقد قال: إنه صاحب ثلاث نظريات: اثنتين في اللغة والأدب، وثالثة في تعليمهما، وآراءه النقدية مبثوثة في كتابه، «نظرات في الأدب».

■ ثم تحدث الدكتور محمد بن نصر عن الجانب الاجتماعي عند الشيخ الندوي تحت عنوان: تأملات اجتماعية في فكر أبي الحسن الندوي. وقد قصر تأملاته على أربع نقاط هي:

قضية الإصلاح والتغيير، ومشكلة التعليم في البلاد الإسلامية.

..وندوة عالمية حول حياة الندوي في جامعة الإمام

هذه الندوة كتنذكر لحياة العلامة الندوي رحمه الله، واعتراف بخدماته وأعماله الجليلة، التي وفق إليها بمشيئة الله تعالى، وقد كان ضيف الندوة الخاص سعادة الشيخ الدكتور عبدالله عباس الندوي، معتمد التعليم لندوة العلماء، وقد ألقى كلمة مستفيضة حول فقيد الأمة الإسلامية، وأما بعض جوانب حياته التي كانت مخفية على الناس بوجه عام، كما أن فضيلة الشيخ سلمان الحسيني تحدث إلى

والجامعات الإسلامية، والمراكز الدينية. وشرفها فضيلة الشيخ الدكتور محمد صيام، إمام المسجد الأقصى السابق، فكان زينة للندوة، وقد ألقى كلمة فيفاضة، وقصيدة جميلة قوية، حول شخصية العلامة الندوي، ومكانته في تاريخ الإسلام المعاصر.

وقد رأس الحفل الافتتاحي سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسيني الندوي، رئيس ندوة العلماء العام، وألقى كلمته الافتتاحية، وأشاد بعقد

عقدت جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد بقرية «كاتولي» بمنطقة «مليح» آياد في مديرية «لكنهوه» ندوة عالمية حول سعادة العلامة الندوي رحمه الله تعالى، بإشراف رئيس الجامعة ومؤسساتها، فضيلة الشيخ السيد سلمان الحسيني الندوي، في الفترة ما بين ٢١-٢٣ / من شهر ذي الحجة ١٤٢٠ هـ المصادف ٢٨-٣٠ من شهر مارس ٢٠٠٠ م، حضرها عدد كبير من جميع أنحاء الهند، وعلماء المدارس،

دار العلوم «نور الإسلام» في نيبال تعقد ندوة علمية حول حياة سماحة العلامة الندوي

عقدت دار العلوم نور الإسلام في «جلفانور» بمديرية «سنسري» في نيبال (قرع دار العلوم ندوة العلماء) ندوة كبيرة للإشادة بشخصية سماحة العلامة الندوي رحمه الله، وخدماته في مجال العلم والدين، وذلك في الفترة ما بين ٨-٩ محرم ١٤٢٠هـ - ١٤-١٥ أبريل ٢٠٠٠م.

رأس الندوة سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسيني الندوي، (رئيس ندوة العلماء العام) بكلمة ضافية كانت مثارة على الطريق، وألقى فضيلة الشيخ محمد أيوب النيبالي، رئيس دار العلوم نور الإسلام، كلمة ترحيبية رحب فيها بضيوف الندوة الكرام، وخاصة سعادة الرئيس الشيخ السيد محمد الرابع الحسيني الندوي، والوفد المرافق له، الذي كان مؤلفاً من فضيلة الشيخ عبدالقادر الندوي، أستاذ الحديث بكلية الشريعة لجامعة ندوة العلماء، والأخ الأستاذ شاهد حسين، المسئول عن الشؤون العامة لقسم التعمير والترقي، والأخ الحاج عبدالرزاق خان، مرافق سعادة السيد الشيخ محمد الرابع الحسيني الندوي.

استمرت الندوة يومين ألقى خلالها عدد من الأساتذة والشيخ كلمات حول الموضوع. وقد عقدت ندوات عديدة في آخر شهر مارس حول الموضوع نفسه، كما عقدت ندوتان في ٢٨ أبريل ٢٠٠٠م حول حياة سماحة العلامة الشيخ الندوي وإنجازاته رحمه الله، أولاهما في «كلكتا» بإشراف الشيخ المقرئ محمد إسماعيل ظفر، ثانيهما في «اورنج آباد» بإشراف فضيلة الشيخ رياض الدين الفاروقي الندوي، الأمين العام لجامعة كاشف العلوم.

ومشكلات الشباب، وحرية المرأة من التحفظ إلى التأييد. وكانت المحاضرة الرابعة عن الإمام أبي الحسن الندوي وجهوده في خدمة السيرة النبوية، للدكتور ليث سعود القيسي، من قسم القرآن والسنة. وذكر بأن السيرة النبوية هي المعين الذي استمد منه الندوي المنهج الذي نستطيع أن نصلح به الفرد، وتطرق إلى منهج الندوي في كتابة السيرة، حيث تناولها من محاور البعد التاريخي، والحضاري، والإنساني، والدعوي، والتربوي، والعقائدي، والتكاملية بين العلوم.

وختمت الندوة بمحاضرة للدكتور محسن محمد صالح، من قسم التاريخ والحضارة الإسلامية عن «رؤية الندوي للتاريخ الإسلامي» ورأى د. محسن أن الندوي انفرد بمنهج سيزه عن غيره، من المفكرين والباحثين المعاصرين، وذلك لعدة مزايا، أبرزها: معرفته بعدد من اللغات ثم شموله العلمي، وتعمقه في التاريخ الإسلامي، ثم قدرته على استيعاب الكثير من الأفكار والنظريات، وسوقها في سياقها الإسلامي. ويضاف إلى ذلك قدرته العالية على نقد أوضاع الأمة الإسلامية والأمم الأخرى؛ نقداً علمياً موضوعياً.



ام أحمد بن عرفان الشهيد

الحفل، وأفاض في الحديث الذي نال إعجاباً من الحضور. وحضر هذه الندوة أيضاً د. محمد صيام وألقى قصيدة في رثاء سماحة الشيخ الندوي.

استمرت الندوة ثلاثة أيام، أقيمت خلالها مقالات وبحوث حول الموضوع، كما ألقى عدد من الخطباء كلمات مفيدة.



ندوات.. في تأيين الشيخ



ندوة منتدئ الجامعة الإسلامية في أنكلترا

عقد منتدئ الجامعة الإسلامية بالمملكة المتحدة ندوة عالمية حول الشيخ أبي الحسن الندوي (رحمه الله) من الساعة العاشرة صباحاً وحتى الساعة السابعة مساءً يوم الثلاثاء من يوليو لعام ٢٠٠٠م في مركز «سيوري الرياضي» بمدينة «ديوسبوري» بولاية غرب «يوركشر» تحدث فيها لفيف من كبار العلماء والأدباء حول حياة الشيخ العلمية والعملية ومآثره في مجال الدعوة الإسلامية وجهاده لإعلاء كلمة الإسلام وإيقاظ الأمة الإسلامية من غيوبتها وإعادة لحمة الوحدة الإيمانية إليها.

ندوة مركز

أقيمت هذه الندوة في يوم الأحد ٢٠٠٠/٩/٣م في مركز الدراسات الإسلامية عن سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي الرئيس المؤسس لمجلس أمناء مركز أوكسفورد رحمه الله، ومن المعروف أن هذا المركز أقيم بالتنسيق مع جامعة أوكسفورد. وقد بدأت الندوة بالقرآن الكريم ثم بكلمة ترحيبية ألقاها الدكتور فرحان نظامي مدير المركز، ثم ألقى معالي الدكتور عبدالله عمر نصيف نائب رئيس مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية والأمين العام لمجلس أمناء المركز كلمة الافتتاح، وجاء فيها قوله: «سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي

..ونندوة الجامعة الإسلامية العالمية في بنغل

وأقامت الجامعة الإسلامية العالمية في شيتاجونج ببنگلاديش ندوة كبيرة عن الشيخ أبي الحسن الندوي، وذلك في ١٠/٧/٢٠٠٠م حضرها ألوف من تلاميذ الشيخ أبي الحسن ومحبيه. عقدت الندوة في قاعة كلية شيتا جونج الحكومية برئاسة الأستاذ الدكتور أبوبكر رفيق أحمد وكيل الجامعة الإسلامية للشؤون الأكاديمية.

تحدث في الندوة عدد من الأساتذة والعلماء منهم: الأستاذ عبدالسلام آزادي والدكتور محمد طريق الإسلام، كما تحدث واحد من تلامذة الشيخ النجباء، وهو الأستاذ أبو الرضاء محمد نظام الدين الندوي، وشارك في الندوة بالحديث كل من العلامة شاه محمد قطب الدين مدير مدرسة بيت الشرف وشيخها، وعضو البرلمان الشعبي العلامة الشيخ دولور حسين

السعيد. تناول المتحدثون مختلف الجوانب الدعوية والعلمية والأدبية والفكرية في حياة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله، كما أبرز الدكتور أبوبكر رفيق أحمد في كلمته الختامية ما كان للشيخ أبي الحسن من علاقة روحية بالجامعة الإسلامية العالمية في شيتاجونج، حيث كان عضواً فخرياً في مجلس أمنائها، وأقارن الدكتور أبوبكر أن الجامعة

دراسات إسلامية في أوكسفورد - انكلترا

علم من أعلام هذه الأمة توفي في عام الحزن كما سماه الدكتور يوسف القرضاوي، وهذه الندوة أقيمت للحديث عن حياته وأعماله ومؤلفاته وأخلاقه، وليست الذكرى إلا للمعبرة والتمثل بشخصية المتحدث عنه.

ثم توالى المتحدثون بعد ذلك بدءاً بفضيلة الشيخ محمد الرابع الندوي رئيس ندوة العلماء، وقد تحدث عن نشأة الشيخ وحياته، ثم تلا ذلك كلمة فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي الأستاذ بكلية الشريعة في جامعة قطر وقد ألقى نيابة عنه، إذ حال العذر القاهر دون حضوره الندوة، وكان عنوان كلمته «الإمام أبو الحسن الندوي، سفير

العجم لدى العرب»، وتحدث بعد ذلك فضيلة القاضي الشيخ محمد تقي العثماني، وقد جاءت كلمته عن «الشيخ أبي الحسن الندوي الداعية».

وترأس الجلسة الثانية فضيلة الدكتور خالد المذكور عضو مجلس أمناء المركز والمستشار في «مركز التوثيق والمعلومات لتطبيق الشريعة الإسلامية» الملحق بالديوان الأميري بالكويت، وقد افتتح الجلسة بكلمة ضافية عن مكانة الشيخ أبي الحسن الندوي، وعن حاجة العالم الإسلامي إلى معرفة منهجه وطريقته، وإلى نقل ذلك إلى عمل، كما تحدث عن مكانة سماحته في الكويت.

ثم قدم رئيس الجلسة فضيلة القاضي مجاهد الإسلام القاسمي رئيس هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند، وكان عنوان كلمته «مشكلة ولا أبا حسن لها». وتلاه سعادة الدكتور عبدالقدوس أبوصالح رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وقد تحدث عن «الشيخ أبي الحسن الندوي ورابطة الأدب الإسلامي العالمية»، ثم تحدث فضيلة الدكتور محمد عجاج الخطيب الأستاذ بكلية الشريعة في جامعة الشارقة بكلمة عنوانها «قبس من منهج الإمام أبي الحسن

الندوي في الدعوة إلى الله عز وجل». وتحدث أيضاً فضيلة الدكتور عبدالستار أبي غدة رئيس المكتب الشرعي في مؤسسة دلة بجدة عن الشخصية العلمية للشيخ أبي الحسن الندوي، وكان آخر المتحدثين فضيلة الدكتور علي القره داغي الأستاذ في كلية الشريعة جامعة قطر وقد تحدث عن «فكر الشيخ أبي الحسن الندوي من خلال كتابه: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين». وقبل ختام الندوة ألقى الأستاذ محمد الحسنوي قصيدة في رثاء الشيخ الندوي، وتبعه الدكتور محمود السيد الدغيم بقصيدة أخرى.

لاديش

الإسلامية العالمية في شيتاجونج تفكر جدياً في الاستفادة القصوى من مؤلفات الشيخ أبي الحسن في إطار مناهج الجامعة ومقرراتها. وبما أن الجامعة الإسلامية العالمية قد أسست على منهج الوسطية والشمولية فإنها سوف تفتح فرعاً نشطاً لرابطة الأدب الإسلامية العالمية فيها لدفع حركة الأدب الإسلامي في بنغلاديش إلى الأمام.

■ ونورد فيما يلي نص الكلمات التي وصلت إلى المجلة قبل طباعة العدد الخاص بسماحة الشيخ الندوي رحمه الله رحمة واسعة كفاء ما قدم للإسلام والمسلمين.

ندوات.. في تأيين الشيخ

■ الشيخ الكبير
أبو الحسن علي
الحسني الندوي..

كيف نكون شخصيته؟

الحمد لله رب العالمين، والصلاة
والسلام على خاتم المرسلين محمد
وآله أجمعين، ومن تبعهم بإحسان
إلى يوم الدين، وبعد:

فأعظم الله أجركم أيها السادة
الستمعون في فقد هذه الشخصية
الكبيرة شخصية سماحة الشيخ أبي
الحسن علي الحسني الندوي رحمه
الله تعالى، وأكرم نزله عنده، وأقدم
تعزيتي بصورة خاصة إلى هذا
المركز الإسلامي الجليل الذي كان

سماحته أحد مؤسسيه ورئيس مجلس أمنائه الأول. جزاه
الله تعالى أكرم الجزاء على خدماته الطيبة، وأرحب
بمعالي الدكتور عبدالله عمر نصيف نائب رئيس مجلس
الشورى بالملكة العربية السعودية حفظه الله تعالى، وهو
الذي خلف شيخنا الراحل في رئاسة هذا المركز. ولقد
كانت بيته وبين سماحة الشيخ رحمه الله صلوات مودة
وأخوة طيبة، وكان كل واحد منهما يحمل في قلبه تقديراً
عظيماً للآخر، وأقدم تقديري إلى مدير هذا المركز سعادة
الدكتور فرحان أحمد نظامي وزملائه على عقد هذه
الندوة لذكرى سماحة الراحل العظيم رحمه الله تعالى،
وبعد:

فإن حياة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني
الندوي رحمه الله تعالى كانت حياة نموذجية للعلماء

والعالمين في مجالات العلم والتعليم والتربية الاجتماعية،
فقد طلب رحمه الله العلم حتى استوعب منه ما كانت
تتطلبه حاجة حياته الذاتية وما كان يفرضه عليه عصره
للعمل في مجالات الحياة الاجتماعية، والعمل التربوي،
وما كانت تقتضيه حاجة الفكر الإسلامي المعاصر.

وقد ساعده في تحقيق كل ذلك عوامل مختلفة، ومنها..
أولاً: البيئة العائلية التي ولد ونشأ فيها فقد كانت بيئة علم
و ثقافة، كان جده مؤرخاً وأديباً يدل على ذلك تاليفه لكتاب
موسوعي في التاريخ في جانب، وما تركه من مجموعة
شعرية ظهر فيها براعته ونبوغه في جانب آخر، ثم جاء
والده ففسار على نفس الدرب من البحث والتأليف في
التاريخ ويتوسع وإفادة أكثر، فقد ألف في تاريخ الرجال
وفي تاريخ الثقافة والعلم، وألف كتاباً قيمياً في تاريخ
الشعر ونقده، وهي كتب تعد من المصادر في موضوعاتها،
ثم كانت أمه من النابهات في شؤون التربية والأدب، لها
كتاب في تربية البنات، ولها مجموعة قصائد شعرية عبرت
فيها عن أسالها في ولدها، وابتهالات ومناجات قرصتها
باسلوب متين أخاذ النفس.

وكان أقارب سماحته في مثل هذه الخصائص، فقد
كانوا موصوفين بالثقافة والعلم والآداب الرفيعة، فنشأت
في سماحته ميول وأخلاق عالية، ولكن ما بلغ الشيخ
تسع سنوات من عمره حتى توفي والده، وكان في مهنته
طبيباً، وكانت مهنته هذه وسيلة وحيدة لكفالة عائلته،
وكان له أخ يكبره سنّاً ولكنه لم يكن وصل بعد إلى درجة
التفرغ للعمل فقد كان طالباً في المرحلة العالية، فوقع عبء
اقتصادي ثقيل على العائلة، وصبرت العائلة عليه، وأثبتت
أم الشيخ رحمه الله تعالى صبراً ورياسة واهتماماً بأن
يشب ولدها اليتيم على شمائل الشرف ومكارم الأخلاق،
وعلى الهمة والعزيمة والجد، وقامت عملياً بتربيته عليها
كما يدل على ذلك رسائلها التوجيهية التي كانت ترسلها
إليه من القرية التي تسكنها إلى المدينة التي كان يقيم فيها
ولدها العزيز للتعليم الثانوي والعالي، ولقد ساعد الوضع
القاسي الذي واجهه الشيخ رحمه الله تعالى في هذه
المرحلة من صغره مع يقصه وزهاده اقتصاده في نمو
مؤهلاته الفطرية لمواجهة الشدة ولتنمية ملكاته البناءة من
جد واحتمال ومن اعتماد على الله ثم على نفسه، فاشتغل



يوسع معارفه العلمية، ويدرس الجديد منها، فتعلم اللغة الإنجليزية، ودرس العلوم الطبيعية إلى أن نال شهادة ليسانس فيها

بقلم: فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

بامتياز، ثم التحق بكلية الطب، وأتم الدراسة فيها أيضاً بامتياز.

ثم إن زوجته أم سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، كانت متصفة بصفات ممتازة، إنها كانت أدبية شاعرة وخبيرة في تربية البنات مع الصلاح الديني والتقوى والعبادة التي كانت ممتازة فيها بين عضوات أسرته، فنشأ سماحة الشيخ الندوي في بيئة هذا البيت وفي بيئة ندوة العلماء، فحصلت له مؤهلات متعددة وخصائص متنوعة، فشب على الصلاح والتقوى، وتخصص في أصول الدين والعلوم الإسلامية وتعلم اللغة الإنجليزية، أما الشغف بالتاريخ فقد ورثه من والده العلامة وامتاز فيهما، واستعمل معرفته للغة الإنجليزية للاطلاع على تاريخ أوروبا وأخلاقيها، والوسائل المجدية لها في تقديمها واستيلائها على الشعوب المتأخرة علمياً وسياسياً، كما أن مكانة والده العلمية والدينية بين معاصريه هيأت لولده الشيخ أبي الحسن أسباب المعرفة لرجالات عصره وميزاتهم، واستغل الشيخ رحمه الله معرفته هذه في تقربه إلى عظمائهم في العلم والدين، وتلمذ عليهم، واستفاد منهم، وبذلك أصبحت شخصيته جامعة لميزات وخصائص متنوعة.

كانت أمه التقية، وكان أخوه الصالح يتمنيان من البداية أن تكون سيرته على مستوى سيرة السلف من صلاح وتقوى وإخلاص ومكارم الأخلاق، فأشارا عليه به، وبناءً على ذلك زار العلماء والصالحين من عباد الله في عهده، واكتسب منهم قسطاً كبيراً من حسن الطوية والزهد في الدنيا، والإخلاص في العمل، والاحتساب، وإيثار خير الآخرة على خير الدنيا، كما ساقته مطالعته وقرآته إلى التقدير لما قسام به العلماء السلف من تجديد الفكر الإسلامي في أزمان مختلفة، ولما قسام به أهل العزيمة والعمل منهم من حركات إصلاحية تربوية، وكان له مثلاً محبوباً في ذلك أحد أجداد أسرته بصورة عامة، وهو

بالدراسة بجد واهتمام بالاستفادة مما تركه والده الجليل من ثراث علمي ومنهج عملي وخلق نبيل، وساعده في ذلك أخوه الأكبر كل المساعدة، واهتم بتنمية مؤهلاته الفكرية وحفره على توسعة معرفته العلمية بمؤهلاته الفردية المحدودة، وهو نشأ وتربى على والده العظيم، ومن هنا نشأت في سماحة شيخنا رحمه الله تعالى السعة في الفكر والالتزام بالقيم والحب لتوسعة معارفه العلمية، فاهتم بدراسة لغته واللغة الأجنبية كذلك.

هذا بالنسبة إلى ما حصل له من بيئته العائلية، أما في بيئة أوسع من هذه البيئة وهي البيئة العلمية والاجتماعية العامة فقد حصلت له من طراز خاص أيضاً كان فيها سعة النظر أكثر واعتدال الفكر وجامعية علمية وثقافية، وذلك لما كان قد توصل إليه طائفة من العلماء في عصر قبيل ميلاده ورجال الثقافة والعلم معهم بعد اطلاعهم على أوضاع المسلمين المختلفة ورفق الغرب وقوته واستيلائه على الشرق إلى ضرورة إنشاء منظمة وجامعة تقومون بالجمع بين الثقافتين: الثقافة الإسلامية القديمة والثقافة المفيدة للحياة الجديدة. وبين المنهجين للتعليم والتربية: المنهج الديني للمأثور والمنهج العلمي الجديد، وهي منظمة ندوة العلماء وجامعتها دار العلوم التابعة لها وبذلك أحدثوا بيئة علمية ثقافية جامعة بين القديم والجديد، أخذوا فيها من القديم الموروث ما يلزم وما يقتدر إليه للمحافظة على القيم الدينية الصالحة، وأخذوا من الجديد ما ينفع في تأهيل الجيل الصاعد لمسيرة الشعوب الراهنة، والمساهمة في إنجاز الأمر الذي يخرج الأمة من غفوتها السائدة، فقد رأوا الغزو العلمي والسياسي للغرب، فوجدوا أن الانفتاح العلمي لابد منه لتربية الأجيال الصاعدة، فقرروا في المنهج التعليمي ما يلزم من العلوم الاجتماعية والإنسانية ومن اللغات، وسمخوا بدراسة العلوم الطبيعية ما يزيل هذا التخلف المخزي.

وكان والد سماحته من أوائل من حملوا مسئولية إدارة منظمة ندوة العلماء وقام بتنفيذ المشروع التعليمي الجديد، وقد كان واسعاً في النظر عارفاً لمقتضيات الحياة العزيرة للمسلمين في الظروف الراهنة مع محافظة على الدين والقيم الأصيلة، وبناءً على ذلك سمح لنجله الأكبر أخي سماحته أن يقوم بعد إتمامه لدراسة العلوم الإسلامية بأن

ندوات.. في تأبين الشيخ



المصلح المجاهد الكبير السيد أحمد بن عرفان الذي كان قد قام بحركة إصلاحية جبارة، وأصلح ألوفاً من الناس في شبه القارة الهندية، وقد قرأ سماحته في أوائل عمره السيرة النبوية بشوق ورغبة، وكان تأثر بها تأثراً عظيماً وبخل ذلك الأثر في نفسه، ورسخ فيها، فكان مصداقاً لقول القائل:

أثاني هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادف قلباً خالياً فتعكنا
وإن أهم ما تأثر به سماحته في مطالعته الأولى شعر الدكتور محمد إقبال الذي مجد بشعره السلف الصالحين الأولين ليطولاتهم وخصائص سيرتهم العملاقة، وكذلك شعر الشاعر الناقد للحضارة الغربية وفكرها الإباحي الشاعر الكبير آله آبادي، وكان رجلاً مثقفاً الثقافة الانكليزية، وكان شاعراً بارعاً في التعبير والتأثير، ومطالعة الشيخ رحمه الله لشعر هذين الشاعرين زادت من اعتزازه بعظمة أسلاف

الإسلام وروعة سيرهم وأعمالهم، كما علم عن الحضارة الغربية ما امتازت به وفاقته في تطوير وسائل الحياة، والذي يتطلب الاستفادة من منجزاتها للمادية النافعة، ولكنه علم مع ذلك ما منيت به من الخواء الروحي، وفقر في القيم الإنسانية المشرقة، ثم إن مطالعته في أمهات كتب الفكر الإسلامي والشريعة الإسلامية لعظماء المفكرين القدامى مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن الجوزي وغيرهم، وجدد في الفكر الإسلامي في الهند مثل مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد السرهندي، ومثل الشيخ الإمام ولي الله الدهلوي قد كوّنت في نفس شيخنا الاعتراف بعبقريّة الفكر الإسلامي وجدارته لهداية الحضارة والمدنية كذلك.

فهذا كله نجده في مؤلفات الشيخ بتعبيره القوي

وعرضه المستع، ويمثل فكره ونظرته إلى الحياة في الجانب الأول كتاباه: «ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين» و«بين المدنية الغربية والمدنية الإسلامية» ويمثل علمه ومعرفته الدقيقة للشريعة الإسلامية كتاباه: «الاركان الأربعة»، و«النبوة والأنبياء»، ويمثل نظرتهم التربوية والأخلاقية كتاباه: «ربانية لا رهبانية» و«بين الإيمان والمادية» ويمثل تأثره بالشخصيات الإسلامية العملاقة من تاريخ الإسلام كتابه «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» وكتبه في سير نخبة من الشخصيات الإسلامية الممتازة، أما الذين استقاد منهم استفادة أكبر وتخلق بخلقهم من الشخصيات الإسلامية الكبرى شخصية أسرته العملاقة السيد أحمد بن عرفان، وشخصية الإمام أحمد بن حنبل، وللجديد للألف الثاني الإمام السرهندي، والإمام ولي الله الدهلوي، وقد ذكرهم في محاضراته ورسائله الإصلاحية والتوجيهية المختلفة الكثيرة، وظهر أتباعه لمنهجهم في الدعوة والعمل في منهجه عند لقائه للحكام والولاة وإسداء النصيحة إليهم بكل إخلاص ومودة مع الزهد فيما في أيديهم.

وقد امتاز سماحته بميزتين يصعب الاتصاف بهما على الناس، وقد زادت هاتان الميزتان في تأثير شخصيته وحبه لدى الناس، وهما أولاً الصبر على أذى الناس واحتماله بطلاقة الوجه، وعدم انتقامه من المسيء إليه معاملة معه رغم ذلك بإسداء الخير ومكارم الأخلاق، والميزة الثانية هي رعاية من يساعده أو يشاركه في العمل، فكان يعامله معاملة جد كريمة، ولم يكن يجفوه بقدر المستطاع فنادراً ما هجر مساعداً له أو أبعد عنه، وكان يجمع بين أضداد الناس ويستفيد من كل واحد منهم من صلاحيته حتى المختلفين عنه في المنهج العملي والاتجاه النظري، وبذلك كان يتفق عليه آراء الناس ويجمعون حوله كما لا يجتمعون على غيره.

وبذلك ظهرت شخصية العلامة الشيخ أبي الحسن الندوي شخصية فذة، اعترف بها الناس في أنحاء العالم الإسلامي كله، وعدوا وفاته خسارة عظيمة في مجال الحق، والفضيلة والخير الإنساني، وعدوا وفاته لخلو مكانه في عدد من الجمعيات والمجامع والمراكز الثقافية والتربوية والعلمية، وظنوا أنهم لا يجدون لمكانه فيه ابدياً يساويه رحم الشيخ أبا الحسن الندوي رحمة واسعة، وأساكنه جناته الفسيحة.

■ الإمام أبو الحسن الندوي.. سفير العجم لدى العرب



بقلم: د.د.

يوسف القرضاوي

عنهم أن لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة بالحق، ظاهرة عليه، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك.

وهو بلا شك من الأمة التي نوه بها القرآن، وأثنى عليها في قوله عز وجل ﴿وَمِنْ خَلْقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ [الأعراف: 157].

وممن قال فيهم سيدنا علي كرم الله وجهه: لا تخلوا الأرض من قائم لله بالحجة.

ويستطيع ذوو الأقلام أن يجدوا أكثر من مجال للكتابة عن الشيخ الندوي رحمه الله.

وقد كتبت عن الشيخ الجليل عندما قامت «رابطة الأدب الإسلامي» - التي شرفت برئاسته - بعقد ندوة خاصة لتكريمه، والتي كانت في مدينة استنبول منذ عدة سنوات، ودعي إليها عدد من رجال الأدب والفكر من العالم العربي والإسلامي، ليشاركوا في تكريم الشيخ رحمه الله عليه. ولقد كانت هذه فرصة لاكتب عن ركن الفكر الدعوي للشيخ الندوي، ولقد حصرتها في عشرين ركيزة، أحصيتها، وتحدثت عن كل منها بإجمال. وتحدثت بتفصيل عن إحداها فقط وهي ركيزة «إعلاء الوحي على العقل».

كما كتبت عن الشيخ بمناسبة محاضراته التي ألقاها في دولة قطر بدعوة من وزارة الأوقاف فيها، والتي تحدث فيها الشيخ عن «مهمة الأمة الإسلامية في العالم»، ونشرت كلمتي مع محاضراته وكذلك كتبت عن الشيخ كلمة رثاء عند وفاته رضي الله عنه، وفاء ببعض حقه.

واليوم أراد إخوة في «مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية» بإنجلترا، والذي يرأس الشيخ مجلس أمنائه، وسعدت بعضويتي فيه، فقد كان فرصة للقاء بين الحين والحين، لأرطب جفاف قلبي بفيض رباتيته، ورقق

الشيخ الإمام أبو الحسن علي الحسن الندوي: شخصية ثرية متعددة المواهب، متنوعة العطاء، فهو إمام من أئمة الدعوة، وعلم من أعلام الإصلاح، ونجم من نجوم الهداية، وجبل من جبال العلم، ورائد من رواد الربانية، وقائد من قادة الإسلام.

كان الشيخ أحد الرجال «الربانيين» الذين يدل على الله منطلقهم، ويذكر بالأخرة سلوكهم، وبزهد في الدنيا حالهم، ولقد قال العرب: لسان الحال أبلغ من لسان المقال. وقال علماء السلوك: حال رجل في ألف رجل أبلغ تأثيراً من مقال ألف رجل في رجل.

ولقد قال السلف: الرباني هو الذي يعمل ويعمل ويعلم. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِينَ بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ آل عمران.



كان من «معلمي الناس الخير» الذي تصلي عليهم الملائكة في السموات، وتصلي عليهم مخلوقات الله في الأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر، كما ورد في الحديث.

كان كما قال الإمام أحمد عن الإمام الشافعي: كالشمس للدنيا، والغافية للناس.

إنه من القلائد الذين يجود بهم القدر على الناس ما بين فترة وأخرى، لطقاً من الله بهم، ورحمة من الله لهم، ليحيوا ما مات من القلوب، ويجددوا ما اندرس من الدين.

وهو من «الخلف العبدول» الذين حملوا علم النبوة، وميراث الرسالة المحمدية، لينفوا عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، كما روي في بعض الأحاديث.

وهو - لا ريب - من أعلام الطائفة المنصورية التي صحت بها الأحاديث، واستفاضت عن عدد من الصحابة رضي الله

ندوات.. في تأيين الشيخ

روحانيته، أرادوا أن يقيموا ندوة تكريمية للشيخ رحمه الله، واختاروا لي أن أتحدث عن «صلة الشيخ بالعالم العربي» وإنها صلة وثيقة وعميقة جديرة بالتنويه.

■ موقع الشيخ

لدى العالم العربي

كان الإمام أبو الحسن علي الحسيني الندوي - رحمه الله عليه - سفير الشعب المسلم بالهند، بل سفير الشعوب المسلمة في بلاد العجم كلها، لدى البلاد العربية: علمائها ودعاتها ومفكرها المسلمين، ومجامعها العلمية والدعوية الإسلامية ومؤسساتها الثقافية والدينية.

■ الاعتراف بالقرن وفهد

فهد الشيخ لدى العرب

وقد أجمع العلماء واتفقت المجامع والمؤسسات والمجالس العلمية والدعوية المختلفة على اعتماد سفارة الشيخ أبي الحسن وتمثيله لمسلمي الهند خاصة والعجم عامة، وذلك لاعتبارات مهمة، نجلها فيما يلي:

١- أرومته العربية:

أولاً: أرومته العربية، ونسب الحسن الشريفي، فلا شك أنه عربي قرشي هاشمي حسني، وإن نشأ في الهند وعاش فيها، وهذا ولا شك قرينه إلى العرب، فهو في الحقيقة واحد منهم.

٢- رسوخه في العربية:

وثانياً: تضلعه في اللغة العربية، وتشبعه بعلومها وآدابها منذ صباه، وقراءته لكتبها، وإطلاعه على مصادرها، وحفظه الكثير من شعرها ونثرها، واستحضاره لها، وحسن استشهاده بها، كأنما نشأ في أرض العرب، وتعلم في معاهدها، فكان يخطب ويحاضر بالعربية الفصحى، ويكتب

بها مؤلفاته، من كتب ورسائل، فهو يكتبها في الأصل باللغة العربية، ثم تنقل إلى الأوردية، إلا مآندراً على خلاف ما كان عليه الأستاذ الكبير أبو الأعلى المودودي، فقد كان يكتب بالأوردية ثم تنقل كتبه إلى العربية. وهذا ما جعل الشيخ أبا الحسن يهتم بالأدب العربي ويؤلف فيه كتاباً للنشئين منذ شبابه، كما يهتم بتأسيس رابطة للأدب العربي الإسلامي في شيخوخته، وظل رئيساً لهذه الرابطة حتى أدركتها الوفاة.

٣- ثقافته الواسعة:

وثالثاً: ثقافته الواسعة التي جمعت بين القديم والحديث، وضمت إلى الثقافة العربية الإسلامية الشرقية، الثقافية الغربية الحديثة، وساعده على ذلك معرفته بعدد من اللغات التي كانت نوافذه إلى الثقافات المختلفة، فقد كان يعرف العربية والأردية والهندية والفارسية والإنجليزية. وقد تجلّى أثر هذه الثقافة الموسوعة في إنتاجه وعطاءه الفكري.

٤- كتيبه الأصيلة المعبرة عن ثقافته ووجهته:

ورابعاً: وصول كتبه ورسائله إلى العرب، فعرفه الناس بها قبل أن يعرفه شخصياً، فوجدوا في هذه الكتب الفهم السليم للإسلام، والفهم السليم للتاريخ، والفهم السليم للواقع، مع حماسة وغيرة على الإسلام وعلى أمته عامة، وعلى العرب منهم بصفة خاصة، كما يبدو ذلك واضحاً في أول كتاب عرفه به العالم العربي، وهو «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين».

٥- عنايته بالعرب وهمومهم ومشكلاتهم:

وخامساً: عنايته بالعرب ومشكلاتهم المختلفة، وبنهضتهم، وهويتهم، باعتبارهم عصبية الإسلام، وأهل الرسول الكريم، وأحفاد الصحابة الميامين، والمفروض فيهم أن يقودوا الركب الإسلامي، وأن يأخذوا بزمام القافلة الإسلامية. وهذا ما نراه في كتب ورسائل شتى مثل: من العالم إلى جزيرة العرب، ومن جزيرة العرب إلى العالم، و«اسمعيات الموقظة التي خاطب بها عدداً من البلاد العربية مثل «اسمعي يا مصر» «اسمعي يا سورية» «اسمعي يا زهرة الصحراء» يعني الكويت «اسمعوها مني صريحة أيها العرب» إلى رسائل كثيرة أخرى. أما قصة فلسطين، فكان لها جزء كبير في تفكيره وفي شعوره، كما كان لها في محاضراته



ورسائله وكتبه مكان أي مكان، وهذا اهتمام قديم ظاهر وبارز في تراث الشيخ كله. وكان من رأيه أنها تحتاج إلى شخصية قيادية إيمانية تنفخ في الأمة من روحها، مثلما فعل صلاح الدين.

٦- وسطيته واعتداله:

وسادساً: وسطيته الفكرية، واعتداله في تناول القضايا الخلافية والمسائل الشائكة، فهو يعرض لها برفق، ويتناولها بحكمة، تناول من يحرص على أن يبني ولا يهدم، وأن يجمع ولا يفرق، تناول من يبحث عن القواسم المشتركة لا عن نقاط التمايز والاختلاف، تناول الطبيب المسك بالمريض، لا القصاب المسك بالساور. وهكذا رأينا تناوله لقضية التصوف في كتابه «ريانية لا رهبانية» وللشخصيات التي لها دور في التجديد والإصلاح في تاريخنا الإسلامي، في كتابه «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» بأجزائه المتعددة ومنها عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وعن الإمام السرهندي، والإمام الدغلوي.

٧- مؤسسته التي يفتخر لها:

وسابعاً: إنتماؤه إلى مدرسة ومؤسسة علمية وفكرية متميزة، هي «ندوة العلماء» التي عفت بمؤسسيها من العلماء الكبار الجدد، من أمثال العلامة شلبية النعماني، والسيد سليمان الندوي، وهذه المؤسسة قد جمعت بين علوم السلف ومعارف الخلف، وبين صفاء العقيدة، وروحانية التصوف، وبين العلم الواسع والإيمان الراسخ، وهي ترحب بكل جديد صالح، كما تستفيد من كل قديم نافع، وتأخذ من التراث ما صفاً، وتدع ما كدر. وتؤمن بالثبات على الأهداف والكليات، وبالتطور في الوسائل والآليات. لهذا أحبها المسلمون المخلصون العاملون لإصلاح الأمة وتجديد الدين.

٨- شخصيته المحببة:

وثامناً: شخصيته المحببة لكل من عرفه، واقترب منه، ناهيك بمن خالطه وعاشه، فهو رجل راسخ الإيمان، قوي اليقين، شديد الخشية لربه. عامر القلب بحبه، زاهد في الدنيا، مشغول بالآخرة، حسن الخلق، عف اللسان، غيور على دينه، حامل لهماهم أمته، غائب عن حظ نفسه، كلما استل من القرن الأول استللاً، ليوضع في زمناً هذا، هو بقية من السلف وهدية إلى الخلف، وهو رباني الأمة بحق، فهو يعيش في هذه الدنيا بقلب أهل الآخرة، ويمشي على

الأرض وعينه ترنو إلى السماء. وهذا ما جعل كثيراً من الناس - وأنا منهم - يتقربون إلى الله تعالى بحبه.

كان هيناً ليناً سهلاً سمحاً كريماً سخياً فيه من خلق الحسن السبط - رضي الله عنه - ومن رفقته ولينه وزهده وتواضعه، ما يؤكد نسبه، ويؤيد حسبه، فهو حسني خلقاً وأدباً، كما أنه حسني أصلاً ونسباً.

ومما أذكره هنا من مناقب الشيخ أنه - خصوصاً في مكة المكرمة والمدينة المنورة - كان يترك القناديق الفخمة - خمسة نجوم - لينزل في بيوت بعض إخوانه أو تلاميذه من الهنود - وهي عادة بيوت متواضعة - لأن هذه البيوت أقرب إلى فطرته وإلى حياته وإلى بساطة معيشته وطبيعة مأكله ومشربه.

٩- إجماع قومه عليه:

وتاسعاً: أن قومه - الذين يعتبر سفيراً عنهم - مجمعون عليه - لا يختلف فيه اثنان، ولا ينتطح فيه عزازن، كما يقولون. اجتمع عليه السلفيون والتصوفون، والمذهبيون واللامذهبيون، كما اجتمع عليه المتقفون بالثقافة الإسلامية التقليدية، والمثقفون بالثقافات الحديثة، وكان كلمة إجماع عندهم، أحبه الجميع لاعتقادهم بصدقه وإخلاصه وتجرده لله، وبعده عن الأغراض الشخصية، والمصالح الذاتية، والعصبية الجاهلية. ولهذا اختاروه رئيساً لكثير من مؤسساتهم، مثل مجلس عموم مسلمي الهند، ومجلس الأحوال الشخصية للمسلمين، وغيرها.

بل أقول: إن غير المسلمين من قومه كانوا يجلوته ويحترمونه، ويعرفون له قدره، الحكام منهم والمحكومون.

١٠- اختيار الشيخ للمجامع والمجالس المختلفة:

فلا عجب أن رأيناه من أوائل من اختيروا في «المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي» في مكة المكرمة من أول يوم انشئت.

كما اختير في المجلس الاستشاري أو المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ إنشائها.

وكذلك اختير في المجلس الأعلى العالمي للمساجد، التابع لرابطة العالم الإسلامي منذ تأسيسه أيضاً.

وكذلك كان عضواً في «مجلس المجمع الفقهي» المنبثق عن رابطة العالم الإسلامي منذ تأسيسه كذلك وقد سعدت برؤيته فيه.

ندوات.. في تأيين الشيخ

وقد اختير من قديم عضوا في
الجمع العلمي العربي بدمشق.
وكذلك عضوا في مجمع اللغة
العربية بالقاهرة. وفي أكثر من مجمع
علمي.

■ **بداية المصالحه بالعالم العربي**،
وقد بدأت صلة الشيخ بالعالم
العربي، وهو لم يزل في شرح
الشباب. كما ذكر ذلك في كتابه «في
مسيرة الحياة» منذ قام برحلته إلى
الحج.

ومن أبرز رحلاته المبكرة إلى العالم
العربي وأهمها: رحلته إلى مصر سنة
١٩٥١م، والتي التقى فيها بالعلماء
والدعاة والأدباء والمفكرين،
والجماعات الدينية في مصر، وحاضر
في كثير من أندية وجامعاتها،
ومدنها وقراها.

التقى بقيادة الإخوان المسلمين
وأصدر في ذلك رسالته «أريد أن
أتحدث إلى الإخوان»، والتقى بسيد
قطب والشيخ الغزالي والشيخ البهي
الخولي والشيخ الشرباصي والدكتور

محمد يوسف موسى، والأستاذ أحمد أمين وغيرهم من
رجال العلم والفكر والأدب من علماء الأزهر، وأساتذة
الجامعات.

ومما أذكره عن هذه الرحلة: أنني كنت أول من علم بقدم
الشيخ إلى القاهرة، علمت بذلك قبل مقدمه بأيام، من بعض
الشباب الهند الذين كانوا يدرسون بالأزهر. قالوا لي:
أتعرف الشيخ أبا الحسن الندوي؟ قلت: أليس هو مؤلف
كتاب «ماذا خسر العالم بالتحطاط المسلمين»؟ قالوا: بلي.
قلت إن أعرفه. قالوا: إنه على وشك الحضور إلى القاهرة.
قلت لهم: أرجوكم أن تبلغوني بوصوله بمجرد حضوره
لاسعى إلى زيارته. وقد فعلوا. فسارعت إلى زيارته، وكان
يسكن في شقة صغيرة متواضعة في زقاق ضيق متفرع
من شارع الموسكي بحي الأزهر. وقد أنزله بعض المصريين



الأخيار ضيفا في هذه الشقة، لأن الشيخ لا يحب النزول
في الفنادق، وما فيها من صخب ومتعة، لا تلائم حياته
وحاله. وقد رأيت عيشته في شقته هذه - وسعة اثنان من
إخوانه من ندوة العلماء - فكانت غاية في البساطة والقناعة
والزهد.

وقد ألقى الشيخ عددا من المحاضرات في الجامعات
والجمعيات والأندية وغيرها، حضرها جمهور طيب من
الناس.

حاض في دار الشبان المسلمين، وفي كلية دار العلوم،
وفي عدد من مدن مصر، منها: المحلة الكبرى التي كنت
أعيش فيها وأخطب فيها. وأصلح بيني وبين رئيس
الجمعية التشريعية في نفس المدينة، كما ذهب إلى بلدة
«نبرو» مركز طلخا، وألقى فيها كلمة طيبة، وطلب من الناس
أن يبيتوا في المسجد، قايما لليل، واستجابة لقول الله
تعالى: «والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما» الفرقان.

فاستجاب أكثر الحاضرين لدعوته، وبيتوا الليل في
المسجد، وبات الشيخ معهم، على طريقة جماعة الدعوة
والتبليغ.

والتقى بمجموعة مختارة من شباب الإخوان في البيت
الذي كنت أسكنه مع إخواني في حي شبرا بالقاهرة، وكان
حريصا على أن يسمع منا عن أخبار الشيخ وعن انطباعاتنا
عنه.

وكانت أيام الشيخ الندوي في مصر مباركة وحافلة
ونافعة، وترتب على هذا أن ظهرت الطبعة الثانية من كتابه
«ماذا خسر العالم بالتحطاط المسلمين»؟ مشتملة على عدد
من المقدمات المعروفة بالشيخ والمزهوة بشخصيته وبفضله.
مثل سيد قطب ومحمد يوسف موسى وأحمد الشرباصي.

وقد ذهب بعد زيارة مصر إلى سوريا، وكان له فيها
أنشطة ولقاءات مع رجال الدعوة والفكر والأدب أيضا.
وخصوصا مع السباعي والزرقا والمبارك والدواليبي.

وقد سجل الشيخ هذا الرحلة وآثارها وثمارها في كتاب
خاص سماه «مذكرات سائح في الشرق العربي»

١٠- دعوة الشيخ

للمؤتمرات والندوات والمحاضرات:

ولقد دعي الشيخ رحمه الله من أكثر البلاد العربية إلى
المشاركة في مؤتمرات وندوات أو لإلقاء محاضرات في

■ ■ مشكلة..

ولا أبا حشر لها

إن أرض الهند أنجبت مئات من الأعلام البارزين في سائر العلوم والفنون، وتمتاز هذه الدولة منذ تاريخها القديم بأنواع من النشاطات الفنية والجهود العلمية في مختلف المجالات.

فأنجبت الهند مئات من العلماء والفقهاء والمحدثين والمتصوفين والمفكرين تفتخر البلاد لخدماتهم وإنجازاتهم العلمية والتاريخية وتعتز بهم، والتاريخ الهندي الإسلامي

بقلم: القاضي

مجاهد الإسلام القاسمي

حافل بذكر هؤلاء
الأعلام النبلاء
الشوامخ.
إن الشعب

الإسلامي الهندي وجد شخصية طالعة على أفاق سماء العلم والفكر والفن التي ظهرت في مستهل القرن العشرين بكل استعداداتها العلمية والأدبية وقوتها الروحية لرفع المستوى الديني والتربوي لمسلمي البلاد.

وهذه الشخصية كانت تمتلك قوة الأخلاق الحسنة، ونور العلوم الشرعية والأعمال الصالحة والملكات الخاصة والمواهب الدينية، ولذلك فإنه جاهد واجتهد وقدم ماكان عنده من الخبرات والمؤهلات في سبيل إحياء التراث الإسلامي، وفي مجال الدعوة والإصلاح وفي ميدان التجديد والتعليم وفي حقل التصنيف والتحقيق، وفي طريق اليقظة والنهضة، وفي جادة إعلاء كلمة الله وتوحيد الأمة.

تعرفت الأمة الإسلامية في السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي أنه رجل فكر وعلم، رجل تجديد ودعوة، رجل إرشاد وتوجيه، إن الإسلام روحه وغايته الذي شغل محور حياته كلها فالإسلام ماضيه وحاضره ومستقبله، فيه يفكر وعنه يتحدث وإليه يرجع واليه يدعو ومنه يستمد، له أبحاث وتحقيقات وأعمال جليلة

الجامعات والأندية والمؤسسات والوزارات المختلفة.

دعي الشيخ إلى المحاضرة في سورية في كلية الشريعة بدمشق، حيث كان عميدها الداعية الفقيه الشيخ الدكتور مصطفى السباعي، وقد كان من ثمره هذه المحاضرات كتاب «رجال الفكر والدعوة في الإسلام»

كما دعي الشيخ إلى ملتقى الفكر الإسلامي في الجزائر، وكان له نشاط ملموس هناك، وقد سعدت باللقاء به في تلك الحين.

ودعي الشيخ إلى المحاضرة في جامعة قطر، كما دعي إلى المحاضرة من وزارة الأوقاف في قطر، كما شارك في المؤتمر العالمي للمستبة والسيرة الذي كان بداية الاحتفالات بالقرن الخامس عشر الهجري في قطر. واختير الشيخ نائباً لرئيس المؤتمر بالإجماع.

ودعي الشيخ إلى الكويت وإلى الإمارات العربية المتحدة وإلى السعودية وكانت له صلة طيبة بالشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة.

١١- مهرجان ندوة العلماء - لكهنؤ:

ولمكانة الشيخ الكبيرة في قلوب العلماء والدعاة في العالم العربي، استجاب عدد كبير منهم لدعوة الشيخ للاحتفال بمرور «٨٥» خمسة وثلاثين عاماً على تأسيس «ندوة العلماء» في الهند، التي يتولى الشيخ رئاستها والإشراف عليها، وعلى مؤسساتها، ومنها «دار العلوم» والمعاهد التابعة لها.

وكان على رأس الحضور الإمام الأكبر شيخ الأزهر الرجل الصالح الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله، الذي أبى الشيخ الندوي إلا أن يجعله رئيساً لهذا المهرجان الكبير، الذي أقيم في مدينة «لكهنؤ» بالهند، وقد حضر الألاف بل عشرات الألاف من أبناء الهند هذا الاحتفال الكبير، حتى من غير المسلمين، وكان عرساً لم تشهده هذه المدينة من قبل.

لقد عرف العالم العربي الشيخ الندوي بزياراته ولقاءاته، وعرفه بدروسه ومحاضرات، وعرفه بكتبه ومؤلفاته، فأحبه وقدره كل عربي مثقف مخلص لدينه، غيور على أمته، وإنه لأهل لهذا الإعجاب والتقدير، وما عند الله خير وأبقى إن شاء الله.



ندوات.. في تأيين الشيخ



في مجال الفكر الإسلامي، والدعوة الإسلامية جهده وجهاده.

يعد أبو الحسن الحسني أحد الرواد الأوائل في شبه القارة الهندية الذي ساهم في تحقيق بقطة إسلامية وصحوة إسلامية عظيمة لمواجهة الفكر اللاديني والفلسفة الغربية والتخلف والجهل الذي احتاج القارة الهندية والعالم الإسلامي كله في القرن التاسع عشر الميلادي، والذي بذل قصارى جهوده طول حياته في مجال الإصلاح والتوجيه مدافعاً عن حقوق المسلمين ودفاعاً عن الإسلام والأحوال الشخصية للمسلمين محاولاً استرداد حقوق الأقلية الإسلامية ورفع شأنها السياسي والديني الاجتماعي بأساليب مختلفة.

عمل لإحياء القيم العليا والأقدار السامية للحفاظ على كرامة البشرية، ورفع رسالة الإنسانية إلى أهالي البلاد، وشارك في عمليات التقارب والتفاهم المشترك بين الحركة الإسلامية والمنظمات الدينية وفي عمليات النهضة التربوية والتعليمية لمكافحة الجهل والتخلف العلمي والديني، حتى اعترفت الأمة له بالفضل والريادة والمرجعية على إنجازاته وخدماته وعلى مكانته الدينية وتفوقه القيادي عديم النظير.

حمل أبو الحسن في فكره الإسلام وشعاراته والعلم ونهضة الفكر واستخدام العقل، والتخطيط الحقيقي لإحياء الأمة بالجمع بين أصالتها ومعاصرتها وضرورة أن يقود ركب الأمة علماءؤها المخلصون، والدعوة إلى بناء الحضارة مهتماً بالأخلاق واستخدام العقل والدين، والدعوة إلى الاجتهاد الفكري والفقه لأن الظروف متغيرة وأوضاع الحياة متجددة مع الالتزام بضوابط

الدين وإرشاداته.

حاول الشيخ طوال عمره لفت أنظار العرب والمسلمين حكاما وملوكا وشعوباً إلى ما هم عليه من تخلف فكري وعقائدي وحضاري، فصرخ صرخة وأعلى صوتاً واسمعهم بأن الإسلام الذي جاء به النبي العربي إنما هو السبيل الوحيد للنهوض والوحدة والتجمع لأنه دين ودولة، طريق سعادة ونجاة، منهج تقدم وازدهار.

وتعتبر الأمة أبا الحسن مجدداً وإماماً ومفكراً ومصلحاً ومرشداً لها بما يحتل من مكانة علمية ودينية رفيعة حيث كان على قمة عالية في رسوخ العلم وفي تقوى الله وفي الصلاة في الحق والشجاعة في الرأي. انشغل أبو الحسن منذ البداية بالدفاع عن الشريعة الإسلامية، فدافع عن الإسلام في وجه التيارات الفكرية المعاصرة من العلمانية والشيوعية والراسمالية والاشتراكية العلمية والقاديانية والوطنية الالمانية والقومية العربية والحركات الهدامة، وأكد الحاجة إلى نهضة إسلامية تضع الأمور في نصابها، وتعالج داء الأمة بدواء دينها الشافي، لا بحلول غربية تزيدها عللاً وأسقاماً.

والشيخ أبو الحسن كان متجهاً في سائر كتاباته وخطاباته تجاه إعطاء محتوى إيجابي للثقافة الدعوة والحركة العلمية والسعي في تبصير الأمة بشؤونها العامة وبحقوقها وواجباتها، والعمل على تنشئة الشباب المسلم على الحس الديني والانفعال مع مطالب الأمر والنهي عن المنكر والمشاركة في العمل الإصلاحي والتربوي بأفق مستقبلي واسع وعقلانية خصبية وتربص في انتظار النتائج.

ويمكن أن يقال إن مصنفات الشيخ أبي الحسن هي المدخل المناسب لولوج عالم النظم الإسلامية لأنها حلقة انتقال وسيطة نحو التخطيط التاريخي والدعوي والتربوي والسياسي الإسلامي المنشود.

أخلص دينه لله فأخلصه إليه لدينه، وكان يشغف القرآن بالقراءة والتلاوة والحفظ والتفكير والتدبر وكان يقرأ الكتب في أوقاته وأحواله المختلفة لأن للقرأة أهمية خاصة لكل من يدعو إلى الله، بل هي العامل القوي الذي يجب أن يكون وراء كل فقيه وداعية، والقراءة والدراسة

تعطي فكرة صحيحة عن العالم وأوضاعه وشؤونته، وهي التي تضع حدوداً صحيحة لشتى المفاهيم، فلا بد للداعية إلى الله أن يقرأ كل شيء، من كتب الإيمان والفلسفة، يقرأ كل منازع الفكر البشري المتفاوتة ليعرف الحياة والمؤثرات في جوانبها المتعددة.

■ أهم مرتكزات الفكر الدعوي عند أبي الجهم.

أول هذه المرتكزات وأعظمها القرآن الكريم، فكان الشيخ أبو الحسن يتلو القرآن حق تلاوته ويحفظه حق حفظه، حيث اختار منهج المعاشية الدائمة للقرآن منهج حياته الذي جعل معانيه ومعارفه بين يديه، يقطف من ثمارها ماشاء، وكان يستشهد بآيات القرآن ويستنبط منها معاني جديدة، يتخذ منها حجة في معركته ضد الظلم والجهل والفساد والاستبداد، ساعده على ذلك حسه الأدبي الفياض وتعبيره البياني الجياش، وكان الشيخ يؤكد على ضرورة العناية بكتاب الله وتقديمه على ماسواه، لأن الوعي بمعاني القرآن يعطي الإطار العام للرسالة الإسلامية ويبين الأهم من التعاليم الواردة ويعين على تثبيت السنن في مواضعها الصحيحة، ولأن الإنسان الواصل بالقرآن دقيق النظر إلى الكون، خبير بازدهار الحضارات وانهارها، نير الذهن بالأسماء الحسنى والصفات العلى، حاضر الحس بمشاهد القيامة وما وراءها، مشدود إلى أركان الأخلاق والسلوك، فكان القرآن هو المصدر الأول والمنبع الأصيل لفكره الدعوي والإصلاحي والتحقيقي، والسنة النبوية هي المصدر الثاني عنده، ولذلك أنه كان يعتبر السنة ضرورة أساسية لفهم القرآن لأنها الشرح النظري والتطبيق العملي له، فكان يحتفل احتفالاً خاصاً بالسيرة باعتبارها الجانب العملي من السنة، فكان يبين مكانة السنة مؤكداً بأن القرآن هو قانون الإسلام وأن السنة هي تطبيقه، وأن المسلمين متفقون على اتباع السنة بوصفها المصدر الثاني للإسلام بعد القرآن، فطاعة الرسول في أوامره واجبة وهي من طاعة الله.

ومرتكزه الثالث التاريخ الإنساني والتاريخ الإسلامي، وقمته السيرة النبوية، فهي بداية التاريخ الإسلامي ونقطة إنطلاقة، ولذلك كان الشيخ يدرس التاريخ

الإسلامي دراسة عميقة، مستنبطاً النتائج الواضحة ومستخرجاً الحقائق الثابتة، وفي كل إنتاجه كانت سمة الدراسة التاريخية الواقعية حاضرة وواضحة، سواء في تركيبه للأفكار أو في أسلوبه في الحوار أو في الوعاء اللغوي الأنيق الذي استعمله لبحث تلك الأفكار على مدى أكثر من نصف قرن من جهاده الفكري والتجديدي والإصلاحي والدعوي.

والشيخ أبو الحسن كان يتصل بالتاريخ إتصالاً قوياً، يدرك وقائعه وأحداثه ومراحلها وخاصة بالتاريخ الإسلامي وأسرار إنتصار أمته وتفوق حضارته وتخلف الأمة وغلبة أعدائها وأسباب ذلك. ومرتكزه الرابع، الثقافة العامة والثقافة الدينية والإنسانية.

ومرتكزه الخامس، علم الواقع وفقهه عن طريق الاطلاع، الواقع المحلي والإقليمي والإسلامي والواقع الدولي.

ومرتكزه السادس الإحسان والتزكية فكان يلم بتاريخ التصوف والروحانية والعالم الروحاني.

وعندما ندرس موضوع الدعوة وخصائصها عند أبي الحسن نجد بأنه يتميز بميزات وخصائص، وكيف لا يتميز حيث كان متصفاً ومخلقاً بأخلاق الله ومتحلياً بالصفات السامية معروفاً بالعبرية، ومن خصاله البارزة:

أ - العقل العلمي المبصر.

ب - النفس الشاعرة.

ج - الروحانية الدافقة.

د - الوسطية بين العقل والقلب.

هـ - حب النبي وأهل بيته.

ومن مصنفاته الشهيرة بهذا الخصوص، «رجال الفكر والدعوة» في ست مجلدات، و «إذا هبت ريح الإيمان» والكتب الأخرى مليئة بالحركة الدعوية.

إن الشيخ أبا الحسن قاد وساد، فكر وكتب، أصلح وجدد ووجه وأرشد، قادى دوره في جمع الكلمة والملة وفي جمع القادة والسادة وفي جمع الزعماء ورؤساء المنظمات وأئمة المذاهب والفرق لصالح الإسلام والمسلمين تحت راية «لا إله إلا الله» فانتقدوا تحت أمره

ندوات.. في تأبين الشيخ



مع تواجد الخلافات المختلفة.

ولكن بعد انتقال الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي إلى رحمة الله تولى الأمانة الإسلامية في الهند وخارجها أخطار ومشاكل، هذه المشاكل الخطيرة الجسيمة أحاطت بالأمة والعالم الإسلامي من سائر الجوانب، ومما تجدر الإشارة إليه أنها هي مشكلة التحزب والتعصب المذهبي، مشكلة التطرف الديني، مشكلة انهيار القيادة الدينية وانزوائها وانكماشها، ومشكلة انقسام الأمة الإسلامية بين طوائف وفرق وكثلات وطبقات باسم اللحم والدم، باسم اللون واللغة، باسم النسب والأسرة، باسم القبيلة والمنطقة.

إن المسلمين في الهند يواجهون أخطر المشاكل والمصائب من داخلها وخارجها في هذا الوقت أما المشاكل التي يعانيها المسلمون من الخارج فهي من جهة الحكومة الهندية صديقة لإسرائيل، ومن جهة

الأحزاب والمنظمات الهندوكية المتطرفة العاتلة والداعية إلى إقامة النظام الوثني الهندوكي تحت إشراف الحكومة وستارها، ومن جهة ممارسة الإصلاحات القانونية والدستورية والمشروعات الحديثة الإصلاحية على المستوى الوطني، ومن جهة الإعلام والصحافة ووسائلها عن طريق نشر البرامج ضد الإسلام والمسلمين، ومن جهة وزارة التعليم والتربية التي تريد التدخل في مراكز الأقلية الإسلامية ومدارسها الدينية ومعاهدها الإسلامية عن طريق تشويه صورتها والظعن في سمعتها، ومن جهة وزارة الثقافة باسم التثقيف والعولمة والوطنية وحب أرض الوطن.

ولا شك أن المسلمين في الهند يعانون أنواعاً من المشاكل والأخطار الجسيمة، لأن الحكومة تريد اغتصاب

حقوق الأقليات التعليمية والدعوية، وحقوق العمل وفق القانون الشرعي في شئون الحياة حيث تتدخل في قوانين الأحوال الشخصية لتغييرها والقضاء عليها وعلى الحضارة الإسلامية والثقافة الدينية.

أما المشاكل الواقعية الناجمة بين الشعب الإسلامي الهندي: منها مشكلة الانحسار والتناثر والذوبان ضد الضغوط السياسية والقانونية ومنها مشكلة انقسام القيادة الدينية بين مخيمات مختلفة معرضة عن غيرها، ومنها مشكلة إثارة نيران الصراعات الداخلية بين المذاهب الفقهية والفرق الإسلامية، ومنها مشكلة التخوف النفسي وحب الذات والتعصب الحزبي، ومنها مشكلة انقسام الأقلية الإسلامية الهندية تحت لواء القيادات والزعامات متنوعة الأشكال والصور الفارغة عن العقل والفكر، العاطلة عن العمل والرجاء، والمشكلة الكبرى إنما هي مشكلة التشتت والتعزق والتفرق الناشء الشائع بين الأمة الإسلامية وخاصة في الهند، وليست هذه كلمات التعبير بل هي الصورة الواقعية الهائلة، وتريد الحكومة الهندية المتطرفة لإبادة قوة المسلمين من أساسها عن هذا الطريق.

وإنني أقول بكل صراحة بأن الفتنة المالية سائدة في كل مكان وفتنة طلب المال والمناصب والحرص عليها والميل إليها أنها هي السبب الوحيد والعامل الفريد التي خلقت مشاكل معقدة على جميع المستويات، فهناك من يريد منصباً عالياً فيعانق ويصافح مع المخابرات السرية للحصول على المطلوب، وهناك من يريد علواً وفساداً وإفساداً بين جماعات الأمة ورجالها، من يريد منصباً وكرسيّاً في برلمان أو في منظمة فيبيع نفسه فيركع أمام من يشاء، وهناك من يريد الدنيا فيشتت شمل المسلمين ويفرق جمعهم بنعرات نسبية، ويغرس بذور العداوة والتنافر بين المسلمين باسم هذه «الجاهلية»، وهناك علماء وأئمة يكتبون بدون تفكير ويخطبون بدون علم، فيكتبون تحت تأثير وضغوط القادة السياسيين المغرضين فيبثون السموم والآلام والجروح في جسد الأمة الإسلامية الهندية، وهناك من يعمل لتضخيم الخلافات ولشغل الناس بها، فتكثر العدد ممن يستخدمون الفتاوى الجزئية للتفسير

■ الشيخ أبو الحسن الندوي.. ورابطة الأدب الإسلامي العالمية

لعل من المناسب أن نقدم لموضوعنا عن دور سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله في رابطة الأدب الإسلامي العالمية بمقدمة نتعرف فيها إلى هذا الأدب الذي قامت له رابطة عالمية تضم تسعة مكاتب متناثرة في أنحاء العالم العربي والإسلامي بين المملكة العربية السعودية ومصر والأردن والمغرب العربي والهند وباكستان وبنجلاديش وماليزيا وتركيا، ثم لابد لنا بعد تلك المقدمة من أن نعرض إلى جهود الشيخ الندوي في مجال الأدب الإسلامي قبل الحديث عن دوره في قيام الرابطة ومسيرتها.

□□□

وقد عرفت رابطة الأدب الإسلامي هذا الأدب بأنه «التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون وفق التصور الإسلامي».

وهذا يعني أن الأدب الإسلامي أدب مضمون بالدرجة الأولى، وهنا أقول: ليس هناك موضوع يحظر على الأديب

الإسلامي أن يتناوله في قصيدة أو قصة أو مسرحية شريطة أن يتطرق هذا الأدب من التصور الإسلامي الصحيح للإنسان والحياة والكون.

وهنا أقول أيضاً: ليس صحيحاً ما يتوهمه بعض الناس حين يظنون أن الأدب الإسلامي هو أدب الوعظ المباشر الذي تحدث فيه الموضوعات، وتقيد فيه تجربة الأديب، ويحد من انطلاقه وإبداعه.

وأما عن قضية الشكل في الأدب الإسلامي فليس هناك شكل أدبي يحزره الإسلام بمسورة مبدئية إلا إذا كان هذا الشكل يعدو على المضمون الإسلامي أو على ثوابت الإسلام، وليست إسلامية المضمون شافية للأديب المسلم أن يقصر

فينشرون الفتاوى التي تضع الطبقات المختلفة في محل الريبة والازدراء، وهناك من يتصل بأعداء الإسلام والمسلمين ويقيم العلاقات الودية معهم، وعندما أفكر في موضوع المشاكل المتواجدة فستطول قائمتها حتى لا يمكن حصرها بسبب تنوعها وتعددتها.

ونشعر بخطورة إزدياد المشكلات ويشدتها بعد انتقال الشيخ أبي الحسن إلى رحمة الله إزدياداً بالغاً، والسر في ذلك بأنه ليس هناك شجرة كبيرة يجتمع في ظلها جميع القادة والساسة رغبة أو رهبة أو اضطراراً، والأحوال السياسية متغيرة ومؤثرة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية حتى لا يمكن صرف النظر عنها بأي صورة، لأن الشعوب والأقوام الأخرى تريد الاستيلاء والتسلط والسيطرة من هذا الباب.

وفي مثل هذه الظروف نحن صامتون نائمون، مصرون على بقاء حالة الجهل والاغفال وعدم الاطلاع والمعرفة بأحوال الأمة.

ومن الواقع المؤلم المؤسف أن بلادنا الهند وما فيها من الشعب الإسلامي الهندي أصبح اليوم يتيماً بعد ما فقد إمامه وقائده المتيقظ الذي عاش عمره كله للإسلام، ونذر له فكره وقلبه ولسانه وقلمه وجهاده، وخاض معاركه تحت راية الإسلام، رافضاً كل جاهلية وطاغوت بأي اسم ظهرت وتحت أي عنوان تزينت للناس.

والله سبحانه وتعالى لن يضيع هذه الأمة بل يحفظها ويصلح بالها، لأنها حملت الأمانة الإلهية، والأمة الإسلامية لن تبقى عقيمة أبداً عبر التاريخ بل أنها ولدت وأنجبت آلاف من الشخصيات خلد ذكرها ومكث نفع جهودها وخبرها في الأرض والسماء.

والهند في بحث متواصل عن مثل شخصية أبي الحسن — من أبناء سيدنا حسن خراس من حراس هذا الدين — وتنادي نداءها: فمن يجب؟ والله على ما نقول وكيل. والسلام على من اتبع الهدى.



بقلم الدكتور
عبد القدوس أبو صالح

ندوات.. في تأبين الشيخ



في جمالية الشكل، ولا في التجويد الفني، فذلك مما يزري بالآدب الإسلامي، ويضر به، ويكون حجة عليه في يد خصومه، بل إن الأديب المسلم مدعو أكثر من غيره إلى أن يبلغ قمة الروعة في الأداء الفني، حتى يكون هذا الآدب قابلاً على التصدي لآدب العقائد والمذاهب (الأيديولوجيات) المنحرفة عن الإسلام، أو آدب العبث الهدام، أو آدب الجنس والاتحلال، أو آدب الحداثة الفكرية المدمرة، لا آدب الحداثة بمعنى التجديد في الشكل والمضمون، وحتى يكون الآدب الإسلامي شرارة توقظ القلوب بحرارة التجزية ولهب الإبداع، ونوراً يسري على سناه المسلمون ليخرجوا من تيه الضياع.

ومن منطلق الآدب الإسلامي هنا يأتي دور سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي الذي كان أمة وحده، والذي قال فيه الفقيه الكبير الأستاذ مصطفى الزرقا: «إنه قطعة من السلف الصالح أراد الله لها أن تعيش في عصرنا الحاضر». وقال عنه العالم المحقق الأستاذ عبدالفتاح أبوغدة: «إنه بركة العصر».

ولقد أراد الله لهذا الرجل الذي نشأ يتيمًا، وعاش زاهدًا أن يجمع بين الفقه والتفسير والحديث والتربية والآدب والدعوة، مع ما آتاه الله من مكارم الأخلاق ورعاية العقل وقرادة المنهج، حتى أصبح جديرًا بأن يلقب بحكيم الهند بل حكيم الإسلام في هذا العصر.

ويتمثل دور الشيخ الندوي في مجال الآدب الإسلامي في أنه أول من تنبه لهذا الآدب، وأول من وضع مفهومه، وكشف عن تنوع مصادره، وأول من أطلق الدعوة إلى مذهب الآدب الإسلامي وإقامة رابطة أدبية عالمية له.

يتجلى التنبيه المبكر لسماحة الشيخ الندوي إلى الآدب الإسلامي في المقال الذي قدمه إلى مجلة المجمع العلمي

العربي في دمشق عندما اختير عضواً مراسلاً فيه، وكان عنوان المقال: «نظرة جديدة إلى التراث الأدبي العربي». وهو يرفض في هذا المقال أن يكون الآدب «صناعة تقليدية، ويرفض أن يقتصر على حياكة الداحين والمتسلقين والمتحذلقين، ويقرر أن الآدب تعبير جميل صادق عن أحداث هزت الوجدان، وما أجمل المثل الرمزي الذي عرضه عن الآدب المصطنع والآدب الطبيعي أو العفوي، حيث زعموا أن كلباً قال لغزال: مالي لا الحق بك وأنا من تعرف في العدو والقوة؟ فقال الغزال: لانتك تعدو لسيدك وأنا أعدو لنفسي».

وجاء بعد ذلك كتاب سماحة الشيخ «نظرات في الآدب» الذي نشرته الرابطة، ليكون في جملة «بيان مبادئ للآدب الإسلامي». ذلك أن القارئ يخرج من الكتاب بعدد من القواعد والأحكام حول: مفهوم الآدب وطبيعته، والموقف من فصوله المنسية، وعن آفاق الآدب الإسلامي وبعض خصائصه.

ويقول الشيخ الندوي عن مفهوم الآدب الإسلامي في سياق محاضرة له في المدينة المنورة وهي بعنوان «دور إقبال في توجيه الآدب والشعر»: «أنني أتصور الآدب كأنه حياة له قلب حنون، وله ضمير واع، وله نفس مرهقة الحس، وله عقيدة جازمة، وله هدف معين، يتألم بما يسبب الألم، ويفرح بما يشير السرور، فإذا لم يكن الآدب كذلك فإنه آدب خشيب جامد، آدب ميت خاسد، أشبه بالحركات اليهلوانية، والرياضات الجمبازية، فالآدب ليس أداة تسلية، وإلهاء نفس وإزجاء وقت (أو قتل وقت كما يقول بعض الأدباء) فحسب، وإنما الآدب من أكبر الوسائل للوصول إلى الأهداف النبيلة، وللثأثير في النفس الإنسانية، ثم يستشهد على كلامه بشعر إقبال حيث يقول:

«إنه لا خير في نشيد شاعر ولا في صوت مغن، إذا لم يفيض على المجتمع الحياة والحساسية. ولا يبارك الله في نسيم السحر إذا لم تستفد منه الحديقة إلا الفتور والخمول، والدوي والذبول، إن غاية الإحسان في فن من فنون العلم والآدب لوحة الحياة الدائمة. ما قيمة شرارة تثقب سريعاً وتنطفئ سريعاً؟ وما قيمة لؤلؤة كريمة أو صدفة لامعة لا تحدث حركة في الأمواج، ولا اضطراباً في البحار؟ إنه لا نهضة للأمم إلا بمعجزة، ولا خير في آدب ولا شعر إذا تجرنا من التأثير الذي أحدثته عصا موسى عليه السلام».

وقد أعاد الشيخ الندوي الاستشهاد بأبيات إقبال في حفل



■ الشيخ أبو الحسن الندوي ود. عبد القدوس أبو صالح والشيخ محمد الرابع الندوي في ندوة المركز الإسلامي في جامعة أكسفورد عام ١٤١٤ هـ



■ د. أحمد بسام ساعي والشيخ أبو الحسن الندوي ود. عبد القدوس أبو صالح والشيخ محمد الرابع الندوي خلال نفس الندوة.

افتتاح المؤتمر الثاني للهيئة العالمية للرابطة في مدينة إستانبول معلقاً عليها بقوله: «إن ميزة الأدب الكبير وقوته الحقيقية هي أنه يؤثر في النفوس والقلوب، ويغيّر الاتجاهات والميول، ويحدث الانقلاب في الأخلاق والعمل والتفكير، ولذلك يستطيع أن يكون أداة تدمير أو بناء، أداة خسر أو شرف، أداة إصلاح أو فساد، ويمكن أن يستعمل في تحقيق الأهداف النبيلة السامية، أو للوصول إلى الغايات الرذيلة الرديئة، فلذلك ينبغي أن لا نغض عنه العين، ولا يصرف عنه البصر، وقد شوهدت نماذج هذين الصنفين من الأدب في كل عصر، إن الأدب يستطيع أن ينشئ المجتمعات، ويؤسس الحكومات، فلا بد أن يوجه إلى اتجاه سليم، ويخضع لمنهج

صحيح، (كتابية وخطابة وشعراً ونثراً) ولا يعد وسيلة للتسلية والمتعة، وأداة لإرضاء النفس، وإثارة شوارذ الفكر، ودافعاً إلى مخالفة القيم والمثل وإنما يتخذ أداة للإصلاح والتقدم، والتقى والعفاف، والحلم والصبر والتوجيه

والإرشاد.

لقد أكد سماحة الشيخ الندوي عالمية الأدب الإسلامي، ولفت النظر إلى ضرورة الاهتمام بأدب الشعوب الإسلامية في بحثه الذي قدمه في المؤتمر الأول للهيئة العامة للرابطة

ندوات.. في تأبين الشيخ



الذي عُقد في الهند سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، وكان عنوان البحث: «لمحة عن المدرسة الأدبية الإسلامية في الهندية». وأما تنوع مصادر الأدب الإسلامي فقد نبه سماحة الشيخ إلى أن نصوص هذا الأدب تتجاوز كتب الأدب التقليدية لنجدها في «كتب الحديث والسيرة والتاريخ وكتب الطبقات والتراجم والرحلات، وفي الكتب التي ألقت في الإصلاح والدين والأخلاق والاجتماع، وفي بحوث علمية ودينية، وفي كتب الوعظ والتصوف، وفي الكتب التي سجل فيها المؤلفون خواطرم وتجارب حياتهم، وملاحظاتهم وانطباعاتهم، وروا فيها قصة حياتهم».

وأما عن دور سماحة الشيخ الندوي في رابطة الأدب الإسلامي، فقد مر إنشاء هذه الرابطة بمرحلتين، إذ بدأت فكرة راودت أذهان عدد من الأدباء الإسلاميين في مدينة الرياض، وكانوا من مختلف الجنسيات، ثم بدأت تتجسد في لقاءاتهم التي بدأت عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م إلى أن استقر رأيهم على تكوين هيئة تأسيسية تدرس أبعاد الفكرة، وتخطط لها، وتراسل الأدباء في سائر الاقطار الإسلامية.

ثم كانت الندوة العالمية للأدب الإسلامي التي دعا إليها سماحة الشيخ الندوي في لكنهو في عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ودعى إلى هذه الندوة عدد كبير من رجالات العالم الإسلامي، وفيهم كثير من المهتمين بالأدب، وفي هذه الندوة التي أعطت دفعة قوية للأدب الإسلامي اتخذت توصية مهمة تتضمن (إقامة رابطة عالمية للأدباء الإسلاميين).

وقد تعزز هذا الاتجاه في ندوة الحواري حول الأدب الإسلامي التي عقدت في رحاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ثم في ندوة الأدب الإسلامي التي عقدت في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

وفي خلال هذه الفترة رأت الهيئة التأسيسية للرابطة أنه لا بد لنجاح المشروع من أن يكون على رأسه شخصية لها مكانتها وشهرتها، مع توافر الرغبة لديها في تبني هذه الرابطة، وهكذا انتدبت الهيئة التأسيسية مع الدكتور عبدالباسط بدر للاتصال بسماحة الشيخ الندوي، وعرض ما قامت به من أعمال تهيئية واتصالات موسعة، مع إجماع أعضاء الهيئة التأسيسية على أن يرأس سماحته هذه الرابطة. وقد تم اللقاء الكريم بسماحة الشيخ في ظلال الحرم المكي «واستجاب الشيخ الجليل بما عرف عنه من صدر رحب وبصيرة نافذة وإدراك لدور الأدب في وجدان الأمة، وترشيد مسارها، وإنارة طريقها في العود الحميد إلى الإسلام، الذي هو مسوغ وجودها، وحصلها المنيع».

ثم دعت الهيئة التأسيسية بعد الإعلان عن قيام الرابطة إلى مؤتمر الهيئة العامة الأول بعد انتساب عدد كبير من الأدباء إليها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وعقد هذا المؤتمر في رحاب جامعة ندوة العلماء في مدينة لكنهو بالهند عام ١٤١٦هـ / ١٩٨٦م حيث تم إقرار النظام الأساسي للرابطة وانتخاب مجلس الأمناء، كما انتخب سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رئيساً للرابطة مدى الحياة، ثم قام سماحته بطلب الترخيص للرابطة في الهند واستجاب المسؤولون لطلبه لما له من مكانة لديهم.

وقد كان مما قاله سماحة الشيخ في مؤتمر الرابطة الأول: «إنه لا عجب أن يعقد مؤتمر للمنظمة الآسيوية أو مؤتمر البلدان المحايدة في الهند، ولكن العجب كل العجب أن تؤسس منظمة عالمية للأدب الإسلامي، يشترك فيها كبار الأساتذة العرب والمتخصصين في المجالات الأدبية، ويعقد مؤتمرها الأول في الهند، ويقام مكتبها الرئيسي فيها. إنه فضل من الله تعالى، وثمرة من ثمار الإخلاص وحسن النية، والجهود الطيبة التي بذلها مؤسسو هذه الدار، ويعني ندوة العلماء».

وهكذا مضت مسيرة رابطة الأدب الإسلامي، ومضى رئيسها الجليل يعطيها من قلبه وروحه، ومن اهتمامه ووقته وجهوده، ومن حكمته البالغة وتوجيهه السديد ما جعلها ولله الحمد ثغراً إسلامياً يشار إليه بالبنان، ومنازة مضنية في طريق الصحوة الإسلامية الرشيدة، مع التزام المنهج الذي عرف به الشيخ الندوي، وهو منهج الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، مع الاعتماد والتباعد عن الغلو، ومناصرة

■ ■ ■ فبسر من منهج الإمام الندوي في الدعوة إلى الله عز وجل

ما كنت أحسبني أقف هذا الموقف في عزاء الأمة بشيخنا، وتناول بعض مآثره وكريم خلقه، وعظيم علمه، فهو إمام الدعوة قاطبة في القرن العشرين في شبه القارة الهندية، وإمام الدعوة على الإطلاق في أمة الإسلام في النصف الثاني من القرن العشرين. ولا أكون مغالياً إذا قلت: من أراد أن يرى الإسلام حقيقة فاعلة إيجابية فلينظر بعين صدق، وفؤاد مؤمن وإخلاص عالم عامل إلى

العلامة أبي

الحسن الندوي

في جميع
أحواله، لقد

عشت معه أياماً، خلال مؤتمر الأدب الإسلامي الذي عقد في لكنهو عام ١٩٨١، وما أروعها من أيام، حيث انتقلنا إلى عالم الرعيل الأول، عالم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعليهم أجمعين، في شفافية الروح، وربانية السلوك، وموضوعية السلم، وشمول الإسلام وآدابه وقيمه.. بما يعجز القلم واللسان عن بيانه..

■ ■ ■

لقد سنّ في عصره للأمة عامة وللدعاة والعلماء خاصة منهجا عظيما يتناسب مع روح العصر ومعطياته، عصر كثرت فيه الميول والأهواء، تآجج فيه الصراع بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، وبين الظلمات والنور، وتلاطمت فيه أمواج الفجور والطغيان والظلم والعدوان، بشواخغ العدل والإنصاف، عاش أبو الحسن الندوي في موم المسلمين وآمالهم في أحوال العالم الإسلامي، بعضه تحت الاستعمار الفرنسي، وبعضه تحت الانتداب البريطاني، فلم تثق تلك الأوضاع عن المضي قدماً إلى الإمام في الدعوة إلى الله، وبيان الحق.. كل ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة بما آتاه الله سبحانه من خصائص كثيرة دعوة إلى الله سبحانه بإخلاص وأمانة وصدق، وعلى قضايا الأمة الإسلامية وعاشها، فأبرزها وحلها وسعى ما يوسع إلى حلها،

الحكام وإحسان الصلة بهم.

ولعل أكبر دليل على اهتمام الشيخ بالرابطة وجهوده فيها أنه لم يتخلف أبداً عن أي مؤتمر للهيئة العامة في مؤتمراتها الأربع التي تعقد كل ثلاث سنوات، ولا عن دورات مجلس الأمناء التي تعقد سنوياً في معظم الأحيان، وذلك إلى أن أقعده المرض، وأعجزه الشلل الذي شقاه الله منه على علو سنه واصطلاح الأمراض عليه.

ولعل أكبر دليل على حكمته أنه وافق على الاقتراح الذي قدمته إلى مجلس الأمناء بعد حرب الخليج، فعدلت المادة الأولى من نظام الرابطة، وأصبحت تنص على التزام الرابطة بالابتعاد عن الصراعات السياسية والحزبية، دون أن يعني ذلك أن الرابطة تقف موقفاً سلبياً من قضايا الأمة المصيرية. وقد وفر هذا التعديل للرابطة قبولاً لها، وإنشاء مكاتبها في تسع دول عربية وإسلامية، وقد وافق مجلس الأمناء على هذا التعديل خشية أن «تسيّس» الرابطة، ودفعاً لزالق السياسة وسلبات الحزبية.

ولقد أراد الله تعالى ألا يغض الموت أجفان الشيخ الندوي إلا بعد أن قُرت عينه بصنور الترخيص لمكتب الرابطة في المملكة العربية السعودية، حيث جاء في نص الموافقة السامية أن هذا الترخيص إنما كان بناء على رغبة سماحة الشيخ الندوي.

وكان آخر ما سمعته من سماحة الشيخ الندوي تلك الدعاء الذي أسره به إليّ في ظلال الحرم، وهو قوله: «أدعو الله تعالى أن يلهم الحكام والمستوليين في العالم العربي والإسلامي أن يجعلوا من الأدب الإسلامي وسيلة لإيجاد جيل مؤمن بالله، متمسك بأخلاقه الإسلامية، معتز بدينه القويم وتراثه العظيم».

تلكم هو سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي الداعية الكبير والمربي الكبير والأديب الكبير حكيم الهند بل حكيم الإسلام ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

اللهم تغمد شيخنا برحمتك، وأعل مقامه كفاء ما قدم للإسلام والمسلمين، وأحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.. إنك سميع مجيب.

■ ■ ■

ندوات.. في تأبين الشيخ



تجلى ضياؤه في الليلة الظلماء بما حياه
المولى سبحانه. من إيمان و يقين، وعزم
وعزيمة وصبر، ومضاء في العمل، مع
كمال بناء الشخصية العلمية، من جميع
جوانبها، وعظيم حكمته وبراعته في
معالجة قضايا الأمة وأمورها، مع بعد
نظره، واستشراقه لمستقبل زاهر، ودوام
متابعته، بما لا يخفى على قريب أو بعيد،
أو عذر أو حبيب، فقد التزم بكمال
التأسي برسول الله ﷺ مصداقا لقول
الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ
اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾
[الأحزاب: ٢١]

وقد تميز الفقيد رحمه الله تعالى بما يلي:
أولاً: كمال الشخصية الداعية إلى الله
عز وجل من الناحية العلمية، حافظ
لكتاب الله تعالى، يعيشه في خلواته
وليله ونهاره، ملتزم بالفعل به، عامل
بالسنة عالم بها، جمع الفقه والسيرة
ودقائق أمورها، عربي اللسان، فصيح
البيان، عالم بالتراجم والمنطق وأصول
الفقه.. والعقيدة والفرق وقضايا العصر،

وأحوال المسلمين.. وأتقن اللغات الهندية والإنجليزية مما حيا له
امتداد عمله الدعوى في مشارق الدنيا ومغاربها وخطاب الناس
بما يعقلون.

ثانياً: عالم بوسائل الدعوة ومقاصدها.
ثالثاً: مخلص في الدعوة إلى الله،
رابعاً: كريم السجايا والخصال، حميد المسالك الخاصة والعامة..
خامساً: مترفع عن أمور الدنيا، لم يدع لنفسه حظاً قط مما
أخلص فيه له، لذا نال حب الله تعالى وحب عباده المؤمنين..
سادساً: عزة بالله وتواضع لعباد الله، وإيثار وصبر، تحلى
بكل مما له صلة بقيم الإسلام، مما فصل القول فيه رحمه الله
فيما كتب، وبخاصة في النبوة والأنبياء.

سابعاً: دوام صلته بالله عز وجل، عبادة وذكر وتلوفاً في
غداً عالماً عاملاً ربانياً.

ثامناً: علمه العملي التطبيقي العميق بكل ماله صلة بحال
الدعوى، وظروفهم وبيئاتهم ومستوياتهم وهمومهم.. مما
يفصل العلماء في ثقافة الواعية.
ويتجلى منهجه في الدعوة الفردية والعامة، ككتابة وخطابة
وتدريساً فيما يلي:

- ١- بيان القواعد بإخلاص وأمانة وموضوعية، بما له وعليه.
- ٢- تقديم الحوافز التي تشد المخاطبين إلى أصولهم ومأصبيهم
وتغذي عقولهم ووجدانهم.
- ٣- الدعوة الصريحة الواضحة إلى العمل بالأصول الشرعية عقيدة
وعبادية وعملاً وأخلاقاً، والتأكيد على الاهتمام بمصادر التشريع.
- ٤- بيان السبيل إلى الإصلاح، وواضح هذا في أحاديثه
الإذاعية، ومحاضراته «إسمعي يا سورية، إسمعي يا بغداد...»
وفي كتاباته ومؤلفاته. ويتجلى هذا واضحاً في كتابه الذي ملا
الاسماع والقلوب، وأجج في القلوب الناشئة جذوة الصحو
الإسلامية، «مأنا خسر العالم بانتحطاط المسلمين»، ليس
الموضوع خسارة العالم الإسلامي بل خسارة العالم والإنسانية.
ويتجلى في هذا كله أسلوب:

- ١- التخلية: ينقض العقائد والأفكار المنحرفة والباطلة بحسن
العرض، والمناقشة بالتي هي أحسن وبالدليل الفعلي والنقلي،
وبالفطرة الإنسانية السليمة. كما هو بين في كتابه «الصراع
بين الإيمان والمادية»، و«الصراع بين الإسلام والفكرة الغربية».
- ٢- التجلية: بيان الحقائق واضحة كما في «الآركان الأربعة»،
و«النبوة والأنبياء» وبيان دور المسلم في هذا كله.

- ٣- التحلية: بيان المشكلات في بناء الشخصية الإسلامية
والمجتمع الإسلامي والجوانب العملية والأخلاقية والسلوكية
ويأخذوا لو تطالع رسائله «من روائع أدب الدعوة في القرآن
والسنة» وأروع ما في رسائله «الدعوة بالقُدوة» لقد كان قدوة
في كل شيء في مأكله، ومشربه، وملبسه، وحديثه وكتابات،
ولقاءاته للمستولين والعلماء ومطلاب العلم ولعمامة الناس. عاش
أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى داعية في جميع حياته
العامة والخاصة، في جميع ما قدم من علومه في مختلف
ميادين الحياة ومحاورها، كان خيراً وبركة، رحمه الله تعالى،
ورفع منزلته في الجنة. وبعثه الله تعالى وبعثنا مع «التبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً» سائلين
الله تعالى أن نغيد من منهجه وأثاره، وأن يتابع السير فيما بدأ،
والحمد لله رب العالمين. ■



الشيخ عبد المقصود خوجه يرحب
بسماعة الشيخ أبي الحسن في اجتماع
أعضاء الشرف الذي عقد في منزله بجدة
عام ١٤١٧ هـ



الشيخ عبد الله الأنصاري والأستاذ عمر بهاء الدين الأميري والشيخ أبو الحسن الندوي والشيخ
محمد الرابع الندوي في مؤتمر الهيئة العامة للرابطة بلكنهو عام ١٤٠٦ هـ



د. عبد القوس أبو صالح ود. حسن الإماراتي ود. عبد الباسط بنر والشيخ أبو الحسن الندوي والأستاذ مبارك الخاطر في مؤتمر الهيئة
العامة للرابطة بلكنهو عام ١٤٠٦ هـ

من ثمرة
المطابع

مقدمة كتاب.. «في مسيرة الحياة» بفكر أديب العربية الكبير: الشيخ علوان الطنطاوي

«في مسيرة الحياة» كتاب قيّم، لداعية من أكابر الدعاة إلى الله في هذا العصر، وصديق من أكرم الأصدقاء، ومؤلف مُكثّر، له كتب يعرفها الناس، ولكن لهذا الكتاب فضلاً عليها، لأنه يسرد سيرة المؤلف الأستاذ السيد أبي الحسن الندوي، ومعه رسالة منه، يشرفني فيها!! فيكلفني بأن أكتب له مقدمة الكتاب.

■ ■ ■

أنا لم أكن يوماً في موضع القيادة في الدعوة الإسلامية، ولكنني أمشي معها من يوم كنت أدرس في مصر سنة ١٣٤٧هـ، فشهدت بداية الدعوة النظامية بإنشاء «جمعية الشبان المسلمين»، وعرفت رجالاً من أعيان الدعاة إلى الله، ومن أكابرهم كما عرفت أبا الحسن، عرفت الشيخ البنا قبل أن تظهر جماعة «الإخوان المسلمين»، وكنت في فصل واحد في دار العلوم مع سيد قطب، وعرفت الشيخ البشير الإبراهيمي في مصر، وفي دمشق، وفي بغداد، وفي القدس، وعرفت المودودي، ومحب الدين الخطيب، خالي وأستاذي، والسيد الخضر الحسين، شيخي وشيخ مشايخي، والشيخ محمد محمود الصوّاف أخي وصديقي، وعرفت بالسماح لا باللقاء النورسي في تركيا، وممن لقيت، الأستاذ علّال الفاسي، ولبثت معه أياماً في القدس وفي دمشق، والدعاة إلى الله كثير، ولكن من ذكرت من أبرزهم شخصية، ومن أخلصهم إخلاصاً، ومن أسيرهم ذكراً، وأعمقهم أثراً.



■ ■ ■

وماذا أقول وقد سدد عليّ أخي أبو الحسن مسالك القول، فلم يدع لي مسافة أنملة، أوسعها لأدخل منها، فاكثرت عنها. لقد قرأت مذكرات كثير من أدياء العصر، ممن سار فيها مع السنين، وجاء بها مرتبة ترتيب الأيام في مجرى الزمان كأحمد أمين، ومن أخذ منها موافق، فصلها تفصيل الأنبياء، وعرضها عرض المنشئ البليغ، كطه حسين، ومن أخذ مما رأى وما سمع مشاهد علّق عليها، وإن لم يستوف عناصرها ولم يجمع أطرافها كمحمد كرد علي، أما أخونا الأستاذ أبو الحسن، فقد جمع في سيرته بين الحديث عن أصله ومبنيته، وعن بلده وبيته، وعن تحصيله ودراسته، وعن أصحابه وتلاميذه، فلم يدع شيئاً إلا قاله، فماذا تروني قاتلاً اليوم؟

■ ■ ■

لقد كتب عن أسرته، أهل أبيه وأهل أمه، وإذا هو المَعْمُ المَحْمُولُ (١)، كما كانت تقول العرب، وإذا هو عالم من نسل عظماء، ولقد عرفت من مطالعتي أسراً توارث أبناؤها العلم، فكانوا وكان نسائهم من العلماء، كاسرة آل قدامة، الذين كان منهم مؤلف «المغني»، أعظم كتب الفقه الإسلامي، وابن أخيه صاحب «الشرح الكبير»، والحافظ صاحب «المختار»، التي هي أصح كتب الزوائد على الصحيحين، ولقد أولعت زمناً بتتبع تاريخ هذه الأسرة فحصل مني من نسائها العالمات - فضلاً عن رجالها العلماء - أكثر من إحدى عشرة

سيرة!! ومن هذه الأسر في التاريخ القريب أسرة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، وأنتم تعرفون من نشأ فيها من العلماء، وأسرة ولي الله الدهلوي في الهند، وأسر من أمثالها كثير، أحصيت الكثير من أخبارها، وأسرة المهلب، القائد الذي ظلمناه فلم نضعه في مكانه مع القواد العظام، في تاريخ المعارك، والذي تسلسلت البطولات في نسله أربعة بطون، فكان منهم روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، وأسرة ظاهر بن الحسين في القيادة والسيادة، وأسرة قتيبة بن مسلم، القائد الذي فتح من الأرض ضعف ما فتح نابليون، فذهب ما فتحه نابليون وعاد إلى أهله، وبقيت فتوح قتيبة للإسلام إلى يوم القيامة، وإن غشيتها غاشية من الكفر والكفر، فستعود إن شاء الله إلى إيمانها وإلى صفاتها، وأسرة جرير في الشعر، وأسرة يمكن أن ندعوها بأسرة الوزراء، هي أسرة وهب، الذي كان وزيراً، وابنه سليمان الذي كان وزيراً، وابن عبيد الله، ومحمد بن القاسم، وكلهم كانوا وزراء.

■ ■ ■

ولو عدت من هذه الأسر أسرة أبي الحسن الندوي لما أبعدت، فأبوه عالم طبيب مؤلف (٢)، وأخوه لأبيه عالم طبيب، وأخته مؤلفة، ولها ترجمة «رياض الصالحين» (٣)، وأخته الأخرى عالمة وهي أم لعلماء، كلهم اسمه محمد، عرفت منهم محمد الرابع الذي كان شاباً يوم زرت الهند، وكان جزاه الله خيراً يمشي معي

يدلني ويأخذ بيدي، ويترجم لي (٤)، وعرفت أخاه محمداً الخامس (٥)، الذي كان في إذاعة دلهي، وقد دعيت إليها فسجلوا لي أربعة أحاديث، واستقبلوني بالترحيب والإكرام، ودعوني بالتحية والسلام، ولكنهم لم يذيعوا شيئاً منها!!

أما والد أبي الحسن فهو مؤرخ الهند حقيقة، ولقد استقدت من كتابه العظيم «نزهة الخواطر» (٦)

فوائد كثيرة: في تراجم عظماء الهند، التي أودعتها كتابي «رجال من التاريخ»، وفي رسالتي عن السيد أحمد بن عرفان، العالم المجاهد، الصالح المصلح، الذي ذهب شهيداً

في المعركة الإسلامية لإعلاء كلمة الله، أصدرت عنه رسالة في سلسلة لي عنوانها: «أعلام التاريخ»، ثم كتب عنه الأستاذ أبو الحسن

كتابه الجامع بعد سنتين، فكفى ووفى، ولم يدع لقائل مجالاً لقول.

■ ■ ■

يقول العرب:

إن الفتى من يقول ها أنذا ليس الفتى من يقول كان أبي فإذا اجتمع العلم والادب مع الحسب والنسب، فتلك الغاية التي لا غاية بعدها، ولولا أن يظن أني



■ الشيخ علي الطنطاوي



■ أحمد أمين

صوت شاعراً مداحاً عملي الثناء،
لقلت إن أبا الحسن جمع الأمرين،
وكان الشعراء إنما يمدحون
ليأخذوا الجوائز والعطايا، وليس
عند أبي الحسن ما يعطيني منه
جائزة أو عطية، وليس عندي بحمد
الله حاجة إليها، فإنا أقول ما أقول
صادقاً لا متزلفاً.

■ ■ ■

إن أكثرنا يجهل تاريخنا في
الهند، وتاريخ الإسلام في الهند
يعدل ربع التاريخ العام، ذلك أننا
(كما قلت من قبل) حكمنا هذه
القارة الهندية نحواً من ألف سنة،
وكانت يوماً لنا وحدنا، وكنا نحن
ساداتها، ولئن كانت لنا في إسبانيا
أندلس أضعتها، فإن لنا هنا
أندلساً أكبر، ولئن تركنا في
الأندلس تلالاً بقايا من شهادتنا،
وسواقي من دماء أبطالنا، فلقد
خلفنا في الهند أضعاف ما تركنا
في الأندلس، ولئن كان لنا في
الأندلس مسجد قرطبة وقصر
الحمراء، فإن لنا في كل شبر من
هذه القارة دماً زكياً أرقناه،
وحضارة خيرة، وشيت جنباتها
وطرقت جواشيتها بالعلم والعدل،
والمكرات والبطولات، وإن لنا فيها
معاهد ومدارس، كم أنارت عقولاً،
وفتحت الحق قلوباً، ولا تزال تفتح
القلوب، وتثير العقول، وإن لنا فيها
آثاراً تفوق بجمالها وجلالها
الحمراء، وحسبك (تاج محل)
أجمل بناء علا ظهر هذه الأرض.

■ ■ ■

وقد قرأت الكتابين اللذين وصلا
إليّ مما ألفه والد السيد أبي الحسن
: كتاب «نزهة الخواطر» الذي

جمع فيه من سير أعلام الهند،
ومن نشأ فيها، ما لم يجمعه كتاب
غيره، فهو يغني في هذا الباب عن
كل كتاب، ولا يغني عنه كتاب.
وكتابه الآخر الذي نشره «المجمع
العلمي» في دمشق وسماه :
«الثقافة الإسلامية في الهند»،
والذي أودعه المؤلف ما لا يستطيع
مثلي أن يجده في خزنة كاملة،
يكتب عليها، يطالع ما فيها (٧).

لقد تعلمت من هذين الكتابين،
ومن زيارة الهند منذ ثلاثين سنة،
أننا بجهلنا تاريخ الإسلام في
الهند إنما نجهل ربع تاريخنا.

■ ■ ■

كتاب الأستاذ أبي الحسن ليس
سرداً لأحداث حياته، ولكنه كتاب
تاريخ، وكتاب أدب، فيه وصف
للأمكنة كأنك تراها، وكتاب علم،
فيه ذكر العلماء ومجالس العلم،
وسجل اجتماعي، فيه وصف
عادات الناس وأوضاعهم في
الهند، وكان مما قرأت عن المكان
الذي نشأ فيه أنه بُني على طراز
الكعبة بطولها وعرضها، إلا أنه
نقص من ارتفاعها عدة أنامل نادياً
معه، واحتراماً لها، وسقيت
قواعده بماء زمزم.

ولم يقل ماذا أرادوا بذلك، ولم
يدع أنه قرية إلى الله، أو أنه عمل
مشروع، لذلك لا أقول فيه شيئاً،
لا أقصره ولا أنكره، وإنما أرويه
وأذكره.

وكان هذا البناء مسجداً ورباطاً،
ومدرسة ومركز دعوة إلى الله،
ودار تدريب على الجهاد، ولم
يجعلوا له (كما يقول) قبة ولا
منارة.

ووصف التهر الذي يجري تحته،
فإذا هو يصف (أو كأنه يصف)
نهر بردى، في قلة مائه في
الصيف، وأنه إذا هطل المطر وكانت
السيول، هدر وزمجر، وربما طغى
ودمر، ويصف فيضانه العظيم
سنة ١٩١٥م، وكان عقب ولادة
الشيخ، يصفه وصفاً حياً، كأنك
تراه، نذكرني ببردى لما فاض مثل
ذلك الفيضان سنة ١٩١٨م، فملات
مياهه مدرستنا، وصارت مقاعدنا
كالزوارق طافية على وجه الماء،
ونحن نتعلق بها، وكان يوماً من
أجمل أيام حياتي في الصغر،
وكنيت في آخر الدراسة الابتدائية،
وأنا قد سبقت للشيخ أبا الحسن
في رؤية هذه الدنيا، إذ ولدت قبله
بست سنين أو سبع، ولكنه سبقني
في بلوغ ذرى القضايا فيها.

■ ■ ■

لقد كانت أول معرفتي بأبي
الحسن من كتابه : «ماذا خسر
العالم بانحطاط المسلمين»، لما رأيت
هذا الكتاب لم أكن أعرف مؤلفه،
فقلت : من هذا الباحث الهندي،
الذي يكتب بمثل هذا الأسلوب
العربي النقي، ويحيط بأحوال
المسلمين هذه الإحاطة؟ ثم علمت
أنه هندي المولد، ولكنه عربي
الأرومة، وكثير من العرب الأفحاح
الذين عرفوا باللقاب فارسية أو
أعجمية، ولو أن أحدكم وضع
مخطط بلاد فارس، وقرأ أسماءها
لم يجد بلداً إلا ومنه علماء، وأدباء
كثيرون، ملأت أسمائهم كتبنا
واستقرت في أذهاننا : التيريزي،
والشيرانزي، والقزويني،
والجرجاني، والهمداني، والرازي

(نسبة إلى الري وهي قرب طهران)، والطبري (نسبة إلى طبرستان، أما النسبة إلى طبريا فطبراني)، والشهرستاني، والنيسابوري، والإسفراييني، ومن لست أحصيهم عدداً، وحسبكم بمؤلف «الأغاني» الذي يدعى الأصفهاني، وهو أموي مرواني صريح النسب، من خلاصة العرب، ولقد جمعت أسماء هؤلاء لأضعها في كتاب، ثم علمت أن أحد الأدباء قد ألف كتاباً في العرب الذين لقيوا بالقبالعجم، ولم أر الكتاب، ولم أعرف مؤلفه، فمن كان عنده علم به فليفضل وليخبرني.

■ ■ ■

وكنْتُ أحسب أن «الندوي» لقب أسرة يجمع بين أفرادها النسب، وكنْتُ أسأل ما قرابة السيد سليمان الندوي، الذي كان من أعظم من كتب في السيرة، والسيد مسعود الندوي، محرر مجلة «الضياء»، إحدى المجلات الإسلامية العربية الواعية، والسيد أبي الحسن؟ ثم علمت أنهم لا يجمع بينهم النسب، وإنما يجمع بينهم العلم والأدب، وهذا المعهد الذي ينتسبون إليه.

■ ■ ■

وأنا لا أعرف أهل معهد أو مدرسة لهم تعلّق بمعهدهم أو مدرستهم كتعلّق الندويين بندوقتهم، ينتسبون إذا انتسبوا إليها لا إلى آبائهم، ويجتمعون عليها أكثر مما يجتمع أفراد الأسرة على أنسابهم، فكل من دخلها حمل لقب «الندوي» فعرف به، لا بلقب أهله.

لا أعرف مثل ذلك إلا للأزهر، الذي انتسب إليه من طلبة العلم فيه جماعة، قصاروا يعرفون في بلادهم، ويعرف بنوهم من بعدهم بـ «آل الأزهر».

و«الندوة» مثل الشاب الناشئ في طاعة الله، ما لها قدم الأزهر، ولا لها مثل أمجاده، ولكنها أسست من أول يوم على التقوى، رسم لها الطريق السوي فمشيت فيه، لا الطريق انحرف بها عن الغاية، ولا هي قد تنكبت الطريق، كان طريقاً وسمّاً بين «الأزهر» بعدما شاخ، وتخلّف شيئاً قليلاً عن الركب، ومعهد «ديوبند» في الهند الذي أقيم على غرار، ومشى يتبعه في مساره، وبين جامعة «عليكراه» (٨) التي أنشأها السر سيد أحمد خان، لستأير الزمان، فلم تجسد الندوة جعفر ديوبند والأزهر القديم، ولم تسَلْ وتمع ميعان عليكراه، بل أخذت من طريقي الأمور بأحسنها، وكانت تجربة كتب الله لها النجاح.

■ ■ ■

وكان المثل الأكمل لهذه الطريقة هو أبو الحسن، أمسك الخيرين باليد، فما أصاع القديم، ولا أهمل الانتفاع بالجديد، وإذا كان أول ما يؤخذ على أكثر علمائنا ومشايخنا (٩) والدعاة إلى الله هنا، أن جمهورهم لا يحسن لغة أجنبية، فأبو الحسن يتغن ثلاث لغات إتقاناً كاملاً، الثلاث التي هي أكثر ألسن الأرض ناطقين بها: العربية، والأوردية، والإنجليزية، ويعرف فوقها الفارسية، وإذا كان الشاعر القديم صادقاً حين قال:

«فكل لسان في الحقيقة إنسان» فأبو الحسن ثلاثة في واحد، لا أقول إنه كتلتيت النصارى، تعالى الله لا إله إلا هو الرب الواحد، بل أقول إنه جمع الفضل مثلاً.

وأنا أقول هذا هنا لأن أخانا أبا الحسن — فوق عنايته بالدعوة إلى الله، وأنه ركن من أركانها، وعضو ظاهر من أعضائها — يهتم بالأدب الإسلامي، وقد أنشأ له هو وأخونا الأستاذ عبدالرحمن رأفت الياشا رحمة الله عليه وآخرون، رابطة تربط أهلهم، تجمعهم وتشد من أزرهم، وتعينهم في أمرهم.

ولا يزال في الناس من يختلط عليه أمر تعريف الأدب الإسلامي، ويدخل فيه كتابات إسلامية ليست أدباً، وكتابات أدبية ليست موافقة للإسلام، والذي أفهمه أنا بذهني الكليل، وفهمي القليل، أن الأدب الإسلامي هو ما كان أدباً مستكملاً شرائطه، جامعاً عناصره، سواء في ذلك القصيدة والقصة والمسرحية والرواية، فالشرط فيها أن تكون بالميزان الأدبي راجحة لا مرجوحة، وأن يكون الأثر الذي تتركه في نفس قارئها إذا انتهى منها، مرغباً له في الإسلام، دافعاً له إلى الاقتراب منه، لا أن تكون بحثاً فقهياً ولا تاريخياً، ولا شرح حديث ولا تفسير آية، فهذا كله ليس أدباً، وإن كان شيئاً أغلى وأعلى وأثمن من الأدب.

■ ■ ■

ولقد كنت ممن دعا الأستاذ أبا الحسن إلى تأليف كتاب «روائع إقبال» ذلك أننا مازلنا نسمع بإقبال، وبأن له شعراً، علا فيه

حتى وصل إلى طبقة، قل من الشعراء من يصل إليها، أو يحلق فيها، ثم نقراً ما ترجم منه فلا نجد فيه مصداق ما سمعنا، ورأيت أن أقدر من يستطيع أن ينقله إلينا أبو الحسن، لأنه متمكن من اللسانين، أديب في اللغتين: في العربية وفي الأوردية، وصدر الكتاب، وإذا هو لم يترجم قصائد إقبال، ولكن لخصها، ولولا أن أغضب أبا الحسن - وأنا واثق أن الحق لا يفضيه إن شاء الله - لقلت إننا لا نزال في حيرتنا، نردد سؤالنا، وننتظر من ينقل شعر إقبال إلينا.

■ ■ ■

كنت مرة في مقابلة إذاعية في الراشي (التليفزيون) فسالني المحدث، - وأحسبه كان الأستاذ ماجد الشبل - عن المكان الذي أمتني أن أقضي فيه بقية أيامي، قلت: إن لم أستطع أن أعود إلى بلدي - وبلدي دمشق - ولم أقدر أن أبقى جوار بيت الله هنا في مكة، فإن أحب مكان إلي هو لكهنؤ، وأن أقيم في معهد ندوة العلماء، فأجمع فيها بين الظل والماء، وصحية العلماء.

ولقد كنت أذكر اسم لكهنؤ مرة أمام جماعة من أهل الفضل فما عرفها منهم أحد، فقلت لهم: إنها مدينة أبي الحسن الندوي، فعرفوها، فكيف تريدون متي أن أعرف القراء في هذه المقدمة برجل هو أشهر من بلده، حتى إنها لتعرف به قبل أن يعرف بها؟

ولم يرغيني في دار الندوة جمال منظرها وحده، ففي الأرض مناظر كثيرة، فيها ما ليس في لكهنؤ من

ألوان الجمال، بل لأن المثل العليا التي يطمح البشر للوصول إليها، والدين منها من قديم الأزمان إلى الآن، هي الحق والخير والجمال، والثلاثة فيها، الجمال في موقعها، والخير في أهلها، والحق في الغاية التي تعمل لها وتسعى إليها.

■ ■ ■

إن الإسلام للحياة كلها، يصلحها ويسد خطاها، والحياة مسادة (وشيء وراء المادة) والإسلام للناس جميعاً، والناس مؤلفون من جسم ونفس وروح، والدعوة الصحيحة إلى الإسلام ما كانت تجمع الحسنيين، على أن يكون هذا المزج بين مطالب الروح وحاجات الجسد، مزجاً شرعياً، والله جعل كل شيء بقدر، فكما تتحد العناصر بنسب معينة، فلا تأتلف ذرة الأوكسجين إلا مع ذرتين من الهيدروجين، كذلك جعل توازناً دقيقاً محكماً بين الروحانيات والماديات، ومن الناس من يعمل ميزانه إلى إحدى الكفتين، والدعوة الصحيحة هي التي تكون للعقل من غير استغراق في المادية، ودعوة للقلب من غير انحراف مع الصوفية، وأن نلزم طريق الكتاب والسنة، وفي الكتاب والسنة غناء، وهذا ما عليه جماعة الندوة، اشتغال بالعلم مع تثبيات الإيمان، وإصلاح القلب، وترفع عن المعارك السياسية، التي لا غاية لها إلا الوصول إلى كراسي الحكم، يسلك أصحابها إلى ذلك كل طريق، المستقيم منه والملتوي، ويتخذون كل ذريعة، الطيبة والخبيثة، والإسلام يريد أن تكون الغاية

حسنة، وأن يكون الطريق إليها مستقيماً آمناً، وأن يكون أسلوب الدعوة بعيداً عن أساليب الأحزاب السياسية، التي لا تبتغي إلا المناصب والألقاب، عملها التزاحم عليها، والتسابق إليها.

ولابي الحسن والندويين عناية بالآداب، والدعوة لا تكون إلا باللسان والقلم، وقوام اللسان والقلم الآداب، وإذا كان من الأدباء الذين يعرفون اليوم بالإسلاميين من يكتب ويقول غير ما يعمل، ومنهم من لا يؤدي الفرائض ولا يدع المحرمات، ولا يلتزم بالسلوك الإسلامي، ومنهم من كتب في الإسلام لما رأى سوق الكتب الإسلامية مقصودة، وبضاعتها رابحة، فجعل يسوق ما يعجب السوق، فإن أبا الحسن وجماعته ملتزمون بالإسلام قولاً وعملاً، كتاباً وسلوكاً، يعمل ما يعمل ابتغاء رضا الله لا رضا الناس، والرسول عليه الصلاة والسلام كره التكلف، وأنا لم أرَ فيمن عرفت من الناس من هو أبعد عن التكلف، وأقرب إلى البساطة (بالمعنى المتعارف لا بالمعنى اللغوي) من أبي الحسن، فهو في لباسه - كما وصف الشاعر إقبال - يلبس أيسر لباس، وأرخصة، وأبعده عن الزهو والتعالي، قميص طويل تحته سراويل واسعة، وهو لباس أكثر من عرفت من علماء الهند.

قرأت له أولاً، ثم عرفتته واتصل حبلي بحبله في لكهنؤ سنة ١٩٥٤، وفي موسم حج سنة ١٣٨١هـ وكان من قبل قدم دمشق استاذاً زائراً في جامعته،

وما كُتِبَ لي أن ألقاه، لأنني معزّل، بعيد عن مجامع الناس، أمضيت شبابي في ذلك، وامتدّ معي إلى شيخوختي، فأنا لا أكاد أخرج من داري، ولا ألقى إلا نقرأ من إخواني ومن أصحابي، فلما عرفت أبا الحسن من قرب، صار أحد الذين اصطليتهم وأحببتهم واحترمتهم.

والناس عندي أصناف ثلاثة: منهم من أحبه واحترمه، ومنهم من أحترمه لعلمه وفضله، ولكني قد لا أحبه؛ لغلظته وثقل ظله، ومنهم من أحبه، ولكني لا أحترمه، فكان أبو الحسن من نفر القليل الذين أوليتهم حبي واحترامي، والذين أنطلق حين أكون معهم على سجيّتي، أظهر ما أخفيه، وما أكتمه عن الناس أبعده، أقول ما يخطر على بالي، أكون معهم آمناً مطمئناً إليهم، واثقاً بهم.

جمعتني الحج سنة ١٢٨١ هـ - وأنا مقيم في مكة - بأبي الحسن، وبالشّيخ المعزّ الصالح الشّيخ حسنين مخلوف مفتي مصر الأسبق، والشّيخ القلقيلي، الذي كان مفتي الأردن، وكان صديقاً عزيزاً، قدعيّنا إلى القصر الملكي في الأبطح، أي في (المعابدة)، فاعتذرت على عبادتي، ولكن المفتّيين وأخي وصديقي الأستاذ الصوّاف الزّموني الحضور، وكانت جلسة مباركة، حضر أولها الملك سعود رحمه الله عليه، ثم تولى رياستها المفتي الشّيخ محمد ابن إبراهيم آل الشّيخ رحمه الله عليه، فولّى إدارتها عنه أخانا أبا الحسن، فبدأ لي في ذلك المجلس

جانب جديد من عبقريته المتعددة الجنبات، لم أكن أعرفه من قبل، وهو أسلوبه قبي الإدارة، وهو أسلوب (زياد)، تشبه فيه بالرجل الذي دعاه رسول الله بالعبقري، ولم يدع بذلك غير عمر بن الخطاب، شدة من غير عتف، ولين من غير ضعف، وأنا أقول من قديم: إن القوة قد تكون مع اللين أكثر مما تكون مع الخشونة، فالناس على لينها وتعوّمتها تقطع الخطبة على خشونتها، وكانت هذه الجلسة نواة «رابطة العالم الإسلامي»، وكان هؤلاء الأعضاء هم المؤسسين الأولين لها، وكنت واحداً منهم، ولكنني لعلمي أنني لا أصلح لها اعتذرت عنها، واجتمعت به في تلك السنة، في المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وخرجت منه أيضاً، وإن بقيت فيه وفي الرابطة، وفي كل عمل إسلامي، جندياً يعاون على كل ما يتفق للمسلمين، لكنني لا أربط نفسي بأحد، فأنا أمشي في طريقي لا أبذله، فمن وجدته يمشي فيه رافقته وأعنته - على ضعفي وعجزّي - على ما يريد من الخير، وإن انحرف عنه، أو سلك غيري لم أمش معه.

عرفت أبا الحسن من قريب، في مكة، وفي المدينة، وفي دمشق، وعرفته قبل ذلك في الهند، فوجدته في الأحوال كلها مستقيماً على الحق، عاملاً لله، متواضعاً زاهياً حقيقياً، لا زهد المغفّلين الذين يعيشون وراء أسوار الحياة، لا يدرون ما الدنيا، ولا يعرفون ما فيها، بل زهد العالم العارف بالدنيا

وأهلها، فقد رأى الشرق والغرب، وزار الحواضر والأمصار، ولقي الكبار والصغار، وعاش صدر حياته في قصر الأمير نور الحسن ابن الأمير السيد صديق حسن خان، العالم السلفي والأمير الكبير، أسكنوه فيه بعد موت أبيه، فذاق حياة الترف والنعيم، ولكنه زهد فيها، فزهد له ليس زهد الحرمان، ليس زهد الجائع الذي لم يجد الطعام، فوطّن نفسه على فقده، بل زهد الذي قد شهوة الأكل والأكل أمامه، يحضر المؤتمرات، ولكنه يجتنب الفنادق الكبار، التي ينزلون فيها الوفود، وينزل في بيوت تلاميذه، وما أكثر هؤلاء التلاميذ. وإذا كان من بني حصناً أو قاد جيشاً عدّ في العظماء، فأبو الحسن بنى للإسلام من نفوس تلاميذه حصوناً أقوى وأمت من حصون الحجر، بنى أمة صغيرة، من العلماء الصالحين، والدعاة الخالصين.



وجدت أبا الحسن قد أكرمه الله فاستكمل مزايا الداعية الإسلامي، الذي نطبه ونفتش عنه، وتحت يدي وأنا أكتب هذه المقدمة محاضرة لي ألقيتها في مكة في موسم حج سنة ١٣٧٢ هـ، وأنا في العادة لا أكتب محاضراتي، لذلك تضيع عند الناس، وأسأل الله أن لا تضيع عنده، لكن هذه المحاضرة كتبها إخوان وبنوهم، فبقيت لدي، كان موضوعها «طرق الدعوة إلى الله»، ركزت ذهني فيها على ما أعرف من طرق الدعوة، من السرهندي (١٠) الذي دعي سجد الألف الثاني، لأنه

عمد إلى صرح الكفر الذي شاده الإمبراطور أكبر في الهند، فجاءه من القواعد بلين وهدوء كهدهوء الماء ولينه، إذ يتسرب إلى أساس البناء، حتى إذا تشرب به آلائه، ثم جرفه فهداه، لقد هوى ببناء الكفر، وقام من أحفاده الإمبراطور الذي قيس من نور الشيخ بل من ضياء الإسلام، قسار على هذا الطريق، وهو أورك زيب، فأقام صرح الإيمان، والإيمان معه دائماً العز والنصر، وله الدوام إلى آخر الدهر، ولو قامت في سبيله العقبات، واعترضته الموانع فإن النصر له، والعاقبة للمتقين، ثم تكلمت عن طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، التي كان من نتيجتها ومن تحالفه مع الإمام محمد بن سعود أن وحد الله الجزيرة، ونقلها من حال إلى حال، فصار تحولها مضرب الأمثال.

ومن كان أسلوبه في الدعوة بث الأفكار، وتبنيه الناس، ومن عمد إلى الصحف والمجلات يدعو فيها إلى الإسلام، وقد وجدت عند أبي الحسن وثروة العلماء النافع من هذه الطرق كلها، فهم يتخذون وسيلة التعليم، وهي أصنق الوسائل التي يتوصل بها الدعوة، وإن كان ثمرها قد يتأخر في الظهور، ولكنه مضمون، وما قيمة عشر سنين في تاريخ الأمم التي تمتد أجيالاً وأجيالاً، فأولى ما يقوم به الدعوة إلى الله هو أن يُعْمُوا بالتعليم، لإعداد الجنود لمعركة الكفر والإيمان، ولو بعد موعدها، فلقد أضعنا عشرات وعشرات من السنين.

أنا شُهِدْتُ في حياتي ست عشرات، من يوم كنت شاباً وأدركت

ما حولي، ضاعت علينا، ولو أننا سلكنا قبيها هذا الطريق الواضح لوصلنا، أليس هذا هو طريق رسول الله عليه الصلاة والسلام؟ ألم تنتقل الدعوة الإسلامية من واحد إلى واحد؟ لقد دعا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ما يشبه الماضرة مرة واحدة، لما جمع الناس عند الصفا، فأنبرى له أبو لهب بتلك الكلمة الفاجرة، فلم يدعُ الناس بعد إلى مثلها، بل كان إذا دعاه المسلمون أمر دعاهم وحدهم إلى الصلاة الجامعة في المسجد.

■ ■ ■

فينا أخي أبا الحسن أثبت أنت وجماعتك على ما أنتم عليه، فإنني لا أعرف اليوم في أساليب الدعوة من هو أصح منكم أسلوباً، وأعذرني إذا لم أكتب المقدمة التي أمرتني بها. إن المقدمات إنما تكون للتعريف لمؤلف مجهول، وأنت أعرف مني، ومثلك لا يحتاج إلى من يقدمه للناس، وأنا أستطيع أن أكتب فيها مثل ما كتبت عنك، وعما عرفت منك وعن أخيك الدكتور رحمة الله عليه. ويعد يا أخي أبا الحسن : لقد امتلكت أمرك، وكتبت، ولكن هذا الذي كتبتك كله لا حاجة إليه، ولا محل له من الإعراب. شعتم أعرب وأنت مستغن بعرفة الناس إياك وما احتواء كتابك، ممن يعرفك؟ فأقبل معذرتي، وأسأل الله أن يشد من أزرِك وأزري، وأن يوفقك ويوفقني، وأن ينفع الناس بعلمك ونفسك وجهادك، والسلام عليك ورحمة الله.

علي الطنطاوي

■ الهوامش:

- (١) أي الكريم الأعمام والأخوال
- (٢) وأمه سيده فاضلة، كاتبة شاعرة، صاحبة مؤلفات، صدر لكتابها «حسن معايشة» في تعليم البنات المسلمات، ثلاث عشرة طبعة، حفظت القرآن، وهي من فضليات النساء صلاحاً وتقوى، ودعاء وإثابة ومناجاة لله، ومدح للنبي صلى الله عليه وسلم.
- (٣) اسمها : «زاد سقر» رزقت قبولاً عظيمًا، وطبعت مرات، وقررت في مدارس كثيرة، أديعت أكثر من مرة من الإذاعة السعودية، ولها ديوان شعر مقبول في الدعاء والابتهاج والمدائح النبوية، وأنشأت مجلة «رضوان» للنساء المسلمات.
- (٤) وهو الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي، عميد كلية اللغة العربية وتاريخها في جامعة ندوة العلماء، نائب رئيس الرابطة ورئيس مكتب شبه القارة الهندية.
- (٥) وهو معروف الآن بالأستاذ محمد واضح رشيد الندوي رئيس تحرير صحيفة «الرائد» العربية.
- (٦) والكتاب في ثمانية أجزاء كبار، احتوت على أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة ترجمة لأعيان الهند.
- (٧) ومؤلف «زهة الخواطر» واللقافة الإسلامية في الهند كتاب ثالث منهم، وهو «الهند في العهد الإسلامي» في خطط الهند، وأثارها، وتاريخ الحكومات الإسلامية، ونظفها، والأسور الخيرية والمؤسسات التي أنشأها المسلمون في القارة الهندية.
- (٨) وهي المشهورة الآن بجامعة عليغره الإسلامية (MUSLIM UNIVERSITY ALIGARH) وهي كبرى جامعات شبه القارة الهندية التي يديرها المسلمون.
- (٩) ولا تقل مشائخ لأن البناء قبيها أصلياً.
- (١٠) هو الإمام للصلح الكبير الشيخ أحمد بن عبد الواحد السرهندي (م ١٠٣٤هـ).

شهادة وبوار



■ كانت دهشتي كبيرة وفرحتي عارمة، حين التقيت بالشيخ في مدينة وجدة عاصمة

المغرب الشرقي، صباح يوم ٩ سبتمبر ١٩٩١م

الندوي.. مثال التواضع ونكران الذات

— لماذا لا تكتبون بالعربية دائماً؟

■ أكتب معظم كتاباتي بالعربية، ثم تترجم إلى الأردية والإنجليزية وغيرهما، إلا ما يتعلق بالشئون المحلية فأكتبه بالأردية.

— كيف تتصورون فقه الدعوة والحركة؟

■ الفكر الحركي الذي أراه معتدلاً متزناً تدور كتبي حوله، لاسيما «ماذا خسر العالم...» والصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» وغيرهما.

— لماذا لا تنظمون الشعر؟

■ اهتمامي بالأدب معلوم، ونفسي لا تطاوعني في الشعر، والشعر لا يكتب بل هو وموهبة وقريحة.

— ماهي طريقتكم في البحث العلمي؟

■ الاهتمام بصلب الموضوع دون حواشيه.

— كيف ترون أسلوب التكوين الذاتي؟

■ الصحة الصالحة وكتب الصالحين من أنفع الأساليب في ذلك.

— وصيتكم لي وللشباب المسلم؟

■ تقوى الله في السر والعلن «اتق الله حيثما كنت» و«قل ربي الله ثم استقم».

خالد الدادسي بن الحبيب

أستاذ بكلية اللغة العربية - جامعة القرويين -

مراكش - المغرب

تلقيت بببالغ الحزن والأسى نبأ وفاة شيخنا الجليل، العلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي رحمة الله عليه.

لقد أعجبتُ بالرجل كاتباً وعالمًا وداعيةً — قبل أن أكلمه أو أراه — منذ اللحظة التي وقع كتابه النقيس الشهير «ماذا خسر العالم يا انحطاط المسلمين» بين يدي، ثم تملكته الرغبة الشديدة في القرب منه، بعد أن علمت تقلده علي شيخنا الفاضل المرحوم الدكتور محمد تقي الدين الهلالي الحسيني، يوم كان مدرّساً للأدب العربي بدلهي بالهند، فعزمت على مراسلته، وكان ذلك أوائل عام ١٩٨٥م دون سابق تعارف، ولم تمض بضعة أيام حتى وصلني جوابه الكريم، ملؤه المشاعر النبيلة، والكلمات الطيبة، والأدعية الصادقة، فكانت دهشتي كبيرة وفرحتي عارمة، وهكذا استمرت المراسلات بيننا إلى أن يسّر الله لقاءه في مدينة وجدة عاصمة المغرب الشرقي، صباح يوم ٩ سبتمبر ١٩٩١م (انظر الصورة) بحضور الأستاذ المحترم محمد الرابع الحسيني الندوي، فوجدت فيه — كما تلمست من خطاباته لي — مثال التواضع ونكران الذات، ونموذج العطف الأبوي، والصلاح والتقى، ورمز الاعتدال والوسطية، وفيما يلي بعض ما دار بيننا من حديث؛ لعله يكشف وجهاً آخر من فكر الرجل وشخصيته..

■ ■ ■

ديوان المراثي

كَوَيْتَ الْقَلْبَ بِالشَّجَنِ
لَمَّاذَا يَا أَبَا الْحَسَنِ ٩٩
وَكَيْفَ تَرَكْتَ سَاحَتَنَا
وَأَنْتَ الرُّوحُ فِي الْبَدَنِ
وَغَبَبْتَ وَكُنْتَ بِالْأَضْوَاءِ
فِي الظُّلُمَاءِ تَغْمُرُنِي
وَكُنْتَ أَرَاكَ رَايَتَنَا
عَلَتْ فِي كَفِّ مِثْوَزِ
وَالْقِي فَمَيْكَ دَعْوَتَنَا
إِلَى أَدَبٍ بِلا عَيْفٍ
تَرْشُدُنَا نَدَاءَهَا عَطْرًا
عَلَى مَا فَاحَ مِنْ عَطَنِ
وَتَغْسِلُ ثَوْبَ سَيْرَتَنَا
لَمَّا فَصَلَّيْهِ مِنَ الدُّرَى
وَتَطْرُدُ مِنْ مَسِيرَتَنَا
دُعَاةَ عِبَادَةِ الْوَتَنِ
وَتَصْدَحُ فِي عُذُوبَتِهَا
كَشِدْوِ الطَّيْرِ فِي الْقُنَى
فَإِنْ قَالَتْ فَقَوْلُهَا
تَشْدُدُ الْقَلْبَ لَأْدُنِ
وَتُطْوِي فِي مُلَائِنَةِ
عُجْبَابِ الْمَرْكَبِ الْخَشَنِ
وَتَلْمَعُ فِي ضَلَالَتِهِمْ
بِمَنْطِقِ حَاقِقِ قُطَنِ
وَعِنْدَ جَمُوحِ عَاصِفَةِ
تَضْيِ مَرَاغِي السُّفُنِ

في وداع



تسير وفوق راحتها
هدى القرآن والسُّنن
تضي وفي سماحتها
بشاشة وجهها الحسن
وثبدي قول حازمة
لمن حادوا عن السنن
تصون العهد في ثقله
تهز شوامخ الثُّنن
بلا ضيق ولا غنت
ولكن حكممة المرن
وكان صوابه الأنوار
تمحو ظلمة الدُجن
عطاء ساقه المولى
وكم لله من مكن
فتم يا ساكن الجئات
قد كُرمت بالسكن
وجوزيت الذي قدمت (م)
في سر وفي علن
فكل الخير نُؤجره
فلا شيء بلا ثمن
قطب نوما فدعوئنا
مشت في السهل والحرن
وحين تركت رايثها
مضت في كف مؤتمن
وخاضت لجثة المسعى
بلا كلال ولا وهن

فوارسها من الفتيان باعوا
النفس للوطن
وغايتهم خلاص النسا
س من ذوامة الفتن
على أدب من الإسلا
م يهدي كل مفتتن
عطاء الله للإنسا
ن موصول على الزمن
أياد قضاها المولى
لتنقذنا من المحن
عرفناها.. ودقناها
كطعم الشهد في اللبن
وفاضت عندنا أدبا
كسبل العارض الهن
طهارته.. ورقته
ترد الروح للكفن
فلا زيف ولا عوج
ولا خضراء في الدمن



شعر

محمد التهاوي

الإمام الندوي

الديوان

المراثي

حنائيك! هذا الطيب مسك مفتق
ووجهك وضاح الأسارير مشرق
كأنك إذ ودعت دنياك أقبلت
بشائر توفى بالمني وتحقق
تكاد من البشرى تقوم فتجعلي
معالمها، تومي إليها وتنطق
رحلت عن الدنيا وكمت زاهدا
وشوقك للرحمن أوفى وأوثق
حنائيك من شوق يلح ولهفة
تهيج وآمال تطل وتصدق
وحولك من أبنائك الغر ثلثة
وممن نأى قلب يحن ويشفق
قلوب صفت حتي كان ودادها
نسائم تسري أو أزامير تعبق
وود مع الأيام تنمو غراسه
حنانا ينجي المتقين ويخفف
و«نور» بهي قد تفتح والندى
عليه، وروض من حوالب موق (١)
وعهد قضيت العمر توفى بحقه
وقاؤك إحسان وبرك مغدق
وما زالت النفس الأبيّة ترتقي
مدارج للعلياء تزمو وتسقم
اعز ذراها جولة الحق والثقي
ووثبة إيمان وعزم مصدق

■ ■ ■

أبا الحسن الندوي! ذكرك روضة
يموج بها الزهر الندي ويورق
لك النسب الأتقى وجوهر معدن
تجلّى به رب شققت ومنطق



وما أعظم الإنسان حين يصنوه
يقين ويجلوه وفاء وروث
أبا الحسن الندوي أعليت همّة
إلى الله ترجو العون منه وتطرق
بنيت فأعليت البقاء وقد سمت
عزائم ترقى بالهدى وتحلق
معاهد تبقى في الحياة ماثراً
إذا ما جلاها هديها المتألق
مصانع والأجيال منها توثبت
تظل على ساحاتها تتدفق
غذوت قلوب الناشئين بحكمة
تفيض بحرّم المثقين وترفق
وما اصدق الأجيال حين يمدّها
غذاء من التوحيد صاف وريق
وما أعظم الساحات حين تخوضها
مواكب إيمان إلى البذل سبق
مباين شئ قد شققت ولم تزل
مواقعها تغني الحديث وتنطق
نثرت على الساحات طيباً ولم يزل
له عبق بين الديار محلق

■ ■ ■

فيا ندوة يزهو بها علماءها
وتزكو أمان في ربّاهم وتغيب
يموج بها العطر الغنيّ فعالم
فقيه يجلي بالعلوم ويسبق
راويّة يروي العذاب وينتقي
روائع من صفو الهداة ويطلق
وروض من الآداب يغني عطاؤه
ندي بالوان البيان منمّق

كانك من طيب النفوس بروضة
لها زهر منهم وعطر وروث
يرق بهم حلّو الحديث كأنما
جرى سلسبيل بينها يترقرق
يضمهم قلب كبير واضطلع
ورحب مكان دون ذاك ومرفق

■ ■ ■

أبا الحسن الندوي كم من مآثر
بنيت وعلم في الصحائف يشرق
وبين صدور المثقين خلائق
تنم ونهج في الحياة يطبق
وذلك من أي الكتاب وسنة
ملأت بها قلباً يحن ويخفق
ذخائر من قلب ذكي وفطنة
يجود بها قلب ذكي ويطلق
يظل الجواد الحر يعطي ولم تزل
به خشية لله تغني فيغني
وينأي عن الكبر المذل ويرتقي
إلى خلق سمح يعز فيغرق



شعر الدكتور

علشان رضا النحوي

لَهُ عِزَّةٌ بِاللَّهِ وَالْدِّينِ وَالنُّقَى
تَمُدُّ لَهُ أَمَّالَهُ وَتُصَدِّقُ
فِيصْفُو الْهَوَى طَبِيباً وَتَصْفُو نَوَازِعَ
وَيَغْبِقُ مِنْهُ طَيْبُهُ وَالتَّشْوِيقُ
جِهَادُكَ، مَا جَاهَدْتَ لِلَّهِ خَالِصاً
نَدِيٌّ قَبْلَ أَنْ يَبْلَى وَلَا هُوَ يَخْلُقُ

■ ■ ■

رَحَلْتَ! وَمَا أَقْسَى رَحِيلِكَ وَالِدَجَى
يُحِيطُ بِنَا وَالْهَوَى يَذْنُو وَيُخْدِقُ
تَلَفَّتْ الْأَفَاقُ أَيْنَ مَوَاقِبُ
ثَوَائِبُ فِي الْمَيْدَانِ زَحْفاً وَتُطْبِقُ
وَأَيْنَ مَصَابِيحُ الْهُدَى فِي دُجْنَةٍ
عَهْدَنَاهُمْ نُوراً بِهَا يَتَّالِقُ
قَايِنُ «ابْنُ بَارِ»! كَانَ مُصْبِحَ أُمَّةٍ
وَقَلْعَةٍ تُوَحِّدُ وَسَهْمًا يَفُوقُ
وَأَيْنَ تَرَى «الزَّرْقَاءَ» عَالِمَ أُمَّةٍ
وَأَيْنَ «عَلِيٌّ» فِي الْمِيَادِينِ فَيُلْقُ
و«نَاصِرُ هَذَا الدِّينِ» حَافِظُ سُنَّةٍ
غَنِيٌّ بِهَا يَجْلُو الْهُدَى وَيُخَفِّقُ
وَإِخْوَانُهُمْ مِنْ بَعْدِ يَمْضُونَ إِرْهَمُ
وَكُلُّ تَقِيٍّ بِالثَّقَاةِ سَيَلْحَقُ
لِيَغْفِرَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ذُنُوبَهُمْ
وَيَجْزِيَهُمْ خَيْرَ الْجَزَاءِ وَيَغْدِقُ
حَنَنَتِ إِلَيْهِمْ وَالْحَنِينَ هَوَى النُّقَى
سِبَاقًا وَيَافُوزُ الَّذِي هُوَ يَسْبِقُ

■ ■ ■

حَنَانِيكَ! كَمْ هَاجَ الْهَوَى فَتَلَفَّتْ
ضُلُوعِي وَالْأَمَالُ تَنَائَى وَتَفَرَّقَ

يُطَارِدُهَا شَوْقِي فَلَا هُوَ مُدْرِكُ
مَدَاهَا وَلَا طَرْفِي مَعَ الشَّرْقِ يَلْحَقُ
تَمَنَيْتُ لَوْ أَلْقَى كِتَابِي أَمَتِي
تَخُوضُ مَيَادِينَ الْجِهَادِ وَتَطْرُقُ
ثَوَائِبُ لِلْمَيْدَانِ صَفّاً كَانَهَا
سَوَاقِي بُنْيَانِ ثَرَصُ فَتُطْبِقُ
فَمَا بِأَلْهَا أَعَفَّتْ عَلَى اللَّهِ وَارْتَمَتْ
عَلَى فِتْنٍ تُصَلِّي بِهَا وَتَحَرِّقُ
فِدَارَ تَهَاوَتْ فِي سَحَابٍ وَمُرَقَّتْ
وَدَارَ وَرَاءَ الْأَفَقِ تَنَائَى وَتَمُحِقُ
وَدَارَ عَلَى وَهَجٍ مِنَ اللَّهِ وَخَوَمَتْ
وَضَلَّتْ بِأَوْهَامِ السَّرَابِ تَعْلُقُ
فَوَاجِعُ تَتْلُوهَا الْفَوَاجِعُ بَيْنَهَا
تَنَازِلُ عَقْدُ الْمُسْلِمِينَ وَمُرَقَّوْا
فَلَا أَحَدٌ يَخْنُو عَلَيْهَا وَلَا يَدُ
تَمُدُّ وَلَا قَلْبٌ يَرِقُ وَيُشْفِقُ
وَلَا الْوَدُّ يَبْقَى مِنْ عَدُوٍّ وَلَا هَوَى
يَذْنُو وَلَا أَمَالُنَا تَتَحَقَّقُ
مَجَازِرُ يُطْلُو الشَّيْخُ فِي غَمَرَاتِهَا
وَتَغْتَصِبُ الْأَبْكَارُ فِيهَا وَتُضْعَقُ
وَتُطْفَلُ عَلَى مَرْجِ الدَّمَاءِ مَمْرَقُ
وَهَوْلٌ مَعَ الْأَيَّامِ يَذْنُو وَيُخْدِقُ
قَايِنُ طَرِيقُ النُّصْرِ وَالْخَلْفِ مُنْشَبُ
أَظَافِـرِهِ يُوْدِي بِنَا وَيَمْرُقُ
تَوَالَتْ عَلَيْنَا الْحَادِثَاتُ وَارْعَدَتْ
إِذَا غَابَ عَنَّا مَازِقُ جَاءَ مَازِقُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا تُلَاقِي وَإِنَّمَا
قَضَاؤُكَ يَا رَبِّي أَبْرُ وَأَصْدُقُ

الجمعة: ٣٠ رمضان ١٤٢٠ هـ / ٧ كانون الثاني ٢٠٠٠ م.

تلويحة وداع لشيخ الهند

قوافي الشعر تختصر البلاد
وتجتازُ المفاوزَ والوهاد
تزور الشام وهي بارض نجد
وتسرج نحو بغداد الجواد
تصافح باليمن ربي دمشق
وتمسك باليد الأخرى السواد
وفي أرض الكنانة للقوافي
مصادر تمنح الحسن الجماد
من البيت الحرام تمدُّ كفاً
إلى الأقصى تبادله الوداد
وتشرب ماء زمزم ثم تمضي
وقد أخذت من القرآن زاد
تسافر بي إلى الأفاق حتى
تقرب من شكا منها ابتعاد
يظلُّ تالِقُ الأشواق فيها
يبئُغها من الحلم المراد
قوافي الشعر تغسل راحتها
بماء النيل تسأله المداد
وتجلب من ربوع الهند عوداً
وتلقى في خراسان امتداد
قوافي الشعر في دمها حنين
تدفق من دمي والي عباد
أضأت بها دروب الوعي حتى
رايت لهما في فيها انقاد
عبرت بها محيط الهند لما
رايت وراءه قصراً مشاد
وابصرت المآذن شامخات
تذكر من تغافل أو تهادى

«مع الدعاء
بالمغفرة والرحمة لأبي
الحسن الندوي».



شعر: عبد الرحمن
صالح العشماوي



وتنشر في سماء الهند ذكراً
وتسبيحاً تُرِيحُ به العبادا
وُسمعتني صدى كلمات شيخ
تُذِيبُ عنادَ مَنْ أبدي العنادا
تحرُّكُ بالهدوء شعورَ فُطْ
فِيعلن بعد شدته انقيادا
لمن هذا الحديثُ يفيضُ حُباً
وتستهوي بلاغته الفؤادا؟
لمن؟ فأجابني صوتُ حزينٍ
يُخافُني ويرتعد ارتعادا
لقد مات المحدث، قلتُ: ماذا؟
فَقَمُقم بالكلام وما أعادا
سكتُ سكوتَ من يخشى جواباً
يزيد حبالَ حسرته انعقادا
وادركتُ الحقيقة، رَبِّ صمت
- إذا ما ألجم الراوي - أفادا
مضى بالشيخ مركبُهُ وأقضى
إلى الأخرى، وبلغه المعادا
قوافلُ مَنْ نحبُ مضت سراعاً
وآثرت التثقل والبُعادا
أشيخ الهند، هذا عامُ حزن
تَزَلزل فيه عالمنا ومادا
تساوت فيه أشهرُنا فصرنا
نرى صقراً ونحسبُه جُمادى
تساقطت الكواكبُ فيه حتى
تشعبَ ليلُ حسرتنا وزادا
رُزنا، قبل موتك بابن بازٍ
وأجرى الله فينا ما أرادا

وكان البدر حين هوى، تهاوتُ
كواكبُ علمنا، والحزن سادا
فأمسينا كما يمسي جريحُ
تطاول ليلُهُ وشكا السُّهادا
سهرنا، كيف ترقد عينُ باكٍ
وموجُ الدمع يجتاح الرُقادا؟
أشيخ الهند، ما ودعتُ هندا
ولا سَعدي، ولم تُكَلِّ سعادا
لقد أكلتُ أُمُتُنا، ولولا
عقيدتها لأعلنت الحُدادا
بكثك لأنَّ سَعْيِكَ سَعْيُ شَهْمٍ
بحمل أمانة الإصلاح آدا
لأنك يا أبا حسن وفيَّ
زَرَعْتَ لها وأحسنت الحصادا
هي الأفعالُ ترفع شان حُرٍ
إذا حَسُنْتَ، وتمنحه اعتدادا
ولولا ما رأى من صدق عزمٍ
معاوية، لما وَلَّى زيادا
لقد أعلنَّاها والأرضُ حُبلى
بباطلها الذي احتشد احتشادا
بأنَّ خسارة الدنيا انحطاطُ
لأهل الدين، أورتها الكسادا
وأشعل في نواحيها لهيباً
من الشهوات عودها الفسادا
تجاوزت المحيطُ تبثُّ وغياً
وتطردُ عن روابينا الجرّادا
وادركتُ الصُّراعَ صراعَ كُفرٍ
وإيمان، فاطلقتُ الجيادا

شدت إلى الحجاز رجال وغي
قدحت به لهفتنا الرنادا
وسرت إلى المدينة باشتياق
فأسلس ركبك الساري القيادا
نظرت إلى جزيرتنا بعين
تري فيها المنابع والمهادا
اشيخ الهند ما سافرت إلا
وقد أرسيت في الهند العمادا
لندوتكم مشاعل من علوم
تضيء بنور حكمتها البلادا
وتمنحكم علوماً نافعات
بها تلقون من عوز سدادا
تموج معابد الهندوس كفراً
تزيد به ارتكاساً وارتدادا
وانتم ترفعون شعار دين
وتعتقدون منهجه اعتقادا
أشيخ الهند، قد هبت رياح
من الإيمان تمنحنا الرشادا
فتحت لها الخوافد حين هبت
فما تركت غباراً أو رمادا
كتبت لنا فما أرخصت فكراً
ولا أخفيت معني مستفادا
وكنتم أديبنا في الهند تحمي
بحسن صياغة الأسلوب «ضادا»
تصيّدت البلاغة من حماها
ومن أبرى سهام الوعي صادا
وما كل الظباء إذا أثيرت
باتغام الهوى تأتي تهادي

وفرّق بين من صلى خشوعاً
وإيماناً، ومن صلى اعتياداً
ومن كتب الحروف لنشر دين
وئصرتة، فقد بلغ الجهادا
بذلت الجهد، ذلك طبع شهم
إذا بخلت نفوس القوم، جادا
وليس على المجاهد من سبيل
إذا لم يذخر فينا اجتهدا
وما حق الذي يسعى لخير
ويعطي، أن يحارب أو يعادي
ومن جعل الكتاب له معينا
فلن يخشى لمبيعه نفادا



ديوان المراثي

١٣

لا الحزن يرجع من غابوا ولا الجَدُّ
يفنى الجميع ويبقى الواحد الأحد
هذي الحياة مطايا الموت دائبة
والشاهد الشمس والخضراء والأبد
والليل والصبح والحدا بينهما
تمشي بركبانها تهفو وتتند
والناس مذ خلقوا والأرض مذ عمرت
سلفا قفي جوفها الآباء والولد
أم لهم قهي تغذوهم وترفدهم
حبا وتقتاتهم كرها إذا لحدوا
والموت حارس أهليها وقائلهم
جهرا وليس لهم ثار ولا قود
والمهد لحد فإن رابتك رائبة
جلا غواشيها فيما اعتراك غد

•••

خلصت لله يا أنقى الرجال يدا
ونية كالضحى ما شابها أود
أمت فيه حظوظ النفس فأتشحت
بالظهر غالية أبراده جدد
فكان سعيك للرحمن أجمعه
وزين السعي قبل الصدق معتقد

•••

بقية السلف الأبرار قد كرموا
وانت فيهم ومنهم نجمة تقد
أنت المجلي إذا التقوى زهت فرحا
بالاتقياء وبان الصدق والفند
وواحة بالهدى والصدق عامرة
وقد تلاقى عليها الفضل والرشد
والحلم في عزة والحزم في أدب
والنصح في حذب والصبر والجلد
وصولة الأكرمين الغر إن غضبوا
وخشعة الأكرمين الغر إن زهدوا

شعر

د. حيدر القدير

لأن زهدك زهد الصادقين لهم
عزم على صهوة الإخلاص منعقد
لهم يد بيتنا تمتد واهبة
أعز منها لديهم في النجوم يد
ودونهم أهل دعوى أنهم زهدوا
ويعلم الله ما عفووا وما زهدوا
باعوا بفانية ديناً وقد لبسوا
من الهدى ثوبه لكنهم مردوا
وتاجروا بالهدى يا بؤس ما صنعوا
غداً سيأتون في أعناقهم مسد

●●●

رضيت عيش سراً الزهد قد فرحوا
بأنهم صدقوا الوعد الذي وعدوا
واسرجوا عزمهم خيلاً لها جلد
واسهروا ليلهم لله واجتهدوا
رأوا تجارتهم أبقي فكسرتهم
شهد واسمالهم في فقرها رعد
لهم من الشكر أحراراً وواقية
ومن جميل رضاهم بلبل غرد
ومن تعال على الدنيا وزهرتها
حصن هو العبد المذخور والعبد
قد عطر سيرة التاريخ سيرتهم
بما أتوه من التقوى وما اعتقدوا
حلوا ذراه وأهدوا نفائسهم
وعانقوا الشمس دون الناس وانفردوا

●●●

تكسوهم العفة الفيحاء أوسمة
فيحاء يحيون فيها حيثما قصدوا
منعمين وإن جاعوا وإن شبعوا
منعمين وإن ذموا وإن حمدوا
مرزئين وفي الأرزاء بسمتهم
كانه الورد فيه الطيب والملد

●●●

أبقي من المال ما أبقيت من عمل
يزهو به وهو في عليائه الراد
يحيا بروحك إذ كانت له نسفاً
وانت تحيا به ما وأربؤه شدوا
بآية من كتاب الله ناضرة
تتلى فيخشع في أمدائه الأبد
في (ندوة) قدتها غراء عامرة
بالمثقين على ساحاتها احتشدوا
عزت بهم مثلما عزت بسيدها
وعز ناس إلى أفضالها وردوا
صرح أقمت على التوحيد رايته
وقام يعليه أبناء له نجب

●●●

رضيت طبع الألى عزت معادنهم
إذ جاءك العيش فيه اللين والغيد
حسنة فتاة كالشمس طلعتها
أحلى من الحلم ما جاءت به تعد
فقلت كلا لقد أثرت آخرتي
فهني الغنى والذي تحبونه زبد
كانك الحسن البصري أو عمر
أو الغزالي زانوا الدهر إذ زهدوا
بكل نعماء إذ جاءت تراودهم
فما أجابوا وللباقي غداً نهّدوا

●●●

يا من ملكت الدنيا لما زهدت بها
وشمت أن غوالي كنزها بدد
كنت العفيف الذي قد صان نيته
عما يشين كما صان الحمى الأسد
تدنو إلى الماء صديان الحشا فإذا
منوا عليك به تنأى فلا ترد

محسدين وغير الزهد ما ملكوا
محسدين وقد عزوا بما فقدوا
محسدين ولا تعجب وحاسدهم
يرئى له (وتمام النعمة الحسد)

رضيت أسقامك الغرثي فلا صخب
ولا شكاة ولا حزن ولا كمد
شكرتها وجذاها فيك حارقة
وانت بالصبر والتسبيح تبترد
رايتها محنة في طيها نعم
ومنة حفيها الإحسان والرغد
لأنك المرء بالأقدار قد رضيت
نفس له فهناء كل ما تجد
والداء أنيابه حمراء دامية
يظل يشدد لا يالو ويقتصد
وانت تحبوه تحناناً ومرحمة
كالسيد الشهم يحبو الضيف إن وفدوا

نظرت في هذه الدنيا فما طرقت
عينك فيها بما يرجى ويفتقد
ومارنوت لها بل كنت سيدها
وكنت سيد من عفوا ومن زهدوا
سموت عن رغب فيها وعن رهب
وحاديك اليقين السمع والصيد
وفيك فيض سماح بالندی خضل
من دونه كل ما المثرون قد حشدوا
والف كنز تظل الدهر وامية
نعماءها الناس من ضلوا ومن رشدوا
تربو على البذل إذ تحبو كرائمها
كانما البذل يغنيها فتطرد
أنهبتها الناس مسروراً كوالدة
تحبو بنيتها وقد جاعوا وقد جهدوا

وكننت كاسمك بين الناس طيبة
أخباره إن هم قاموا وإن قعدوا
يروونها كالهدايا وهي زاهرة
كانها المسك لما ضاع والشهد
(كانت محادثة الركبان تخبرهم
عنك الغوالي وقد سالت بها البرد)
(حتى التقوك فلا والله ما سمعت
أن بأحسن مما فيك قد شهدوا)

أبا البها ليل من عرب ومن عجم
شيووا على سمك الميمون واجتهدوا
بكنتك أفئدة منهم والسنة
وقبل أدمعهم وهي السها الكبد
بكوا أبوتك الزهراء صافية
وعاينوا الرزء لما جل واقتعدوا
لكن روحك وهي البرة ابتسمت
شوقاً إلى الملا الأعلى وقد سعدوا
فشاع فيهم رضاء كالضحى عبق
واستقبلوا النعي لا حزن ولا كمد

أبي الأجل وأستاذي إليك يدي
مددتها وأنا أزهو وأحتشد
بها كتبت بكل الحب قافيتي
فهل شفت بعض ما أشكو وما أجد
ياليت لي مثل قبر أنت ساكنه
عساي ألقى الذي لاقيت إذ أقصد

لبيت أحلى نداء عشت ترقيبه
لما دعاك إليه الواحد الصمد
وقلت والبشر ريان ومؤلق
قد طاب أمسي وأرجو أن يطيب غد
لوحت للناس إذ ودعتهم بيد
لما دعيتك إلى دار البقاء يد

الشيخ محمد بن عبد الوهاب



شعر الدكتور: محمد
الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ضم الثرى - بعد الجهاد طويلاً -
علماً محباً للجهاد جليلاً
رجلاً ولا كل الرجال إذا انبرى
لينصول في ساح الهدى ويجولا
صقلته تجربة الحياة فإذا به
يمسي ويصبح صارماً مصقولاً

■ ■ ■

ولقيته - وهموماً تجتاحه -
فإذا به يغدو - بهن - عليلاً
أضناه هم شعوبنا فأحاله
جسماً أرق من النسيم نحيلاً
وهو الذى - بجهاده وجهوده -
قد كان كالطود الأشم ثقيلاً

■ ■ ■

جاء الحياة طرية أعواده
ثم استحال مهنذاً مسلولاً
جلداً لدى مد الخطوب وجزرها
سيفاً - أمام الحادثات - صقيلاً
ما نال منه خصوم هدي المصطفى
- رغم الهجوم المستمر - فتيلاً
ومضى وفي أذن الزمان على المدى
نغم يحدث عنه جيلاً جليلاً
وباعين الدنيا تراقص صورة
رسمته في هذا الدجى قنديلاً
هذا أبو حسن ولن تجدوا له
- في يومنا هذا البئيس - مثيلاً

■ ■ ■

كنا وكان لنا إماماً عالماً
قطناً وفيّاً ماجداً وأصيلاً
أحيا الهدى للناس بعد ذبوله
ومضى يشق بهم إليه سبيلاً

وسقى غراس الحق من أفكاره
وسواه يسقى الباطل المخذولاً

■ ■ ■

فبعصرنا انطلقت شياطين الهوى
وزماننا أضحي وكان ظليلاً
وتلبدت سحُبُ الظلام كثيفة
والباطل استشرى وكان خجولاً
حتى الرجال - إذا عدت - أقلّة
وجهادهم في الله صار قليلاً
والعلم للعلماء صار وظيفة
وأداؤهم في الناس صار هزلاً

■ ■ ■

ويكاد يأس الناس يقتلهم ولا
يجدون لهم المقيم حلولاً
وإذا بفجر للدعاة يشقه (الب)
حنّاً فيندحر الظلام كلياً (١)
وإذا (أبو الأعلى) يغذ من الخطي
حتى يهذب أنفيساً وعقولاً (٢)
وإذا أبو الحسن الأبى ومذ أتى
بيني رعيلاً قاضلاً ورعيلاً

■ ■ ■

والكل يتخذ النبي إمامه
وكتاب رب العالمين دليلاً
متمثلاً بالغر من آياته
(أو بالحديث مفصلاً تفصيلاً)
حتى بنوا للمسلمين بفكرهم
مجداً - إذا هم حققوه - أثيلاً

■ ■ ■

فإلى أولئكم الجهابذ رحمة
تسقى تراهم بكرة وأصيلاً
وإلى أبي الحسن التحية كلما
مر التسييم على الربوع عليلاً
والمسلمون لله يلهم جمعهم
صبراً على هذا المصاب جميلاً

فمُصابنا جَلَلٌ لأننا لا نرى
لفقيدنا - في المسلمين - بديلاً
وأتى النعي به ونحن شعوبنا
تجتر قالاً في الحياة وقيلاً
والخافقان الليل خيم فيهما
وتبدلت ساح الهدى تبديلاً
وعقيدة التوحيد تمخر لجة
وتواجه التزوير والتحويلاً
والمسلمون غدوهم يلهو بهم
وتراه يمعن فيهمو تنكيلاً

■ ■ ■

في القدس في الشيشان في كل البلا
د المسلمون يواجهون بخيلاً
يغتالهم ويعيث في أوطانهم
عرضاً - بكل وقاحة - أو طولاً
وهمو بلا حول وليس لهم سوى
أن يملأوا هذا الفضاء غويلاً

■ ■ ■

يا أمة الإسلام فانتفضي على
هذا الخمول فقد شيعت خمولاً
رُصي الصفوف وجددي عهد الجدو
د محبة وتنافساً ووصولاً
فجدودنا التاريخ يشهد أنهم
كانوا كراماً في الأنام غدولاً
ملأوا الحياة بعلمهم، وخيولهم
ملأت ربوع الخافقين صهيلاً
واليوم مالك غير هدي المصطفى
هدياً وإلا جهذك الموصولاً
تجدين نَصْرَ الله فوق ربوعنا
ورضاً إله منزلاً تنزيلاً



نم هاننا.. يا قريخ الجفون

أَفَقْ خَسِرَ الْعَالَمُونَ غَدَاةَ
خَسِرْتَ، وَغَامَ الطَّرِيقُ السُّوَيَ
اتَّقِدْ بِعَدِكَ نَارَ الْمَجُوسِ
وَيَنْهَشُ قُدْسَكَ ذَنْبٌ شَقِي؟
«أَتَا تَوْرَكَ» يُعْبِدُ دُونَ الْإِلَهِ
وَفِي يَدِكَ الْبَاتِرُ الْأَخْوَذِي

■ ■ ■

فَقَدْنَاكَ، يَا أَيُّهَا الْحَسَنِيُّ
وَفَقَدْنَا تَلْفُسَ دَاءِ دَوِي
دَعَوْتَ إِلَى وَحْدَةِ الْمُسْلِمِينَ
فَوَحَدْنَا خَلْفَنَا الْهَمَجِي
تَوَحَّدَتِ الْغُولُ وَالْغَائِلَاتُ
وَمَا كَفَّ عَنْ شَرِكِهِ وَتَنِي
قَبَائِلُ نَحْنُ، بَلَى شَذَرَاتُ
يُقْطَعُ أَوْصَالُهَا سَامِرِي
أَحَقًّا فَقَدْنَاكَ يَا حَبِيبَنَا
وَفِي غَمَدِنَا مِنْ ظِلَالِكَ فِي
سَيُورِقِ مَا زَرَعْتَهُ يَدَاكَ
وَيَجْمَعُنَا صَوْتُكَ الْعُمَرِي
لَنَا مِنْ حَيَاتِكَ نُبْرَاسُ دَابِ
وَمِنْ غَزَمَاتِكَ سَكَبَ سَخِي
فَنَمُ هَانِنًا، يَا قَرِيخَ الْجُفُونِ
وَلَا طَابَ بِعَدِكَ عَيشٌ هَنِي

عَلِيٍّ .. أَبَوِ الْحَسَنِ الْحَسَنِيُّ
أَمِيرُ الْبَيَانِ، الْفَتَى الْأَمْعِيُّ
رَقِيقُ الْحَوَاشِي، طَلِي النَّقَاشِ
زَهِيدُ الْمَعَاشِ، سَنَا نَبَوِي
تَرَعَّرَعَ فِي الْهِنْدِ تَرْتِيلُهُ
وَفِي الْمَغْرِبِينَ اسْتِقْضَا الدَّوِي
تَضَلَّعَ يَنْهَلُ مِنْ مُصْحَفِ
هُوَ النَّهْرُ وَالْبَحْرُ وَالْكَوْثَرِي
فَلَا شَقِشَقْتُ بَعْدَهُ لُكْنَةً،
وَلَا فَاخَرُ الْأَدَبِ الْأَعْجَمِي
تُصَيِّخُ الدُّهُورُ إِلَى شَدُوهِ
وَيَرَوِي الظَّمَاءُ طَلَاهُ الرُّوِي
سَفِيرٌ لَنَا فِي زَمَانِ الْعَقُوقِ
صَدِيقٌ صَدُوقٌ، وَحِبٌّ رَضِي
تَحُولُ الْجِبَالِ، وَلَا يَسْتَحِيلُ
وَتَعْنُو الْجِبَابُ، وَيَعْلُو عَلِيٌّ

■ ■ ■

فَقَدْنَاكَ، يَا أَيُّهَا الْهَاشِمِيُّ
وَقَدْ حَانَ مِنْكَ الْقَطَافُ الشُّهْيُ
رَسَمْتَ طَرِيقَ الْخِلَاصِ بُكُورًا
فَاشْرَقَتْ الْأَرْضُ، وَانْجَابَ غِيٌّ
وَكَانَتْ جِيوشُ الظَّلَامِ تَعْشَعُ
شَحَى حَتَّى النَّخَاعِ، وَيَغْوِي الثَّقِي
وَكَانَتْ رِيَا حُ السُّمُومِ تَزْلُزُ
لُ أَعْتَى الْحَصُونِ، وَيَهْوِي الْغَوِي
فَكَانَ نِدَاؤُكَ: يَا أَحْمَدِي
أَفَقْ مِنْ رُقَادِكَ طَالِ السُّوَيِ

شعر

محمد الحساوي

ديوان المراثي

أبا الحسن الندوي، والروح مثقل
بكل عوادي الحزن والقلب ينزف
وقد فاض دمي من تواصل محنتي
فما أوقفت همي مدام تذرف
فصرتُ كيانا ضائعاً في متاهة
تهب عليها الناكبات، وتغطف
أرثيكي؟ لكن من أعزّي، وإنني
قصير مدى الأشعار، والكون يرزف؟ (١)
ففي الأرض من هول الفجيعة ماتم
تقيم به الأحرار حري.. وتعطف
مشارق تبكي يتمها، ومغارب..
وقد غبت عنها، والفوازل تقصف
وانك يا ندوي بالحق أمّنة..
إمام جليل، زاهد، متعفف..

...

أنتركنا والقدس في أسر عصابة
ترغمها لص.. بغي.. مُزيف
وهذي شعوب المسلمين وأرضها
أباح حماها غادر.. مُتصلف
تجبر فيها قادة من صنيعه
إذا وعدوا خانوا، وخابوا، وأخلفوا
وأما اشرأبت للخلاص رقابها
فليس لها إلا حبال وأسيف (٢)
وأهل النفاق الفذل سادوا وعربدوا
وهمهم مال، وجنس، وزخرف
سلاحهمو الإك الكذب، وإتهم..
بكل سلوى المناهج.. أعرف (٣)

إمام المس



فقالوا لأضرى القوم في البخل «حاتم»
ومن فاق في قبح الملامح «يوسف»
وقالوا لرأس الجبن إنك «عنتر»
ومن قد عداه الحلم والعفو «أحنف» (٤)
وإن الذي خان القضية «مخلص»
وكل ظلوم قاسد الحكم «نُصف»
ضمان من عهد ثباع وتشتري
نمتها قلوب بالرزائل عُلف..

سجلك يا ندوي - بالنور ناطق..
وإن سجل الأخيرين.. تكلف
ضربت كما ضرب الكليم، ففجرت
عيون عن السحر الحلال تُكشف (٥)
ومشربها علم غنى برومه..
وينهل منه الظامىء المثلثُ
فعين ثروى الروح بالكلم الذى..
يُنقى مداها باليقين.. ويسعف..
وعين لفقه صادق.. متسامح
جليل العطايا لم يكن يتعسف
فما كان دين الحق إلا توسطاً
وقصدًا، وعدلا لم يشبه تطرفاً
وعين لدستور الدعاة إلى الهدى
يخط إلى الحق الدروب.. ويُزلف
يرد سهام الكائدين لنحرهم..
وفيهم دعي العلم والمتفلسف
وعين لأداب يعز نظيرها..
كمثل ندى الأسحار، بل هي اللف

وعلمتنا أن الفنون رسالة..
من الأفق الأعلى تعب وترشف
تشيد وتعلي في بيان مؤثر..
سمامته تصوير وفكر وأحرف
تنزه عن لغو يسمى «حدائث»
وما هي إلا قسطن.. وتخلق
واهديت أبناء العروبة - صادقاً -
«روائع إقبال» كما اللحن يُعزف..
وعيبك - يا إقبال - أنك مسلم..
ولو كنت بوذياً.. لهاموا وأزلقوا

قراتك يا ندوي بالأمس يافعا..
وكهلا وشيخاً.. بالمعارف يُشَقِّف
وعشتك في سؤل عن العالم الذي
هوى «بانهطاط المسلمين» يُخرف
حضارتنا بالأمس قادت مساره
ومن نورها تحزى الشموس وتكشف
فقامت ثقافات، وعمت عدالة
ومتبعتها القدسي عزم ومصحف
فلما جفونا شرعنا هان أمرنا..
كانا غناء السيل، بل نحن أضعف



شعر الدكتور

جابر قميحة

بين أبو الحسن الندوي

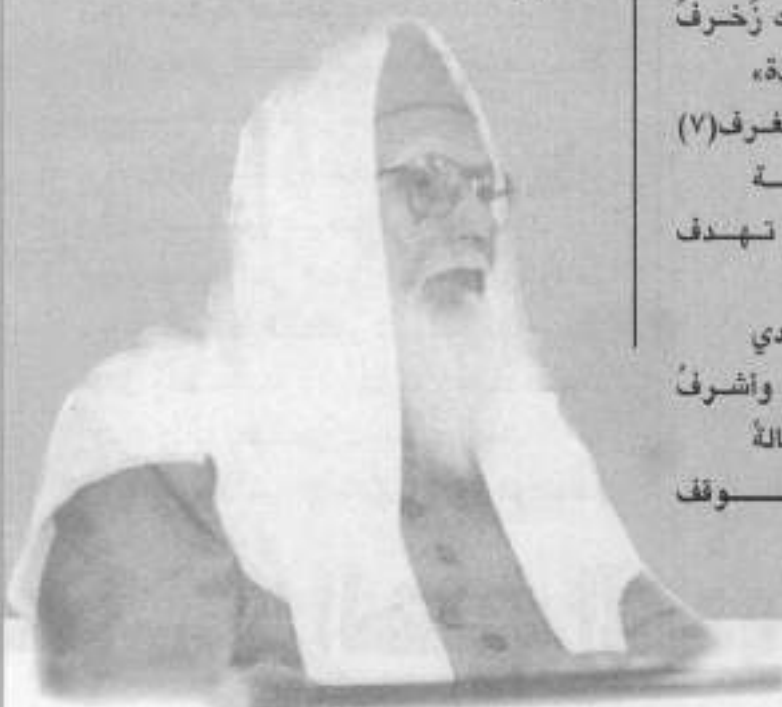
وأنا رصودنا للإله جهادنا
ليُفْقَهَرُ عاد، كافر، متغطرف
وتنصر دين الله أنى توجهت
كتائبنا، لا يعترينا تخوف
وكيف نهاب الموت، وهو شهادة
وفينا اشتياق نحوها وتلهف
وكل شهيد في الجنان مخلص
يعيش نعيمًا غامرًا ليس يُوصف

■ هوامش ■

- (١) يرجف: يهتز ويترزّل.
- (٢) الشرايت: امتدت وتطعت.
- (٣) ملوني: نسبة إلى عبدالله بن سلول رأس النفاق.
- (٤) الأحلف بن قيس: أشهر العرب في الحلف.
- (٥) إشارة إلى قوله تعالى: «وَلَا اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَلَمَّا أَضْرَبَ بِعَصَاهُ الْحَجَرُ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ...».
- (٦) الجلي: الأمر الخطير العظيم.
- (٧) عام الرمادة سنة ١٨ هـ وفيه كانت أشد مجاعة عرفها المسلمون.

وفي أدب الرحلات قدمت رائعا:
رؤى وبروسا باليقين.. تعرف
سياحات حق قد طويت بها المدى
من الشرق والغرب البعيد تطوف
إلى الله تدعو، والظلام معربد
وكل غوي بالمفاسد يهتف
وما كنت إلا أعظما قد تهالك
عليها تجاليد.. براها التطوف
وضمورها الحزن الأليم.. لامة
غدت في قيود الجهل والذل ترسف
وعشت بقلب ساعر النبض مؤمن
يخيف الأعادي، وهو لا يتخوف
يفيض به الإصرار والحق والسنن
قضى في سبيل الله لا يتوقف
فكنت رفيع الرأس كالطود شامخا
وفي كل جلى لم يهن لك موقف (٦)
وأثرت عن دنياك أخرى زهدة
وعشت كفافا، لم يشدك زخرف
كمثل أبي حفص بعام «رمادة»،
يجوع ويمضي للجوع ويغرف (٧)
فما كنت «يا ندوي» إلا بقية
من السلف الميمون للحق تهدف

أبا الحسن الندوي يلقاك سيدي
«محمد» خير المرسلين... وأشرف
فبلغه عنا في الجنان رسالة
بأننا - دعاة الحق - لا نتوقف



حين نبكي التبايعاً.. فَعُذْراً لنا

أيا شَيْخَنَا ...
إِنْ صَوْتِكَ هَذَا الْوَدُودَ ...
صَدَاهُ أَرْبَعُ بِأَسْمَاعِنَا ...
وَكُلَّ الَّذِي قَدْ سَطَرَتْ مِنْ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ ..
بِهِ تَقْتَفِي نُورَ آيِ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ ...
وَهْدِي النَّبِيَّ ..
... سَيَبْقَى بِرُغْمِ الرَّحِيلِ ...
رَسُوخاً بِجَنْزِ النُّقَاءِ ...
فَرَوْعاً مُضَوَّاهُ فِي السَّمَاءِ
تُبَدِّدُ غَيْمَ الْإِبَاطِيلِ ..
عَنْ أَفْقِ أَحْلَامِنَا ..
وَلَكُنَّا ..
حين نبكي التبايعاً .. فَعُذْراً لنا ..
فإنَّ انْهَمَارَ الدَّمِوعِ ...
بِعَيْنِ الْيَتِيمِ ...
بَقْدَرِ الْمَصَابِ الْأَلِيمِ ...
الَّذِي قَدْ تَوَى فِي الضُّلُوعِ ...
فَعُذْراً لنا ..



شعر:

أحمد محمود مبارك

وَتَذْبُلُ فِي رَوْضِنَا دَوْحَةٌ يَانِعَةٌ
لَكُمْ ظِلُّنَا ...
وَضَمَّتْ بِأَفْئَانِهَا الْوَارِقَاتِ ...
رَوْساً ...
أَضْرَبَتْ بِهَا لَفْحَاتُ الشَّتَاتِ ...
بِمُفْتَرِقِ الطَّرِيقِ الْخَادِعَةِ
فَهَا أَحْرَفٌ مِنْ مَدَادِ النَّشِيجِ ...
... أَبُو الْحَسَنِ النَّدْوِيُّ قَضَى ...
نَحْبَهُ ...
وَالْعَبِيرُ النَّدِيُّ ...
عَلَى إِثْرِهِ قَدْ مَضَى ...
وَانْبَرَى الْمَحَلُّ يَمْتَصُّ وَمُضَرُّ الْمَرْجِ
حُرُوفٌ يُطِيرُهَا الْبَرَقُ مُتَشَحِّحاً بِالْحَدَادِ ...
مِنَ الْهِنْدِ .. تَسْرِي غَيُومًا مُشْبَعَةً بِالسَّوَادِ ...
تُسْرِبِلُ أَفَاقَ كُلِّ الْبِلَادِ ...
الَّتِي يَتَعَالَى نِدَاءُ الْمَأْذَنِ فِيهَا ...
وَتُلْقِي عَلَيْهَا أَسَى الْفَاجِعَةِ ..

أيا حُرْنَنَا ..
أَكُلْ شَتَاءَ تَمُورٍ رِيَّاحِ الْمَوَاتِ ...
لِتَنْزِعَ مِنْ رَوْضِ الزَّهْرِ ...
تَمْتَصُّ فِيءَ الْغُصُونِ الظَّلِيلَةِ ؟
أَكُلْ شَتَاءَ تَمُورٍ رِيَّاحِ الْمَوَاتِ ...
وَيَلْتَفِّ غَيْمُ الْأَفْوَلِ ...
لِيَخْتَقِ نَجْمًا يَضِيءُ السُّرَى ...
وَيُوجِّهَ نَحْوَ شَطُوطِ النَّجَاءِ
شَرَاغِ النَّفُوسِ الضَّلِيلَةِ ؟!

إنه الموت .. فاستعدي يا حياة .. ترتقي أنجم .. ويهوي طغاة
 إنه الموت .. ينجلي الحق للأحياء فيه .. وينصف الأموات
 إنه الموت .. لو تخلي عن الأرض، لضاقت بوحشها الغابات
 إنه الموت .. فيصل الحق في الخلق ، فناءت أقدارهم والصفات
 مجرم صارخ بغير صرخ .. ورضي حلفت به البركات
 فجنود السماء مازوا بني الأرض ، فنور ، أو فحمة ، أو رفات

يا أخا الهند ، إن للغرب نورا .. فيك لم تخفه اللغى والسمات
 يا ابن بنت النبي قولاً وفعلأ .. والشهود الأخلاق والآيات
 أنت في الهند روضة تبهج الهند ، ونيل في أرضنا ، وفترات
 أنت راع في الشرق ، للشرق ، وللغرب ، حين ضل الرعاة
 ترفع الصوت عالياً ، نبويأ .. حين تعيي ، أو تخفت ، الأصوات

أغرق الناس أرضهم بالخطايا .. فالذنوب المياه والأقوات
 وسلب النبوة الشهم ملاح ، وفي فلكه العظيم النجاة
 هاكم شرعة السموات منهاجاً ، وإن حرزتم أجل فهاتوا
 واحشدوا من لديكم من أولى الألباب .. والدمر كله ميقات

رب فرعون فرغته دنيا .. وقومه ، والخنوع ، والإخبات
 فإذا جلده مغارة ذئب .. وإذا قلبه البليد ضفأة
 وإذا رافعهو ذرات ذل .. لا صفات بنعله صاغرات
 وإذا كل ذرة فليبه وحش .. وإذا الناس حوله حشرات
 وإذا زاده دمماء المساكين ، واششلاؤهم له ملهه
 وإذا خمرة دموغ اليتامى .. واستغاثاتهم له أغنيات
 فإذا لم تنل يد الموت هذا .. فلمن تصنع الغد الأمهات؟!
 وإذا لم يمت ذوو البر والطهر ، فمن ستملا الجنات؟!

يا رعاة الآداب ، ها قد سما الشيخ إلى حيث تورق الكلمات
 فاملاوا هذه القلاة ازاهير ، فقد ملت السراب القلادة

حين تبكي الأقلام فقدك يا شيخ ، فلا غرو ! فالقلوب البكاء
 بيد أن البكاء منها عليها .. عليك السلام والرحمات

إنه الموت فاستعدي يا حياة



شعر: عبدالله عيسى السلامة



دمعة..

على الندوى

وفي (لكنهو) روض الندى كم جرت به
صنائعه نَهرا وفاضت فضائله
فاورق فيه الدين والدر والسنا
وأزهر فيه العلم، سالت قوافله

أبا الحسن الندوي شعري مقصر
وكيف يلين الشعر إن جفَّ وابلّه؟
أتذكر في اسطنبول مسكا صبيته
بروحى إبداعاً، فرائداً نواهلّه؟
فالقيتني في الكوثر العذب ناهلاً
شأبيب تسنيم، جنك خمائله
وها أنت تمضي سامياً ومكرماً
وإرثك باقى خالد، فإز نائله

إلهي لقد لبّاك، جارك طائعا
وفي يده القرآن تُتلى فواصله
فاكرم محبا لم يزغ عن صراطكم
وامطر عليه رحمة لا تزايله
واسكنه في جنات عدن منازل
فقد أقفرت في الأرض منه منازل
وصل وسلم يا إلهي على الهدى
إذا لاح نجم أو أنارت أصائله



شعر: محمد عبدالقادر الفقى

هو الموت قد كرت علينا صواهلّه
ورزّلت الأحلام فينا زلازلّه
يجىء فيهبوي كل ليث وفارس
وينسل، ما من صافنات تصاوله
عجبت له، إذ تفلح الكون ريحُه
فتقطف ما شاءت وشاءت جحافلُه
يُخلف قاعا صفصفا في ضلوعنا
ويتركنا للحزن تهمي هواطلُه
فلا النفس طود كي تصدُ سموقه
ولا القلب حصن كي تُسد مداخله
وكيف لمن في القيد أن يدفع الردى
وقد فُتحت أبوابه ومعاقله؟!

لنا الله، لا نشكو المنون فإنه
قضاء وحق لا ترد غوائله
ولكننا ناسى لفرقة من له
نرى المجد أفق والمعالي سواحله
شهاب أضاء الهند والسند والمدى
و«من نهر كابل» أتتنا فواصله
هو الطهر تسري في القلوب طيوبه
هو العلم تجري في الحنايا جداوله
كتاب من الذكر المبين مداده
وقيض من التقوى وزهد شمائله
صحائفه بالخير ملأى، وحرفه
مضيء، فنسج الحرف بالنور شاغله
هزار، (إلى الإسلام) كان نشيده
وكم صدحت بالحب فينا بلايله

طلائر المجاز



أقبلت نحوه الخرائد تترى
وهي أسرى لوائه المغدق
عشقت إلفها، وصفو صباها
وفتاها، وفارس الاشتقاق
فأنبرى النور في رهيف المعاني
وانجلي ساطع السنن الدفاق
أبيضاً، رائقاً، منيراً، ودوداً
مبهجاً، مذهشاً، نقي الطباق
أرهفت سمعها البلاد جميعاً
وأصاحت مسامع الأفاق
والأحاديث لم تزل شامخات
كقصون الجنان والأوراق
يرجع الموت دونها مستجيراً
مطرق الوجه أيماً إطراق
فإذا الطين في يديه تندى
بضيء، وبسمة، وانطلاق!!

■ ■ ■

أيها الراحل الذي لو تبارى
خلفه الليل سابحاً في سباق
والنهيار الذي يمد خطاه
في خطى الليل كاسر الأطواق
ما استرداً إلى خطاك سبيلاً
إن خطو الزمان دون لحاق
ما اقتطاف الزمان نبضك إلا
خطوة تلتحي لخطو الرفاق
كنت للارض نفحة من سماء
يتساقى أريجها كل ساق
فإذا الأفق حائر يتلظى
ليس حي سوى الإله بيباق!!

شعر: أحمد

عبد الحفيظ شحاته

ساكن أنت في القلوب وباق
مثلما الماء في عيون السواقي
مثلما الحب خفقة ونشيد
ثم يمضي لسائر الأعراق
فهو أصل الحياة في رحم الار
ض ثمشي باضلع وطباق
وهو سر الإله إذا خلق الخلق (م)
فتمت صنائع الخلاق
فإذا الروض والخمائل فيها
وإذا النور في سناء الرواق
كنت مثل المياه في رحم الار
ض تصوغ الحضور في الأعماق
فتحيل الرمال فيها رياضاً
ناضرات الزهور والأنساق
تجثلي العين ما بها من جمال
أسر الوشي ناعم براق
هادر الصوت كالخيول صهيل
ثابت الخطو للمدى والسياق
أي نور سما بأفق تضار
أي نهر من الصبا دفاق
رائع السميت والحياء بليغاً
منحة الله واهب الأذواق
أفعم الحب مقلتيك والقي
من سنا الطهر بهجة بالنطاق

■ ■ ■

يا رفيق المحجلين.. فؤادي
انقلته مواجع الإخفاق
ورمت فيه حادثات الليالي
ما به العين أجفقت والمآقي
كنت لي خفقة تذيب سهادي
كنت للمجنتكي أحب مذاق
بلسان على السليم من الذو
ق تربى، وعفة وخلاق
مكرمات من الأصالة قدت
فتبدت مكارم الأخلاق
عالم، جهبذا يرد القضايا
بحسان من الحروف بواق



جديدة إلى زمن جديد

إلى روح العالم المجاهد...
أبي الحسن الندوي

وثرأكض فوق الجياد...
وتطوى مفاوز هذا الضباغ...
وتسعد دعوتها بالإجابة
هو البحر...
أسفر عن وجهه الصبح...
بعد الليالي الطوال...
ويعد الأسي والرتابه
هو البحر...
يغسلنا بالطهور من الموج...
يمتحنا بعض هذا القلائد...
من جوفه ويريح عذابه

شعر: طاهر العتباني

هو الشيخ...
يجلس في حلقة الدرس...
متشاحاً بالمهايه
هو البحر...
يملؤنا بالآلى...
يمطرنا بالغرابه
هو البحر...
لا شاطئ يحتويه...
ولا أفق يحتويه...
ولا سحب حين تمطر...
توقف فينا انسيابه
هو البحر...
ممتليء بالحكايا...
وممتليء بالهدايا...
وممتليء بالسجاي...
ومرتون بالشجى في ارتقابه
عبر رحلته...
ينسج الموج انشودة للضياء...
ولا يتوقف فيه الهدير...
ولا يستريح العباب...
إذا ما يواصل فينا انسكابه
هو البحر...
هذا الجمال... وهذا الجلال...
الذى تخشع الروح في سيره...
وترقب - شوقاً - عبابه
هو البحر...
لا السفن تبلى من مفتاه...
سوى أن تحط على لهفه...
وتعاود تسيارها في رحابه
هو البحر...
في أمة خسرت مجدها...
وتحاول أن تستعيد اللواء...
وتركى شهابه

فتضيء بأوجهنأ بشريات...
وتورق في روحنا أمتيات مجابه
ولا يتوقف في البحر منطقه...
إنه منطلق السفر المستحيل...
يغالب هذا الظما في العروق...
يبدد فيه ضبابه
هو البحر...
وهو الندى...
وبريق الشعاع الذي يتوضأ...
في مائه فيزيل ارتبابه
هو البحر...
هذا القضاء الرحيب...
وهذا الصباح الرطيب...
تشعشعه زقزقات السنا
ثم يفتح للضوء والبشريات كتابه

...

هو الشيخ...
يجلس في حلقة الدرس...
متشاحاً بالمهايه
درسنا اليوم يا شيخنا...
عن وجوه الأحبة إذ رحلوا...
فأعاد الزمان انتحابه
درسنا اليوم يبدأ من زمن الخاشعين...
إلى زمن المترفين.. الذين...
يروغون من صرخات الكالى...
ولا يملكون الإجابة

...

درسنا اليوم ياشيخنا...
زمن يستدير...
وروم تملكت الأرض...
أقلت على روحها ثقلة الطين...
فارتكست...
لم تجد عن يجابه...
درسنا اليوم:
ماذا خسرنأ؟...

وما خسر العالم المتمدن...

من بعدنا عن طريق الجهاد؟

وروح الصحابة

درسنا اليوم...

يبدأ من «بدر»...

حتى حدود «البرانس»...

وقيلقنا راكب صهوة الريح

والبرق...

متشحّ بالصلاية

والمدائن نوراً وناراً...

ومسكاتها في الصدور...

وأرواحنا كالسحابة

حيث تمطر يأتي الخراج...

إلى سرة الأرض...

تسكبه للوليد.. وتغذو شبابه

حيث تمطر...

يطلع زهر الفتوح...

وتشرق شمس الأمان...

على كل غابة

درسنا اليوم...

من خطرات العبير...

ووحى النجابه

من شموع يريق الضياء...

عليها الدموع...

وتنزف أحشاءها في إهابة

درسنا اليوم...

من مسند للإمام...

ومن متواتر هذي النبي...

ورفع الصحابة

درسنا اليوم يا شيخنا...

من بريق المتون...

ونور الأسانيد...

لامعة كالضحي

مشرقات بماء الحياة...

ومتقدات بروح الإصباح

●●●

درسنا اليوم....

أنت الذي سوف يملئ...

وهذي كرايسنا....

والمحابر منتظرات...

واقلامنا مشرعات...

واعيننا في استجابة

نرمق النور في وجهكم والمهابة

نطلب السر في روحكم

حين يطلبها الخلد...

تسرع نحو الإجابة

●●●

لن ترحل الآن يا شيخنا؟

راحلٌ للسموات ممتليء...

بالأناسيد...

متخذٌ مقعدي بين هذي النجوم...

وايكة طيرٌ يريد مثابة

لن ترحل الآن يا شيخنا؟

أنت تملؤنا بالقيوض...

وتشعلنا بالضحي...

في بياض السكينة...

في وجهك المستضيء...

بنور القرابه

راحل حيث...

روح المجاهد تهوي

وطير الحقيقة يخفق...

أجنحة النور...

لا ترتوي من ذرى الأرض...

لا...

إنها ترتوي

من قناديل عرش الذي

يملك الروح...

يسكب فيها مثابة

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

لنقيّد الإسلام من كل حي

فيض حزن مع فيض دمع سخي

مات بالهند في الضحي وقلوب

في جميع الدنيا بكت في العشي

ندوة العلم والرشاد بلكنو

كم تباغت بشيخها الندوي

«حسنًا» أنجبت يدها فكان

هـ «أباه» لسان صدق وفي

بجهاد لم يعرف النوم إلا

غفوات ملأى بذكر خفي

لم يكن عقمه عقيم الذاري

وهو ينشيء رجال جيل كمي

يحملون الرايات من دعوة الحق

لنشر الإسلام في كل حي

هؤلاء الأولاد حقاً وصدقاً

لا الذاري من فاجر وشقي

فتلاميزه ذراريه حتى

صار جداً لألف كهل ذكي

لم يكن غالياً لأي سبيل

خلف حدّي قصد الصراط السوي

يتحرى بالحكمة الرشد حتى

لنّ الصلب من عنيد غوي

لم يناطح برأسه الصخر لكن

فتت الصخر بالندى الندي

كان يفري في الأرض فرياً حثيثاً

ذاق بالموت قبض روح زكي

بيد أن الآثار مما جناه

بجهاد تجرى بأحسن ري

عف نفساً عن الغرور بمجد

هو من كسب كدجه العبقرى

مرثية.. لفنا

شعر الدكتور عبد الرحمن حسن جنكة اليماني

مع خير الوري إمام البرايا
عربي ذي رفعة هاشمي
كل من فيه مسعد وسعيد
في جناحي صفية وصفي
وعليهم رضوان رب كريم
دائم الجود بالعطاء الثري
فهنيئاً بالخور من منشآت
ونقيس من سندس وحلي
وحسان من كل جنس وصنف
وفيوض من مسعد غيبي
وهنيئاً بمجد ملك عظيم
ليس يبلى بفضل رب ولي
وهنيئاً برؤية الله فيه
ونعيم من كل دان جنّي
ربّ عوّض عنه العباد شموساً
وبدوراً تهدي بنور جلي

وأنته الدنيا، فقال: خذوها
في سبيل المولى العزيز الغني
وضعوها في كل مشروع خير
واجعلوها عماد كل سني
وتنأى عن جر غنم وفير
إنه فرع سيد حسني
عربي الجذور في الهند حتى
نبعة الأصل عند خير نبي
لم تزده القابه وهي فضلي
غير وفر من الخضوع الأبّي
لم يكن همه علواً بارض
بل رضا الله في الخلود الهني
درجات الإحسان قد رفعته
إذ راته إمام برّ تقّي
نشاة الهند قط ما حجبته
عن فصيح من منطق عربي
ولسان القرآن كان مناه
أن يراه في مجده العالمي
تتحدى آدابه كل قول
عربي البيان أو اعجمي
كان في الأرض مثل شمس وبدر
دائب الجري مع فؤاد جري
كان يسعى في الله سعياً حكيماً
مثل ضوء الضحى ونور العشي
كان كالشمس في الضياء ومثل الـ
بدر نوراً يهدي بداب رضي
كان في الأرض نيران استجابا
لدعاء المولى بشخص «علي»
فإلى الخلد يا إمام لتلقّي
في فسيح الفردوس أسمى بهي



يد الأمة الإسلامية

أبا حسن الأحباب



نمى للعلا أن الرجال ضروب
وأن المعالي للخلود نسيب
وأن أديب النفس عطرٌ حميلة
وأن مداه في النفوس رحيب
تلفتت العلياء بذلاً فلم نجد
نجيباً له في العالمين ضريب
كمثل عليٍّ أريحياً، ونشره
على كل نوار الوجود يطيب

أبا حسن الآداب: من لخريدة
يجلّي سناها مشرق ومغيب
وعابوا على روض الأزهير عطره!
فعطّر عطاء المبدعين عجيب
أقلّي شفاه الليل. ما أنت والسنا؟
غراب على صوت الكنار يعيب؟
أبا حسن الآداب، غربة فكرنا!
حنانك، أقلام الظلام تنوب
حنانك، أخت الفجر تندي عيونها
وأملود غصن الآدين رطيب
أما فتقّ الإلهام أكماله صباً
فنوناً بإحساس الأديب تهيب؟
وأسرجت خيل الفكر حتى غدا ندى
له في سماء الخالدين نصيب
وفجرت للآداب نبعاً من الضيا
صفاء: فصوت المنشدين طروب
وأنت عميد الذوق تجلو زمانه
كما جلّيت ليل الزفاف غروب

فإن صوّح الفكر النضير وزهره
فأنت لفكر النابهين خصيب

وأنت منار للدعاة إلى الهدى
وتبراس زهد الزاهدين أريب
مددت جناحي حكمة ومحبة
وسيف المنايا بالدماء صبيب
وروت سيوف (الشيخ) ما تلد الربا
وشدّت على زهر الأقاح خطوب
فعدت باملود السلام ملاوة
وما كل من رام السلام مصيب
بقرن مضى والدمع يشرق بالدماء
وقرن تهادى والفؤاد يذوب
أن أشرقت أم الحضارات في الدنى
تداعى عليها مقلب ونيوب؟
فيا عصرنا الآتي، وبشرى محمد
كشمس، فنصر المسلمين قريب
ستمسح دمع القدس راية أحمد
وتحضن روما والظلام يلوب
وماذا خسرن يا أبا أدب الندى
إذا انحط من فكر الأساة طيب؟

لقد كنت: أما الفكر منك فمشعل
ضياء: وأما نهجكم فحبيب
ثويت بهمد العين والكون داعم
وأنت جميل في الفؤاد مهيب
عليك سلام الله ما قام منشد
وما هام في روض الحروف أديب

■ شعر الدكتور:

أحمد الخفاني

بكينا يوم موتك.. كل ميت

وقلّبت المباديء فاسدات
وعرّيت العواة المفسدين
سراب في مآذاهم مهين
وما وجدوه إذ وافوا ثميناً
وحذرت المضلل من خداع
لكيلا يستغل ولا يهونا
وفي أسفارك الصيحات تقرأ
لمن عن خير نهج يسألونا
لك العشرات من كتب شذاها
كانفاس الهداة الأولينا
وقد أبدعت إذ ما فاض فكر
باسطرها، فأحرى أن تصونا
لأقصى الشرق نجمك قد تراءى
باقصى الغرب نصاعاً جبينا
وأقصى الشرق قد أضحى مناراً
وينبوعاً لمن قد يرتوونا
«أبو الأعلى» وأنت، وركب علم
أضاتم أفق وجهتنا سنيها
ومن أيامهم كانت فخراً
وعزماً في الوعى لن يستكينا
كفأكم شاعر الإسلام فخراً
ومن أرسى بباكستان ديناً
إلى «إقبال» من قلب محب
تحيات مغطّرة، يقينا:

أبا الحسن المثاقف كنت فينا
إذا ظمئت مواكبنا معينا
وإن عتوت الذئاب بغاب خبيث
رايناً فيك «يا ندوي» عريننا
وعشت القرن مثل البدر تهدي
إلى النور الحنيف مصلينا
قد اعترفوا بفضلك حيث قالوا:
بعلم أبي المعارف قد هدينا
وفضل الله يؤتيه.. تقاة
هداة في البرية مخلصينا
أهندي الجيلة غير مغض
عن الأعراب كانوا سابقينا
تحب العرب للإسلام فيهم
إذ اختار المهيم ظافرينا
ومن كان النبي له إماماً
فقد ألقى له نهجاً مبيناً
كانك «يا أبا الحسن» ابتسام
بوجهه الأولين أتى رزيناً
رايناً فيك عنوان التآخي
ورمزاً للدعاة مثابرينا
حملت رسالة الإسلام تغني
بدنيا الناس قوماً مفلسينا
فقد غرتهم اليوم الخطايا
ولجوا بالحضارة ضائعينا

شعر: شريف قاسم

بأنَّ الأرمـغـان أتى إلينا
فكان لركب صحوتنا مُعينا
سنطعمه خريف العصر مجداً
لكي يلقي الربيعُ المُثَقِّينا
وما جدوى الربيع إذا فقدنا
بظل الوارفـات له قطينا
جُزيتم يا بني «الندوي» خيراً
وقُزتم بالجنان مخلدنا
فيا ربَّ السماء أثب كراماً
إليك اليوم قد أزوجوا السفينا
وانزلهم على جنات عدن
ضيوفاً - في رحابك - مكرميناً

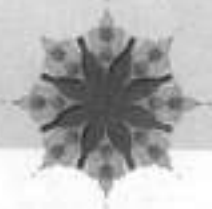
بكينا قبل موتك من بكتهم
شعوبُ المسلمين، وكم ذهينا
بكينا الراحلين وأنت منهم
نجوم المجد... إنا مكتـوونا
جماجم أمة وارت خطاهم
رياح الموت واستبقت شجوننا
بكينا والمصائب راعفات
فمن ذا يرقا الدمع الهتوننا
فلم تر بيننا إلا كئيـباً
يزجي خطو حسرته حزينا
تدافع كربنا في كل صدر
وهيج من مشاعرنا الحثينا
تكاد تكل من ثقل الرزايا
مناكبنا لطول الرزء قينا
أفاضل في الشأم وأرض مصر
وفي أرض الجزيرة صادقونا
مضوا فالأرض تبكيهم فراقاً
ويبكي المؤمنون المؤمنينا

فضجت - والجنائز شاهدات -
بلاد أقسمت أن لا تلينا
قللاً سلام أهلوها جنود
وما زالوا به مستـمـسـكيناً
وبالدين الحنيف رأوا مناهم
وبالدين القويم علوا قرونا
وبالدين: الصلاح يكون بدءاً
لقوم بالهوان يصفـقـدوناً
فقل للمدبرين عن المعالي
ومن ساروا بركب المرجفينا
لقد بلغ الأسى حلقوم قوم
وامسى الحال بالبلوى رهينا
وانت في مغانينا الأماني
ضحى وخبا نداء المصلحين
وراح الموت بالافئذاء منها
وخلف بعدهم هذا الأنينا
بكينا يوم موتك كل ميت
من الأبرار لم يك مستـكـينا
على نبا الوفاة لقد ذهينا
واصفينا لفقدك واجميناً
قنعت من الحياة بسرج مجد
على وثباته كنت الأمينا
ومثلك للعلی هبوا كراماً
وعن زيف الهوى يترفعونا
وإن الموت للاتقى حياءاً
أعز على قلوب الصالحينا
وهجر للملذات اشتـهـيـتها
- على طمع - نفوس المعوزينا
وقـصـل بين أيام ثولي
وتعلم من بنيتها الحائرنا

واحقّاب.. بظل الله تبقي
 وأهلوها الكرام مـخلدونا
 فقد نالوا رضاه وذاك فوز
 وقد قرّوا برحمته عيوننا
 فقل للشاردين أولي المخازي
 بها يرغبون - بشئ - ويزيدونا
 مآل الناس يوم الحشر حق
 اكانوا زيفاً أم محسنينا

ألا فلتبك رابطة رثيساً
 بهمته يقود النابغينا
 أقام لنهجها أدباً مصفى
 لوجدان الشعوب غدا كنينا
 ويحمل فكرها هدياً وعلماً
 لكل الخلق منهاجاً رصينا
 وفي أدب العقيدة سفر هدي
 ودعوة شرعة للعالمينا
 وظل يسر للأدب اصطقاء
 ويسقي منه حقل المستنينا
 تالق في محافله ارتقاء
 وأزهر في مباحجه فتونا
 كان «بتكية» الميعاد الفى
 بمولده جـواب السائلينا
 ففي تسعين عاماً إذ خطاها
 أجاد السعي لم يغمض جفونا
 ومدّ شماله بالبرّ جوداً
 وقدم في فرائده اليمينا
 ولم يجفل إذ اشتعلت خطوب
 بأرض الهند ترمي المسلمينا
 تلفت في البرية غير وان
 فهب لخيرها كالمعرقينا

واسـرته على نهج وضيء
 وأهلوه الهداة المنجبونا
 وصبر المؤمنين لهم عزاء
 وقد باتوا بفقدك حائرينا
 وفيما قد تركت - أخا المعالي -
 أتوا بتراث مجدك محتقينا
 وتنفض احتفالات بريب
 ويرمى وجهه منشئها ظنونا
 ويبقى نهجك الروحي يسمو
 بدين الله بنينا
 ويبقى للمودة والتآخي
 يطرز جمعهم حباً ولينا
 رنت أمّا قنا متلهفات
 لمن ساروا بليل مدلجينا
 بكيناهم وقد غابوا فالقى
 بدنينا الأسي ليلاً ضنينا
 فهم كانوا لأمتنا دواء
 لمن في جندنا أمسي طعينا
 جزاك الله يا ندوي عبداً
 كما جازى الهداة المؤثرينا
 رحلت وجرحنا في القدس دام
 وفي الشيشان يؤلمنا سخيننا
 وفي كشمير تنكؤه العوادي
 مخالب تقطع اليوم الوتيننا
 فجائع قد تركت وكنت تحيا
 بوجه رباحها جبلاً متينا
 سألنا الله بعدك فجر فتح
 يعز الله فيه مجاهدينا



أدبياً يرمي حمى الحزن

شعر

أمل بنت عمر مدظل

أوأه يا داعياً يرمي حمى الأدب
أوأه والقلب لم يهدأ ولم يطب
أوأه والحرف ينغي الصوت يدمغه
بالحب والخير نحو المجد والعجب
يا لوعة القلب والأمال تملؤه
والحزن يفجعه في الجد واللعب
يا راحلاً عن طريق طال تحرسه
عين الذي إن دعاه العبد يستجب
غادرتنا والفضاء الرحب مستعر
والفكر في ضجة والحرف في صخب
قد هاجمتنا ذئاب الشر يحملها
حقاً ويدفعها شوق إلى الرثب
والحرف في عالم الأضواء تنشره
قصيدة حُملت بالزيف والعطب
أو قد يرى هائماً والبؤس يجلد
والعري يفضحه في موطن حزب
لم تنكته الحرب والمأساة باقية
والصمت في عالمي أغلى من الذهب
لكنه النور رغم الليل مندفع
إلى سماء الهدى بل قاطع الحجب
في كل ركن صدى صوت ترثمه
أنشودة البر والأخلاق والأدب
والخير مهما يغيب حتماً سنظفهم
على المدى صرخة أقوى من الشهب



عزاء النفس

إِذَا كَانَ الْبُكَاءُ يُعِيدُ مَيِّتًا
فَإِنَّا سَوَوْفَ نُخْرِقُ الْبُكَاءَ
لِسَانَ مُحَمَّدٍ يَلْقَى عُثُوقًا
بَارِضٍ قَدْ تَضَمَّ الْأَنْبِيَاءَ
لِسَانَ الْخَلْدِ يَجْجِدُهُ بَعْدَهُ
وَفِي دَارِ الْعُلُومِ يَرَى الْوَفَاءَ
أَرْحَمًا يَا بِلَالُ تُرِخْ نَفْسًا
تُرَكِّبُهَا وَتَمُنُّهَا النِّقَاءَ
وَفِي عَرَفَاتٍ قَدْ هَتَفَتْ قُلُوبُ
الْأَنْبِيَاءِ وَاحْتَضَبَتْ حِرَاءُ
هُوَ الْإِسْلَامُ وَحَدَّثَنَا صُفُوفًا
وَفِي لُحْرَانِنَا نَلْقَى النُّجَاءَ
فَقَدْ نَأَمُّهُمْ وَنَقْدُهُمْ مُصَابٌ (١)
وَلَكِنْ هَكَذَا الرَّحْمَنُ شَاءَ
عَزَاءُ النَّفْسِ مَا الْفَتْ جَمُوعًا
مُكَبَّرَةً وَمَا أَمَتْ قُلُوبًا

وَرَيْثُ النُّورِ أَوْرَثْنَا الضُّمَيَّاءَ
وَاحْتَدَى فِي أَمَانِينَا النُّفَاءَ
وَرَيْثُ الْأَنْبِيَاءِ يَظَلُّ لَيْتًا (١)
وَقَدْ غَمَّرَ الْمَشَاعِيرَ وَالِدِمَاءَ
فَقَاضَتْ وَاسْتَطَالَتْ بِهَا بِنَاءُ
مِنَ الْإِخْلَاصِ رُغَامَا الْتِمَاءِ
وَجَائِزَةُ الْمَلِكِ لَنَا أَفْتَحَارُ (٢)
الَسْتُ لَنَا الْجَوَائِزُ وَالنُّفَاءُ
بَارِضِ الْهَيْدِ نُدُوتُكُمْ نِدَاءُ (٣)
وَفِي أَعْمَمَانِنَا خَطَّتْ وَلَاءُ
نَعَوْتُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى اعْتِصَامِ
بِحَبْلِ اللَّهِ تُصَلِّحُ أَفْئِدَةً
وَفِي دَارِ الْعُلُومِ لَنَا عَلُومٌ (٤)
مَدَى الْأَيَّامِ تَمُنُّهُ ارْتِفَاءُ
هَتَافُ الرُّوحِ وَابْتَهَلَتْ قَوَافِ
أَنْرَتِي النَّاسَ أَمَعَ نُرَّتِي دُكَاءُ
نَجِيءُ إِلَيْكَ أَشْعَارًا وَخُبْرًا
لَتَكْتَبَ فِي لِحْنَانِنَا الْبَقَاءَ
رَحَلَتْ وَفِي الرَّحِيلِ يَفِيضُ نَمْعُ
أَنَا أَفِيدُكَ لَوْ طَلَبُوا اقْتِدَاءُ
الْيَسَّ الْعِلْمُ فِي الْأَيَّامِ نُورًا
وَفِي الْإِنْسَانِ قَدْ أَمْسَى الْإِحْصَاءُ
وَلَكِنْ الْفَقِيدُ عَلَى مَدَانَا
وَفِي الْأَحْلَامِ يَلْتَرِشُ الْهَلَاءُ

(١) إشارة إلى حديث المصطفى ﷺ : (العلماء ورثة الأنبياء).
(٢) جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام التي نالها الفقيه عام ١٤٠٠ هـ.
(٣) جمعية ندوة العلماء، والتي كان الفقيه أمين سرها.
(٤) دار العلوم، والتي كان الفقيه رئيسها.
(٥) فقد العلماء رحمهم الله كعبد العزيز بن باز وعلي الطنطاوي.

شعر: جودت علي أبو بكر

يقيم بعدك الأدب



كَمْ نَهَرًا دَقَاقًا اسْرَجَتْ لَنَا...!!
فَطَرْنَا أَبْوَابَ الْأَعْمَاقِ..
وَضَرَبْنَا لَنَا مَثَلًا فِي الصَّنَاقِ
وَفِي الشَّمْعِ..
لِلْغُرَبِ وَلِلْعَجَمِ..
وَرَمَيْتُ سِرِّي الْأَيَّامَ عَلَى الْجَسَدِ..
مِثْلَ التُّيْدِ..
وَالْعُمُرُ قَرَى نَتَكِ الْأَشْوَاقِ..
مَا هَذَا طَوَّلَ اللَّيْلِ..
وَلَا السَّفَرِ..
- رَحِمَكَ - وَمَا قُلَّ الْعَزَمِ
الْكَبِيرِ !!
رَغَمِ الْأَوْهَاقِ..

طَلَبَ نَفْسًا.. شَيْخَ الْأَدَبِ..
لَنْ تَخْشَى سَوْقَ مُسَائِلِكَ الرَّيَا..
جَذِبَ الْحَقِيقِ..
لَنْ تَنْسَى طَلْعَ غَضَبِكَ الرَّيَا..
«الْمُنَوِي»..
فَاهِنًا.. وَاسْتَعْدَّ..
بِمَقَامِكَ فِي الْوُجْدَانِ..
وَفِي الْأَذْهَانِ..
إِلَى الْأَبَدِ..

يَمَمَّ عِبْرَاتِكَ صَاحِ
صُوبَ الْقَبَسِ الصَّاحِي..
مُصْبَاحُ الصَّدِيقِ..
وَمَشْكَادُ الْفَلَقِ
شَهْمٍ ، عِلْمٍ ، خَلٍّ سَنَدٍ..
جَلَدٍ ، مِثْلَ الْبَحْرِ الْجَبِ.
عَدَلٍ ، وَرَعٍ ، سَمَحٍ ، دَمَثٍ..
طَلَقَ الْوُجْهَ..
مُزْنَ الْوَدَّاعِينَ قَرَى
رَهْدًا بِيَدٍ ، وَتَدْيَا بِيَدٍ!!

يَا عَيْنَ الْبَقِي ، وَاسْتَبْقِي..
دَقَّ الْقَلْبُ الْخَدَقِ..
أَبُودَعَ بِسَمْعِهِ الْأَلْقَى!!
هَلْ يَهْجُرُ دَوَّاحَتَهُ الْأَقْفَى!!
خَلَّدَ الدَّارَيْنِ جَمَعَتِ..
فِيَا لِلْقَوْرِ .. وَ يَا خَيْرَ الْعَقَبِ!!
رَبَّالِ الْهَيْدِ ، وَ «نُوحِ» مُوَاجِدِنَا..
أَلِهَذَا الْحَزْنَ سَتَسْلِمُنَا!!
أَبْهَذَا الدَّوَّ سَتَتَرَكُنَا!!
مَنْ بَعْدَكَ يُسْرِعُ مَرَكِبُنَا!!
مَنْ بَعْدَكَ مِنْ طَعْنِ الْأَهَاتِ..
سَيُتَجَدُّنَا!!
كَمْ بَحْرًا خَضَّتْ بِثَا..!!

شعر: المدائني عداد



فِي تَوْدِيمِ أَبِي الْحَسَنِ النَّدَوِيِّ

كَمْ تَشَرَّبْتُكَ رُوحاً فِي نَمِي
وَتَرَقَّبْتُكَ طَوْلَ الْمَوْسَمِ
«شَمْسُ تَبْرِيزٍ» وَ «رُومِي قُونِيَّةُ»
وَالْعَظِيمُ الْحَقُّ «سِرْ هِنْدِي» أَكْبَرُ
بِكَ عَاشَتْ الشَّمْسُ الْهِنْدِيَّةُ
حِينَ لَمْ يَأْتْ بِهَا مِنْ قَبْلِ مَصْدَرٍ
«يَا عَلِيَّ» الْمُنْتَمِي وَالْتِزَكِيَّةُ
رَحِمَ الرَّحْمَانُ مَثْوَاكَ وَنَضَّرَ

شعر: عبد الرحمن
طليب بعكر الحضرمي

فَوَقَمَا يَمْلِكُ حَرْفٌ فِي فَمٍ
فَوَقَمَا يَسْطِيعُ مَجْدُ الْقَلَمِ
وَصَفٌّ مَا تُحْدِثُهُ مِنْ بَكَمٍ
نَكْبَةُ الشَّمْسِ وَمَوْتَ الْأَنْجَمِ
رَحَلَ الشَّيْخُ وَمَلَأَ الدَّارَ نُوحٌ
وَاصْطِرَاعَاتُ وَفِي الْأَفَاقِ حَيْرُهُ
مَا عَسَى يَصْنَعُهُ فِي الشَّطْرِ نُوحٌ
دُونَ أَنْ يَسْنِدَهُ جَهْدُ الْعَشِيرَةِ
اتَّخَذَ الْمَصْبَاحُ فِي الْأَعْمَاقِ جِرْحاً
وَالدُّجَى تَكْنُفُهُ رِيحٌ مَطِيرُهُ
قُلْتُ يَا نَفْسُ اعْبَسِي أَوْ فَايَسْمِي
قَدَّرَ فِي الْخَلْقِ مُنْذُ الْقَدَمِ
وَلَقَدْ تُنْضِجُ كَيْ الْمَيْسَمِ
لَوْعَةُ الرُّكْبِ لِفَقْدِ الْعِلْمِ
زَهْنُهُ الْمُتَرَعُّ بِالْمَعْنَى الشَّرِيفِ
وَبِفَجْرِي الْمَضَامِينِ الرَّوَاءِ
بِرُّهُ الْمَوْقِظُ أَجْفَانِ الرَّفُوفِ
بِامْتِدَادِ الْخَطِّ .. خَطِّ الْإِسْتَوَاءِ
صَوْتُهُ نَافُورَةُ الضَّوْءِ الْمُتَنِيفِ
سَارِبٌ كَالنَّهْرِ . عَالٍ كَاللَّوَاءِ
يَا أَخَا الْعُلِيَاءِ صَنُو الْقِيمِ
أَنْتَ وَاللهُ فَوَّادِي وَقَمِي

ومن يبقى.. لراية أمّتي.. حامل؟



رحلت وكلّنا راحل
عن الدنيا بلا طائل
رحلت وكلّ مخلوق
ولو عاش المدى زائل
أبا الآداب يا علماً
وبجراً ما له ساحل
فقدنا فيك آملاً
وشيحاً زاهداً فاضل
فقدنا النجم وضياء
وبرّ المحسن الواصل
وقد خسرت بلاد الهند
سدّ ذلك العالم العامل
أيا راعي الطفولة في
غيابك مآلنا .. عائل!
أيا علّم الفضيلة في الد
تفادك صرحنا مائل!
عرفت الله عن حق
وكنّت لجوده .. أمل

وكنّت النور قياضاً
بعضر مظلم هائل
وكنّت الجسد في زمن
بئيس عابث هازل
وكنّت ربيع آيتام
وأمن الباش السائل
تعين الناس تمنعهم
تجيب بعلمك السائل
عجبت لبذلك المعروف
لا تدري من السائل
عجبت وما انتهى عجيبي
لصنع الخالق الكامل
أيقرن ممسك جشع
بآخر منفق باذل
أيقرن جاملّ خطل
بحكمة مدرك عاقل
أبا حسن ومن يبقى
لراية أمّتي حامل
سوى من للهدى يسعى
ومن من ذكره ناهل
حنانك لا تلم قلباً
يحبك مغرم ذاهل
وما له في على علم
به يتحطم الباطل
إذا أهدى النهرى ذكروا
فشخصك فيهم مائل
وإن علماً لنا قالوا
فأنت القائل القائل

شعر:
حيدر مصطفى





لا يزال الشعر ينبأ

أيُّها الشعر تمهلْ
قد رايت الفارس المغوار في الساح ترجلْ
خيله في الساح تصهلْ
من «لكنو» سال في وديان امتنا
ومن نور إلى نور تنقلْ
غرسه ينمو ويكملْ
أيُّها «الندوي» انت من ندى الإصباح اندى
بلْ وأجملْ
أيُّها النسرُ الذي يهوى المعالي
ما عن القمة ينزلْ
حين دوى في قضاء الله
ربيع الطائر المغموس في الظلمة
وانسابت طيور الحق
والتفت تسابيح ترتلْ
صعد النسر فضاءات
تسامى عن شموخ العلم المهور بالرقعة ..
من بزوغ الفجر أقبلْ
صعد النسر فضاءات .. وهدياً
ومن المسجد
لما أن تنامي النور في عينيه يرحلْ
خيله في الساح تصهلْ
ألفُ عذر .. إن في الشعر شجوناً
لا يزال الشعرُ يخجلْ

■ إلى العلامة الداخل

أبي الشعر الندوي

شعر:

محمد فؤاد محمد

سَكَتَ الصِّرَاعُ وَمَا اسْتَطَاعَ جَوَابًا
مَاذَا دَفَى الْأَهْلِينَ وَالْأَحْبَابَا
اَكْتَلَبَ قَدَيْكَ أَيُّ شَيْئِي نَافِع
كَيْ تَسْعِدَ الْخَلَانَ وَالْأَمْحَابَا
اَكْتَلَبَ قَدَيْكَ عَنْ عِظَاتِ زَمَانِنَا
صَنَعَ الطُّغَاةَ بِسَاحَةِ الْإِرْهَابَا
اَكْتَلَبَ قَدَيْكَ عَنْ عَوَالِمِ غَضْرِبَا
جَارَ الْفُضَاءِ سَفِينَةَ وَسَحَابَا
هَذِي الْعُلُومُ سَعَتْ تَسَابِقُ أَنْجَمَا
فِي سَيْرِهَا تَحْوِ الْعُلَا أَسْرَابَا
لِكُلِّهَا قَدْ سَخَّرْتَ فِيمَا تَرَى
وَمَعَ الرِّدَائِلِ لَا تَخَافُ حَسَابَا
مَجَرَّتْ تُسَوِّرُ قِصَائِنَا تَرْحَابَهَا
وَبَكَتْ طَوِيلًا شَدِيدَهَا وَشَبَابَا
ضَاقَ الْفُضَاءُ الرَّحْبُ عَنْ طَيْرَانِهَا
وَرَبَّتْ لِأَحْلَامِ غَدُودِ سَرَابَا
النَّدْوَةُ الْغُرَاءُ مَاذَا عِنْدَهَا
تَرْتُلُو بَعِيدًا لَا تُحِيرُ جَوَابَا
يَغْلُو مَاذَنْهَا سَكُونُ مُطَبِّقُ
وَالصَّمْتُ يَغْلِقُ تَحْتَهَا الْأَبْوَابَا
قَالَ الْجَمِيعُ إِلَى الْغَمِيمِ نَزْوَرُهُ
تَشْكُو لَهُ مَا قَدْ لَمْ وَتَابَا
تَشْكُو إِلَى «النَّدْوِي» عَالَمِ غَضْرِهِ
كَمْ ذَا شَفَى بِعُلُومِهِ الْأَوْصَابَا
مَا كَادَ مَوْجِنَا يُقَارِبُ مَنْزِلَا
عَطَّرَ الثَّقَى قَدْ ضَمَخَ الْأَعْتَابَا
حَتَّى أَطْلُ الْخَطْبِ مِنْ أَرْكَانِهِ
يُرْخِي عَلَى الْبَابِ الْكَرِيمِ حِجَابَا
يَقُولُ لِلنَّاسِ اسْكُنُوا وَتَنَامُوا
الْمَوْتُ وَأَعْظَمُكُمْ أَتَى وَتَابَا

قَدْ جَاءَ يَدْعُو الشَّيْخَ دَعْوَةَ طَالِبٍ
لَيْسَ النَّدَاءُ بِسُرْعَةٍ وَاجَابَا
اللَّهُ أَرْسَلَهُ لِيُفْلِحَ أَوْبَاهَا
لِلشَّيْخِ ابْنِي شَيْخُنَا التَّرْحَابَا
الشَّيْخُ لَيْسَ دَعْوَةُ الْمَوْلَى لَهُ
وَأَحِبُّ لِقَائِي يَا رَبِّهِ وَأَنَابَا
وَمَلَائِكَ الرَّحْمَنِ أَحْسَنُهَا دَنَتْ
تَهْدِيهِ يُشْرَى صُحْبَةً وَإِيَابَا
فَالشَّيْخُ أَفْنَى عُمُرِهِ وَشَبَابِهِ
لِلَّذِينَ يَدْعُو سَائِحًا جَوَابَا
طَافَ الْبِلَادَ يَدْعُو لِلْحَقِّ فِي
جِلْدِ الضَّرَاعِمِ مَا اشْتَكَى الْإِنْعَابَا
هُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُنْشِرُ دَعْوَةً
يُرْسِي الْفَضَائِلَ حِكْمَةً آدَابَا
مَنْ لِلْمَنَافِرِ هَزَاهَا بِمَوَاعِظِ
تُنَسِّبُ مِنَ قِمَمِهِ الرُّكْبَى رُضَابَا
مَلِكُ الْقُلُوبِ شِفَاقُهَا يُغْزُو بِهَا
فَكَرَ الْعُقُولِ فِتْنَسْتَحِيلَ رَغَابَا
كَتَبَ الرِّسَائِلَ وَالذَّرَاسَاتِ الَّتِي
مَلَأَتْ طَبَاقَ الْعَالَمِ رَحَابَا
يَا كَمْ يُسْطَرُ عَلِمَةٌ فِي طَرَسِهِ
لِيُزِيحَ شَكَا فِي الْقُلُوبِ ضَبَابَا
يُزْجِي الْعُلُومَ بِنُدْوَةِ الْعُلَمَاءِ فِي
«النَّدْوِ» وَيَقْضِي لَيْلَةَ أَوَابَا
يَأْوِي إِلَيْهِ الْعَالَمُونَ بِضَمَّتِهِمْ
حَدَّبَ الْحَيَى بِقَلْبِهِ أَثْرَابَا
الرَّأْدُ وَالْمَأْوَى بِعَهْدِهِ الَّذِي
ضَمَّ الْأَلُوفَ وَخَرَجَ الْأَنْجَابَا
أَرَحَلَتْ عَنْ دُنْيَا بَذَلَتْ بِسَاحَتِهَا
عُمُرًا تَجَرُّعُ مُرَّهَا وَالصَّابَا
كَيْ تَرْتَقِيَ بِالدِّينِ هَامَاتِ الدُّرَا
وَتُزِيلَ عَنَّا وَهْمَ مَنْ يَتَغَايَا

بيت ربك



مَنْ ذَا يَجُوبُ بِلَادَنَا فِي عَزْمِهِ
 نُدُوهُ مَدَّتْ لَحْمَ اسْتَبَابَا
 مَنْ ذَا يُبَدِّدُ لَيْلَ امْتِنَانَا الَّتِي
 ضَرَبَ الْعَدُوُّ بِسَاحِبِهَا اَطْنَابَا
 مَنْ ذَا يَلْجُودُ خَطَا الشَّبِيهَةِ بِعَدُوكُمْ
 حَتَّى تَقُولَ حَقِيقَةً وَصَوَابَا
 مَنْ ذَا يُحْطِمُ عَيْدَ اَعْدَاءِ بَقَا
 مَلَأُوا الصُّحُوفَ بِالْفَرَى كَذَابَا
 عَانُوا فُسَادًا فِي الْوَرَى وَتَسْرِبَلُوا
 بِالْعَمَرِ كَمْ صَالِحُوا خَلَى وَتَبَابَا
 اخْلَفُوا بِدَاخِلِهَا سُفُومَ مَكَادِ
 هَلْ يَسْتُرُونَ مَخَالِبَا اَنْيَابَا
 التُّوبُ يَسْتُرُ اَدْمِيَا صَانَهُ
 هَلْ يَسْتُرُ التُّوبُ الْقَشِيْبَ ذُنَابَا
 يَا شَيْخَنَا مَنْ ذَا يَدْمِرُ كَيْدَهُمْ
 مَنْ ذَا يَمِيطُ عَنِ السُّفُوسِ اِهَابَا
 اَعْتَمَى الْعُلَاةُ إِذَا التَّفَاكَ بِفَقْرِهِ
 يَبْقَى طَوِيلًا وَاجْمًا هَيْبَا
 هُوَ يُلْقِيكَ مُحَامِيًا وَمَدَافِعَا
 بِالْحَقِّ تَصْدَعُ لِلْهُدَى مَرْقَابَا
 يَا كَمْ يَكْتَلُ مَجَالِسَ لَعْلَمٍ فِي
 ثَبَجِ الْبَحَارِ إِذَا عَلَوَتْ رَعَابَا
 فِي الْحِلِّ وَالثَّرْحَالِ تُغْدُو دَاعِيَا
 لَا لِلْخُتُوعِ فَإِنْ فِيهِ يَبَابَا
 فِي الدَّوْحَةِ الْخَضِرَاءِ عَطْرُكَ وَالشَّدَا
 وَالنُّورَ بَيْنَ جَوَانِحِي مَا غَابَا
 كَمْ ذَا رَأَيْتُكَ فِي الْمَجَالِسِ عَالِمَا
 كَمْ ذَا أَضَاعَتِ الْبَيْتَ وَالْمَخْرَابَا
 وَالْوَالِدَ الْبَرَّ الْكَرِيمَ يَحْطُوطُكُمْ
 حُبًّا يَحُدُّ خُطَاكُمْ إِلَهَابَا
 شَارَكْتُمَا فِي بَعْثِ عِلْمٍ نَافِعٍ
 وَأَتَرْتُمَا أَلْفَهُمَا وَالْأَنْيَابَا

وَرَحَلْتُمَا فِي نَشْرِهِ بَيْنَ الْوَرَى
 اللَّهُ يَنْفُخُ نَاشِئِيهِ لَوَابَا
 وَضَرَبْتُمَا مَثَلًا شَرُودًا فِي الْهُدَى
 الْكُلُّ يَرْجُو رَبَّهُ الْوَهَابَا
 وَلَقَدْ رَأَيْنَا فِي ظِلَالِكُمَا الْهُدَى
 مَا عَادَ يَخْشَى اسْمُهُمَا وَحِرَابَا
 اللَّهُ يَرْحَمُ ذَلِكَ الْعَهْدَ الَّذِي
 أَعْلَيْتُمَا لِلدِّينِ فِيهِ قِبَابَا
 مَاذَا تَقُولُ الْهَيْدُ يَوْمَ وَدَاعَكُمْ
 تَعْتَمِدُ لَهَا فِي الْحَالِكَاتِ شَهَابَا
 أَعْلَيْتَ لِلدِّينِ الْعَظِيمِ لَوَاءَهُ
 وَرَفَعْتَ صَوْتَا صَادِعَا مَا حَابَا
 يَأْمَنُ سَتَخْلَفُ شَيْخَنَا فِي نَوْرِهِ
 أَوْصِيكَ شَرْعَةً رَبَّنَا وَكِبَابَا
 سِرٌّ فِي هُدَى شَرَعِ إِلَهِهِ وَلَا تَهِنُ
 نَعْمَ الْمَلَأْتُ تَحْصِنَا وَغِلَابَا
 يَا رَبِّ أَنْخِلْ شَيْخَنَا فِي وَاحَةٍ
 فِي جِلَّةٍ يَجِدُ الرَّحِيمُ مَذَابَا
 يُلْقَى نَبِيُّ اللَّهِ وَالصُّدُوقُ وَالْـ
 قَارُوقُ عُنْمَانَا وَنَعْمَ مَا بَا
 يُلْقَى أَيَْا الْحَسَنِينِ ثُمَّ وَخْزَةُ
 وَيَرَى الْحَسَنَ بِمَقْعَدِ قَدْ طَابَا
 وَمَعَ الصُّحَابِ وَصَحْبِهِ فِي زُمَرَةٍ
 قُلْ مَا أَجَلُ مَجِيئَتِهِ وَذَهَابَا
 وَاخْلَفْ شُعُوبًا تُرْجِيكَ خَلِيفَةً
 لِيُحَقِّقَ الْأَمَالَ فِيهِ عَذَابَا
 يُعْلِي شِعَارَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ فِي
 عَزْمٍ يُبَدِّدُ وَخْشَةً وَغِيَابَا
 كَيْ يَبْعَثَ الْمَجْدَ الْكُرَى بِقُوَّةٍ
 وَيُزِيلَ عَنْهُ غَشَاوَةَ وَتَرَابَا
 ثُمَّ الصُّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ
 مَا غَرَّدَتْ أَطْيَارُنَا اسْتِرَابَا

شعر

محمد بن عبد الله الأنصاري، أبو عمر،

مَاتَ المَرْبِي

أي خطب ألم فـالكل ذاهل
سابق حائر وفي القوم راجل
كل عين ترقـرق الدمع تبكي
كل قلب يكثـم الحزن ثاكل
كل جرح في سائر الجسم يبري
غير جرح في مهجة القلب قاتل
أي خطب ألم كل البـرايا
بين صاـح دهي المصاب وغافل

أي خطب ألم .. مـات المربي
فاسمعي يا زهور، فالزهر ذابل
أي خطب ألم .. مـات المربي
فاسمعي يا رمال، فالرمل قاتل
أي خطب ألم .. مـات المربي
فاسمعي يا نجوم، فالنجم أفل
أي خطب ألم .. مـات المربي
كلنا في خطاه والركب راحل

يا سليل الأجداد للهند تبكي
كل بيت يؤجـد الله ثاكل
تتباكي الطيور والكون يحدو
وعليه من الضراعات راجل
تتسامى المآذن الشم تدعو
تتباكي ودمعها اليوم هائل
كل فكر منور يتـبـاكي
كل من يدعي من الخلق عاقل

يا عميد الآداب روحك تسري
في تنايـا الآداب والصوت صاـهل

من معاني القرآن سلسلت فكراً
يدمغ الظالمين والظلم زائل
عشت للسادرين تحنو عليهم
مت في الخالدين كالطود مائل
عشت تهدي سفينه الحق ترسو
في رحاب الإيمان بالحق عامل

يا عميد الآداب اضحي النواصي
يتـفـنى على ترانيم باقل
هزه في مراكب الليل وجد
ساقه في شواطئ الليل جاهل
مل قومي غضارة النور جهراً
أنهم للضلال في القوم ساقل
كيف تسمو وفي المتاهات تعدو؟
كيف ترقى وفي الصدارات خائل؟

يا جنود الإسلام دمتم جنوداً
في جلال الإسلام إقبال راحل
من عربين الإسلام تبدون أسداً
من وراء الغيوب كالغيث نازل
ما أصاب الإسلام في الهند كلا
ما أصاب الإسلام في كل ساحل
فاصنعوا من تفرق الشمل وصلاً
فاطروا قومنا إلى الله واصل

شعر:
سالم بن رزق



ويرحل الندوي

تَقْدَمُ الأدب الراقي لأمتهَا
وتكشفُ الزيفَ والتضليل والدجلا
فيوركت - وبلاد الخير تربتها
نقيّة - جنة كانت لنا نرلاً

و «يرحل الندوي» يا شعر شقّ أسى
يُدْمِي العيونَ وَكُنْ بالحزن مشتملا
جراحنا يا صليل الشعر ما التامت
حتى تُسَطِّرَ حرفاً باسمًا جزلاً!!
من أيّ كَوْنٍ تَرْفُ اليوم قافية
والبحر سَجَرُ والوادي قد اشتعلا
وأسهمُ الموت أغفت أعيناً حرست
معالمِ الحق . باعت للهدى المقللا
عامَ تصرُّمٍ فيه العمر فانطلقت
يد المنايا إلى أعلامنا النبلا
مضوا كسحر غروب الشمس متند
لكنّ في طيّه فجراً قد احتفلا
عزاًؤنا أن أمّا انجبت عمراً
فسوف تبعث في ميدانها المثلا

شعر:

يحيى بن صديق حكيم

و «يرحل الندوي».. كلا فما رحلا
بدرٌ توقّد للدنيا وما أفلا
بدرٌ. أجلّ تشهد الأكوان طلعتَه
ويستمدّ المدى من نوره شعلا
لئن بدا في السماءِ البدرُ مكتملاً
فالمؤمن المتّقّي بالفضل قد كملأ
يا ناصر الأمة الغراء يا قمرأ
أجلى الدجى وأقام النور والاملا
تبكيك «أرض لكهنو» طالما ابتسمت
لما رأتك بدرب المجد مشتعلا
ظفرت بالعز. حي أنت، ذكرك في
نرى المعالي. حملت السيف مرتجلا
أوقفت نفسك للأخرى، فما تعبت
جوانح لا تبالي الموت والأجلا

و «يرحل الندوي» ما ازدان من حملاً
مصقّداً إنما بالروح قد فضلاً
روض المعالي مراع للصقور لها
تعطّشت ، ليس ترضى الدون والسفلا
إنّ لاح للناس جسماً ناحلاً فيه
من الهدى قوة تستأصل الجبلا
تولّعت نفسه (بالضاد) ما هدأت
به المنى فاستثار الركب وارتحلا
أقامها من ربي الأحلام رابطة
أبيّة تنشد الإخلاص والعملا

أمير البيان

وبكيت في ظلم فطال بكائي
ورجوت من سيفك أسر رجائي
ما كنت أحسب أن موتك جفرة
يتوسد القلب السجين لوائي
لو كان لي ريش لجئت طائراً
بجناح دنيا الصدر ليل عنائي
لهفاً أقبل جبهة بحرارة
وأعودها يتنفس الصعداء
فهو الذي ملك الغريب عقاله
كان الهدى في الوحشة الغبراء
وهو الذي نقض الغبار عن النهى
وتحمل الويلات في الأرجاء
وهو الذي قهر الطغاة على المدى
قذاق «بونا هم» وبال بلاء
بحر إذا فتشت في أعماقه
تجد النفيس وبرة الأشياء
محن الزمان وكيدة عصفت به
وكانه الليث الهصور إزائي
شاك إلى الله انقباض مشاعري
الم يهيج أحس في أحشائي
كيف الهدوء يكون بعد رحيله
كيف الهنا يتتابع الأصداء

كم زفرة فجرتها بجوارحي
ومسحتها بتقمص الأمواء
كم حسرة ودعتها ومتاعبي
وشعرت تحت رقابة الأضواء
ونظرت في المرأة نظرة بانس
أتأمل الغمرات يوم فئائي
لاودع الندوي بين شموعه
وأريحها نفسي من الإغماء
فانيئها يسبي مرارة غريبي
ومرادها يدعي لباب ذكائي
وحثيئها يشفي الغليل صيابة
في أمة غرقت بدون رخاء
وهن رمى بالمسلمين القهقري
ماذا جنى الكفار غير عداء ؟
والغرب .. يجهل أن علة جهله
ليست لدى علمائه الجهلاء
وإذا أراد شبيبهم أن يغتموا
لفقرائهم داء لديه دوائي
وأقولها بصراحة متضرعا
وأنا على الخطوات في صحراء
نم مظمئنا يا أمير بياننا
وإلى اللقاء هناك في علياء



شعر:

يحيى بشير حميرة

لَا تَرْتِ أَبَا الْحَسَنِ..

يَا مُسْلِمَ الرُّوحِ قَدْ طَالَتْ مَرَاتِبُنَا

جِئْنَا نَقْدِمُ لِلدُّنْيَا تَعَاذِينَا

عَزَّ الْفِرَاقُ وَأَيْدِينَا مُصْطَفِدَةٌ

لَا عَزَمَ يُوقِظُ عِزًّا كَانَ يُخْمِدُنَا

الْقَلْبُ وَالرُّوحُ أَشْلَاءُ مُمَرَّقَةٌ

تَسِيرُ مِنْ غَيْرِ مَدَى فِي مَسَاعِينَا

تَمَلَّكَ الْحُزْنَ وَجَدَانِي قَبَاضُ بِهِ

خَوْفٌ مِنَ الْعَدَا أَنْ يُزْرِيَ بِمَضِينَا

وَضَاعَ مِنِّي بِرَيْقٍ كُفَّتْ أَشْجُدُهُ

كَالطَّيْفِ مَرَّ وَلَمْ يَأْخُذْ بِأَيْدِينَا

سَبَّحْتَ فِي خَاطِرٍ لَا مُتْلَهَى أَبَدًا

لَيْفَهُ ، وَكَفَى بِالْحَالِ تَبْيِينَا

حَتَّى ثَوَّقْتُ صَدْرِي فَاحْتَمَلْتُ أَسَى

نَظَمْتُ مِنْ وَقْعِهِ الْقَاسِي دَوَاوِينَا

كَأَنَّكَ وَطَيْفُ الْفَجْرِ مُوشِكَةٌ

كَفَانَتْ الْوَرْدُ وَشَيْئَ الْبِسَاتِينَا

تَكَلَّبَ الصَّدْرُ فِي شَجْوٍ وَمُسْتَمْعِي

يَسْتَأْفُ مِنْ نَيْصِ أَشْعَارِي رِيَاحِينَا

وَقُلْتُ يَا نَفْسُ لِمَ تَرْتِي أَبَا حَسَنِ

إِنَّ الْأَسَاءَةَ تَوَلَّوْا عَنْكَ تَاجِينَا

لَوْ كَانَ يُعْنِي لَسَالِ الدَّمْعِ أَوْدِيَةٌ

فِي كُلِّ أَرْضٍ وَلَمْ تُحْسَبْ مُغَالِينَا

هَذَا الضَّيَاءُ الَّذِي تَرْتِينَ مَفْخَرَةٌ

لَطَالَمَا قَاضَ مِنْهَا الْغَيْثُ يَسْقِينَا

لِلشَّعْرِ فِي دَوْحِهَا الرِّيَّانِ غَاطِفَةٌ

تَلْبِيضُ مِنْ حِكْمَةِ الْإِسْلَامِ نَسْرِينَا

شعر:

محمد ياسين العشاب - المغرب

كُنَّا نِيَامًا ، فَلَمَّا قَامَ يُرْشِدُنَا

قَامَتْ عَلَى الصُّخْرَةِ الْكُبْرَى أَمَانِينَا

تُجَمُّ نَالِقُ وَالْأَيَّامُ قَاسِيَةٌ

تُصَيِّتُنَا إِنْ تَجَتْ طَوْرًا وَتُخَيِّبُنَا

يَكَادُ إِذَا رَمَا بِخَيْبِي ضَمَائِرُنَا

أَتَى مَضِينَا ، وَلَيْلُ الظُّلَمِ يَهْوِينَا

دَعَاؤُكَ لِلْحَقِّ وَالْأَيْمَانِ مُغْثَرِبٌ

طَوْبِي لِمَنْ صَدَّعُوا بِالصَّدْقِ بَانِينَا

لَمْ يَسْمُ إِلَّا بِإِخْلَاصٍ قَالِبِنَا

ثَوْبُ الْوَفَاءِ وَأَخْلَاقُ الْوَقْفِينَا

وَمِنْ ثَوَاضِعِهِ اسْتَعْلَى عَلَى هَمِّ

حَسْرَى تُرَدُّدُ الْآمِ الْقَصَائِينَا

فَلَمَّا وَفَى الْأَرْضِ اسْتَقَامَ ثُرُوعُنَا

وَفِي الْقُلُوبِ حَرِيقٌ مِنْ مَاسِينَا

وَالْحَالُ يَغْبِثُ لَأَحْزَنَ وَلَا فَرْجٌ

يُخَوِّنُنَا الْعَزَمُ مِنْ خَوْفٍ وَيَتْنِينَا

مَنْ لِلْحَقِيقَةِ يُحْيِيهَا وَلَا رَشْدٌ

يَهْدِي الشَّرِيدَ وَلَا فِجْرٌ يَلْبِينَا ؟

بَقِيَّةٌ مِنْ عُهُودِ الصَّدْقِ إِنْ لَنَا

رُوحًا عَلَى هَدْيِ هَذَا الدِّينِ تُنْجِينَا

نَدْعُو جَهَارًا وَنُورُ الصُّبْحِ مُرْتَقِبٌ

وَتُسْمِعُ الْخَوْنَ بِالتَّرِيدِ آمِينَا

تَرَكْتَ بِالصُّخْرَةِ الدُّنْيَا وَقَدْ وَشَكَتْ

أَنْ تَخْضُنَ الْعَدْلَ يُخَيِّبُهَا وَتُخَيِّبُنَا

فَقَرَّ عَيْنَا وَقَدْ فَارَقْتُنَا أَمَّا

جَدِيدَةُ الْعَزَمِ وَلَيْزَحْمُكَ بَارِينَا

حفل افتتاح المكتب الإقليمي للرابطة

● الرياض - السعودية:

بمناسبة افتتاح المكتب الإقليمي للرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الرياض، أقيم المكتب حفلًا استمر على لقاء أدبي، وذلك ليلة الخميس ١٤/٢/١٤٢١ هـ الموافق ٢٠٠٠/٥/١٨ م.

وقد وجه المكتب الدعوة لأعضاء الرابطة المقيمين في منطقة الرياض، وفي المنطقة الشرقية القريبة من الرياض. وتضمن برنامج الحفلة ثلاث فقرات أساسية:

- ١- الحديث عن الرابطة وشئونها.
- ٢- مناقشة رواية «دفء الليالي الشاتية» للدكتور عبدالله العريني.
- ٣- أمسية شعرية.

وبعد افتتاح الحفل بالقرآن الكريم تحدث الفريق يحيى العلمي، رئيس المكتب الإقليمي، فهنا أعضاء الرابطة بإفتتاح المكتب، وشكر حكومة خادم الحرمين الشريفين على الترخيص بإفتتاح المكتب، ودعمها لمسيرة الأدب الإسلامي. وتحدث بعد ذلك الدكتور عبدالقدوس أبو صالح نائب رئيس الرابطة، ورئيس مكتب البلاد العربية، عن شئون الرابطة وأهمية افتتاح المكتب الإقليمي في الرياض، وركز في حديثه على نص الرسالة التي تلقاها سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، والتي تضمنت ترحيب الملكة «ذات الرسالة» بالخيرة بأن تكون منطلقاً للأدب الإسلامي ذي التأثير العمود.

كما تحدث الدكتور عبدالقدوس أعضاء الرابطة على ضرورة التواصل مع رابطتهم، ومع مجلة الأدب الإسلامي بالكتابة إليها، والاشتراك فيها، والتعريف بها كجزء من المهمة الملقاة على عاتق العضو. وأكد على الالتزام بدفع الاشتراك السنوي، حتى تستطيع الرابطة تزويد الأعضاء بإصداراتها، والمضي في تحقيق مشروعاتها.



من أخبار..

الأدب الإسلامي

إعداد:

شمس الدين درويش



■ د. عبد القدوس أبو صالح، الفريق يحيى العلمي - يرحمه الله - ود. حبيب المطيري، خلال الإحتفال.



■ د. عبد الله الغنيني يعرض روايته «دفء الليالي الشتائية».. وإلى جواره د. سعد أبو الرضا.

العنصر النسائي، حيث نجحت أمل في مواجهة مسز بودي وجين، وكانت خير معينة لزوجها في المواقف الصعبة. ويرى الدكتور عبدالعاسط بدر في «أمل» نموذجاً نسائياً، شبه نادر في مواصفاتها الثقافية العامة، والأدبية، وذاكرتها الشعرية، وهي اللمعة التي تأتي بالحل المناسب للأزمات، فهي تشير على عبد المحسن باختيار موضوع الأمن للمحاضرة في مواجهة دهباء حناء، وتقرح حل مشكلة إنشاء المسجد، وتحمل الفهم القانوني لخطورة الكذب على جين، وإلى جانب ذلك فهي شخصية مرحة. تحمل روح الدعابة في المواقف العائلية.

أما الدكتور أبو الرضا فقد عد رواية «دفء الليالي الشتائية» إسهاماً في الكشف عن جانب من التحول الفني والفكري في الرواية الإسلامية المعاصرة. ورغم أنها الرواية الأولى للمؤلف، فقال هذا مما نعتد به في التشكيل الإسلامي للرواية العربية بصفة عامة، والسعودية بصفة خاصة. حيث نجح المؤلف في تجنب الوقوع في التعبير عن الانحرافات والجنس، بشكل يثير الغريزة لدى المتلقي، كما هو في الكثير من الروايات، التي تدعي الواقعية، سواء لدى الروائيين الأوربيين، أم من تابعوهم من العرب. وقد عرض الدكتور سعد أبو الرضا كيفية تحقق هذا الأمر في الرواية غنياً. بدءاً من العنوان، ببيان مدلول

■ «دفء الليالي الشتائية» فقد متغيره

وفي الجزء الثاني من الحفل عرض كل من الدكتور عبدالعاسط بدر، والدكتور سعد أبو الرضا لرواية «دفء الليالي الشتائية» بالنقد والتفويص. وبدأ الدكتور عبدالعاسط الحديث يعرض موجز لمحاوَر الرواية، التي تحكي مرحلة من حياة أسرة سعودية قتيّة، قامت في مدينة دنفر بأمريكا سبع سنوات وذلك لأن رب الأسرة الشاب ابتعث لإكمال دراسته العليا ثم تنوّلى خمسة محاور تشكل نسيج الرواية وتحمل مضامينها الدالة، وهي:

١- إقناع مسز بودي صاحبة المنزل برفع بعض اللوحات والتحف من الشقة، وذلك لما فيها من مناظر ورموز تصدم الحس الإسلامي، وإبعاد الكلب عن البوابة الرئيسة للمنزل إلى الخلف.

٢- وصول وليد ابن خال عبد المحسن للدراسة، وهو متعطش للتلف، فيتصل عبد المحسن به ويؤثر عليه تدريجاً فيتحول إلى شاب صالح.

٣- مواجهة عبد المحسن للدكتور بهاء حناء، العربي النصراني الذي يشوه الإسلام، فيرد عليه محاضرة في الجامعة.

٤- النجاح في بناء مسجد في مدينة دنفر.

٥- مساعدة صاحبة المنزل مسز بودي العجوز بعد أن هجرتها ابنتها جين، وتأثر جين بالحياة الأسرية، والعادات الإسلامية لأم ولزوجها عبد المحسن وابنتها هانا، وتنتهي الرواية بوداع العائلة المسلمة لدنفر وعودتها إلى المملكة.

والرواية تقدم تجربة المواجهة مع الحضارة الغربية بكل سلبياتها، برغم التفوق المادي والتقني، كما تبرز الرواية دور



■ الشيخ أحمد باجتييد، د. عدنان النحوي، عبد الله الحقييل، عبد الكريم الحقييل، د. علي الخضير، د. عائض الرادادي، وأحمد الدعجاني.. بين حضور الحفل.



كلمة «دفع» من الناحية المعنوية، وليست المادية كما يتبادر للذهن أول مرة. وقال: إن القراءة الثنائية للرواية خاصة في فصولها الخمسة الأخيرة سوف تكشف أن هذا الدفع معنوي منوط بقيم الدين الإسلامي، كالتكليف والتعاون والمحبة والتلاقي على الخير والمودة على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع.

وفي حديثه عن الشخصيات، وتشكيلها الإسلامي الفني، رأى الدكتور سعد أنها طريقة تشكيل مستمدة من القرآن الكريم، حيث مثلت عدة نماذج مثقوبة، مثل عبد المحسن الملتزم الداعية مقابل وليد الذي يريد أن يتفلسف، «وأهل» الزوجة الملتزمة الواعية، صاحبة الأسرة الناجحة مقابل مسز بودي وابنتها جين العانس، والتي هجرت أمها العجوز. كما نجد تقابلاً بين وليد المعجب بالحياة الغربية، والمغني الأمريكي الذي أسلم إعجاباً بالحياة الإسلامية. ويكون التحول الجذري لوليد عند لقائه به. وهذه التقابلات تتأكد بعدة وسائل، منها الحوار، وتدفق تيار الوعي، والإيقاع، والمتابعة.

وكما ركز الدكتور عبد الباسط بدر على شخصية أمل فقد ركز الدكتور سعد أبو الرضا على شخصية عبد المحسن انطلاقاً من اسمه، وأن خير الأسماء ما عُبِدَ وحُمِدَ. ولاحظ أن إضافته إلى اسم «الحسن» له سبحانه تعالى، الذي لا

حدود لإحسانه، مما يتوافق مع ما يتفق به عبد المحسن من صفات التقوى والشهامة، والإخلاص والأريحية، على جميع مستويات التعامل مع شخصيات الرواية، ويرى أن شخصيته أكثر ثراءً من شخصية أمل في الرواية. ويصف عبد المحسن بأنه شخصية مدوّرة.

ومن الناحية الأسلوبية يرى د. سعد أن الكاتب حاول أن يبرز روايته في أسلوب فني، بعيد عن التسطّيع إلى حد كبير، برغم

أنه وضع في الرواية أربعة أنماط أسلوب الكاتب، والأسلوب الشعري، وأسلوب الحديث الشريف، وأسلوب القرآن الكريم. وأخيراً اتفق الناقدان الكبيران في الرأي أن هذا العمل الأدبي من نعالج الأدب الإسلامي، الذي يعتد بها في تثيله قلباً وقلماً. وأتيح بعد ذلك فرصة للحاضرين لإبداء آرائهم، فحظيت الرواية بإعجاب المتكلمين، مع التنبيه إلى بعض السلبات، التي من أهمها قضية الحوار في الرواية، وأنه كان مطوّلاً ساكناً في بعض الأحيان، ولا يسهم في نمو الحدث! وقد مثل لذلك د. حسين علي محمد بفقرة من الرواية، وكان من المعلقين د. عدنان النحوي، والشيخ عبد الرحمن بن عقيّل، ود. محمود زيني، والأستاذ عبدالله الحقيّل، وأعرب الجميع عن أملهم في أن تشهد المساحة الأدبية مزيداً من الأعمال الناجحة عن هذا النوع.

هذا، وقد شكر الدكتور عبدالله العربي الناقدَيْن والمعلقَيْن على ملاحظاتهم، وأكد أنه سيأخذها في الحسبان، كما شكر الحضور على حسن المتابعة، وعبر عن غيظه بما تلقّته الرواية من قبول لدى القراء، وأن بعضهم اتصلوا يسألونه عما إذا كانت الرواية ترجمة فنية لسيرة المؤلف مع أنه لم يذهب إلى أمريكا قط، وقال في رده على بعض التساؤلات بأنه لا يشترط في الرواية أن تغطي جوانب الحياة كلها، وأنه حين كتب الرواية قصد أن يرضي العامة، ولا بغضب الخاصة في أسلوبه ولغته. وقد ختم الدكتور عبد القدوس أبو صالح مداخلات الحاضرين بدعوتهم إلى جعل هذه الرواية في مكتباتهم الخاصة: لتكون في متناول الأسر، نموذجاً للأسرة الواعية الداعية في مواجهة الحضارة الغربية، وكذلك تبع إلى ضرورة دعوة الآخرين لقراءتها.

وبعد استراحة حفل الشاي، بدأت الأمسية الشعرية الحافلة، التي شارك فيها عدد من شعراء الرابطة الكبار المعروفين، وهم: د. عدنان النحوي، والأستاذ عبد الله بن إدريس رئيس النادي الأدبي في الرياض، ود. محمد بن سعد الدبل الذي شارك بعدة قصائد، ود. عبد الرحمن العشماوي، ود. غالب الشاويش، والأستاذ حسن حجاب الحازمي الذي حضر من جازان، كما شارك الدكتور ربيع عبد الحليم من مستشفى الملك خالد الجامعي، والدكتور عبد الجبار دية من مستشفى دلة في الأمسية الشعرية، بالإضافة إلى الشاعر الشاب فواز العبدلي محرر الصفحة الأدبية في مجلة «شباب» التي قامت مشكورة بتغطية الحفل، وكان عريف الحفل الدكتور حبيب المطيري الشاعر المعروف.



■ وجدة - المغرب:

إعداد برامج خاصة

للصيف

يقوم المكتب الإقليمي للرابطة في المغرب بإعداد برامج خاصة لأنشطة الأدبية في فصل الصيف لعام ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م. ومن أهمها:

١ - برنامج الملتقى الصيفي للأدب الإسلامي (دورة سماعة الشيخ أبي الحسن الندوي - رحمه الله).

٢ - إقامة يوم تكريمي بكلية الآداب للشيخ أبي الحسن الندوي - رحمه الله - تحت عنوان: حوار الشرق والغرب في فكر الشيخ أبي الحسن الندوي، وذلك ضمن أنشطة الملتقى الصيفي. هذا، وقد أعد برنامج الملتقى الصيفي الأستاذ سعيد الغزوي.

٣ - سيصدر في مجلة المشكاة طقات خاصة بالدكتور المهدي بن عبيد، والأستاذ محمد المنوني - رحمهما الله.

٤ - سيتم إنجاز عدد خاص عالمي متميز عن سماعة الشيخ أبي الحسن - رحمه الله - أو عديدين إذا تعددت المساهمات.



■ الملتقى الرئيسية.. من اليمين: محمد عبد القادر فقي - أحمد خميس، د. عبد المنعم يونس، ومحبي الدين صالح.

مكتب القاهرة يكرم الشاعر أحمد خميس

قام المكتب الإقليمي للرابطة في القاهرة بتكريم الشاعر الكبير أحمد خميس، وذلك بمناسبة صدور ديوانه «الروابي الخضراء» الذي يجسد رحلته الطويلة مع الحياة.

والشاعر أحمد خميس من الذين عاصروا جيل الرواد أمثال علي محمود طه، ومحمود حسن إسماعيل.

وتحدث في حفل التكريم رئيس المكتب د. عبد المنعم يونس مشيداً بأصالة الشاعر المحقق به، والذي وجه شعره لخدمة القضايا الإسلامية. كما تحدث عضو المكتب الأستاذ محمد عبد القادر فقي، وقال: إن شاعرية أحمد خميس الرومانسية تختلف عن الرومانسية المعروفة بالتشاؤم، وأنه يعد من المجددين.

كما أكد صيف الندوة على أهمية الأدب الإسلامي، وأنه لا يستسيغ «الحدائق».

خطة عامة.. لعمل مكتب الرابطة.. بالقاهرة

وبغیرها:

٢ - تكثيف عدد مرات الخروج من العاصمة إلى الأقاليم والمحافظات، والمدن الأخرى شمالاً وجنوباً. لعقد الندوات الأدبية، من أجل التعريف بالأدب الإسلامي، وربطته، والتقاء مع أعضاء الرابطة.

٣ - العمل على توصيل رسالة الأدب الإسلامي إلى كافة قطاعات الشعب.

ضمن تنظيم أنشطة المكتب الإقليمي للرابطة في القاهرة، تم الاتفاق على القيام بعدة خطوات في هذا المجال. ومن أهمها:

١ - ضرورة التواصل والتعاون، أو التبادل المعرفي فيما بين رابطة الأدب الإسلامي العالمية وبين الجمعيات الأدبية والثقافية، والروابط الأخرى مثل رابطة الأدب الحديث، وجمعية باكتير الأدبية، وجمعية العقاد، ونادي القصيد،

منح جائزة شاه ولي الله لاسـم «أبو الحسن الندوي»

خصص معهد الدراسات الموضوعية جائزة تذكارية تحت اسم «جائزة شاه ولي الله» إحياءاً للذكري العالم المسلم الذي عاش في القرن الـ ١٨ - شاه ولي الله الدهلوي.. وذلك لدوره البارز، ومساهماته الجلية في نشر التعليم الإسلامي في الهند حينذاك.. وقد تم منح هذه الجائزة لأول مرة لعام ١٩٩٩ م لاسـم الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي المعروف في الهند باسم مولانا علي ميان رحمة الله.. وقد اتخذت اللجنة قرارها بالإجماع، تقديراً للإسهامات المهمة والمتعددة للشيخ أبي الحسن الندوي ودوره البارز في المحافظة على التراث الإسلامي في الهند، وتبلغ قيمة الجائزة مائة ألف روبية هندية، إضافة إلى شهادة تقدير، وسيتم تسليم الجائزة والشهادة إلى السيد محمد الرابع الندوي، رئيس دار العلوم ندوة العلماء، في حفل خاص «سيقام بهذه المناسبة، في وقت لاحق من هذا العام، والجدير بالذكر أن المفكر الإسلامي الكبير أبو الحسن الندوي، الذي توفي مؤخراً قد قدم مبادرات ونشاطات رائدة، في مختلف العلوم الإسلامية: منها التفسير والحديث والفقه وغيرها، كما كان من بين أهدافه حث المسلمين على تعزيز التزامهم بالمبادئ والمثل الإسلامية وتأكيدهم.. وكان من أهم مساهماته في هذا الشأن العمل على إبراز الدور العالمي العظيم للمبادئ الإسلامية، الصالحة لكل الأزمان والعصور.



جائزة «معرض بولونيا الدولي لكتب الأطفال»

لكتاب «حياة محمد» ﷺ

فاز كتاب «حياة محمد» ﷺ لمؤلفه الأستاذ عبدالقواب يوسف الأديب المعروف والحاتر علي جائزة الملك فيصل العالمية في مجال أدب الأطفال، بجائزة معرض بولونيا الدولي لكتب الأطفال، والذي أقيم في الفترة من ٢٩ آذار (مارس) - ١ نيسان (أبريل) ٢٠٠٠ م، وتم اختيار هذا الكتاب من بين ١٤٠٠ كتاب في أدب الأطفال، من أكثر من ثلاثين دولة.

ويقع الكتاب في عشرين قصة، تبدأ بحكاية الفيل عام ولادة الرسول ﷺ، ويختار المؤلف بعد ذلك مواقف من حياة الرسول ﷺ في الدعوة بأسلوب مبسط، ومحبب للصغار والكبار. والأستاذ عبدالقواب يوسف عضو شرف في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وله خالص التهنئة، والدعاء بمزيد من النجاح إن شاء الله.



من أخبار..

أعضاء الرابطة

الدكتوراه.. لحبيب

ابن معلا المطيري

حصل الأستاذ حبيب ابن معلا المطيري علي درجة الدكتوراه من كلية اللغة العربية بالرياض بمرتبة الشرف الأولى، في موضوع: «مسرحية الطفل في الأدب العربي الحديث.. دراسة نقدية إسلامية» وقد تكونت لجنة المناقشة من أ. د. سعد أبو الرضا مشرفاً ومقرراً، وأ. د. حسن سيد شحاتة مناقشاً خارجياً، ود. عبدالله العريني مناقشاً داخلياً، وقد أشادت اللجنة بأهمية الرسالة وأثرها في مجال أدب الطفل المسلم.



عبد القدوس أبو صالح رئيساً لرابطة الأدب الإسلامي العالمية

انتخب مجلس الأمناء في رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالإجماع سعادة الدكتور عبد القدوس أبو صالح رئيساً لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، خلفاً لسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله.

من المعروف أن الدكتور عبد القدوس أبو صالح من أعضاء الهيئة التأسيسية للرابطة.



جائزة باكستان الأدبية للشاعر الكبير محمد التهامي

منحت جمهورية باكستان الإسلامية جائزة «تمغه القائد الأعظم» هذا العام للشاعر الكبير محمد التهامي؛ اعترافاً بجهوده في خدمة الفكر والأدب الإسلامي، ولجهوده البارزة في نشر فكر العلامة «محمد إقبال» والتعريف به في مصر والعالم العربي عامة.

هذا، وتعد هذه الجائزة أكبر وسام أدبي تمنحه باكستان للمفكرين والأدباء. وقد نال هذه الجائزة من قبل الروائي المرحوم «نجيب الكيلاني». وقد سلم سفير باكستان بالقاهرة الجائزة للشاعر محمد التهامي، وحضر الاحتفال لفيف من المفكرين والعلماء والأدباء والمثقفين.



أمسية شعرية حافلة للدكتور عبدالرحمن العشماوي

برعاية مجلة «شباب» أقامت كلية المعلمين بالرياض أمسية شعرية للشاعر الدكتور عبدالرحمن العشماوي، ضمن الأنشطة المصاحبة لعرض الكتاب السادس عشر. وذلك في ٢٥/١٠/١٤٢٠هـ الموافق ٢٠٠٠/٢/١م. وحظيت الأمسية بقصائد جديدة للشاعر، كما شهدت حضوراً مكثفاً، غصت بهم القاعة. حيث ألقى قصيدة بمناسبة اختيار الرياض عاصمة للثقافة العربية، وقصيدة مؤثرة عن مأساة الشيشان.

وقد أثنى علي الأمسية بالتعليق كل من د. إبراهيم العريض عميد كلية المعلمين بالرياض، والدكتور عبدالقدوس أبو صالح نائب رئيس الرابطة، والأستاذ بكلية المعلمين حيث أشاد بمكانة الشاعر الدكتور عبدالرحمن العشماوي بين الشعراء. ومن الجدير بالذكر أن الدكتور العشماوي أقام عدة أمسيات شعرية قبل هذه، وافتتحها بأبسيته الشعرية في مركز الأمير سلمان الخيري بالرياض.



المعلمي..

في ذمة الله

تتقدم رابطة الأدب الإسلامي

العالمية إلى آل المعلمي وإلى الأدباء الإسلاميين بخالص العزاء والمواساة



بوفاة الفريق يحيى المعلمي عضو مجلس الأمناء ورئيس المكتب الإقليمي للرابطة في الرياض. وتدعو الله تعالى أن يتغمد الفقيد بالرحمة والمغفرة كفاء ما قدمه لدينه وأمته.

مشاركات ثقافية متنوعة محلية وعربية ودولية للاستاذة سهيلة زين العابدين حمّاد

بالإشراف على نشاط العضوات في مكة المكرمة، والإسهام في تبني الواهب الأدبية وتوجيهها، بالتعاون مع عضوات الرابطة بمكة المكرمة؛ لتكون حلقة الوصل بينهن وبين اللجنة الرئيسية بالرياض.

وننتقل من المنطقة الغربية إلى المنطقة الشرقية، حيث شاركت الأستاذة في فعاليات معرض الكتاب الذي نظّمته كلية الآداب للبنات بالدمام، صباح يوم الأربعاء الموافق ١٤ محرم عام ١٤٢١ هجرية، بمحاضرة بعنوان «إعداد الأدبية الإسلامية»، وقد حضر المحاضرة عدد من عضوات هيئة التدريس بالكلية وطلبتها، وطلبات بعض المدارس المتوسطة والثانوية، إضافة إلى صفوة مشغفات المنطقة الشرقية، حضرن من الدمام والخبر والأحساء، ودار نقاش مطول حول الأدب الإسلامي، والأدبية الإسلامية.

وعقب المحاضرة وتناول الغداء اجتمعت الأستاذة سهيلة برئيسة قسم اللغة العربية وبعض عضوات القسم وناقشن في كيفية تبني الواهب الأدبية وتوجيهها، بعدها أجابت الأستاذة سهيلة علي أسئلة الحاضرات حول الأدب الإسلامي.

هذا وقد تلقت الأستاذة سهيلة دعوة لحضور مؤتمر «مستقبل الإسلام»، الذي ينظمه التجمع الإسلامي في أمريكا الشمالية، والذي سوف يعقد في شيكاغو في الفترة من ١٩ - ٢٢ صفر عام ١٤٢١ هجرية الموافق ٢٦ - ٢٩ مايو عام ٢٠٠٠م، وقد أعدت ورقة عمل للمشاركة بعنوان «مستقبل المرأة المسلمة في عصر العولمة»، ولكن لم تتمكن من حضور المؤتمر، والجدير بالذكر أن الأستاذة سهيلة قد كرمها نادي المدينة الأدبي في مؤتمر الأندية الأدبية، الذي نظّمه نادي المدينة الأدبي في الفترة من ١٤ - ١٥ محرم عام ١٤٢١ هجرية، وسيجري مراسم التكريم في حفل نسائي، علي شرف حرم صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبدالعزيز، أمير منطقة المدينة المنورة في قصر سموه، وهذا أول تكريم لأدبية سعودية من قبل الأندية الأدبية، وهو ثاني تكريم للأستاذة سهيلة، إذ كرمتها جامعة أم القرى، في المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، الذي عقد في مكة المكرمة في شهر شعبان عام ١٤١٩ هجرية، وكان تكريمها هو أول تكريم لأدبية سعودية.

شاركت الأستاذة سهيلة زين العابدين حمّاد في مؤتمر المرأة واستشراف المستقبل الذي نظّمه الاتحاد النسائي الإسلامي، والذي عقد في بيروت في الفترة من ٢٠ - ٢٢ ذي القعدة ١٤٢٠ هجرية الموافق ٢٥ - ٢٧ فبراير عام ٢٠٠٠م، وكان تحت رعاية دولة رئيس وزراء لبنان، معالي الدكتور سليم الحص، وقد حضرته أكثر من مائة سيدة، يمثلن القيادات النسائية الإسلامية في عدد كبير من الدول الآسيوية والأفريقية والأوروبية والأمريكية، هذا وقد تم ترشيح الأستاذة سهيلة وانتخابها عضواً بمجلس أمناء الاتحاد.

كما شاركت الأستاذة سهيلة في احتفال كلية التربية للبنات بمكة المكرمة، بأقسامها الأدبية والعلمية باختيار الرياض عاصمة ثقافية لعام ٢٠٠٠م، فألقت محاضرة للأقسام الأدبية، يوم الثلاثاء الموافق ٦ محرم عام ١٤٢١ هجرية، بعنوان «الدور الثقافي والاجتماعي للمرأة السعودية»، تحدثت فيها عن مسيرة المرأة السعودية عبر أربعين عاماً، مبيّة ما لها وما عليها، وقد عنّثت المحاضرة الدعاة والداعيات علي عدم اهتمامهم بدور الأدب الإسلامي في الدعوة، وتوضيح خطورة التيار الحداثي السائد، علي عقيدة الشباب وفكرهم، وقد حضر المحاضرة صفوة المثقفات من سيدات مكة المكرمة، ودار نقاش طويل حول ما أثير من قضايا، أهمها موقف التجمع، والصحافة والأندية الأدبية من إنتاج الأدبية السعودية.

وفي صباح اليوم التالي شاركت في نشاط الأقسام العلمية بالكلية، بمحاضرة عن مفهوم الأدب الإسلامي، ورابطة الأدب الإسلامي، مع التعريف بلجنة الأدبيات الإسلامية بالرابطة، وأهدافها وخططها المستقبلية، ودار نقاش حول الأدب الإسلامي، وتبني الواهب الأدبية، وكانت هذه المحاضرة عقب محاضرة قيمة، للأستاذة نادية بخاري عضو رابطة الأدب الإسلامي، والمحاضرة بعنوان «وللأدب الإسلامي منبر في الرياض» تحدثت فيها عن مكتب الرابطة بالرياض، وعن أنشطة الرابطة، ومجلة الأدب الإسلامي.

وقد انتهزت الأستاذة سهيلة فرصة وجودها في مكة المكرمة، والتقت بعضوات الرابطة، لتنسيق نشاط لجنة الأدبيات في مكة معهن، وقد تطوعت الأستاذة بخاري



من إصدارات أعضاء الرابطة

■ صدرت الطبعة الثانية من كتاب: الكلمة والبناء الدرامي.. دراسة تحليلية مقارنة للدكتور سعد أبو الرضا.

■ اشجان النيل الأزرق.. ديوان جديد للدكتور حسن الأمrani، رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في المغرب، صدر ضمن منشورات المشكاة، عن دار الاحمدية للنشر في الدار البيضاء بالمغرب ط ١ - ١٩٩٩م.

■ سعوديات ابن عثيمين.. دراسة في شعر محمد بن عبدالله بن عثيمين، للدكتور حسن بن فهد الهويمل، رئيس النادي الأدبي في القصيم، قدمت الدراسة ضمن الفعاليات الثقافية، التي نظمتها نادي أبها الأدبي، على هامش مؤتمر رؤساء الأندية الأدبية الخامس عشر في ١٦/١/١٤٢٠هـ وصدر الكتاب عن نادي أبها الأدبي ط ١ - ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

■ ملحمة أرض الرسالات.. ملحمة جديدة ضمن سلسلة الملاحم الشعرية التي أصدرها د. عدنان النحوي، صدرت عن دار النحوي للنشر والتوزيع في الرياض ط ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

■ ديوان الإشارات.. للشاعر فريد الانتصاري، صدر ضمن منشورات الدفاع الثقافي في تازة الجديدة بالمغرب ط ١ - ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

■ زغرودة للحنن - مجموعة قصصية.. لكمال محمود عفانة - أمين سر مكتب الرابطة في عمان - تضم ١٢ قصة قصيرة، صدرت عن دار البشير في عمان - ط ١ - ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

■ ثلاثة كتب جديدة للدكتور عبدالجواد محمد المحض، أستاذ الأدب والنقد المساعد بجامعة الأزهر، صدرت عن الدار المصرية في الإسكندرية: ١ - الأدب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة - ٢٤٤ صفحة.

٢ - أدب القصة في القرآن الكريم، وهو الكتاب رقم ١ - في سلسلة الدراسات القرآنية ٣٢٤ صفحة.

٣ - أباطيل الخصوم حول القصص القرآني - الكتاب رقم ٢ - في سلسلة الدراسات القرآنية ٣١٥ صفحة.

■ كتاب «الأثار غير الأكاديمية للمرحلة الجامعية، من تأليف صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سطام آل سعود - عضو الشرف في الرابطة ط ١ - ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م صدر عن دار العلم للملايين - بيروت - لبنان.

■ نبض الخاشقين - ديوان مشترك.. بين د. حسن الأمrani من المغرب وحفيظ بن عجب



الدوسري من السعودية. صدر عن دار الأحمديّة للنشر، في الدار البيضاء بالمغرب ط١ - ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

■ **أحلام مجنون** - ديوان صغير - لحفيظ بن عجب الدوسري، صدر عن دار الأحمديّة للنشر في الدار البيضاء بالمغرب، ط١ - ١٤٢٠هـ - **دماء على جدران التاريخ** - ديوان، للشاعر رفعت عبدالوهاب المرصفي - صدر عن شركة كيرمير للطباعة والنشر في القاهرة، ط١ - ٢٠٠٠م.

■ **ضياع الهوية في القضايا العربية**، كتيب المجلة العربية، للدكتور عائض الرديدي، وهو العدد السابع والثلاثون في السلسلة. صدر في محرم ١٤٢١هـ/ مايو ٢٠٠٠م.

■ **شعر الثورات الداخلية في العهد العثماني** - الجزء الأول، دراسة للدكتورة زينب صبري بيبة جيكي، مدرسة الأدب العربي في جامعة الشارقة. صدر عن دار الضيافة في عمان/ ٢٢٦ صفحة - ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م. ■ **الدولة في الإسلام**، كتاب جديد من تأليف عبدالرحمن علي قلاح، من البحرين - صدر الكتاب في ١٨١ صفحة، عن دار السلام في القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

■ **في تاصيل الأدب الإسلامي - نحو رواية إسلامية** - تأليف د. حلمي القاعود في سلسلة كتيب المجلة العربية - الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

■ **الريح والجدوة**، مجموعة قصصية للدكتور حسن الوراكلي، صدرت ضمن منشورات مجلة المشكاة - وجدة - المغرب، ط١ أيار/ مايو ١٩٩٩م.

■ **ديوان الأنموذج الفائق للنظم الواصل** - شعر القاضي عبدالرحمن بن يحيى الأنسي، تحقيق الأستاذ عبدالرحمن طيب بغير - صدر الديوان ضمن سلسلة الإبداع رقم ٣ لمؤسسة الإبداع للثقافة والآداب بصنعاء - اليمن، وقدم للديوان الدكتور عبدالولي الشميري - يقع الديوان في ٢٦٥ صفحة ط١ - ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

■ **فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم** - للدكتور أحمد البراء الأميري، يقع الكتاب في ٥٧٥ صفحة، صدر عن دار القلم في دمشق/ سوريا، ط١ ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

■ **الإعاققة في الأدب العربي** - من تأليف د. عبدالرزاق حسين ط١ - ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. منشورات مدينة الشارقة للخدمات الإنسانية - دولة الإمارات العربية المتحدة.



كتاب

■ نادي الباحة الأدبي ومنشورات جديدة:

- ١ - عطر تهامي - ديوان - للشاعر حمزة أحمد الشريف، ١٤٥ صفحة من القطع الصغير - ط١ - ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- ٢ - رقعت يدي - رواية من تأليف محمد عصبي الغامدي، ١٤٢ صفحة من القطع الصغير - ط١ - ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- ٣ - المسرحية المنهجية - تضم تسع مسرحيات منهجية مدرسية، للمراحل الدراسية الثلاث، من تأليف حسين محمد عباس حماد - ط١ - ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- ٤ - الشعر في رحاب النبوة - من تأليف مصطفى عيد الصياصنة - ط١ - ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

■ نادي جازان الأدبي ومنشورات جديدة:

- ١ - أول الرؤيا - ديوان للشاعر إبراهيم زولي يضم ٢٥ قصيدة بين الشعر العمودي، وشعر التفعيلة، ط١ - ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- ٢ - وللاقصار باب - ديوان للشاعر حسين سهيل، ٤٧ قصيدة مختلفة بين الشعر العمودي، وشعر التفعيلة ط١ - ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.



- ٣ - العيون في ديوان العرب - جمع وإعداد ناصر بن محمد زمل، ٢٥٥ صفحة، ط١ - ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- ٤ - الخصومة بين النحلة والشعراء - أسبابها وصورها - تأليف د. محمد غالب وراق عضو هيئة التدريس في جامعة أم درمان الإسلامية - ٦٢ صفحة - ط١ - ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

■ أمينة قطب، صدر لها عن دار البشير في عمان - الأردن ديوانان شعريان:

- ١ - رسائل إلى شهيد - يضم ٢٦ قصيدة، ط٢/١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- ٢ - مع القافلة - يضم ٢٢ قصيدة ط١ - ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

■ ضمن منشورات الدفاع الثقافي في تازة الجديدة بالمغرب صدر:

- ١ - حكاية زينب مع النهر - مجموعة قصصية - تأليف أحمد الأشهب، قدم لها د. سعاد التناصر (أم سلمى) عضو الرابطة، ١١٥ صفحة من القطع الصغير، ط١ - ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- ٢ - الجذور - الحلقة الأولى من سلسلة ديوان الرسائل - إعداد أنهار حكمت صالح، يضم الكتاب ٩ رسائل متبادلة بين الشاعر حكمت صالح، والدكتور عماد الدين خليل، ونماذج من شعر حكمت صالح - ط١ - ١٩٩٨م.

- ## ■ أبو العلا شاعر الأصالة والصدق -
- تأليف زهير محمد جميل كتيبي - دراسة في ثمانية فصول - ٦٥٦ صفحة - ط١ - ١٤١٤هـ/١٩٩٣م / طبع في مكة المكرمة.

■ سطور على اليم - ديوان للشاعر علي أبوالمعلا. ٢٨٨ صفحة - ط٢ - ١٤١٨هـ/١٩٩٧م - دار البلاد للطباعة - مكة المكرمة.

■ مرآة قلب - ديوان للشاعر عبدالقادر طيب يعكر الحضرمي. وهو الكتاب رقم ٤ - في إصدارات مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب والفنون في صنعاء. ١٣ قصيدة - ط١ - ١٩٩٩م.

■ في سلسلة كتاب الأمة التي تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر وصل إلينا:

١ - العدد ٧٠ - كتاب: دورة المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى.. تأليف أمال قرداش بنت الحسين.

٢ - العدد ٧١ - كتاب: الإعلان من منظور إسلامي - تأليف الدكتور أحمد عيسوي.

٣ - العدد ٧٢ - كتاب: تكوين الملكة الفقهية - تأليف الدكتور محمد عثمان شبير.

٤ - العدد ٧٣ - كتاب: الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري «نموذج مسالك بن بني» تأليف بدران بن مسعود بن الحسن.

■ اللغة القصصية ونقنيات البناء القصصي - تأليف دكمال سعد محمد خليفة المدرس بقسم الأدب والنقد في جامعة الأزهر، ومطبعة الكامل/أسسيوط، ط١ - ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.



■ قراءة غير عادية في تجربة حفيظ بن عجب الدوسري الإبداعية - تأليف محمود عبدالصمد زكريا - المديقان للنشر والإعلان - الإسكندرية - بدون سنة طبع.

■ تجربة المنتدى في العمل الدعوي - كتاب صدر عن المنتدى الإسلامي، ويوزع مع مجلة البيان - ط٢ - ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

■ وردة على ضريح الخابور - للشاعر جاله صيري شماس. ديوان يضم ٢٢ قصيدة منها: قطر الندى، نحيب القوافي، الشيخ أحمد ياسين، مأساة شعب، ط١ - ١٩٩٩م. الحسكة - سوريا.

■ ثلاثة كتب طبية للدكتور حسان شمسي باشا:

١ - وصايا طبيب - ط٢ - دار القلم في دمشق ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢ - الداء والدواء بين الأطباء والأدباء - ط١ - دار القلم في دمشق ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٣ - هكذا كانوا.. يوم كنا «الطب في أوروبا وعند المسلمين» - ط١ - دار المنارة في جدة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

■ نادي ابها الأدبي وإصدارات جديدة:

١ - الركض في مساحات الحزن - مجموعة قصصية، تأليف نادية الفواز. ١٤٣ صفحة من القطع الصغير، ط١ - ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢ - أماريق - ديوان أحمد عبدالله النيهاني، يضم ٢٥ قصيدة، تشراوح بين الشعر العمودي، وشعر التفعيلة، ط١ - ١٤٢٠هـ.

٣ - الترجمة والتحلية في النثر الأندلسي في المائة الثامنة: تأليف د. أحمد عبد الواحد - ٢١٠ ص، ط١ - ١٤٢٠هـ.

٤ - يناير، العدد التاسع والعشرون، شهر

فوائد النشر في المجلة

- لا تنشر المجلة أي موضوع سبق نشره.
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة ولا توزع على عدلين.
- يرجى كتابة الموضوع على الآلة الكاتبة أو بخط واضح، مع ضبط الشعر والشواهد وآلا يزيد عن خمس عشرة صفحة.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفضل ليتمكن وصول المكافأة الرمزية إلى الكاتب.
- ترسل نبذة عن الكاتب في حدود سطرين.
- يرجى توثيق البحوث توثيقاً علمياً كاملاً.
- الموضوع الذي لا ينشر لا يعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب، موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة، أو المجري معها الحوار.

محرم ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م. ضم العدد مقالات وبحوثاً عدة، وخمس قصائد، وثمان قصص قصيرة.

■ في سلسلة روائع الطب الإسلامي رقم (١):

صدر كتاب: في حفظ الأسنان واللثة واستصلاحها. تأليف حنين بن إسحاق. دراسة وتحقيق د. محمد فؤاد الزكري. دار القلم العربي - حلب - سورية - ط ١ - ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

■ رسالتان من امرأة مسلمة قلبها يحترق.. تأليف سلوى عبدالعبود. صدر عن المختار الإسلامي. في القاهرة، دار النصر للطباعة الإسلامية.

■ ملحمة وثبة المجد. في ٢٣٨ بيتاً تحكي جزءاً مهماً من تاريخ تأسيس المملكة العربية السعودية ومؤسسها. الملحمة للشاعر رافع بن علي الشهري. ط ١ / ١٤١٩هـ.

■ حميدة قطب وللمجموعة القصصية الثانية:

صدرت عن دار الشروق المجموعة القصصية «نداء إلى الضفة الأخرى» تضم ١١ قصة في ٢٤٦ صفحة من القطع الصغير - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م - القاهرة - بيروت.

■ في سلسلة دعوة الحق صدر عن رابطة العالم الإسلامي كتاب: «خطبة الجمعة..» تأليف د. نزار عبدالكريم الحمداني. ط ١ - عام ١٤٢٠هـ.



عميد الأدب الإسلامي

رحل عن هذه الدنيا في الأسبوع الأخير من شهر القرآن، العالم الجليل الشيخ أبو الحسن الندوي، الذي عاش العقود الثمانية من عمره معلماً ومعلماً، ومجاهداً بالقول والفعل والفكر.

غادر الندوي هذا العالم قبل أن تشرق عليه شمس القرن الميلادي الجديد، وكان روحه القدسة، وحسبه الناجل، وعمره الطاعن، وضميره البقيل، لم يحتمل جميعاً أن يظل القرن الجديد، وأسته واهنة الأركان بما أصابها من تشردم وتفكك وهوان، فتزلزلت رحمة الله لتأخذه إليه بعد أن أدى الرسالة وقدر الأمانة.

استمعت إلى الندوي محاضراً في المركز الإسلامي بولاية متشجن الأمريكية قبل أكثر من ربع قرن. وقد عجت يؤمئذ من الشيخ الهندي الذي تنجر العربية من لسانه بسلة بليغة، وتندفق الأفكار من ذهنه مقتعة بأهلية الإسلام للانتشار في كل أصقاع الدنيا، ومتحفزة للبرهنة للمسلمين الغربيين على عظمة الفكرة الإسلامية وفاعليتها في بيئة تعاني من خواء روحي موحش، وفقر إيماني مدقع.

لم تكن نقاشي حينئذ لمعرفة مكانة هذا العالم وفكره ومؤلفاته العديدة، حتى وقع بين يدي كتابه البديع «العرب والإسلام» فوجدت نفسي أمام أسلوب أدبي متميز، وتناول فكري وحي، ونظرات حضارية ناقية. كان الكتاب يضم مجموعة من المحاضرات والمقالات التي ألقيت ونشرت في عدة أماكن، خاطب فيها الندوي جزيرة العرب ومصر وبنس وكويت والعرب أجمعين خطاباً يتضح بالثبوت والانتماء والتقدير لقومات الحضارة والثقافة والتاريخ والجغرافيا، مؤكداً على أهلية أمة العرب لزعامة العالم الإسلامي، وهي زعامة مشروطة بتمثل الإسلام وتمثيله، فهو يؤمن بأن الأمم لا تعيش بالحضارات، ولا تعيش باللغات، وإنما تعيش بالرسالات، وبدون الرسالة الإسلامية لن يكون العرب شيئاً أبداً.

من أهم مؤلفات الندوي «ماذا خسر العالم بالحطاط المسلمين» الذي كان منهجه فيه إنسانياً وعالمياً، إذ لم يجعل الحطاط المسلمين مسألة خاصة تنزور منها الأمة وحدها، وإنما اعتبره خرقاً يصيب نسيج الحياة والحضارة الإنسانية، وهي لعمري نظرة فريدة وثاقية.

كان الندوي كاتباً وأديباً وشاعراً وصاحب فكر ومنهج في الدعوة، حفظ القرآن اقتداءً بأبيه وأبيه، وأتقن العربية كأحد أبنائها، بل أتقنها أكثر من معظم أبنائها، كما درس إلى جانبها الفارسية والأردية والإنجليزية. رأس تحرير «مجلة الندوة العلمية» التي تنشر أبحاثها باللغة الأردية، وأسس الجمع العلمي الإسلامي بالهند، وقد أهله جهوده العلمية إلى أن يختار عضواً بالجمع العلمي العربي بدمشق في أواخر الخمسينيات، وأن يكون عضواً بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، كما حصل على جائزة الملك فيصل لحركة الإسلام فوهب قيمتها للدعوة الإسلامية.

كانت للندوي نزعة أدبية وأسلوب بليغ، وتذوق للعربية وآدابها، يتجلى ذلك واضحاً في كتابه القيم «مختارات من الأدب العربي» الذي يبين عن حاسة أدبية وقائقة فنية، وإلمام بتاريخ الأدب العربي وعصوره. ولعل حبه للأدب، وانتماءه الروحي والعقلي للإسلام هما اللذان أوحيا له فكرة إنشاء «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» التي تنتمي إلى مدرسة أسلمة المعرفة، الرامية إلى تأسيس منهج في التفكير والرؤية، وفي الموقف من العالم والحياة، تكون مرجعته روح الإسلام المتجدد.

رحم الله أبا الحسن الندوي، المجتهد والداعية وعميد الأدباء الإسلاميين، رحمة واسعة، وعوض الأمة عنه خيراً.

د. فوزية بريون

نشر في جريدة الرياض - عدد ١١٥٣٢ في ١٣/١٠/١٤٢٠ الموافق ١/٢٠/٢٠٠٠م